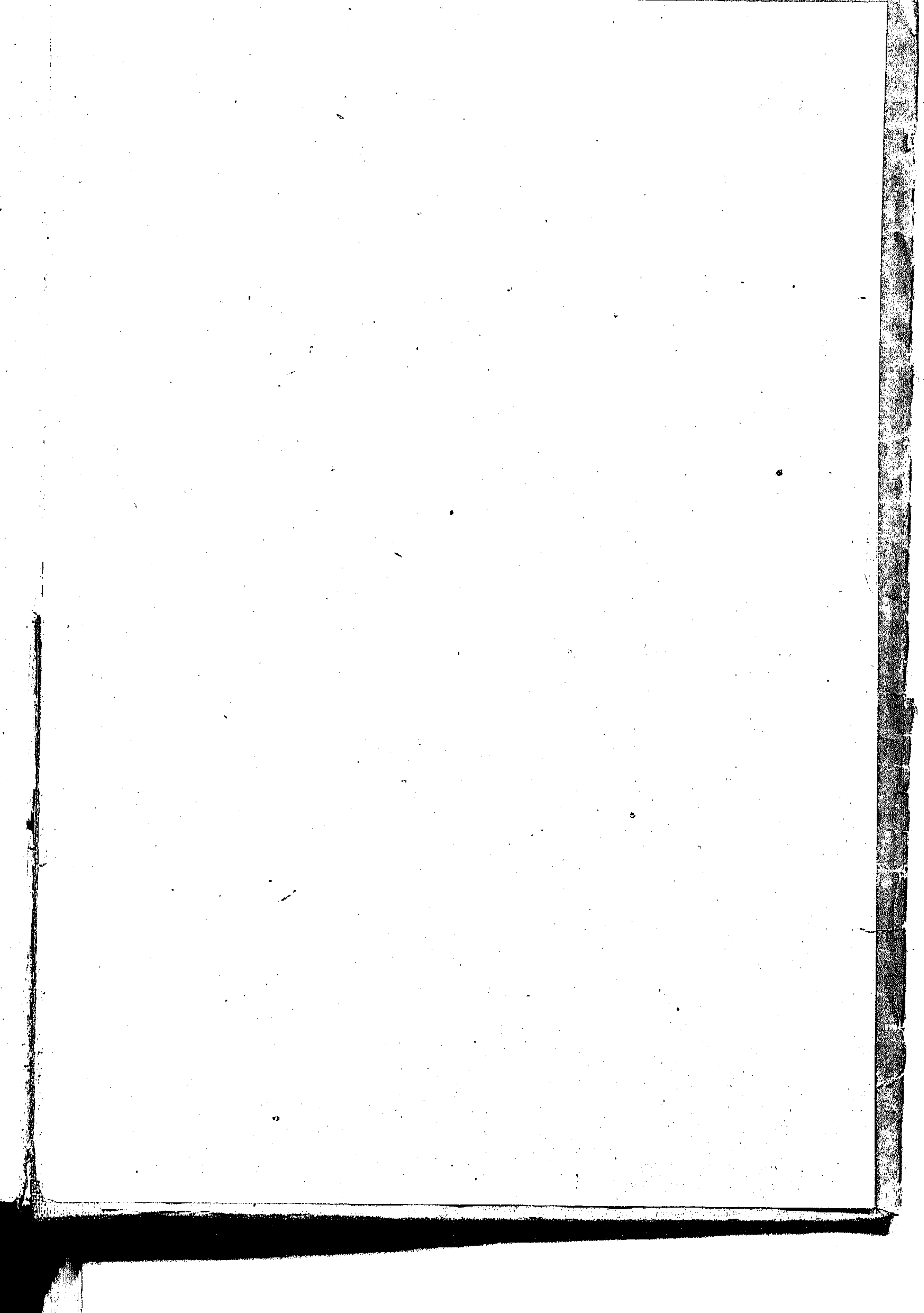
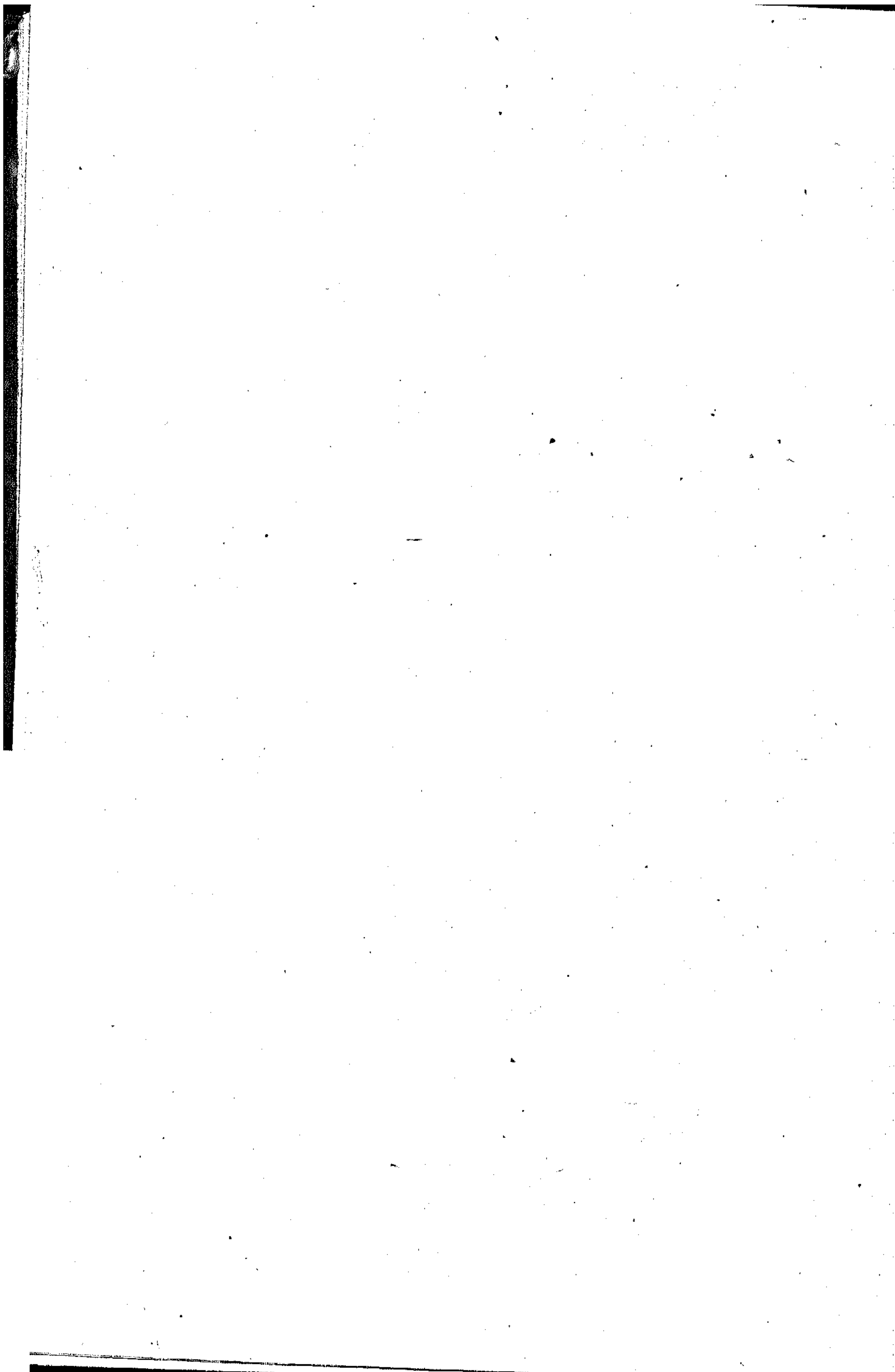


مفضل الله





اهداءات ٢٠٠٠

المرحوم اد. فريد شافعي
أستاذ العمارة الإسلامية - القاهرة

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الاسكندرية

قصص الأندلس

المسمى بالعشراش

تأليف: العالم العلامة ابي اسحاق احمد بن محمد

ابن ابراهيم النيسابوري الشعبي

المتوفى سنة ٤٢٧ هـ تغمده الله برحمته

وأسكنه فسيح جنته آمين



يطلب من

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliothèque d'Alexandrie

مكتبة الجمهورية العربية

لصاحبها عبد الفتاح عبد الحميد

بشارع الصادقية بالأزهر

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على محمد وآله (قال) الأستاذ أبو إسحق
أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الشعبي رحمه الله تعالى هذا كتاب يشتمل على
قصص الأنبياء المذكورة في القرآن بالشرح والله المستعان وعليه التكلان .

(باب في ذكر بعض وجوه الحكمة)
(في تفصيله تعالى أخبار الماضين على سيد المرسلين)

قال الله تعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) قالت
الحكماء إن الله تعالى قص على المصطفى صلى الله عليه وآله أخبار الماضين من الأنبياء والأمم
الخالية لخسة أمور أي حكم :

(الحكمة الأولى) منها أنه إظهار لنبوته صلى الله عليه وآله ودلالة على رسالته وذلك أن
النبي صلى الله عليه وآله كان أمياً لم يختلف إلى مؤدب ولا إلى معلم ولم يفارق وطنه بمدة يمكنه
فيها الانقطاع إلى عالم يأخذ عنه علم الأخبار ولم يعرف له طلب شيء من العلوم
إلى أن كان من أمره ما كان فنزل عليه جبريل عليه السلام ولقنه ذلك فأخذ يحدث
الناس بأخبار ماضى من القرون وسير الأنبياء والملوك المتقدمين فمن كان من
قومه حاقلاً موفقاً صدق بما يوحى إليه وإخباره إياه بذلك فآمن به وصدقه
وكان ذلك معجزة له ودليلاً على صحة نبوته ومن كان منهم عدواً معانداً حسده
وجحده وأنكر ما جاء به وقال كما أخبر الله تعالى وقالوا أساطير الأولين اكتتبها
فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً قال الله تعالى تكذيباً لهم وتصديقاً للنبي صلى الله عليه وآله (قل
تزله الذي يعلم السر في السموات والأرض) .

(الحكمة الثانية) أنه لما قص عليه القصص ليكون له أسوة وقدوة بمكارم
أخلاق الرسل والأنبياء المتقدمين والأولياء الصالحين فيما أخبر الله تعالى عنهم
وأثنى عليهم واتقى أمته عن أمور عوقبت أمم الأنبياء بمخالفتها إليها
وإستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب فيتمم الله بذلك معالي الأخلاق

فلما امتثل أمر الله تعالى واستعمل أدب الأنبياء أثنى الله عليه فقال تعالى (وإنك لعلی خلق عظیم) ولذلك قالت عائشة رضي الله تعالى عنها حين سئلت عن خلق رسول الله ﷺ قالت كان خلقه القرآن .

(الحكمة الثالثة) أنه إنما يقص عليه القصص تثبيتها له وإعلاماً بشرفه وشرف أمته وعلى أقدارهم وذلك أنه لما نظر إلى أخبار الأمم قبله علم أنه عوفى هو وأمته من كثير مما امتحن الله به الأنبياء والأولياء وخذف الله عنهم في الشرائع ورفع عنهم الأثقال والأغلال التي على الأمم الماضية . كما قال بعض المتأولين في تفسير قوله تعالى (وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة) أما النعمة الظاهرة فهي تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع قال الله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقال تعالى (وما جعل الله عليكم في الدين من حرج) وقال تعالى (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً) فلما قص الله هذه القصص على نبيه رأى فضل نفسه وفضل أمته وعلم أن الله خصه هو وأمته بكرامات لم يخص بها أحد من الأنبياء والأمم فوصل قيام ليله بنهاره وصيامه بقيامه لا يفتر عن عبادة ربه أداء لشكره حتى تورمت قدماء فقيل يا رسول الله أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبداً شكوراً ثم أفتخر عليه السلام فقال د بعثت بالحنفية السمحة .

(الحكمة الرابعة) أنه إنما قص عليه القصص تأديباً وتهذيباً لأمته وذلك أنه ذكر الأنبياء وثوابهم والأعداء وعقابهم ثم ذكر في غير موضع وتحذيره إياهم عن صنع الأعداء وحشهم على صنع الأولياء فقال تعالى (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) وقال (لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب) وقال (وهدى وموعظة للمتقين) ونحوها من الآيات وكان الشبلي رحمه الله تعالى يقول في هذه الآيات اشتغل العام بذكر القصص واشتغل الخاص بالاعتبار من القصص .

(الحكمة الخامسة) أنه قص عليه أخبار الأنبياء والأولياء والماضين لإحياء لذكورهم وآثارهم ليكون المحسن منهم في إبقاء ذكره مثبتاً له تعجيل جزائه

في الدنيا حتى يبقى لذكوره وآثاره الحسنة إلى قيام الساعة كما رغبت خليل الله إبراهيم عليه السلام في إبقاء الشئاء الحسن فقال (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) والناس أحاديث يقال مامات ميت والذكر يحويه وقيل ما أنفق الملوك والأغنياء الاموال على المصانع والحصون والقصور إلا لبقاء الذكر وأنشد ناصر بن محمد المروزي قال أنشدني الديردي :

ولما المرء حديث بمعدن فكن حديثاً حسناً لمن وعى

(مجلس في صفة خلق الارض)

قال الله تعالى (الذي جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناء) الآية ونظائرهما كثيرة في القرآن (واعلم) أن الكلام في نعمة خلق الارض على سبعة أبواب :

(الباب الاول في بدء خلق الارض وكيفيتها)

روت الرواة بالفاظ مختلفة ومعان مثقفة أن الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق جوهرة خضراء أضعاف طباق السموات والارض ثم نظرة إليها نظرة هيبية فصارت ماء ثم نظر إلى الماء فغلي وارتفع منه زبد ودخان بخار وأرعد من خشية الله فمن ذلك يرجع إلى يوم القيامة وخلق الله من ذلك الدخان السماء فذلك قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) أي قصد وعمد إلى خلق السماء وهي بخار وخلق من ذلك الزبد الارض فأول ما ظهر من الارض على وجه الماء مكة فدحا الله من تحتها فلذلك سميت أم القرى يعني أصلها وهو قوله (والارض بعد ذلك دحاهما) ولما خلق الله الارض كانت طبقة واحدة ففتقها وصيرها سبعاً وذلك قوله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما) ولذلك قال بعض حكماء الشعراء :

لا تخضعن لمخلوق على طمع فإن ذلك نقص منك في الدين
واسترزق الله بما في خزائنه فإن رزقك بين الكاف والنون
واستغن بالله عن دنيا الملوك كما استغن الملوك بدنياهم عن الدين

وقال كعب الاحبار إن الأرض كانت تتكفأ على الماء كما تتكفأ السفينة على الماء فأرساها الله بالجبال وذلك قوله تعالى (والجبال أرساها) وقوله تعالى (والجبال أوتادا) وقوله تعالى (وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بكم) يعني لكيلا تتحرك بكم .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول ما خلق الله الأرض عجت وقالت يارب تجعل علي بن آدم يعملون على الخطايا ويلقون على الخبائث فاضطربت فأرساها الله تعالى بالجبال فأقرها وخلق الله تعالى جبلا عظيما من زبرجدة خضراء خضرة السماء منه يقال له جبل قاف فأحاط بها كلها وهو الذي أقسم به الله فقال (ق والقرآن المجيد) .

وروى يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما خلق الله تعالى الأرض جعلت تمتد فخلق الجبال وألقاها عليها فاستقامت فتعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال نعم الحديد فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الحديد قال نعم النار فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من النار قال نعم الماء فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الماء قال نعم الريح فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الريح قال نعم الإنسان يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله .

(الباب الثاني في حدود الأرض ومسافتها وأطباقها وسكانها)

روى عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال (بين كل أرض والتي يليها مسيرة خمسمائة عام وهي سبعة أطباق الأرض) (الأولى) هذه فيها سكانها والأرض (الثانية) مسكن الريح ومنها تخرج الرياح المختلفة كما قال تعالى وتصريف الرياح وفي الأرض (الثالثة) خلق وجوههم مثل وجوه بني آدم

لا يمصون الله طرفه عين ليلنا نهارم ونهارم ليلنا والارض (الرابعة) فيها
حجارة الكبريت التي أعدها الله لأهل النار تسجر بها جهنم .

قال النبي ﷺ والذي نفسي بيده إن فيها لاودية من كبريت لو أرسلت فيها
الجمال الرواسي لانماعت ، قال وهب بن منبه الكبريت الاحمر والصخرة منها مثل
الجبل العظيم وهي التي قال الله تعالى فيها (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم
ناراً وقودها الناس والحجارة)

قال منصور بن عمار دخلت خربة فوجدت شاباً يصلي صلاة الخائفين فقلت
لنفسى إن لهذا الفتى لشأناً عظيماً لعلة من أولياء الله تعالى فوقفته حتى فرغ من
صلاته فلما سلم سلمت عليه فرد علي فقلت ألم تعلم أن في جهنم وادياً يسمى لظى
نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فاعى فشق شقيقة فخر مغشياً عليه فلما
أفاق قال زدنى فقلت (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس
والحجارة) الآية فخر ميتاً فلما كشف ثيابه عن صدره رأيت مكتوباً عليه بقلم القدرة
(فهو في عيشة راضية في جنة طالية تطوفها دائية) .

عن أبي الزرقاء عن عبد الله قال الجنة اليوم في السماء السابعة فإذا كان غداً
جعلها الله حيث يشاء والنار اليوم في الارض السفلى فإذا كان غداً جعلها الله حيث
يشاء وأما بعد قعر الارض فكافيك به حديث قارون حيث خسف به الارض
وبداره وبأمواله ففي الخبر أنه يخسف به كل يوم مقدار قامة فلا يبلغ قعرها إلى
يوم القيامة وقال النبي ﷺ بينما رجل يتبختر في بردته وينظر في عطفه وقد أعجبته
نفسه نخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة .

(الباب الثالث في ذكر الأيام التي خلق الله تعالى فيها الارض)

قال الله تعالى (قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين) الآية قال
أبو إسحق شبك بيدي أبو بكر محمد بن أحمد القحطان قال شبك بيدي أحمد بن

الحسين بن شاذان قال شبك بيدي إبراهيم بن يحيى قال شبك بيدي صفوان بن سليم
قال شبك بيدي أيوب خالد الأنصاري قال شبك بيدي عبيد الله بن أبي واقع قال
شبك بيدي أبو هريرة قال شبك بيدي أبو القاسم عليه السلام فقال دخلت الله الأرض
يوم السبت والجبال يوم الأحد والأشجار يوم الإثنين والظلمات يوم الثلاثاء
والنور يوم الأربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة .

(الباب الرابع في ذكر أسمائها وألقابها)

(قال) وهب بن منبه الأولى من الأرض تسمى أديما والثانية بسيطا والثالثة
تقيلا والرابعة بطيحا والخامسة مثاقلة والسادسة ماسكة والسابعة ترى .
(وما سماؤها المذكورة في القرآن) فهي سبعة أيضاً سماها الله فراشاً فقال
(الذي جعل لكم الأرض فراشاً) وسماها قراراً فقال (أم من جعل الأرض
قراراً) وسماها رتقاً فقال (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا
رتقاً) وسماها بساطاً فقال (والله جعل لكم الأرض بساطاً) وسماها مهاداً فقال
(ألم يجعل الأرض مهاداً) وسماها ذات الصدع يعني بالنبات وسماها كفاتاً فقال
(ألم يجعل الأرض كفاتاً) قال خالد بن سعيد كنت أمشي مع الشعبي بظهر الكوفة
فنظر إلى بيوت الكوفة فقال هذه كفات الأحياء ثم نظر إلى المقبرة فقال هذه
كفات الأموات .

(يحكى) أن عبد الله بن طاهر لما قدم نيسابور صحبه من أولاد المجوس شاب
متطيب يدعى تحقيق الكلام وأظهر مسألة تحريق الأنفس بالنار وكان يزعم أن
الجسد جيفة منتن في حال الحياة فإذا مات فلا حكمة في دفنه والتسبب في زيارة
قدنه وأن الواجب إحراقه وإذراء رماده فقيل لبعض الفقهاء إن الناس قد
افتتنوا بمقالة هذا المجوسي لنسمع منه فاجتمعوا عند عبد الله بن طاهر أن أجمع بيننا
وبين هذا المجوسي لنسمع منه فاجتمعوا عند عبد الله فلما تكلم المجوسى بمقالته

تلك قال له الفقيه أخبرنا عن صبي تدعيه أمه وحضينته أيهما أولى به فقال له الأم
فقال إن هذه الأرض هي الأم منها خلق الخلق فهي أولى بأولادها أن يردوا إليها
فأقبح المجوسى وأشد في معناه أمية بن أبي الصلت :

والأرض معقلنا وكانت أمنا فيها مقابرنا وفيها فولد

(وسئل) يحيى بن معاذ الرازى إن ابن آدم يدري أن الدنيا ليست بدار
قرار فلم يطمئن إليها قال لأنه منها خلق فهي أمه وفيها نشأ فهي عيشه ومنها رزق
فهي عيشه وإليها يعود فهي كفاته وهي عمر الصالحين إلى الجنة .

باب الخامس في ذكر ما زين به الأرض)

زين الأزمنة بأربعة أشهر قال الله تعالى (إن
رأى فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض
الأشهر الحرم منها ثلاثة سرد وواحد فرد فالثلاثة
سحة والمحرم والفرد رجب والأمكنة وزينها بأربعة
ومسجد العشار وزينها أيضاً بالأنبياء عليهم
إبراهيم الخليل وموسى السليم وعيسى الوجيه
أجمعين وهم أهل الكتاب وأصحاب الشرائع
أحمد عليه السلام وزينهم أيضاً بأربعة على وفاطمة

وعمر وعثمان وعلى وهم الخلفاء الراشدون والأئمة

ن .

مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا يجتمع حب

ومن قال أنس قد اجتمع حبهم فى قلبى والحمد لله

بهم بأربعة العلماء والقراء والغزاة والعباد وزينها بأنواع

الحيوانات والنباتات والجمادات .

(الباب السادس في عاقبتها وما آلتها وآخر حالها)

اعلم أن الله تعالى وعدّها بسبعة أشياء أحدها التبديل وهو قوله تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض) وفي الخبر يؤتى بأرض بيضاء من فضة كالخبز النقي الحواري لم يعص الله عليها قط ظرفة عين ولا وصم فيها ولا قسم مستوية كالصلب المهند .

(والثاني) الزلزلة قال الله تعالى (إذا زلزلت الأرض زلزالها) الآية وقال رسول الله ﷺ لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل وتظهر الفتن ويكثر الهرج قيل وما الهرج يا رسول الله قال القتل ، فإذا أكلت أمي الربا كانت الزلزلة وإذا جاروا في الحكم اجترأ عليهم العدو وإذا ظهرت الفاحشة كان الوباء والموت وإذا منعوا الزكاة قحظوا ولولا البهائم لم يمطروا .

وفي الحديث د أن الأرض تزلزلت على عهد عمر رضي الله عنه فأخذ بهضادني منبر رسول الله ﷺ وقال يا أهل المدينة إنكم رجفتهم وإن الرجفة من كثرة الربا والزنا ونقصان التمر من قلة الصدقة وإنكم أحدثتم أشياء حتى أعجلتم فهل أنتم منتهون فأويفر عمر من بين أظهركم .

(والثالث) البرز قال الله تعالى (وترى الأرض بارزة) يعنى لفصل القضاء .

(والرابع) الرج قال الله تعالى (إذا رجفت الأرض رجاً) قال المفسرون كما

يرج الصبي في المهد حتى ينفكسر كل شيء عليها خوفاً من ربها .

(والخامس) الرجف قال الله تعالى (يوم ترجف الأرض والجبال)

(والسادس) المد حتى تتخلى وتلقى ما في بطنها قال الله تعالى (وإذا الأرض

مدت وألقت ما فيها وتخلت)

(والسابع) الدك قال الله تعالى (إذا دكك الأرض دكا دكا) وقال تعالى

(فكدكنا دكة واحدة)

(الباب السابع في وجوه الارض المذكورة في القرآن)

وهي سبعة أولها مكة خاصة قال الله تعالى في الرعد والأنبياء (أولم يروا أنها نأت الارض تنقصها من أطرافها) يعني أرض مكة .

(الوجه الثاني) أرض المدينة قال الله تعالى (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) يعني أرض المدينة وقال تعالى (إن أرضي واسعة) وقال الله تعالى (وإنه كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها)

(الثالث) أرض الشام وذلك قوله تعالى (ادخلوا الارض المقدسة) الآية يعني بلاد الشام وقال تعالى (ونجيناه ولو ظأ إلى الارض التي باركنا فيها للعالمين)

(الرابع) أرض مصر قال تعالى (وكذلك مكنا ليوسف في الارض) أرض مصر وقوله تعالى (اجعلني على خزائن الارض إني حفيظ عليم) وقوله (فلن أبرح الارض) أي أرض مصر وقوله تعالى (إن فرعون علا في الارض) وقال (ويستخلفكم في الارض) أي أرض مصر .

(الخامس) أرض المشرق وذلك قوله تعالى (إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض) .

(السادس) الارضون كلها وذلك قوله تعالى (وما من دابة في الارض إلا على الله رزقها) وقوله تعالى (وما من دابة في الارض ولا ظائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) في التسخير وقال تعالى (ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام) وقال تعالى (الذي جعل لكم الارض فراشاً)

(السابع) أرض الجنة وذلك قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون) وقوله تعالى (وأورثنا الارض نبيوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) .

(مجلس في ذكر خلق السموات وما يتصل به)
(وترتيب الكلام في هذا المجلس أيضاً على سبعة أبواب)

قال وهب بن منبه كادت الأشياء أن تكون سبعة فالسموات سبع والأرضون سبع والجمال سبع والبحار سبع وعمر الدنيا سبعة آلاف والأيام سبع واليوكا كب سبعة وهي السيارة والطواف بالبيت سبعة أشواط والسعي بين الصفا والمروة سبعة ورهي الجمار سبعة وأبواب جهنم سبعة ودركنها سبعة وامتحان يوسف عليه السلام قال تعالى (فلبث في السجن بضع سنين) وإيتاؤه ملك مصر سبع سنين (وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان) وكرامة الله للمصطفى ﷺ سبع قال الله تعالى (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) والقرآن سبعة أسباع وتركيب ابن آدم على سبعة أعضاء وخلقه من سبعة أشياء قال تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) إلى قوله (فتبارك الله أحسن الخالقين) وورق الإنسان وغذاؤه من سبعة أشياء قال الله تعالى (فلينظر الإنسان إلى طعامه) إلى قوله (مناها لكم ولانعامكم) وأمر السجود على سبعة أعضاء .

(الباب الأول في بدء خلق السموات)

قال الله تعالى (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) أي قصد ثم ففتحها بعد أن كانت طبقة واحدة فصيرها سبع سموات قال الله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففلقناهما)

(الباب الثاني في جواهرها وأجناسها)

قال الربيع بن أنس سماء الدنيا من موج مكفوف والثانية من صخرة والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة بيضاء .

(الباب الثالث في هيئتها وحدودها)

قال الله تعالى (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) قال ابن عباس رحمه الله تعالى خلق الله السموات مثل القباب فسما الدنيا قد شدت أقطارها بالثانية والثانية بالثالثة وكذلك إلى السابعة والسابعة بالعرش فذلك قوله تعالى (بغير عمد ترونها) وعمادها من فوقها .

(وعن أبي هريرة) رضى الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يتفكرون فقال فيم أنتم تتفكرون ؟ فقالوا نتفكر في الخلق فقال لهم تتفكرون في الخلق ولا تتفكرون في الخالق فإنه لا يحيط به الفكرة تفكرون في أن الله خلق السموات سبعاً والأرضين سبعاً وتحت كل أرض خمسمائة عام وبين السماء والأرض خمسمائة عام وتحت كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماء من خمسمائة عام وفي السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يتجاوز الماء كعبه .

(الباب الرابع في أسبابها وألقابها)

قال وهب بن منبه أولها سماء الدنيا دنياح والثانية ديقا والثالثة رقيع والرابعة فيلون والخامسة ظفطاف والسادسة سمساق والسابعة اسحا قاتل .

وأما أسماؤها المذكورة في القرآن فسبعة أولها البناء قال الله تعالى (والسماء بناء) والسقف قال الله تعالى (وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً) والطرائق قال الله تعالى (وجعلنا فوقكم سبع طرائق) والطباق قال الله تعالى (الذى خلق سبع سموات طباقاً) والشداد قال الله تعالى (وبيننا فوقكم سبعاً شداداً) والرتق الفتق قال الله تعالى (كانتا رتقا ففتقناهما) والدخان قال الله تعالى (ثم استوى إلى السماء وهى دخان) .

(وروى) أن الملائكة قالت يارب لو أن السماء والأرض أمرتهما فعضياك ما كنت صانعاً بهما قال كنت أمر دابة من دواب فتبتلعهما قالت يارب

فأين تلك الدابة ؟ قال في مرج من مروجى قالت يارب فأين ذلك المرج قال في علم من علومى قالت الملائكة سبحان ذى البسط القوى :

وقد ورد عن الضحاك بن مزاحم الهلالى حديث غريب حسن جامع لما تقدم من الابواب فى صفة السموات وخطودها وهيئتها وما فيها وأهلها وسكانها وأسمائها وألقابها وهو ما أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين العدل حدثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا الحسن بن علوية قال حدثنا إسماعيل بن عيسى قال حدثنا إسحق بن بشر عن جوير عن الضحاك ومقاتل قال خلق الله عز وجل سماء الدنيا وزينتها وهى ماء ودخان وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين الارض مسيرة خمسمائة عام ولونها ك لون الحديد المجلى وإسمها برقيما وبينها وبين السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة خلقوا من نار وريح وعليهم ملك يقال له الزعد وهذا الرعد يسبح بحمده وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقول سبحان ذى الملك والملايكوت .

وخلق السماء الثانية على لون النحاس وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة على ألوان شتى صفوف لو قيست شعرة بين مناكبهم لما انقاست رافعين أصواتهم يقولون سبحان ذى العزة والجبروت وإسمها قيديم وخلق الله فيها ملكا يقال له حبيب نصفه من نار ونصفه من ثلج وبينهما رفق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفى النار وهو يقول يا من ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك ومنها إلى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام .

ولون السماء الثالثة ك لون الشبه وغلظها مسيرة خمسمائة عام وإسمها الماعون وفيها ملائكة ذو أجنحة الملك منهم له جناحان وله أربعة أجنحة ووجوه شتى وافعون أصواتهم بالتسبيح ويقولون سبحان الحى الذى لا يموت أبدا وهم

صفوف قيامهم كأنهم بنيان مرصوص لو قيست شعرة بين مناكبهم ما انقاست
لا يعرف أحد منهم لون صاحبه من خشية الله تعالى .

وخلق الله السماء الرابعة بينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وغلظها مسيرة
خمسمائة عام ولونها كلون الفضة البيضاء واسمها فيلون وفيها ملائكة يضعفون على
ملائكة السماء الثالثة وكذلك أهل كل سماء أكثر عدداً من السماء التي تليها إلى
الضعف وفي السماء السابعة ملائكة لا يحصى عددهم إلا الله تعالى وهم في كل يوم في
زيادة وذلك قوله تعالى (وما يعلم جنود ربك إلا هو) قال وهم قيام وركوع وسجود
على ألوان شتى من العبادة يبعث الله تعالى الملك منهم في أمر من أمورهم فينطق الملك
ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذي أتى جانبه من شدة العبادة وهم يقولون سبح
قدوس ربنا الرحمن الذي لا إله إلا هو قال :

وخلق الله السماء الخامسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ولونها على لون الذهب
واسمها الاحقون ومنها إلى السماء السادسة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة يضعفون
على ملائكة الأربع سموات وهم ركوع وسجود لم يرفعوا أبصارهم ولا يرفعونها إلى
يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة قالوا ربنا نعبدك حق عبادتك .

وخلق الله السماء السادسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ومنها إلى السماء السابعة
مسيرة خمسمائة عام فيها جنود الله الأعظم الأكبر ويون لا يحصى عددهم إلا الله
تعالى وعليهم ملك جنوده سبعون ألف ملك وكل منهم جنوده سبعون ألف ملك
وهم الذين يبعثهم الله في أموره إلى أهل الدنيا رافعون أصواتهم بالتلهيل والتسبيح
وقد أحسن الله ما لا يحصى .

خلق الله السماء السابعة وغلظها مسيرة خمسمائة عام فيها جنود الله تعالى من الملائكة
وعليهم ملك وهو على سبعمائة ألف ملك كل منهم له من الجنود مثل قطر السماء
وتراب الثرى والسهل والرمل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق في سبع سموات
وسبع أرضين ويخلق الله سبحانه وتعالى في كل يوم ما يشاء واسمها الرقيع وهي من درة

بيضاء من السماء السابعة إلى مكان يقال له مرهوتا . مسيرة خمسمائة عام وعليه جنود
الله من الملائكة وهم رؤساء وهم أعظمهم سوى الروح وحملة العرش والعرش
فوق ذلك في عليين لا يعلم منتهاه إلا الله تعالى .

(الباب الخامس في ذكر الآيات التي خلق الله الأشياء فيها)

روت الرواة أن الله تعالى ابتداء خلق الأشياء يوم الأحد إلى يوم الخميس وخلق
يوم الخميس ثلاثة أشياء السموات والملائكة والجنة إلى ثلاث ساعات بقيت من
يوم الجمعة خلق في الساعات الأولى الاوقات والآجال وفي الثانية الأرزاق وفي
الثالثة آدم عليه الصلاة والسلام وذلك قوله عز وجل (فقضاهن سبع سموات في
يومين وأوحى في كل سماء أمرها) الآية .

(الباب السادس في ذكر ما زين الله به السموات)

وهي عشرة أشياء الشمس قال الله تعالى (وجعل الشمس سراجا) وقال تعالى
(سراجا وماجا) والقمر قال الله تعالى (وجعل القمر فيهن نورا) والسكواكب
قال الله تعالى (إنا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب) وهي على ضربين منها معلق
كمتعلق القناديل في المساجد ممسكة بقدره الله عز وجل .

(وروى) جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال في العرش مثل جميع ما خلق
الله تعالى في البر والبحر وقال هذا تأويل قوله تعالى (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه)
وأن ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية الخفقان الطير المسرع ثمانين ألف
عام والعرش يكسب كل يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر إليه خلق
من خلق الله تعالى والأشياء كلها في العرش كحلاقة ملقاة في فلاة وإن لله ملكا يسمى
حزقيائيل له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح مسيرة خمسمائة عام فخطر
له خاطر هل يقدر أن ينظر إلى العرش فزاده الله تعالى في الاجنحة مثلهما فكان له
سنة وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح مسيرة خمسمائة عام ثم أوحى الله

تعالى إليه أيها الملك طر فطار مقدار عشرين ألف سنة فلم يبلغ قائمة من قوائم
العرش ثم ضاعف الله تعالى له الاجنحة والقوة وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين
ألف سنة فبلغ رأس قائمة من قوائم العرش فأوحى الله تعالى إليه أيها الملك لو
طرت إلى أن ينفخ في الصور مع أجنحتك وقوتك ما تبلغ ساق عرشي فقال له
الملك سبحان ربي الأعلى فأنزل الله سبحانه وتعالى (سبح اسم ربك الأعلى) فقال
النبي ﷺ « اجعلوها في سجودكم » .

(وروى) علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ أنه قال
الكرسي أو ثوة طولها حيث لا يعلمه العالمون وقد جعل الله آية الكرسي أماناً لأهل
الإيمان من شر الشيطان .

(وروى) إسماعيل بن مسلم عن أبي المتوكل الناجي عن أبي هريرة رضي الله عنه
أنه كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوماً ففتح الباب فإذا التمر قد
أخذ منه ملء الكف ثم دخل يوماً آخر فإذا هو قد أخذ منه مثل ذلك ثم دخل يوماً
آخر فإذا هو قد أخذ منه مثل ذلك فذكر ذلك أبو هريرة رضي الله عنه للنبي ﷺ
فقال له عليه الصلاة والسلام أيسرك أن تأخذه قال نعم قال إذا فتحت الباب فقل
سبحان من سخرك لمحمد فذهب ففتح الباب وقال ذلك فإذا هو قائم بين يديه فقال
له يا عدو الله أنت صاحب الفعل قال نعم لا أعود ما كنت أخذت منه إلا لأهل
بيت فقراء من الجن فتركة ثم عاد فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال أيسرك أن تأخذه
قال نعم قال فإذا فتحت الباب فقل مثل ذلك أيضاً ففتح الباب وقال سبحان من
سخرك لمحمد فإذا هو قائم بين يديه فقال يا عدو الله أليس قد عاهدتني أن لا تعود
فقال دعني هذه المرة فإني لا أعود فتركة ثم عاد فأخذ الثالثة فقال أليس قد عاهدتني
أن لا تعود لا أدعك اليوم حتى أذهب بك إلى النبي ﷺ فقال لا تفعل فإنك إن تدعني
هلكت كلمة فإذا قلتها لم يقربك أحد من الجن لا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى
قال له لتفعلن إن تركتك قال نعم قال فما هي؟ قال (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)

حتى ختمها فتركة فذهب فلم يعد بعد ذلك فذكر ذلك أبو هريرة للنبي ﷺ فقال
الله أما علمت يا أبا هريرة هذه ؟ إنه كذلك صدق النخبيث ، واللوح والقلم قال الله
تعالى (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) وقال تعالى (ن والقلم وما يسطرون) ،
وقال ابن عباس أن ما خلق الله تعالى لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفتاه من
ياقوتة حمراء كتابيه نور وقلبه نور وعرضه كما بين السماء والأرض ينظر الله تعالى
فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة منها يخلق ويرزق ويحي ويميت ويفعل ما يشاء
فذلك قوله تعالى (كل يوم هو في شأن)

(ويروى) أن أول ما خلق الله القلم فنظر إليه نظرة هيبية وكان طوله كما بين
السماء والأرض فانشق نصفين وقال اكتب فقال يارب وما أكتب قال اكتب
بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال أجز بما هو كائن إلى يوم القيامة .

(ويحكى) أن ابن الزيات دخل على بعض الخلفاء فوجده مغموماً فقال له
روح عنى يا ابن الزيات فأشده يقول :

المهم فصل والقضاء غائب وكان ما خط في اللوح
فالتمس الروح وأسبابه أياس ما كنت من الروح
والبيت المعمور :

(وروى) الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ
أن في سماء الدنيا بيتاً يقال له البيت المعمور بخيال الكعبة وأن في السماء السابعة
بحراً من نور يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل عليه السلام كل غداة فينغمس فيه
إنغماسه ثم يخرج فينتفض انتفاضة فيخرج منه سبعون ألف قطرة من نور فينطق
الله تعالى من كل قطرة ملكاً فيأمرون أن يأنوا البيت المعمور فيصلون فيه فيأتونه
فيدخلونه ويصلون فيه ثم يخرجون فلا يعودون إليه إلى يوم القيامة وسدرة المنتهى
قال الله تعالى (عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى) .

(وقال) كعب وغيره دخل حديث بعضهم في بعض هي شجرة في السماء السابعة مما يلي الجنة أصلها ثابت في الجنة وعروقها تحت الكرسي وأغصانها تحت العرش إليها ينتهي عام الخلائق كل ورقة منها تظل أمة من الأمم يغشاها ملائكة كأنهم فراش من ذهب وعليها ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ومقام جبريل عليه السلام وسطها والله أعلم والجنة قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل رسول الله ﷺ عن الجنة كيف هي ؟ قال من يدخل الجنة حتى لا يموت ومنعم لا يبأس ولا يبلى ثيابه ولا يفنى شبابه قيل يا رسول الله كيف بناؤها قال لبننة من ذهب ولبننة من فضة بلاطها مسك أزفر وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران .

(وزوى) مجاهد عن مسروق عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ أن السماء أطت وحق لها أن تط ليس منها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم أو قاعد يذكر الله تعالى لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وأخرجتم إلى الصعراء تجارون إلى الله تعالى

(الباب السابع في ذكر ما لها وآخر حالها)

لأعلم أن الله تعالى وعد السماء بسبعة أشياء أحدهما المور قال الله تعالى (يوم تمور السماء موراً) يعني تدور كدوران الرجا من هول يوم القيامة والثاني أخبر أنها تصير كالمهل فقال تعالى (يوم تسكون السماء كالمهل) يعني دردى الزيت والثالث أخبر أنها تصير وردة كالدهان قال تعالى (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) والرابع الإنشقاق قال تعالى (إذا السماء انشقت) والخامس الانفطار قال تعالى (إذا السماء انفطرت) و(السماء منقطره) والانفطار أكثر من الإنشقاق والسادس الانفراج قال تعالى (وإذا السماء فرجت) والسابع الكشط قال تعالى (وإذا السماء كشطت) أى نزع من مكانها وطويت طياً قال تعالى (يوم تطوى السماء كطى السجل للكتب) الآية وأحسن الشاعر حيث قال :

إذا قيل من رب هذى السماء فليس سواه له مضطرب

ولو قيل رب سوى ربنا لقال العباد جميعاً كذب

وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه بأبي أنت
وأمي يا رسول الله ذكرت بحرى الخنفس مع الشمس والقمر وقد أقسم الله تعالى
بإلخنفس فى القرآن مثل ما كان ذكرك اليوم فما الخنفس؟ فقال يا على هن السكواكب
الخمسة البرجيس وهو المشتري وزحل وعطارد وبهرام والزهرة فهذه السكواكب
الخمسة الطالعات الجاربات مع الشمس والقمر فى الفلك وأما سائر السكواكب فكلها
معلقة فى السماء كتعليق القناديل فى المساجد وهى تدور مع السماء دوراً بالتسييح
والتقديس والصلوة لله تعالى ، ثم قال النبى ﷺ وأن أحببتم أن تستبينوا ذلك
فانظروا دوران الفلك مرة من هنا ومرة من هنا وإن لم تستبينوا الفلك فالجرة
وبياضها مرة من هنا ومرة من هنا فذلك دوران الشمس والقمر ودوران
السكواكب معها سوى هذه الخمسة ودورانها اليوم كما ترون فذلك صلاتها
ودورانها يوم القيامة فى سرعة دوران الرحمان أهوال يوم القيامة فذلك قوله تعالى
(يوم تمور السماء موراً) يعنى تدور دوراناً (وتسير الجبال سيراً) فإذا طلعت
الشمس فإنها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلاثمائة وستون ملكاً
فاشترى أجنحتهم يجرونها فى الفلك بالتسييح والتقديس لله تعالى على قدر ساعات
النهار والقمر كذلك قدر ساعات الليل ما بين الطول والقصر فى الشتاء كان ذلك
أو فى الصيف أو بينهما من الخريف والربيع فإذا أحب الله أن يبطل القمر والشمس
ويبرى العباد آية من الآيات يستعجبهم رجوعاً عن معاصيه وإقبالاً على طاعته تحركت
الشمس على العجلة وقالت مرة خرت الشمس عن العجلة وهو الفلك فإذا أراد
الله تعالى أن يعظم تلك الآية ليشتد خوف العباد غربت الشمس كلها فلا يبقى على
العجلة شىء منها فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم وذلك هو المنتهى من كسوفها
فإذا أراد الله أن يجعل آية دون آية وقع النصف منها أو الثلث أو الثلثان فى الماء
ويبقى سائر ذلك على العجلة وهو كسوف دون كسوف وإبتلاء الشمس والقمر
وذلك تخويف العباد واستعجاب من الله تعالى فأى ذلك صارت الملائكة الموكله

بمجلتها فرقتين فرقة منهم يقبلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة والفرقة الأخرى
تقبل على العجلة فتجرها إلى الشمس وهم في ذلك يقردونها في فلك على مقادير ساعات
النهار أو ساعات الليل ليلا كان أو نهاراً لكيلا يزيد في طولها شيء وقد ألهمهم
الله تعالى علم ذلك وجعل لهم تلك القوة الذي ترون من خروج الشمس والقمر
بعد الكسوف قليلاً قليلاً من ذلك السواد حتى يحمد الله تعالى على ما قوامه لذلك
ويتعلقون بعري العجلة حتى يجرونها بإذن الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم عجبت من خلق الله
وما بين من القدرة فيما لم يخلق أعجب منه ومن ذلك قول جبريل عليه السلام لسارة
(أتعجبين من أمر الله).

إن المجتهدون في الأرض وهم يومئذ عصابة قليلة في الأرض في كل بلد من بلاد
المسلمين في هو ان بين الناس وذلة في أنفسهم فينام أحدهم تلك الليلة مقدار ما كان ينام
قبلها من الليل ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاه فيصلي ورده ولا يصبح نحو ما كان
يصبح كل ليلة قبل ذلك فينكر ذلك ويخرج فينظر إلى السماء فإذا هو بالليل مكانه
والنجوم قد استدارت في السماء وصارت في مكانها من أول الليل فينكر ذلك ويظن
فيها الظنون ويقول خفت قراتي أم قصرت صلاتي أم قمت قبل حيني قال ثم يقوم فيعود
إلى مصلاه فيصلي ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج أيضاً فإذا هو بالليل مكانه فيزيده
ذلك إنكاراً ويخالطه الخوف ويظن في ذلك الظنون من سوء ثم يقول لعلي قصرت
صلاتي أو خفت قراتي أو قمت في أول الليل ثم يعود وهو وجل خائف مشفق لما
يتوقع من هول تلك الليلة فيقوم فيصلي أيضاً مثل ورده كل ليلة قبل ذلك ثم ينظر
فلا يرى الصبح فيخرج الثالثة فلا ينظر إلى السماء فإذا هو بالنجوم قد استدارت
مع السماء فصارت في أماكنها في أول الليل فشفق عند ذلك شفقة المؤمن العارف
لما كان يحذر فيلحقه الخوف وتلحقه الندامة.

ثم ينادى بعضهم بعضاً وهم قبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون فيجتمع
المجتهدون من أهل بلده في تلك الليلة في مسجد من مساجدهم يجأرون إلى الله تعالى
بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة فإذا مات لهم مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى

جبريل عليه السلام إليهما فيقول لهما إن الله تعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغربكما فتطلعا
منه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فيبيكيا عند ذلك وجل من الله تعالى وخوف يوم
القيامة بكاء يسمعه أهل السبع السموات ومن دونها وأهل سرادقات العرش ومن
فوقها فيبكون جميعاً لبكائهما لما خالطهما من خوف الموت وخوف يوم القيامة فترجع
الشمس والقمر فيطلمان من مغربهما قال فبينما المجتهدون يبكون ويتضرعون إلى
الله تعالى والغافلون في غفلتهم إذ نادى مناد ألا إن الشمس والقمر قد طلعا من
مغاربهما فينظر الناس فإذا بهما أسودان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما
في كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى (وجمع الشمس والقمر) وقوله تعالى
(إذ الشمس كورت) فيرتفعان كذلك مثل البعيرين القرنين فينازع كل واحد
منهما صاحبه استباقاً ويتصارخ أهل الدنيا وتذهل الأمهات عن أولادهما
والأحبة عن ثمرات فؤادهما فتشغل كل نفس بما كسبت فأما الصالحون والابرار
فإنهم ينفعهم بكأؤهم يومئذ ويكتب لهم ذلك عبادة وأما الفاسقون والفجار
فلا ينفعهم ويكتب عليهم حسرة فإذا ما بلغ الشمس والقمر سررة السماء وهي منتصفهما
جاءهما جبريل عليه السلام فيأخذ بقرنهما ويردهما إلى المغرب فلا يغربهما من تلك
العيون ولسكن يغربهما من باب التوبة .

فقال عمر بن أبي أمية يا رسول الله وما باب التوبة ؟ فقال يا عمر خلق الله
تعالى باباً للتوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب مكلان بالدر والجواهر ما بين
المصراع إلى المصراع أربعون سنة للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق
الله تعالى الدنيا إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما ولم يتب
عبد من عباد الله تعالى توبة نصوحاً منذ خلق الدنيا إلى ذلك اليوم إلا ولجت تلك
التوبة في ذلك الباب ثم ترتفع إلى الله تعالى .

فقال معاذ بن جبل بن أبي أمية يا رسول الله وما التوبة النصوح قال أن يندم
العبد على الذنب الذي أصاب فيعتذر إلى الله تعالى ثم لا يعود إليه كما لا يعود
اللبن إلى الصرع قال فيغربهما جبريل عليه السلام من ذلك الباب ثم يرد المصراعين

ثم يلثم ما بينهما فيصير كأنه لم يكن بينهما ضدع قط وإذا أغلق باب التوبة فلم يقبل العبد بعد ذلك توبة ولا تنفمه حسنة يعملها في الإسلام إلا من كان قبل ذلك محسناً فإنه يجري عليه ما كان يجري عليه قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) فقال أبي بن كعب بأبي أنت وأمي يا رسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا ؟ فقال يا أبا إن الشمس والقمر يكسيان النور والضوء بعد ذلك ثم يطلمان ويفربان كما كان قبل ذلك وأما الناس فانهم مع مارأوا من فظاعة تلك الآية وعظمتها يلحون على الدنيا ويجرون فيها الأنهار ويفرسون فيها الأشجار ويبدنون فيها البنيان وأما الدنيا فلو نتج للرجل منهم فيها مهر لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من مغربها إلى أن ينفخ في الصور فقال حذيفة جعلني الله فداك يا رسول الله فكيف بهم عند النفخ في الصور قال يا حذيفة والذي نفسي بيده لينفخن في الصور ولتقوم الساعة والرجل قد لا يطأ حوضه فلا يشرع فيه الماء ولتقوم الساعة وقد أخذ بن لقمته من تحتها فلا يشر به ولتقوم الساعة والثوب بين الرجلين فلا يذشر انه ولا يطويانه ولا يبيعانه ولتقوم الساعة والرجل قد رفع لقمته إلى فيه فلا يطعمها ثم تلا هذه الآية (وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون) فإذا قامت الساعة قضى الله تعالى بين أهل الدارين وميز بين الفريقين ، أهل الجنة والنار وقبل أن يدخلوا هما يدعو الله تعالى بالشمس والقمر فيجاء بهما أسودين لا نور لهما مكدرين قد وقعا في الزلازل والبلايا وفرائسهما ترتعد من هول يوم القيامة وهول ذلك ومن مخافة الرحمن تعالى فإذا كان حذاء العرش خر ساجدين لله تعالى ويقولان يا إلهنا قد علمت طاعتنا لك ودأبنا في طاعتك وصرعنا للمضى في أمرك أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين إلبانا فقد علمت أننا لن ندعوهم إلى عبادتنا ولم نزل عن عبادتك فيقول الله تعالى صدقنا إنى قد قضيت على نفسي أن أبدى وأعيد وإنى معيد كما إلى ما بدأتكما منه فارجعا إلى ما خلقتكما منه فيقولان ربنا مم خلقتنا فيقول خلقتكما من نور عرشى فارجعا إليه فيلمع من كل واحد منهما بركة تكاد تخطف الأبصار نوراً فيختلطان بين نور العرش فذلك قوله تعالى (يبدىء ويعيد) .

(مجلس في قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة)
(الباب الأول في ذكر وجود الحكمة وخلق آدم عليه الصلاة والسلام)

قال الحكماء خلق الله الخلق ليظهر وجوده وليظهر كمال علمه وقدرته بظهور أفعاله المتقنة المحسنة لأنها لا تتأق إلا من قادر حكيم وليعبد فإنه يحب عبادة العابدين ويشبههم عليها على قدر فضله لا على قدر أفعالهم وإن كان غنياً عن عبادة خلقه لا تزيد في ملكه طاعة المطيعين ولا ينقص من ملكه معصية العاصين قال الله تعالى (وما خلقت الجن والإانس إلا ليعبدون) وليظهر إحسانه لأنه محسن فأوجد لهم ليحسن إليهم وليفضل عليهم فيعامل بعضهم بالعدل وبعضاً بالفضل وخلق المؤمنين خاصة للرحمة كما قال عز وجل (وكان بالمؤمنين رحيماً) وقال تعالى (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) .

قال جعفر بن محمد الصادق والضحاك عن مزاحم أي للرحمة خلقهم وليحمدوه لأنه يحب الحمد (ويروى) أن آدم عليه السلام لما خلقه الله تعالى وعرض عليه ذريته وجد فيهم الصحيح والسقيم والحسن والقبيح والأسود والأبيض فقال يا رب هلا سويت بينهم فقال الله تعالى إني أحب أن أشكر .

(قال) أبو الحسن القفال خلق الله تعالى الملائكة للقدره وخلق الأشياء للعبرة وخلق الإنسان للمحنة قال عز وجل (هو الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم) .

(قال العلماء) خلقكم لإظهار القدرة ثم رزقكم لإظهار الكرم ثم يميتكم لإظهار القهر والجبروت ثم يحييكم لإظهار العدل والفضل والثواب والعقاب ومنهم من قال الخلق جميعهم لأجل محمد ﷺ .

عن قتاده عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال « أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد وأمر أمتك أن يؤمنوا به ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فسكتت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن ، وقيل خلقهم لأمر

عظيم غيبه عنهم لا يحليه حتى يحل بهم ما خلقهم له قال الله تعالى (أحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون) وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه (يا أيها الناس ذاقوا الله فما خلق امرؤ عبثاً فيلهم ولا أهل سدى فييغوا)

وقال الأوزاعي دبلغني أن في السماء ملكاً ينادي كل يوم لا ليت الخلق لم يخلقوا موليتهم إذ خلقوا عرفوا ما خلقوا له ، وقال بعضهم د إذا ما ثو ثم خلقوا عرفوا ما خلقوا له وجلسوا فتذكروا ما عملوا ، وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول في مناجاة د إلهي غيبت عني أجلي وأحصيت علي عملي ولا أدري إلى أي الدارين منقلبي لقد أوقفتني وقفة المحزونين أبدا ما أبقيتني ، وقال أبو القاسم الحكيم د إن الله تعالى جعل لابن آدم بين البلوى والبلوى فما دام الروح في جسده فهو في البلوى فإذا فارق الروح الجسد فهو في البلى فأتى له السرور وهو بين البلوى والبلى .

وقال بعض الحكماء يا ابن آدم أنظر إلى خطر مقامك في الدنيا وإن ربك حلف فقال (لا ملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وإن إبليس حلف فقال (فبعضتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) وأنت يا مسكين بين الله تعالى وبين إبليس مظلوم ساء لاه والله أعلم .

(الباب الثاني في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته)

قال المفسرون بألفاظ مختلفة ومعان متفقة إن الله تعالى لما خلق آدم عليه الصلاة والسلام أوحى الله إلى الأرض إني خالق منك خلقاً منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني منهم أدخلته الجنة ومن عصاني أدخلته النار ثم بعث إليها جبريل عليه السلام ليأنيه بقبضة من ترابها فلما أتاها جبريل ليقبض منها القبضة قالت له الأرض إني أعوذ بعزة الذي أرسلك أن لا تأخذ منها شيئاً يكون فيه غداً للنار نصيب فيرجع جبريل عليه السلام إلى ربه ولم يأخذ منها شيئاً وقال يا رب استعاذت بك فكرهت أن أقدم عليها فأمر الله عز وجل ميكائيل عليه السلام فأتى الأرض فاستعادت بالله أن يأخذ منها شيئاً فيرجع إلى ربه ولم يأخذ منها شيئاً فبعث الله ملك الموت فأتى

الأرض فاستعادت بالله أن يأخذ منها شيئاً فقال ملك الموت وإني أعوذ بالله أنه
أعصى له أمراً فقبض قبضة من زواياها الأربع من أديمها الأعلى ومن سبختها وطينها
وأحمرها وأسودها وأبيضها وسهلها ومهادها فكذلك كان في ذرية آدم الطيب والخبيث
والصالح والطالح والجميل والقبيح ولذلك اختلفت صدورهم وألوانهم قال الله تعالى
(ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم) ثم صعد بها
ملك الموت إلى الله تعالى فأمره أن يجعلها طيناً ويخمرها فمجنها بالماء المر والعذب
والمالح حتى جعلها طيناً وخرها فلذلك اختلفت أخلاقهم ثم أمر جبريل عليه السلام
أن يأتيه بالقبضة البيضاء التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها ليخلق منها محمداً
ﷺ فهبط جبريل عليه السلام في ملائكة الفردوس المقر بين الكر وبين ملائكة
الصفح الأعلى فقبض قبضة من موضع قبر النبي ﷺ وهي يومئذ بيضاء نقية فمجننت
بماء التسليم ورعرت حتى صارت كالذرة البيضاء ثم غمست في أنهار الجنة
كلها فلما أخرجت من الأنهار نظر الحق سبحانه وتعالى إلى تلك الدرة الطاهرة
فانتفضت من خشية الله تعالى فقطر منها مائة ألف قطرة وأربعة وعشرون ألف
قطرة فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبياً فكل الأنبياء صلوات الله على
نبيينا وعليهم أجمعين.

قال الله تعالى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر) الآية قال ابن عباس
الإسلام آدم والحين أربعون سنة كان آدم جسداً ملقى على باب الجنة في صحيح
الترمذي بالإسناد عن رسول الله ﷺ في تفسير أول البقرة (إن الله خلق آدم
بيده من قبضة قبضها من جميع الأرض من السهل والجبل والأسود والأبيض
والأحمر فجاءت الأولاد على ألوان الأرض .

وسأل عبد الله بن سلام رسول الله ﷺ كيف خلق الله آدم عليه السلام؟ فقال: خلق
رأس آدم وجبهته من تراب الكعبة و صدره و ظهره من بيت المقدس و فخذه من
أرض اليمن وساقية من أرض مصر وقدميه من أرض الحجاز و يده اليمنى من أرض
المشرق و يده اليسرى من أرض المغرب ثم ألقاه على باب الجنة فكلما مر عليه ملا من

الملائكة عجبوا من حسن صورته وطول قامته ولم يكونوا قبل ذلك رأيا شيئا يشبهه من الصور فر به إبليس فرآه فقال لأمر ما خلقت ثم ضربه بيده فإذا هو أجوف فدخل فيه وخرج من دبره وقال لأصحابه الذين معه من الملائكة هذا خلق أجوف لا يثبت ولا يتماسك ثم قال لهم أرأيتم إن فضل هذا عليكم فما أنتم فاعلون قالوا نطيع ربنا قال إبليس في نفسه والله لأن فضل هذا على لأصينته ولأن فضلت عليه لأهاسكته فذلك قوله تعالى (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) يعني ما أظهرت الملائكة من الطاعة وإبليس من المعصية وقوله تعالى (إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) وفي الخبر أن جسد آدم عليه الصلاة والسلام كان ملقى أربعين سنة يطر عليه مطر الحزن ثم أمطر عليه مطر السرور سنة واحدة فلذلك كثرت المهوم في أولاده وتصير عاقبتها إلى الفرح والراحة ، وأنشدنا في هذا المعنى أبو عوانه المهرجاني :

يقولون إن الدهر كله يومان فيوم محبات ويوم مكاره
وما صدقوا فالدهر يوم محبة وأيام مكروه كثير البدائة
وأنشدني ابن الأعرابي فقال :

من الزمان كثيرة لا تنقضي وسروره يأتيك بالقلبات
وأنشدني أبو بكر الصولي لابن المعتز :

أى شيء يكون أعظم من ذا لو تفكرت في صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا والبلايا تسكال بالقفزات

(الباب السادس في صفة نفخ الروح)

قال العلماء لما أراد الله أن ينفخ في آدم عليه السلام الروح أمرها أن تدخل في فيه فقالت الروح مدخل بعيد القمر مظلم المدخل فقال للروح ثانية فقالت مثل ذلك وكذلك الثالثة إلى أن قال في الرابعة أدخلها واخرجي كرها فلما أمرها الله

نمالي بذلك دخلت في فيه فأول ما نفخ فيه الروح دخلت من دماغه فاستدارت نزلت
في عيونه والحكمة في ذلك أن الله تعالى أراد أن يرى آدم بدء خلقه وأصله حتى إذا
تتابعت عليه السكرامات لا يدخله الزهو ولا العجب بنفسه ثم نزلت في خياشيمه
فيعطس حين فراغه من عطاسه نزلت الروح إلى فيه ولسانه فلقنه الله تعالى أن قال
الحمد لله رب العالمين فكان ذلك أول ما جرى على لسانه فأجابه ربه عز وجل يرحمك
ربك يا آدم للرحمة خلقتك قال تعالى سبقت رحمتي غضبي ثم نزلت الروح إلى صدره
وشرابينه فأخذ يعالج القيام فلم يمكنه ذلك وذلك قوله تعالى (وكان الإنسان عجولاً)
وقوله تعالى (خلق الإنسان من عجل) فلما وصلت الروح إلى جوفه اشتبهى الطعام
فهو أول حرص دخل جوف آدم عليه الصلاة والسلام .

(وفي) بعض الأخبار أن آدم عليه السلام لما قال له ربه يرحمك ربك يا آدم
مد يده ووضعها على أم رأسه قال أوه فقال الله مالك يا آدم فقال إنى أذنبت ذنباً
فقال من أين علمت ذلك فقال لأن الرحمة للمذنبين فصارت تلك سنة في أولاده إذا
أصاب أحدهم مصيبة أو محنة وضع يده على رأسه وتأوه ثم انتشر الروح في
جسده كاه فصارت لحمًا ودمًا وعظاماً وعروقاً وعصباً ثم كساه الله تعالى لباساً من ظفر
وجعل يزداد كل يوم حسناً فلما قارف الذنب بدل بهذا الجلد ثم خلق الله فرساً
من المسك الأذفر يقال له الميمون له جناحان من الدر والجواهر فركبه آدم عليه
الصلاة والسلام وجبريل أخذ بلجامه وميكائيل عن يمينه وإسرافيل عن شماله
فطافوا به السموات كلها وهو يقول السلام عليكم يا ملائكة الله فيقولون وعليك
السلام ورحمة الله وبركاته فقال الله تعالى يا آدم هذه تحيتك وتحية المؤمنين من
ذريتك فيما بينهم إلى يوم القيامة ثم عليه الله تعالى الأسماء كلها .

(واختلف) العلماء في هذه الأسماء فقال الربيع ابن أنس أسماء الملائكة كلهم
وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أسماء ذريته وقال ابن عباس وأكبر الناس عليه
اسم كل شيء حتى القصة والقصة ثم أمر الله الملائكة بالسجود له كما قال الله تعالى

(فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) وأكثر العلماء على أن الأمر بالسجود لآدم إنما توجه على الملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون سائر الملائكة وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا بسجود صلاة وعبادة فلما أمرهم بالسجود سجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين .

(الباب الرابع في صفة خلق حواء عليها السلام)

قال المفسرون لما أسكن الله تعالى آدم الجنة كان يمشى فيها وحشياً لم يكن له من بحالسه ويؤانسه فألقى الله تعالى عليه النوم فنام فأخذ الله ضلعاً من أضلاعه من شقه الأيسر يقال له القصيرى فخلق منه حواء من غير أن أحس آدم بذلك ولا وجد له ألم ولو تألم آدم من ذلك لما عطف رجل على امرأة ثم لبسها من لباس الجنة وزينها بأنواع الزينة وأجلسها عند رأسه فلما هب آدم من نومه رآها قاعدة عند رأسه فقالت الملائكة لآدم يمتحنون عليه ما هذه يا آدم قال امرأة قالوا وما اسمها قال حواء قالوا صدقت ولم سميت حواء بذلك قال لأنها خلقت من شيء حتى قالوا ولما ذا خلقها الله تعالى لتسكن إلى وأسكن إليها وذلك قوله تعالى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها) قال النبي ﷺ خلقت المرأة من ضلع أعرج فإن تقمها تكسرهما وإن تتركها تستمتع بها على عوجها .

(وقيل) الحكمة فى أن الرجال يزيدون على مرور الأيام والاعوام حسناً وجمالاً لأنهم خلقوا من التراب والطين يزداد كل يوم جدة وجمالاً والنساء يزددن على مرور الأيام قبحاً لأنهن خلقن من اللحم واللحم يزداد على مرور الأيام فساداً .

وفى بعض الأخبار أن آدم عليه السلام لما رأى حواء مديده إليها فقالت الملائكة له يا آدم فقال ولم وقد خلقها الله ؟ فقالت الملائكة حتى تؤدى مهرها قال ومهرها فقالوا أن تصلى على محمد ثلاث مرات قال ومن محمد قالوا آخر الأنبياء من ولدك ولولا محمد ما خلقت .

(الباب الخامس في ذكر امتحان الله آدم عليه الصلاة والسلام)
(وما كان منه في ذلك)

قال أهل التاريخ لما أسكن الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام أباح لهما نعيم الجنة كلها إلا شجرة واحدة ذلك قوله تعالى (وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة) إلى قوله (فتكونا من الظالمين) واختلفوا في هذه الشجرة التي هي شجرة المحنة .

فقال علي رضي الله عنه هي شجرة الكافور وقال قتادة هي شجرة العلم وفيها من كل شيء علامة وقال محمد بن كعب ومقاتل هي السنبلة وقيل هي الخنطة وقيل هي السكرمة فوسوس لها الشيطان حتى زين لها الشجرة فأكلا ما نهاهما ربهما عن أكله من ثمرة تلك الشجرة وحسن لهما معصية الله تعالى في ذلك حتى أكلا منها .

وكان وصول عدو الله إليهما وتزيينه ذلك لهما على ما ذكره أصحاب الأخبار أن إبليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فمنعه الخزنة من ذلك فأتى الحية وكان من أحسن الدواب التي خلقها الله تعالى لها أربعة قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة وكانت لإبليس صديقة فسألها أن تدخله الجنة في فيها فأدخلته في فيها ومرت به على الخزانة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة وكان قد دخل مع آدم الجنة لما دخل الجنة ورأى فيها من النعيم والكرامة فقال طيب لو كان خلد فاغتنم ذلك الشيطان منه فأتاه من قبل الخلد وقيل إن إبليس لما سمع بدخول آدم الجنة حسده وقال يا ويلاه أنا أعبد الله منذ كذا وكذا ألف سنة ولم يدخلني الجنة وهذا خلق خلقه الله تعالى الآن فأدخله الجنة فاحتال في إخراج آدم عليه السلام من الجنة فوقف على باب الجنة وهو في كل ذلك ينتظر خروج خارج من الجنة يتوصل به إلى آدم فمكث على باب الجنة قبينا هو كذلك إذ خرج إليه الطاووس وكان سيد طيور الجنة فلما رآه إبليس قال له أيها الخلق الكريم من أنت وما اسمك فما رأيت من خلق الله أحسن منك قال أنا طائر من طيور الجنة إسمي طاووس فيكي إبليس فقال له الطاووس من أنت ومم بكائك؟ فقال له إبليس أنا ملك من الملائكة

الكرويين إنما بكيت تأسفاً على ما يفوتك من حسنك وكمال خلقتك فقال له الطاووس أيفوتني ما أنا فيه قال بلى وأنتك تفنى وتبيد وكل الخلائق يبدون إلا من تناول من شجرة الخلد فإنهم المخلدون من تلك الخلائق فقال الطاووس وأين تلك الشجرة قال إبليس هي في الجنة قال الطاووس ومن يدانا بمكانها قال إبليس أنا أدلك عليها إن أدخلتني الجنة قال الطاووس كيف لي بإدخالك الجنة ولا سبيل إلى ذلك المكان فإنه لا يدخل الجنة أحد ولا يخرج منها إلا بإذن الله ورضوانه ولا يمكن سادلك على خلق من خلق الله تعالى يدخلها فإنه إن قدر على ذلك فهو دون غيره فإنه خادم خليفة الله تعالى آدم قال ومن هو قال الحية قال إبليس فبادر إليها فإن لنا فيه سعادة الأبد لعلمها تقدر على ذلك .

فجاء الطاووس إلى الحية وأخبرها بمكان إبليس وما سمع منه وقال إني رأيت بباب الجنة ملكاً من الكرويين من صفته كيت وكيت فهل لك أن تدخله الجنة ليدلنا على شجرة الخلد فأسرعت الحية نحوه فلما جاءته قال لها إبليس نحواً من مقالته للطاووس فقال كيف لي بإدخالك الجنة ورضوان إذا رآك لم يمكنك من دخولها فقال لها أتحوّل ريحاً فتجعليني بين أنيابك قالت نعم .

فتحوّل إبليس لعنه الله ريحاً ودخل في فم الحية فأدخلته الجنة فلما دخل إبليس الجنة أراها الشجرة التي نهي الله تعالى عنها آدم وجاء حتى وقف بين يدي آدم وحواء عليهما السلام وهما لا يعلمان أنه إبليس فباح عليهما نياحة أحزنتهما فبكيا وكان أول من ناح فقالا له ما يبكيك فقال أبكى عليكما تموتان فتفارقان ما أتتا فيه من النعيم والكرامة فوقع ذلك في أنفسهما وانخما لذلك وبكى إبليس ومضى ثم إن إبليس أتاهما بعد ذلك وقد أثر قوله فيهما فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى قاله نعم قال كل من هذه الشجرة شجرة الخلد فقال نهاني ربي عنها فقال إبليس ما نهاك ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تسكرنا أو تكونا من الخالدين فأبيا أن يقبلتا منه فأقسم لهما بالله إنه لهما لمن الناصحين فاغترا بذلك وما كانا يظنان أن أحداً يحاف بالله كذباً فبادرت حواء إلى أكل الشجرة ثم زينت لآدم حتى أكلها .

ولذلك قال رسول الله ﷺ والخمر يجمع الخبائث وأم الذنوب ، ويقال لما قال الله تعالى وحواء لا تقربا هذه الشجرة قالوا نعم لا تقربها ولأننا كل منها ولم نستشينا في قولهما بمشيمة الله تعالى فوكاهما الله تعالى إلى أنفسهما حتى أكلتا المنهى عنهما .

فلما أكل من الشجرة المنهى عنها ابتلاه الله بعشرة أشياء (الأولى) معاتبته لياهما على ذلك بقوله (ألم أنهيكما عن تلبسكما الشجرة وأقل لكم إن الشيطان لكما عدو مبين) (والثانية) الفضيحة فإنه لما أصاب الذنب بدت لهما سوءاتهما تهافت عنهما ما كان عليهما من لباس الجنة فتجبر آدم وحواء هاربا في الجنة فتلقتهم شجرة العناب فأخذت بناصيته وناداه ربه أفرار آ مني يا آدم قال لا يارب ولكن حياء منك ولذلك قيل كفى بالقصر حياء إلى يوم القيامة .

ويروى أن آدم لما بدت سوءاته وظهرت عورته طاف بأشجار الجنة يسأل منها ورقة يغطي بها عورته فزجرته أشجار الجنة حتى رحمته شجرة التين فأعطته ورقة فطفا يعني آدم وحواء يخصفان عليهما من ورق الجنة فكافأ الله التين بأن سوى ظاهره وباطنه في الحلاوة والمنفعة وأعطاه الله ثمرتين في كل عام (والثالثة) أو هن جلده وصيره مظلما بعد أن كان جلده كالظفر وألقى عليه من ذلك قدرا يسيرا على أنامله ليتذكر بذلك أول حاله (والرابعة) أخرجته من جوارحه ونودي أن لا ينبغي أن يجاورني من عصائي فلذلك قوله تعالى (اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر) الآية يعني آدم وحواء وإبليس والحية والطاووس فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند وقيل على جبل من أرض الهند يقال له نود قيل وحواء بجدة بلد بأرض الحجاز وإبليس بالأبلة من أرض العراق وهي بالبصرة وقيل مشان والحية بأصبهان والطاووس بأرض بابل .

أخبرني نافع بن أذفر بن أحمد بإسناده عن عثمان بن علية قال سمعت الوجيهين أن عطاء يذكر أن آدم قال كنا نسلا من نسل الجنة فسيبانا إبليس بالخطيئة إلى

الأرض فلا ينبغي لنا الفرح في الدنيا ولكن الحزن والبكاء . مادمننا في دار سبأ .
حتى نرد إلى الدار التي سبينا منها وقال الشاعر :

يا ناظراً يرنو بعيني رافداً وه شاهد الأيام غير مشاهد
منتك نفسك وصلة فأبحتها سبل الرجاء وهن غير قواصد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجى درج الجنان بها وفوز العابد
ونسيت أن الله أخرج آدمأ منها إلى الدنيا بذنوب واحد

(الخامسة) الفرقة فرق بينه وبين حواء هذا بالهند وهذه بجدة فجاء كل واحد
منهما يطلب صاحبه حتى قرب أحدهما من صاحبه فازدلفا فسميت المزدلفة واجتمعا
بجمع فسمى جمعاً وتعارفا بعرفة في يوم عرفة فسمى الموضع عرفات واليوم عرفة .

(السادسة) العداوة ألقى بينهم العداوة والبغضاء كما قال الله تعالى (بعضكم لبعض
عدو فالإنسان عدو الحية بشدخ رأسها حيث يراها والطاووس عدوة والحية عدوته
تلدغه إذا أمكنها وإبليس عدو طم جميعاً وفيه إشارة إلى أن الأحباب إذا اجتمعوا
وتعاونوا على معصية أعقبت معصيتهم عداوة كما قال الله تعالى (الأخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) .

(السابعة) النداء عليهم باسم العصيان فقال الله تعالى (وعص آدم ربه فغوى) .
(وروى) أن إبراهيم عليه السلام تفكر ذات ليلة من الليالي في أمر آدم فقال
يا رب خلقت آدم بيديك ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتك وأسكنته
جنتك بلا عمل ثم بزلة واحدة ناديت عليه بالمعصية وأخرتته من جوارك من الجنة
فأوحى الله تعالى إليه يا إبراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب أمر شديد .
(الثامنة) تسليط العدو على أولاده وهو قوله تعالى (وأجاب عليهم بخيلك
ورجلك وشاركتهم) الآية .

(التاسعة) جعل الدنيا سجناً له ولأولاده وابتلاه بهواء الدنيا ومقاساة الحر والبرد فيها ولم يكن لها بهما عهد لتعود هواء الجنة وهو كما قال الله تعالى (لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً) قال رسول الله ﷺ : الجنة سجاج لا حر فيها ولا قمر ، (العاشرة) التعب والشقاء وذلك قوله تعالى (إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) فهو أول خلق عرق جبينه من التعب والنصب .

(فصل) وابتليت حواء وبناتها بهذه الخصال وبخمس عشرة خصلة سواهن . (الأولى) الحيض يروى أنها لما تناولت الشجرة رميت الشجرة قال الله تعالى أن لك على أن أدميك أنت وبناتك في كل شهر مرة كما أدميت هذه الشجرة قال رسول الله ﷺ في الحيض : إن هذا شيء كتبه الله تعالى على بنات آدم وحواء ، (الثانية) ثقل الحمل .

(الثالثة) الطلق وألم الوضع قال الله تعالى (حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً) وفي الخبر : لولا الزلزلة التي أصابت حواء كان النساء لم يتخضن ولا يكن حليات وكن يحمان سرأً ويضعن سرأً .

(الرابعة) نقصان دينها .

(الخامسة) نقصان عقلمها عن أبي سعيد في حديث ذكره قال قال رسول الله ﷺ : ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداهن كن عقلمن له وما نقصان عقلمنا وديننا يا رسول الله ؟ قال أليس شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل فذلك نقصان عقلمها أو ليس إذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم قلن بلى قال فذلك نقصان ودينها .

(السادسة) أن ميراثها على النصف من ميراث الرجل قال الله تعالى (للذكر مثل حظ الأنثيين) .

(السابعة) تخصيصهن بالعدة .

(الثامنة) جعلهن تحت أيدي الرجل كما قال تعالى (الرجال قوامون على النساء) وقال عليه الصلاة والسلام : استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوار عندكم .

(م ٣ - قصص الأنبياء)

- (التاسعة) ليس لمن من الطلاق شيء ولا يملكون ذلك وإنما هو للرجال .
- (العاشرة) حرمانهم من الجهاد (الحادية عشر) ليس منهم نبي .
- (الثانية عشر) ليس منهم سلطان ولا حاكم .
- (الثالثة عشر) لا تسافر إحداهن إلا مع ذي رحم محرم .
- (الرابعة عشر) لا تنعقد بين الجمعة (الخامسة عشر) لا يسلم عليهن .

وعاقب إبليس لعنه الله تعالى بعشرة أشياء : أولها عزله من الولاية وكان له ملك الأرض وملك سماء الدنيا وكان خازن الجنة .

- (الثانية) أخرجه من جواره وأهبطه إلى الأرض .
- (الثالثة) مسح الله صورته فصوره شيطاناً بعد ما كان ملكاً .
- (الرابعة) غير اسمه كان اسمه عزازيل فسماه إبليس لأنه أبلس من رحمة الله تعالى
- (الخامسة) جعله إمام الأشقياء (السادسة) لعنه الله تعالى (السابعة) نزع منه المعرفة
- (الثامنة) أغلق عنه باب التوبة (التاسعة) جعله مريداً أي خالياً من الخير والرحمة
- (العاشرة) جعله خطيب أهل النار وعاقب الحية بخمسة أشياء قطع قوائمها وأمشاها على بطنها ومسح صورتها بعد أن كانت أحسن الدواب وجعل غذاءها التراب وجعلها تموت كل سنة بالشتاء وجعلها عدوة بني آدم وهم أعداؤها حيثما روتها يقتلونها وأباح رسول الله ﷺ قتلها في الصلاة وفي حال الإحرام .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما سلمنا من منذ حاربنا من ترك شيئاً منهم خيفة منه فليس من يعنى الحيات .

حدثنا عبد الله بن يونس قال أخبرنا داود عن محمد بن أبي الأعين المعبدي عن أبي الأحوص الحسيني قال بينما ابن مسعود يخطب ذات يوم فإذا هو بحية تمشي على الجدار فمطح خطبته ثم ضربها بقضيب حتى قتلها ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من قتل حية فسكانها قتل رجلاً مشركاً قد حل دمه .

(الباب السادس في حال آدم بعد هبوطه إلى الارض وما كان منه)

قال ابن عباس رضى الله عنهما ولما هبط آدم إلى الارض على جبل سرنديب
وذكر أن ذروته أقرب من ذرى جبال الارض إلى السماء .

(قال) وهب بن منبه لما أهبط الله آدم من الجنة واستقر جالساً على الارض
عطس عطسة فسأل أنفه دماً فلما رأى سيلان الدم من أنفه ولم يكن رأى قبل ذلك
دماً هاله ما رأى ولم تشرب الارض الدم فاسود على وجهها كاللحم ففرغ آدم من
ذلك فرعاً شديداً فذكر الجنة وما كان من الراحة فخر مغشياً عليه وبكى أربعين عاماً
فبعث الله إليه ملكاً فمسح ظهره ويطنه وجعل يده على فؤاده فذهب عنه الحزن
والغشى فاستراح فما كان يصيبه من الغم .

قال شهر بن حوشب (بلغنى أن آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط إلى الارض
مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى) .

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة
فلما أراد الله تعالى أن يرحم عبده آدم لقنه كلمات كانت سبب قبول توبته كما قال
تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) الآية واختلفوا في تلك الكلمات ما هي
قال ابن عباس هي أن آدم عليه السلام قال يارب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال ألم تنفخ
في من روحك قال بلى قال ألم تسبق لي رحمتك قبل غضبك قال بلى قال ألم تسكنني
جنتك قال بلى قال فلم أخرجتني منها ؟ قال لشؤم معصيتك قال أى رب أرأيت إن
أنا تبت وأصلحت ترجعني إلى الجنة فهى الكلمات ، وقال عبد الله بن عمر أن آدم قال
يارب أرأيت ما أتيتك شيئاً ابتدعته من تلقاء نفسى أو شئء فدونه على قبل أن تخلقني
بيدك قال لابل شئء قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته فاغفر لي .

وقال محمد بن كعب القرظى هي قول لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت
سوءاً وظلمت نفسى فتبت على إنك أنت التواب الرحيم لا إله إلا أنت سبحانك
اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسى فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم لا إله
إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسى فارحم إنك أرحم الراحمين

وقال سعيد بن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة أوحى الله تعالى إلى آدم أنه لي حراما بحيال عرشي فأتته فطف به كما تطوف حول عرشي وصل عنده كما تصلي عند عرشي فهناك استجيب دعائك فانطلق آدم من أرض الهند إلى أرض مكة لزيارة البيت وقبض الله ملكاً أرشده فمكث كل موضع يضع عليه قدمه عمراً وماتعداه مفاوز وقناراً فلما وقف بعرفات وكانت حواء طالبتها وقصدته من جدة فالتقيا بعرفات يوم عرفة فسمى ذلك الموضع عرفات فلما انصرفا إلى منى قيل لآدم تمني على قال أتمنى المغفرة والرحمة فسمى ذلك الموضع منى وغفر ذنبيهما وقيل توبتهما ثم انصرفا إلى أرض الهند قال مجاهد حدثني ابن العباس أن آدم حج من أرض الهند أربعين حجة على رجليه فقيل لمجاهد يا أبا الحجاج ألا كان يركب قال وأي شيء كان يحمله فوالله إن خطوته لمسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عمر لما حج آدم عليه السلام البيت وقضى المناسك كلها تلقته الملائكة يهنئونه بالحج وقبول النوبة فقالوا برحمتك يا آدم فدخله من ذلك شيء فلما رأت الملائكة منه ذلك قالوا يا آدم إنا قد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام فبقاصرت إلى آدم نفسه .

(وروى) سفيان عن منصور بن معمر عن ربعي بن خراش عن حذيفة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ولما أهبط آدم من الجنة إلى أرض الهند وعليه ذلك الورق الذي كان لباسه من الجنة فيبس وتطير بأرض الهند فعبق شجر العود والصندل والمسك والعنبر والكافور من ذلك الورق فقالوا يا رسول الله المسك هو من الدواب أم من الشجر قال إنما هي دابة تشبه الغزال رعت من ذلك الشجر فيصير المسك في مبرتها فإذا رعت الربيع جعله الله مسكاً وتساقط فينتفع به الآدميون قالوا يا رسول الله فأين يقع قال : قال لي جبريل في ثلاث كور لا يكون في شيء من الأرض إلا فيها أرض الهند وأرض السعدى وأرض التبت قالوا يا رسول الله العنبر إنما هي دابة في البحر قال أجل كانت هذه الدابة بأرض الهند ترعى في البر فبعث الله إليها جبريل عليه السلام فساقها وما معها فقذفها في البحر وهي أعظم ما تسكرون من الدواب غلظها ألف ذراع وإنما ترمى كما ترمى البقر أختها فربما يخرج من جوفها العنبرة ووزنها ١٥٠٠ رطل ونحو ذلك ثم إن آدم وجد الماء في رأسه وجسده فشدك ذلك

إلى الله تعالى فنزل عليه جبريل بشجرة الزيتون فأمره أن يأخذ ثمرها ويعصره فقال
إن في هذه الشجرة شفاء من كل داء إلا السام ودله جبريل عليه السلام على شجرة
إلهليلج الأبيض والأسود والأصفر فقال له إن ربك يقرئك السلام ويقول لك
كل من هذه فإنك إن تتداوى أنت وذريتك بدواء أفضل منها فيها شفاء من كل
داء إن بقي في جوفك فلا تخف وإن خرج أخرج الداء كله وأبرأه فأكله آدم فبرئ.

(قال) في الأخبار إن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض وأصاب جسده
أذى الهواء وأحس به اشتكى وحشده بجسده وكان قد اعتاد هواء الجنة فشكا ذلك
إلى جبريل فقال لك تشكو العري فأنزل الله عليه ثمانية أزواج المذكورة في
سورة الأنعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين
ثم أمره أن يذبح كبشاً منها فذبحه ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه آدم فجعل
منها جبة لنفسه وجعل لحواء درعاً وخماراً فلبسا وبكيا على ما فاتهما من لباس
الجنة فخواء أول من نسج ولبس الصوف .

(وعن) ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال
يا رسول الله ما تقول في حرفتي ؟ فقال رسول الله ﷺ وما حرفتك ؟ فقال أنا رجل
حائك قال حرفتك حرفة أبيتنا آدم عليه السلام وكان أول من نسج آدم وكان جبريل
يعلمه وآدم تلميذه ثلاثة أيام وإن الله عز وجل يحب حرفتك فأياها حرفة يحتاج إليها
الآحياء والأموات فمن قال منكم القبيح فأبونا آدم خصمه ومن أنف منكم فقد أنف
من آدم ومن لعنكم فقد لعن آدم ومن آذاكم فقد آذى آدم وهو خصمهم يوم القيامة
فلا تخافوا وابشروا فإن حرفتكم حرفة مباركة ويكون آدم قائداًكم إلى الجنة .

(وعن) أبي أمامة الباهلي قال قال رسول الله ﷺ عليكم بلباس الصوف
تجدون قلة الأكل عليكم بلباس الصوف تعرفون به في الآخرة وإن النظر في الصوف
ليورث القلب التفكير والتفكير يورث الحكمة والحكمة تجرى في الجوف مجرى الدم
فمن كثرت فكره قل طمعه وكل من قل تفكره كثرت طمعه وعظم بدنه وقسا قلبه
والقلب القاسي بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار ، قالوا ثم إن آدم عليه

الصلاة والسلام بعد ستر عورته اشتكى فقال جبريل ما الذي أصابك فقال أجد في
نفسى قلقاً واضطراباً لأجد إلى العبادة منه سبيلاً وإني أجد بين لحمي وجلدي ديبياً
كديب النمل فقال جبريل ذلك يسمى الجوع قال وكيف الخلاص من ذلك ؟ قال
سوف أهديك إلى ذلك فغاب عنه ثم جاء بشورين أحمرين والعلاة يعني السندان
والمطرفة والمنبحة والسكبتين ثم جاءه بشرور من جهنم فوقع في يد آدم فطار منه
شرارة فوقع في البحر فدخل جبريل إليها وأتى بها فرفعها إلى آدم فطارت منه
أيضاً حتى فعل ذلك سبع مرات فذلك قول النبي ﷺ « إن ناركم هذه جزء من
سبعين جزء من نار جهنم بعد أن غسلت بالماء سبع مرات ، فلما جاء بها في الثامنة
نطقت النار قالت يا آدم إني لا أطيعك وإني منتقمة من عصاة أولادك يوم القيامة
فقال جبريل يا آدم إنما إن تطيعك وليكن أسجنها لك ولأولادك ليكون لك
ولأولادك فيها المنافع فسجنها في الحجر والحديد فذلك قوله تعالى (أفرايتم النار
التي تورون أأنتم) الآية .

(وروى) أن آدم لما أخذ النار احترقت يده فخلى عنها فقال لجبريل ما لها تحرق
يدي ولا تحرق يدك ؟ قال لأنك عصيت الله وإني لم أعصه ثم أمر جبريل باتخاذ آلة
الحرث فهو أول من عمل الحديد ثم أتاه بضرة من حنطة فيها ثلاث حبات من الحنطة
فقال يا آدم لك حبتان ولحواء حبة فلذلك صار للذكر مثل حظ الأنثيين وكان وزن
الحبة مائة ألف درهم وثمانين ألف درهم فقال يا آدم نخذاها فإنها سبب سد جوعك
وبها أخرجت من الجنة وبها تمجيا في الدنيا وبها تلقى الفتنة أنت وأولادك إلى أن
تقوم الساعة ثم أمر أن يشد الثورين ويكسر من الخشب ويضعه عليها ففعل ذلك
وجعل يحرق الأرض عليهما فهو أول من حرث الأرض وبكى الثوران على ما فاتهما
من راحات الجنة فقطرت دموعهما على الأرض فنبت منها الجاورس وبالأفنت
منه الحمص ثم كسر جبريل تلك الحبوب حتى كسرها ثم بذرها فنبت من ساعته فقال
آدم عليه الصلاة والسلام آكاه ؟ فقال لا أصبر حتى يدرك فلما سنبل وأفرك قال
آكاه ؟ قال لا وعله الحصاد فلما حصد ما قال آكاه ؟ قال لا وعله الدياس فلما داس
قال آكاه ؟ قال لا وعله التنقية فلما نفاه قال آكاه ؟ قال لا وجاء بحجرين وعليه الطحن

فلما طحن قال آكاه ؟ قال لا وعليه العجن ويقال إن آدم عليه الصلاة والسلام لما
نخل دقيقه فأمر جبريل أن يبتث النخالة في الأرض المستحصده فنبت فيها الشعير فلما
عجن قال آكاه قال لا فأمره أن يحفر حفرة ويضع الحطب فيها ويوقد عليها ناراً
ففعل ذلك حتى جعله خبزاً ثم وضع عجينة عليه فخبز فهو أول من خبز فلما أخرجه
قال آكاه قال لا حتى يبرد فلما برد آكاه فلما آكاه دمعت عيننا آدم عليه السلام وقال
ما هذا التعب والنصب قال له هذا وعد الله الذي وعدهك فذلك قوله تعالى (إن هذا
عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) أما أن لك أن تأكل من كديمينك
وعرق جبينك أنت وذريتك فلما استوفى آدم من الطعام شكاً من بطنه ولم يدر ما هو
فشكا ذلك إلى جبريل عليه السلام فقال ذلك العطش قال فم أسكته فغاب عنه ثم
عاد إليه ومعه المعول وقال له احفر الأرض فما زال يحفر حتى بلغ إلى ركبتيه فنبع
الماء من تحت رجله ماء زلالاً أبرد من الثلج وأحلى من العسل وقال يا آدم اشرب
منه شربه فشربها فاطمان ثم أنه بعد ذلك وجد تشكياً أشد من الأول والثاني فقال
لجبريل ما هذا الذي أجده قال لا أدري فبعث الله إليه ملكاً ففتق قلبه ودبره ولم
يكن قبل ذلك الطعام مخرج فلما خرج منه آذاه ووجد ريحه بكى على ذلك .

(قالوا) لما أنزل الله إلى آدم الحديد نظر إلى قضيب من حديد ثابت على الجبل
فقال هذا من هذا فجعل يكسر أشجاراً قد عتقت ويبيت فأوقد على ذلك الحديد
حتى ذاب وكان أول شيء ضرب منه مدينة فكان يعمل بها ثم ضرب التنور الذي
ورثه نوح عليه الصلاة والسلام وهو الذي فار بالعباد بالهند .

(قالوا) لما أهبط الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أخرجه معه من الجنة
قطعة من الذهب فلذلك يبقى الذهب لا يبلى بالثرى ولا يصدأ من الندى ولا تنقصه
الأرض ولا تأكله النار لأنه من الجنة حمل .

(وقيل) إن الله تعالى زود آدم حين أهبطه إلى الأرض من الثمار ثلاثين نوعاً
عشرة منها في القشور وعشرة لها نوى وعشرة لا قشور لها ولا نوى فأما التي هي
في القشور فالجوز واللوز والفسق والبندق والخشخاش والبلوط والشاه بلوط
والنارج والرمان واللوز وأما التي لها نوى فالخوخ والمشمش والإجاص والعناب

والفرسك والرطب والفبير والنبق والزعرور والمقل وأما التي لا قشر لها ولا نوى فالتفاح
والسفرجل والكمثرى والعنب والتوت والتين والأترج والخروب والخيار والبطيخ
(وقال) ابن عباس هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء الآسة وهي سيدة رباحين
الدنيا والسنبلة وهي سيدة طعام أهل الدنيا والعجوة وهي سيدة ثمار الدنيا .

(قال) ابن عباس لما هبط آدم إلى الأرض كان أول شيء أكله من الثمار التين .
(قال) وهب بن منبه أن آدم لما أهبط إلى الأرض ورأى سمعتها ولم يرفيها أحداً
غيره قال يا رب أما لأرضك هذه من عامر يسبح بحمدك ويقدمك غيري قال الله
تعالى سأجعل فيها من ولدك من يسبحني ويحمدني ويقدمني وسأجعل فيها بيوتاً ترفع
بذكري ويسبح فيها خلقي ويذكر فيها إسمي وسأجعل من ولدك يا آدم من يعبدني
حق عبادتي وسأجعل من تلك البيوت بيتاً أخصه بكرامتي وأوثره بإسمي فأسميه بيتي
وأطلقه بعظمتي وعليه وضعت جلالتي وأجعل في ذلك البيت حرماً آمناً يحرم بحرمة
ما حوله وما فرقه وما يحته فن حرمه استوجب بذلك كرامتي ومن أخاف أهله فقد
حقر ذمقي وأباح حرهتي واستوجب بذلك عذابي وعقابي وسأجعل هذا البيت أول
بيت وضع للناس ببطن مكة مباركاً يأتونه شعثاً غبراً وعلى كل ضامر يأتين من كل
فج عميق يرجون بالتلبية رجياً ويضجون بالبكاء ضجيجاً ويعجون بالكبير عجباً
فمن اعتمره لا يريد غيره فقد وفد إلى وزارني واستضافني فحق على الكريم أن
يكرم وفده وأضيافه وأن يسعف كلا بحاجته .

(وقال) وهب بن منبه رحمه الله أوحى الله إلى آدم بعد ما تاب عليه آدم إلى
أجمع لك العلم كله في أربع كلمات واحدة لي واحدة لك واحدة بيني وبينك واحدة
بينك وبين الناس فأما التي لي فتمتقدني ولا تشركني شيئاً وأما التي لك فأجزيك
بملك أحوج ما تكون إليه وأما التي بيني وبينك فمنك الداء ومنى الإجابة وأما التي
بينك وبين الناس فإن رضى لهم ماترضى لنفسك قال آدم يا رب شغلت بطالب المأيشة
وطالب الرزق عن التسبيح والعبادة واست أعرف ساعات التسبيح في أيام الدنيا
فأهبط الله تعالى إليه ديكاً فأسمعه أصوات الملائكة بالتسبيح فهو أول داجن اتخذته
آدم من الخلق فكان الديك إذا سمع التسبيح في السماء سبغ في الأرض فيسبح آدم بالتسبيحه

(و يروى) أن الله تعالى أوحى إلى آدم لما أراد أن يهبط إلى الأرض يا آدم
لإني منزلتك أنت وذريتك داراً مبنياً على أربع قواعد أما الأولى فإني أقطع
ما تصلون وأما الثانية فإني مهرق ما يجمعون وأما الثالثة فإني أخرب ما تبنون
والرابعة أميت ما تلدون ولذلك قيل :

لدوا للموت وابنوا للخراب وكلكموا يصير إلى ذهاب

(الباب السابع في ذكر هبوط إبليس لعنه الله إلى الأرض وحاله فيها بعد اللعنة)

قال الله تعالى (اهبطوا بعضكم لبعض عدو) الآية (قال الشعبي) أنزل إبليس
من السماء عليه عمامة ليس تحت ذقنه منها شيء أعور في إحدى رجليه نعل .

(وروى) ابن المبارك عن خالد بن حميد بن هلال إنما كره أن يتخصر في

الصلاة لأن إبليس هبط متخصراً .

(وروى) حماد بن ثابت وحميد بن عبد الله بن حميد بن عمير أن إبليس قال

يا رب أخر جنتي من الجنة من أجل آدم وإني لا أستطيعه إلا بسطائك قال فأنت

مسلط عليه قال يا رب زدني قال لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله قال يا رب زدني

قال صدورهم مساكن لك ونجعل منهم مجرى الدم قال يا رب زدني قال أجلب عليهم

يخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدم وما يعدم الشيطان إلا غروراً

قال آدم يا رب قد سلطته على وإني لا أمتنع منه إلا بك قال لا يولد لك ولد إلا

وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يا رب زدني قال الحسننة بعشر أمثالها وأزيدها

والسيئة بمثلها واحدة أو أمحوها قال يا رب زدني قال أغفر ولا أبالي قال حسبي

(وروى) أن إبليس قال يا رب لعنتني وأخر جنتي من الجنة وجعلتني شيطاناً رجماً

مذموماً مدحوراً وبعثت في بني آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما رسلتي ؟ قال

الكتبنة قال فما كتبتي ؟ قال الوشم قال فما حديثي ؟ قال حديثك الكذب قال فما قرأتني ؟

قال قرأتك الشعر قال فما مؤذني ؟ قال مؤذنيك المزمار قال فما مسجدي ؟ قال مسجدك

السوق قال فما بيتي ؟ قال بيتك الحمام قال فما طعامي ؟ قال طعامك ما لم يذكر اسمي

عليه قال فما شرابي ؟ قال شرابك كل مسكر قال فما مصايدى ؟ قال مصايدك النساء

(الباب الثامن في ذكر ما روى من الاخبار فيمن تراعى له إبليس)
(فرآه عياناً وكله شفاهاً)

يروى أن آدم التقى بإبليس في أرض فلاة فلامه على صديعه وقال له يا ملعون
أي شيء هذا الذي أحملت بي غررتني وأخرجتني من الجنة وفعلت بي ما فعلت قال
فبكي إبليس وقال يا آدم إني فعلت بك ما تقول وأنزلتك هذه المنزلة فمن فعل بي
ما أنا فيه وأحلفي هذه المنزلة ؟

(و يروى) أن إبليس تصور لفرعون في صورة الإنس بمصر في الحمام فأنكره
فرعون فقال إبليس ويحك أما تعرفني ؟ فقال لا قال فكيف وأنت خلفتني ألسنت
القائل (أنا ربكم الأعلى) ،

(و يروى) أن سليمان عليه الصلاة والسلام سأل إبليس فقال أي الأعمال أحب
إليك وأبغض إلى الله تعالى فقال لو لا منزلتك عند الله تعالى ما أخبرتك إني لست
أعلم شيئاً أحب إلي وأبغض إلى الله تعالى من استغناء الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة

و يروى عن النبي ﷺ أنه قال ما من آدمي إلا قد عمل خطيئة أو هم بها إلا يحيى
ابن زكريا فإنه ما عمل خطيئة ولا هم بها ولقد قال رب أرني إبليس كما هو وأعزم
عليه أن لا يكتمني شيئاً سألته عنه فأوحى الله تعالى إلى إبليس أن أنت عمدي يحيى
ابن زكريا كما هبط إلى الأرض ولا تسكتمه شيئاً يسألك عنه فأتاه وقال يا يحيى أنا
إبليس أمرني ربى أن آتيك كما هبطت إلى الأرض فنظر إليه يحيى فإذا على رأسه
خطاطيف تطير وحقواه محفوفتان بأكوار كور هنا وكور هنا وفي رجليه خلاخيل
فقال ما هذه الخطاطيف التي تطير على رأسك ؟ قال بها أخطف عقول بني آدم قال
فما هذه الخلاخيل التي في رجليك قال أحركها لبني آدم حتى يغنى أو يغنى له قاله
فأى ساعة أنت على ابن آدم أقدر ؟ قال حين يمتلىء شبعاً ورياً قال فهل وجدت

بني نفسي شيئاً قال لا قال ولا على حالي قال نعم قدم إليك طعامك ذات ليلة
وكنيت قد صمت فشمهيته إليك حتى أكلت أكثر من عادتك فتشاكلت عن وردك
وعادتك فقال يحي لا جرم لأشبع أبداً فقال إبليس لا جرم ولا أنصح آدمياً أبداً

(وقيل) لما مات رسول الله ﷺ وأخذوا في جهازه وخرج الناس وخلا
الموضع .

قال ابن عباس قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما وضعت له على المغتسل
إذا بهاتف يهتف من زاوية البيت يا علي لا تغسلوا محمداً فإنه طاهر مظهر قال
غرق في قلبي من ذلك شيء وقلت ويلك من أنت ؟ فإن النبي ﷺ أمرنا بهذا وهذه
مدته وإذا بهاتف آخر يهتف بأعلى صوته يا علي فإن الهاتف الأول كان الشيطان
حسد محمداً ﷺ أن يدخل قبره مغسلاً قال علي جزاك الله خيراً قد أخبرني أن
ذلك إبليس فمن أنت ؟ قال أنا الخضر .

(ويحكى) أن قوماً من بني إسرائيل تراءى لهم إبليس فقالوا له نف موقفاً
كنت تقفه بين يدي الله تعالى حسبما كنت تقف قبل أن عصيت ربك فقال إنكم
لا تطيقون رؤية ذلك فألحوا عليه فوقف وقفة فلما نظروا إليه وإلى خشوعه
وخضوعه ماتوا عن آخرهم .

(ويروى) أن رجلاً كان يلعب إبليس كل يوم ألف مرة فبينما هو ذات يوم
نائم إذا أتاه شخص وأيقظه فقال له قم فإن الجدار هاهو يسقط فقال له من أنت ؟
الذي أشفت على هذه الشفقة ؟ فقال له أنا إبليس فقال كيف هذا وأنا ألعنك كل
يوم ألف مرة فقال هذا لما علمت من محل الشهادة عند الله تعالى نفشيت أن
تكون منهم فتنال معهم كما ينالون .

(الباب التاسع في قصة قابيل وها بيل)

قال الله تعالى (راتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً) إلى آخر القصة قال أهل العلم بقصص النبيين وأخبار الماضين إن حواء كانت تلد لآدم توأمين في كل بطن غلاماً وجارية إلا شيئاً فإنها ولدت مفرداً وكان جميع من ولدت حواء أربعين من ذكر وأُنثى في عشرين بطناً .

أولهم قابيل وتوأمته إقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ثم كثرت الله في نسل آدم كما قال (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) الآية قال ابن عباس لم يمت آدم حتى رأى من ولده وولد ولده أربعين ألفاً ورأى آدم فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد واختلاف العلماء في وقت مولد قابيل وها بيل فقال بعضهم غشى آدم حواء بعد مهبطهما إلى الأرض بمائة سنة فولدت قابيل وتوأمته لبودا في بطن واحد

وقال محمد بن إسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول إن آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن تهبط إلى الأرض فحملت بقابيل وتوأمته فلم تجد عليهما وحماً ولا نصيباً ولا طلقاً حين ولدتهم ولم ترمعهما دمياً لطهارة لونه فلما هبطا إلى الأرض واطمأننا بها فغشاها فحملت بها بيل وتوأمته لبودا فوجدت فيها الوحم والنصب والطاق والدم حتى إذا شب أولاده زوج غلام هذا البطن جارية البطن الآخر وزوج جارية هذا البطن غلام البطن الآخر وكان الرجل منهم ينزوج أي أخواته شاء إلا توأمته التي ولدت معه فإنها لا تحل له وذلك أنه لم يكن نساء يومئذ إلا أخواتهم وأمهم حواء فلما ولد قابيل وتوأمته إقليما في بطن واحد وها بيل وتوأمته لبودا في بطن واحد وكان بينهما سنتان في قول النكلى وأذكر كوا أمر الله تعالى ، أن ينكح لبودا أخت ها بيل قابيل وينكح ها بيل إقليما أخت قابيل وكانت أخت قابيل من أجل النساء وأحسنهن خلقاً فذكر آدم ذلك لوادم ها بيل فرضى وسخط قابيل وقال هي أختي ولدت معي في بطن وهي أحسن من أخت ها بيل فأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الأرض فأنا أحق بأختي

فقال له أبوه إنها لا تحمل لك فأبى أن يتقبل ذلك منه وقال إن الله تعالى لم يأمره بذلك وإنما هو من رأيه فقال لها آدم قربا قرباناً فأيكما يتقبل قربانه فهو أحق بها (وقال معاوية بن عمار) سألت جعفر الصادق أكان آدم زوج ابنته من ابنته فقال معاذ الله لو فعل ذلك آدم لما رغب عنه رسول الله ﷺ ولا كان دين آدم إلا دين نبينا محمد ﷺ (إن الله تعالى أهبط آدم وحواء إلى الأرض وجمع بينهما وولده بنت فسماها عناق فبغت وهي أول من اغى في الأرض فسلط الله عليها من قبلها فولد لآدم على أثرها قابيل ثم ولد له ها بيل فلما أدرك قابيل أظهر الله تعالى جنية من الجن يقال لها عمالة في صورة النسبية فخلق لها رحمة وأوحى الله إلى آدم أن زوجها من قابيل فزوجها منه فلما أدرك ها بيل أهبط الله إلى آدم حوراء في صورة النسبية وخلق الله لها رحماً وكان اسمها تركه فلما نظر إليها ها بيل ورمقها أوحى الله إلى آدم أن زوجها من ها بيل ففعل فقال يا أي ألت أكبر من أخى وأحق بما فعلت به منه فقال يا بني إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء

فقال لا وليكنك أثرته على بهواك فقال له إن كنت تريد أن تعلم ذلك فقربا قرباناً فأيكما يتقبل قربانه فهو أولى بها من صاحبه قالوا وكانت القرابين حينئذ إذا اقبلت نزلت نار من السماء فأكلتها وإذا لم تقبل لم تنزل نار لا كالأكل السباع فخرجوا ليقربا وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من الطعام من أراد زرعها واضمر في نفسه ما أبالي أيقبل أم لا لا يتزوج أخى ابداً وكان ها بيل زاعياً صاحب ماشية فقرب كبشاً سميناً من خيار ماشيته ولبناً وزبداً واضمر في نفسه الرضا بالله والتسليم لأمره

وقال اسماعيل بن رافع أن ها بيل نتج له كبش في غنمه فلما كبر لم يكن له مال أحب إليه منه وكان يعمل على ظهره فلما أمر بالقربان قرب به قال فوضعا قربانها على الجبل فنزلت نار من السماء فأكلت الكبش والزبدة واللبن وأم تأكل من قربان قابيل حبة لأنه أم يكن بزاً كي القلب وقيل قربان ها بيل لأنه زاً كي القلب فما زال الكبش يرتع في الجنة حتى فدى ابن ابراهيم فذلك قوله تعالى (فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر) إلى قوله من المتقين فنزلوا عن الجبل وتفرقوا وقد غضب

قاييل لما رد الله قربانه وظهر فيه الحسد والبغى وكان يضمهما قبل ذلك في نفسه
إلى أن أتى آدم مكة ليزور البيت فلما أراد أن يأتي مكة قال للسماء احفظي وادى
بالأمانة فأبت فقال للأرض والجبال فأبيا فقال ذلك لقاييل فقال نعم ترجع ونراه
كما يسرك فرجع آدم وقد قتل قاييل فذلك قوله تعالى (إنا عرضنا الأمانة على
السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه
كان ظلوماً جهولاً) يعنى قاييل حين حمل أمانة أبيه ثم خانها

قالوا فلما غاب آدم أتى قاييل إلى هابيل وهو في غنمه فقال لاقتلتك قال ولم ؟
قال لأن الله قبل قربانك ولم يقبل قرباني وتكبح أختي الحسنة وأنكبح أختك
الذميمة فيتحدث الناس أنك خير مني وأفضل ويفتخر ولدك على وادى فقال له
هابيل وما ذنبى إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط
يدي إليك لاقتلك إني أخاف الله رب العالمين

(قال) عبد الله بن عمر وان كان المقتول الأشد وليكنه منه الترحيح ان
يبسط إلى أخيه يده قال الله تعالى (فطوأت له نفسه قتل أخيه فقتله) الآية أى
طوأته وساعدته فقتله

قال السدى لما قصد قاييل قتل هابيل هرب منه في رموس الجبال ثم أتاه يوماً
من الأيام وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات وقال ابن جريج لم يدر
قاييل كيف يقتل أخاه فتمثل له ابليس واخذ طيراً فوضع رأسه على حجر ثم شدخه
بجحر آخر وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا في مصرعه وهو وضع قتله
قال ابن عباس على جبل تود قال بعضهم على عقبة حراء

وحكى محمد بن جرير الطبرى قال جعفر الصادق بالبصرة في موضع المسجد
الاعظم فلما قتله تركه ولم يدر ما يصنع به لأنه كان أول ميت على وجه الأرض
من بنى آدم فقصدته السباع فحمله في جراب على ظهره سنة تروح وعكفت عليه الطير
والسباع ينظرون ان يرمى به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما صاحبه
ثم حفر له بمنقاره ورجليه حتى مكن له في الأرض ثم القاه في الحفرة وواراه

وقا بئيل ينظر إليه فلما رأى ذلك قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب
فأوارى سواة أخى فأصبح من النادمين يعنى على حمله لا على قتله

(وروى) عن الأوزاعى قال حدثنى المطالب بن عبد الله بن حنطب المخزومى
لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الأرض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الأرض دمه
كما تشرب الماء فناده الله أين أخوك ها بئيل ؟ قال ما أدرى ما كنت عليه رقيباً
فقال الله تعالى إن دم أخيك لينادىنى من الأرض فلم قلت أخاك ؟ قال فأين دمه إن
كنت قتلته فحرم الله على الأرض من يومئذ أن تشرب دما بعده أبداً

(عن الضمك عن ابن عباس) قال لما قتل قاييل ها بئيل وآدم بمكة اشتاك الشجر
وتغيرت الأطعمة وتحمضت الفواكه ومر الماء واغبرت الأرض فقال آدم قد حدث
فى الأرض حدث فأتى الهند فإذا قاييل قد قتل ها بئيل فأشأ يقول وهو أول شعر .

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون وقل بشاشة الوجه الصبيح

(وروى) عن ابن عباس أنه قال من قال إن آدم قال الشعر فقد كذب على
الله ورسوله ورمى آدم بالمأثم وإن محمداً ﷺ والأنبياء كلهم فى النهى عن الشعر
سواء قال الله تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) وإنما يقول الشعر من تكلم بالعربية قال آدم مرثيته فى ابنه
رثاه آدم وهو سريانى وإنما يقول الشعر من تكلم بالعربية قال آدم مرثيته فى ابنه
ها بئيل وهو أول شهيد على وجه الأرض قال آدم لشيث يا بنى إنك وصي قاحفظ
هذا الكلام ليتوارثه الناس فلم يزل ينقل حتى وصل إلى يعرب بن قحطان بن هود
عليه السلام وكان يتكلم بالسريانية والعربية وهو أول من ركب الخيل وتكلم
بالعربية وقال الشعر فنظر فى المرثية فإذا هو سجع فقال إن هذا ليقوم شعراً
فرد المقدم إلى المؤخر والمؤخر إلى المقدم فما زاد فيه شعراً ولا زاد ولا نقص
حرفاً من ذلك فقال :

تغيرت البلاد ومن عليها
تغير كل ذى طعم ولون
وقابيل أذاق الموت هاويل
وما لي لا أجود بسكب دمع
وجاهت شملة ولها رنين
لقتل ابن النبي بغير جرم
وجاورنا لعين ليس يفنى
فوجه الأرض مغبر قبيح
وقل بشاشة الوجه الصبيح
فواحزنناه قد فقد المليح
وهاويل تضمنه الضريح
لهابها وقابلهما يصيح
فقلبي عند قتله جريح
عدو لا يموت فذستريح

(وقالت حواء)

دع الشكوى فقد هلكا جميعا
وما يفنى البكاء عن البواكي
فأبك النفس وانزل عن هواها
بموت ليس بالثمن الربيح
إذا ما المرء غيب في الضريح
فلمست مخلداً بعد الذبيح

فأجابها إبليس لعنه الله شامتا بهما :

تفتح عن البلاد وساكنيها
وكنت بها وزوجك في رخاء
فما زالت مكيدتي ومكرى
فلولا رحمة الجبار أضحى
ففي الجنات ضاق بك الفسيح
وقلبك من أذى الدنيا مريح
إلى أن فاتك الثمن الربيح
يكرميك من جنان الخلد ريح

(وقال) سالم بن أبي الجعد لما قتل قابيل هاويل مكث آدم مائة سنة لا يضحك
ثم أتى فقيل له حياك الله وأضحكك ولا أبكك قال ولما مضى من غار آدم مائة
وثلاثون سنة وذلك بعد ما قتل قابيل هاويل بخمس سنين ولد له شِيث وتفسيره
هيئة الله يعني أنه خلف الله من هاويل وعلمه الله ساعات الليل والنهار وعبادة الخلق
وكل ساعة منها وأنزل عليه خمسين صحيفة وكان وصى آدم وولي عهده وأما قابيل

فقل له اذهب فذهب طريداً شريداً فزعا مرعوبا لا يأمن من رآه فأخذ بيد أخته
إقليما وذهب بها إلى عدن من أرض اليمن فأتى إليه إبليس وقال إنما أكلت النار
قربان أخيك لأنه كان يخدم النار ويعبدها فأنت أيضا أنت ناراً تكون لك
ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من نصب النار وعبدها

قال وكان لا يمر واحد من ولده إلا رماه وكان لقابيل ولد أعمى ومعه ابن
له فقال ابن الأعمى لأبيه هذا أبوك قابيل فرمى الأعمى أباه قابيل فقتله قال فقال
ابن الأعمى إنه أبوك قرّح يده فلطمه فمات فقال الأعمى ويل لي قتلت ربي برميته
وقتل ابني بلطمي قال مجاهد فماتت إحدى يدي قابيل إلى فخذهما وساقها وعلقت
من يومئذ إلى يوم القيامة ووجهت إلى الشمس حيثما دارت وعليه في الصيف
حظيرة نار وفي الشتاء حظيرة ثلج

قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من أنواع الطبول والمزامير والطنابير
وانهم مكوا في اللهو وشرب الخمر والزنا وعبادة النار والأوثان والفواحش حتى أغرقهم
الله بالطوفان في زمن نوح عليه السلام وبقي شيث عليه السلام والله أعلم

(الباب العاشر في ذكر وفاة آدم عليه السلام)

ذكر أهل التاريخ وأصحاب الأخبار أن آدم عليه السلام مرض قبل موته
أحد عشر يوماً وأوصى إلى ابنه شيث وكتب وصيته ودفعها إلى شيث وأمره أن
يخفي ذلك من ولده قابيل لأن قابيل قد قتل هابيل حسداً منه له حين خصه آدم
بتزويج أخته إقليما فخاف عليه أيضا أن يقتله حين خصه آدم بالعلم فأخفى شيث
وولده ما عندهم من الوصية فلم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به

(وروى) أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال لما أخرج الله ذرية آدم
من ظهره فجعل بعرضهم على آدم فإذا قوم غليهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين

(م ٣ - - قصص الأنبياء)

عليهم النور قال هؤلاء الانبياء والرسل وإذا فيهم رجل يز هو وهو أضواء نوراً
فقال يارب من هذا فقال ذلك داود فقال يارب كم عمره قال ستون سنة قال يارب
زد في عمره قال لا إلا أن تزيد أنت من عمرك فقد جف القلم بأعمال بني آدم
وكان عمر آدم ألف سنة فوهب له من عمره أربعين سنة فكتب الله عليه بذلك
كتاباً وشهد عليه الملائكة فلما مضى من عمره تسعمائة وستون سنة وجاء إليه ملك
الموت ليقبضه فقال آدم عجبات علي يا ملك الموت قال ما فعلت بل أنت استوفيت
أجلك قال آدم قد بقي من عمري أربعون سنة قال إنك قد وهبتها لابنك داود قال
ما فعلت ولا وهبت له شيئاً

فأنزل الله الكتاب وأقام الملائكة شهوداً ثم إن الله أكل لآدم ألف سنة
وأكمل لداود مائة سنة قال رسول الله ﷺ نسي آدم فنسيت ذريته وجهده
فجدت ذريته فأمر الله بالكتاب والشهود من يومئذ

(قال) ابن إسحاق وغيره ثم إن آدم مات واجتمعت عليه الملائكة لأنه صفي
الرحمن فتدفنه الملائكة وشيئ وإخوته في مشارق الفردوس عند قرية هي أول
قرية كانت في الأرض فلما اجتمعت عليه الملائكة بعث الله إليه بحنوط وكفن من
الجنة ووليت الملائكة غسله ودفنه فغسلته بالسدر والماء وترا وكفنوه في ثلاث
ثياب ثم لحدوا له ودفنوه ثم قالوا هذه سنة ولد آدم من بعده

وقال ابن عباس فلما مات آدم قال شيث لجبريل صل على آدم فقال له جبريل
تقدم أنت فصل على أبيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة فأما خمس فهي في الصلاة
وأما خمس وعشرون فهي تفضيل لآدم وقد اختلف في موضع قبره فقال ابن إسحاق
في مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة وقيل في غار أبي قبيس وهو غار
يقال له الغار الكبير

(وروى) أبو صالح عن ابن عباس أنه قال مات آدم على جبل تود بالهند
وقال ابن عباس لما كان أيام الطوفان حمل نوح تابوت آدم في السفينة فلما
خرج نوح من السفينة دفن آدم ببیت المقدس وكانت وفاة آدم يوم الجمعة وعاشت
حواء بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع آدم عليهما السلام والله أعلم .

(باب في الخصائص التي خص الله بها آدم عليه السلام)

قال الاستاذ خالق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خاتمة خلقه وخلقته
في أحسن صورة وأقسم عليه فقال عز من قال (والتين والزيتون وطور سينين
وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) ولقنه الحمد حين عظم
ثم قال له يرحمك ربك فسبقت رحمته غضبه وأسكنه بعد خلقه الجنة بلا عمل
وأباح له جميع الجنة إلا شجرة واحدة وعلمه الأسماء كلها وأمر ملائكته بالسجود
له وأمرهم بالتلقين وجعله أبا البشر وجعله خليفة في الأرض وعرف الملائكة
فضله عليها ولعن إبليس من أجله مع كثرة عبادته وعاتب بسببه وهو أول حامد
وأول تائب وأول محببى وأول مصطفى وأول خليفة لله في الأرض وهو المميز
للأرواح الخبيثة من الطيبة وهو الباعث يوم القيامة فبعث النار من ذريته فهذه
ثلاث وعشرون خصلة من خصائصه صلواته وشرف وكرم والله أعلم

(مجلس في ذكر النبي إدريس عليه السلام)

قال الله تعالى (واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا) قال أهل العلم
بأخبار الماضين وقصص النبيين هو إدريس بن برد وقيل ياريد بن مهلائيل بن
قيمان بن أرش بن شيث بن آدم واسمه أخنون وسمى إدريس لكثرة درسه
الكتب وصحف آدم وشيث وأمه اشوت وكان إدريس أول من خط بالقلم وأول
من خاط الثياب ولبس المخيط وأول من نظر علم النجوم والحساب بعنه الله تعالى
لأبي ولد قابيل ثم رفعه الله لأبي السماء .

قاله على ابن عباس وأكثر الناس أنه سار ذات يوم فأصابه وهج الشمس
فقال يا رب إني مشيت في الشمس يوماً فتأذيت فكيف بمن يحملها خمسمائة عام في
يوم واحد اللهم خفف عنه ثقلها واحمل عنه حرها فلما أصبح الملك وجد من نفسه
خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب خففت على حر الشمس فما حال الذي
قضيت عليه فيه قال تعالى إن عبادي لإدريس سألتني أن أخفف عنك ثقلها وحرها
فأجبتني إلى ذلك فقال يا رب اجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه حلة فأذن الله تعالى
له فكان لإدريس يسأله وكان مما سأله أن قال أخبرت أنك أكرم الملائكة على ملك
الموت وأمكنهم عنده فاشفع لي إليه ليؤخر أجلي فأزدد شكراً وعبادة فقال
الملك لا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها

قال قد علمت ذلك وليكنه أطيب لنفسى فقال أنا مكلمه لك وما كان يستطيع
أن يفعل لأحد من بني آدم فهو فاعله لك ثم حملاه الملك على جناحه حتى رفعه إلى
السماء ووضعته عند مطلع الشمس ثم إنه أتى إلى ملك الموت فقال له لي إليك
حاجة فقال أفعل لك كل شيء أستطيعه فقال لي صديق من بني آدم تشفع بي
إليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك إلي وليكن أحببت أعلمته أجله ومتى يموت
فيتقدم في نفسه قال نعم فنظر في ديوانه فأخبره بإسمه وقال إنك كلمتني في إنسان
ما أراد يموت أبداً قال وكيف ذلك قال إني لأجده يموت عند مطلع الشمس قال
فإني أتيتك وتركته هناك فقال له انطلق فلا أراك بجده إلا وقد مات والله ما بقي
من أجل لإدريس شيء فرجع الملك فوجده ميتاً

(قال وهب) كان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لأهل الأرض
جميعهم في زمانه فمجبت منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن الله في
زيارته فأذن له فأتاه في صورة بني آدم وكان لإدريس يصوم الدهر فلما كان وقت
إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل وفعل ذلك ثلاث ليال فأنكروه وقال له
في الليلة الثالثة إني أريد أن أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربي أن
أزورك وأصاحبك فأذن لي في ذلك

فقال إدريس لى إليك حاجة قال وماهى قال قبض روحى فأوحى الله تعالى
إليه اقبض روحه فقبض روحه ثم ردها الله تعالى عليه ساعة فقال
له ملك الموت فما الفائدة فى سؤالك قبض الروح قال لأذوق كرب الموت وغمة
فأكون له أشد استعدادا ثم قال لى إليك حاجة اخرى قال وماهى قال ترفعنى
إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة فأذن له فى ذلك فلما قرب من النار قال لى
إليك حاجة قال وما تريد قال تسأل مالكاً يفتح لى ابواب النار حتى اردها
ففعل ذلك ثم قال فكما ارينى النار فأرنى الجنة فذهب به إلى الجنة فاستفتحها
ففتحت له ابوابها فدخل فقال له ملك الموت اخرج لتعود إلى مقرك فتعلق
بشجرة وقال لا اخرج منها ، فبعث الله ملكاً حكماً بينهما فقال له الملك مالك
لا تخرج لان الله تعالى قال (كل نفس ذائقة الموت) وقد ذقته وقال تعالى (وإن
منكم إلا واردها وقد وردتها) وقال تعالى (وما هم منها بمخرجين) فليست اخرج
فقال الله تعالى لملك الموت دعه فإنه بإذنى دخل الجنة وبأمرى لا يخرج فهو حى
هناك فتارة يعبد الله فى السماء الرابعة وتارة يتنعم فى الجنة والله اعلم

(قصة هاروت وماروت)

قال الله تعالى (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) الآية قال اهل
التفسير إن الشياطين كتبتوا السحر والنجيمات على لسان آصف فى مده زوال
ملك سليمان هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك ثم دفنوها تحت مصلاه ولم
يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها من تحت مصلاه وقالوا للناس ما ملككم
سليمان إلا بهذا

قال السدى وذلك ان شيطانا تمثل على صورة إنسان فأتى زمرا من بنى إسرائيل
فقال هل ادلكم على كنز لا يفنى أبدا قالوا نعم قال فاحضروا تحت كرسى سليمان
وذهب معهم فأراهم الميكان وقال ناحية فقالوا له ادن فقال لا وليكن ههنا فإن لم
تجدوه فاقتلوني وذلك أنه لم يكن احد من الشياطين يدنو من الكرسى إلا احترق

تفحرفوا فوجدوا تلك الكتب فلما اخرجوها قال الشيطان إن سليمان كان يضبط
الجن والانس والشياطين والظير بهذا ثم طار الشيطان وذهب واما علماء
بنى اسرائيل وصلحاؤهم فقالوا معاذ الله ان يكون هذا علم سليمان فإن كان هذا
علمه فقد هلك سليمان واما الجاهل والسعلة فأقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب
الانبياءهم فأنزل الله هذه الآية لإظهار اعذار سليمان وبيان ابراءه فهذه قصة الآية

(وأما قصة هاروت وماروت)

قال المفسرون إن الملائكة لما رأوا ما يصعد إلى السماء من اعمال بنى آدم
والخبثية وذنوبهم السكثيرة وذلك في زمن إدريس عليه السلام عيروهم بذلك
وانكروا عليهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم خلعا في الارض واخترتهم فهم
يعصونك فقال تعالى لو انزلناكم إلى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لفعالتم
مثل ما فعلوا قالوا سبحانك ربنا ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى
اختاروا ملكين من خياركم اهبطهما إلى الارض فاختاروا هاروت وماروت
وكانوا من اصحاب الملائكة واعبدتهم

قال الكلبي قال الله تعالى اختاروا الملائكة منكم فاختاروا عزا وهو هاروت
وعزابيا وهو ماروت وعزريائيل ولما غيرا اسمهما لما اقترفا من الذنب كما
غير الله اسم إبليس وكان اسمه عزازيل فركب الله تعالى فيهم الشهوة التي ركبتها
نقى بنى آدم واهبطهم إلى الارض وامرهم ان يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن
الشرك والقبيل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فأما عزريائيل فإنه لما وقعت
الشهوة في قلبه استقبل ربه وسأله ان يرفعه إلى السماء فأثاه ورفعته وسجد
اربعة سنين ثم رفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطاطاً رأسه حياء من الله تعالى
واما الآخران فإنهما ثبتا على ذلك يقضيان بين الناس يومهما فإذا امسيا ذكرا
إسم الله تعالى الاعظم وصعد إلى السماء

قال قتادة فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وذلك انه اختصم إليهما ذات يوم الزهرة
وكانت من اجل النساء قال علي رضي الله عنه كانت من اهل فارس وكانت ملكة

في بلدها فلما رأياها أخذت بقلوبهما فراودها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلت مثل ذلك فقالت لا إلا أن تعبدوا ما أعبد وتصلبوا لهذا الصنم وتقتلوا النفس وتشرب الخمر فقالوا لا سبيل إلى هذه الأشياء فإن الله قد نهانا عنها فالصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي نفسها من الميل إليهما ما فيها فراودها عن نفسها فأبت وعرضت عليهما ما قالت بالأصم فقالوا الصلاة لغير الله أمر عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر بشرب الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة فزنيا بها فآههما إنسان فقتلاه .

قال الربيع بن أنس وسجدا للصنم فسخ الله الزهرة كوكبا وقال علي رضي الله عنه والسدي والكلبي إنها قالت لا تدركاني حتى تعلماني الذي تصعدان به إلى السماء فقالا لا تصعدا إلا بالإسم الأعظم فقالت فما أنتما بمدركي حتى تعلمانيه قال أحدهما اصاحبه عليهما فقال إني أخاف الله فقال الآخر فأين رحمة الله تعالى فلما ما ذلك فتكلمت به وصعدت إلى السماء فسخها الله تعالى كوكبا .

(وقال) مجاهد كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال لي ارمق الكوكب يعني الزهرة فإذا طلعت فأيقظني فلما طلعت أيقظته فلما نظر إليها سبها سبها شديدا فقلت يرحمك الله تسب نجما ساطعا مطيعا فقال إن هذه كانت بغيا فلقى الملك منهما ما لقيوا وكذلك قال ابن عباس وأنيكر الآخرون هذا القول وقالوا إن الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي جعلها الله تعالى قواما للعباد وأقسم بها فقال تعالى (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) وإنما كانت المرأة التي فتنت هاروت وماروت تسمى زهرة الجمال فلما زنت منسخها الله شهابا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر تلك المرأة الموافقة لها الاسم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا النجم الموافق لإسمه لإسم هذا الرجل لعنه يدل عليه ما روى قيس بن عباد عن ابن عباس في هذه القصة قال كانت امرأة فضلت على النساء بالحسن والجمال كما فضلت هذه الزهرة على سائر الكواكب قالوا فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما فارقا الذنوب هما بالصعود إلى السماء فلم تطعهما أجنحتهما فعلمتا ما حل بهما فقصدتا إلى إدريس عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله تعالى وقال له إن نار أيناك

يصدق لك من العبادة مثل ما يصدق لجميع أهل الأرض فاشفع لنا إلى الله تعالى
ففعل إدريس ذلك فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختاروا عذاب
الدنيا لأنه ينقطع فهما ببابل يعذبان .

(واختلاف) العلماء في كيفية عذابهما فقال ابن مسعود هما معلقان بشعورهما
إلى قيام الساعة وقال مقاتل كبلا من أقدامها إلى أصول أفخاذهما وقال بجاهد ملء
حطب نارا فجعلوا فيه وقال عمر بن سعيد هما معلقان منكسان في السلاسل يضربان
بسياط الحديد .

(وروى) أن رجلا قصدهما لتعليم السحر فوجدهما معلقين بأرجلهم موزقة
أعينهما مسودة وجوههما ليس بين أسننتهما وبين الماء إلا أربعة أصابع وهما يعذبان
بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقالا إله إلا الله فلما سمع كلامه قال لا إله إلا
الله قال من أنت قال رجل من الناس قال له ومن أي أمة أنت قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم
قالا أو بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال بعم فحمدا الله تعالى وأظهر الاستبشار فقال الرجل ومم
استبشار كما قالوا إنه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا .

(وروى) هشام عن عائشة أنها قالت قدمت امرأة من دومة الجندل جاءت
تبتغي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر وما
تعمل به فقالت عائشة لعروة بن أبي العاص فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله فكانت
تبكي حتى رحمتها ثم قالت إني أخاف أن أكون قد هلكت ثم قالت كان لي زوج
غاب عني فدخلت على عجوز فشكوت لها ذلك فقالت إن فعلت ما أمرتك به جعلته يأتيك
فلما كان الليل جاء تنى بكلمين أسودين فركبت أحدهما وركبت هي الآخر فلم يكن
كثير حتى وقفنا ببابل وإذا برجلين معلقين بأرجلهم فقالا ما جاء بك قالت أتعلم
السحر فقال إنما نحن فتنة فلا تسكفري فأرجمي من حيث أتيت فقلت لا فلا فاذهي
إلى التتور فبولي فيه فذهبت لأبول ففرغت فلم أفعل فرجعت فقالت فقلت نعم
فقالتا هل رأيت شيئا فقلت لم أر شيئا قالا فأرجمي إلى بلادك ولا تسكفري فأبت فقالتا
اذهبي إلى التتور فبولي فيه فذهبت فأقشعر جلدي ونخفت ثم رجعت إليهما فقلت

قد فعلت فقالت ما رأيت قلت لم أرى شيئاً قال كذبت لم تفعلى فارجمنى إلى بلادك ولا
تمكفرى فإنك على رأس أمرك فقلت لا فقال لا لى اذهبى إلى التنور فبولى فيه فذهبت
إليه فبالت فيه فرأيت فارساً مقنعا بحديد خرج منى حتى ذهب السماء وغاب حتى
ما أراه فبعتها فقلت قد فعلت قال فما رأيت ؟ قلت رأيت فارساً مقنعا بالحديد خرج
منى وذهب فى السماء فلم أره قال صدقت ذلك إيمانك خرج منك فاذهى فقلت والله
ما أعلم شيئاً ولا قال لى شيئاً فقال لا تردى شيئاً إلا كان خذى هذا القمح فابذرى
فبذرت ثم قلت له اطلع فطلع فقلت انحصد فحصد فقلت انفرك ففرك ثم قلت
له انطحن فطحن ثم قلت انخبز فخبز فلما رأيت أننى لا أريد شيئاً إلا كان سقط
فى يدى فرجعت وندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئاً قط ولا أفعله أبداً .

قال الأوزاعى بلغنى أن جبريل عليه السلام أتى النبى ﷺ فقال يا جبريل صف
لى النار فقال إن الله تعالى أمر أن يؤقد عليها الف عام حتى احترت ثم أوقد عليها الف
عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لا يطفأ جمرها ولا يخمد لهيبها والذى بهلك
بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار ظهر لأهل الأرض لما اتوا جميعاً ولو أن ذنوباً
من شرابها صب فى ماء الأرض جميعاً لقتل من ذاقه ولو أن حلقة من السلسلة التى
ذكرها الله وضعت على جبال أهل الأرض جميعاً لذابت وما استقلت ولو أن رجلاً
دخل النار وخرج لمات أهل الأرض من نثر ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى
النبى ﷺ وبكى جبريل لبكائه وقال أتبكى يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك
وما تأخر قال أفلا أكون عبداً شكوراً وبكى جبريل فقال يا جبريل أتبكى وأنت
الروح الامين أمين الله على وحيتنك قال أخاف أن أتبلى بما أتبلى به هاروت
وماروت فهذا الذى منعنى من اتمكالى على منزلتى عند ربى فأكون قد أمنت
مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد إن الله قد
أمنكما من غضبه فلا يعذبكما وأن فضل محمد ﷺ على سائر الانبياء كفضل جبريل
على سائر الملائكة .

(مجلس في قصة نوح عليه السلام)

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام (و اتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقرمه) الآية وهو نوح بن الملك متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث عليه السلام وأمه أقينوش بنت راكيل وقيل بنت كاييل بن مخوئيل بن أخنوخ أرسله الله تعالى إلى ولده قابيل ومن تابعهم من ولد شيث (قال) ابن عباس وكان بطنان من ولد آدم أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل فيهم صباحة وفي نساءهم دمامة وكان في نساء السهل صباحة وفي الرجال دمامة وأن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل في صورة غلام فاجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذ إبليس شيئاً مثل الذي يؤمر به الرعاة فجاء منه بصوت لم يسمع الناس مثله فباغ ذلك من حوله ثم فأتواهم إليه مستمعين إليه واتخذوه عيداً يحتفلون إليه في السنة فتبرج النساء للرجال والرجال لهن وهو قوله تعالى (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) .

(قال ابن عباس) كان آدم أوصى أن لا يناكح بنو شيث بنى قابيل فجعل بنو شيث آدم في مغارة وجعلوا عليه حفاظاً لئلا يقر به أحد من أولاد قابيل وكان الذي يأتونه ويستغفر لهم بنو شيث فقال مائة من بنى شيث صباح يوم لو نظرنا ما فعل بنو عمنا يعنون بنى قابيل فهبط المائة إلى نساء السهل صباح الوجوه من بنى قابيل فاحتبس النساء والرجال ثم مكثوا ماشاء الله فقال مائة أخرى لو نظرنا ما فعل أخواننا فهبطوا من الجبل إليهم فاحتبستهم النساء ثم هبط بنو شيث كلهم فظهرت المعصية وتناكحوا واختلطوا وكبر بنو قابيل حتى ملئوا الأرض وأكثروا الفساد فبعث الله إليهم نبيهم نوحاً بن خمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله تعالى ويخوفهم بأسه ويحذرهم سطوته كما أخبر الله تعالى بقوله (قال رب انى دعرت قومي ليلا ونهاراً فلم يزدكم دعائى إلا فراراً) وقال تعالى (وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوماً فاسقين) .

(وروى) الضحاك عن ابن عباس أنه قال إن نوحاً كان يضرب ثم يلف في

ليد ثم يلقى في بيته فيرون أنه قد مات ثم يخرج فيدعوهم حتى آيس من إيمان قومه
فبعد ذلك جاء رجل ومعه ابنه يتوكأ على عصا فقال يا بني انظر إلى هذا الشيخ إليك
أن يفرك فقال يا أبت مكنتي من العصا فأعطاه العصا فقال ضعتي في الأرض فوضعه
فشئ إليه فضربه بالعصا .

فقال نوح رب قد ترى ما يصنع بي عبادك فإن لم يكن لك في عبادك حاجة
فاهدهم وإن لم يكن غير ذلك فصبرني إلى أن تحكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين
فأوحى الله إليه أنه إن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا
يفعلون فأيسه من إيمان قومه وأخبره أنه لم يبق في أصلاب الرجال ولا أرحام
النساء مؤمن فعند ذلك دعا عليهم وقال (رب إنهم عصوني) الآية إلى قوله
(ولا تذرن وداً ولا سواها ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً) وهم أسماء
أصنام لهم كانوا يعبدونها من دون الله وقوله تعالى (رب لا تذر على الأرض
من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً)
وقوله تعالى (ولا تزد الظالمين إلا تباراً) أي هلاكاً ودماراً فأجاب الله دعاءه
وأمره بأن يصنع الفلك كما قال الله تعالى (واصنع الفلك بأعيننا) .

ثم بعث الله جبريل يعلم نوحاً صنعة الفلك وكان نوح يقطع الخشب ويضرب
الحديد ويهيء عدة الفلك من القار وغيره وكان قومه يمررون عليه وهو في عمله
فيسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجاراً بعد النبوة ثم يقولون ألا ترون
إلى هذا المجنون يتخذ بيتاً يسير به في الماء ويضحكون منه وذلك قوله تعالى (ويصنع
الفلك وكلامه عليه ملاً من قومه سخروا منه) فيقول نوح (إن تسخروا منا فإننا
نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب
مقيم) وأوحى الله إلى نوح أن عجل صنعة الفلك فقد اشتد غضبي على من عصاني
فامتأجر نوح أجراً يعملون معه وأولاده سام وحام ويافت ينحتون معه السفينة
فجعل السفينة طولها ستمائة ذراع وعرضها ثلثمائة وثلثون ذراعاً وطولها في السماء ثلاثة
وثلثون ذراعاً هذا قول ابن عباس في رواية الضحاك وطلأها بالقار داخلها

وخارجها وشدها بالدر وهو مسامير الحديد وذلك قوله تعالى (وحملناه على ذات
الواح ودسر) وفجر الله عين القار بحب السفينة فغلى غلياناً حتى طلاه به فلما فرغ
من صنع السفينة أوحى الله إليه أن احمل فيها من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات
كما حتى لا ينقطع نسلهم وحشرها الله اليه من البر والبحر والسهل والجبل وقد جعل الله
فوران التنور آية بينه وبين نوح وعهد اليه فقال إذا رأيت التنور قد فار فاركب أنت
ومن معك في الفلك واحمل فيها من كل زوجين اثنين كما قال الله تعالى (فإذا جاء أمرنا
بوفار التنور) أي عذابنا وهو الطوفان (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين) الآية .

وقال ابن عباس كان التنور بالهند والفوران هو الغليان فلما رآه نوح أيقن
بأنزل العذاب فحمل من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كما أمر الله تعالى .

(قال) ابن عباس أرسل الله المطر أربعين يوماً وليلة فأقبلت الوحوش والطيور
والدواب إلى نوح حين أصابها المطر وسخرت له فحمل منهما من كل زوجين اثنين
فكان أول ما حمل نوح في الفلك من الدواب الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل
الحمار بصدره تعلق إبليس بذنبه فلم تستقر رجلاه فجعل نوح يقول ادخل فانهمض
فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وإن كان الشيطان معك كذبت بها أسانه فلما
قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك
يا عدو الله فقال ألم تقل ادخل ولو كان الشيطان معك فقال أخرج يا عدو الله قال
ما أخرج وما كان بذلك لك أن تحملني معك وكان فيما يزعمون على ظهر الفلك
(سلام على نوح في العالمين إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين)

(عن وهب ابن منبه) قال لما أمر الله تعالى نوحاً أن يحمل من كل زوجين اثنين
قال كيف أصنع بالأسد والبقر وكيف أصنع بالعناق والذئب وكيف أصنع بالحمام
والهر قال الله تعالى من ألقى بينهم العداوة ؟ قال أنت يا رب قال فأنا أولف بينهم
حتى لا يضاروا فحمل نوح السباع والدواب في الطبقة الأولى فألقى الله على الأسد
الحمي وشغله بنفسه عن الدواب والبقر ولذلك قيل :

وما الكلب محموماً وإن طاله عمره لهمرك ما المحموم دو ما سوى الأسد

وجعل الوحوش في الطبقة الثانية وركب هو ومن معه من أولاد آدم في الطبقة العليا وجعل الدرة معه في الطبقة العليا شفقة عليها لئلا يقتلها شيء واختلفوا في أهل السفينة الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى (ومن آمن وما آمن معه إلا قليل) من هم وكم هم قال قتادة لم يكن في السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة من بنيه سام وحام ويافث ونساءهم فجميعهم ثمانية فأصاب حام امرأته في السفينة فدعا نوح ربه فتغيرت نطقته فجاء بالسودان .

(قال السكبي) أمر نوح أن لا يقرب ذكر أنثى ما دام في السفينة فوثب السكبي على السكبية فدعا عليه نوح فقال نوح اللهم اجعله عسرا وقال الأعمش كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين وثلاثة كنانين له وقال ابن إسحق كانوا عشرة سوى نساءهم وهم نوح ويثوه سام وحام ويافث وستة أنثى ممن كانوا آمنوا معهم وأزواجهم جميعاً .

وقال ابن عباس فلما ركب نوح في الفلك وأدخل معه كل من آمن كان ذلك في شهر آب بالرومية فلما دخلها وحمل معه من حمل تحركت ينا بيع الأرض والغوط الأكبر وأمطرت السماء كأفواه القرب كما قال الله تعالى (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر) يعني التقى ماء السماء وماء الأرض فجعل الماء ينزل من السماء وينبع من الأرض حتى كثر واشتد وكان بين إرسال الماء واحتمال الماء الفلك أربعين يوماً وليلة ثم احتمل الماء الفلك وكان كنعان بن نوح يخلف عن أبيه قال قتادة لم يركب في السفينة فناداه نوح (وكان في مهزل يابني اركب معنا ولا تسكن مع الكافرين قال سأوى إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) وكان عهد كنعان بالجبال أنها تحصن من المطر فظن ذلك كما كان فقال نوح (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فيسكن من المفرقين) وكثر الماء فارتفع فوق الجبال قال ابن عباس ارتفع على أعلى جبل في الأرض خمسة عشر ذراعاً .

(وروت) عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ قال دلورحم الله أحداً من قوم نوح لرحم المرأة أم الصبي وذلك أنها خشيت عليه من الماء وكانت تحبته حباً شديداً فخرجت به إلى الجبل حتى بلغت قمته فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل وحملت الصبي فلما بلغ رقبتهما رفعتها بيدها حتى ذهب بهما الماء فلورحم الله أحداً منهم لرحم هذه .

قالوا ثم ظافت السفينة بأهلها الأرض كلها في ستة أشهر لا تستقر على شيء حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم أسبوعاً وقد رفع الله البيت الذي كان يحججه آدم صيانة له من الغرق وهو البيت المعمور ونخباً جبريل الحجر الأسود في جبل أبي قبيس فلما ظافت السفينة بالحرم ذهبت في الأرض تسير بهم حتى انتهت إلى الجودي وهو جبل حصين من أرض الموصل فاستقرت عليه .

قال مجاهد تشابخت الجبال واطاوت لئلا ينالها ماء فعلا الماء فوقها خمسة عشر ذراعاً وتواضع لأمر ربه الجودي فلم يغرق فأرست السفينة عليه فذلك قوله تعالى (واستوت على الجودي) (وقال) ابن عباس استوت السفينة على الجودي وقد باد ما على وجه الأرض من الكفار ومن كل شيء فيه الروح والأشجار فلم يبق شيء من الحيوانات إلا نوح ومن معه في الفلك إلا عوج ابن عنق فذلك قوله تعالى (وقيل بعد القوم الظالمين) أى هلاكاً . (وقيل يا أرض أبلعي ماءك) أى انشقي (وينسأه أقمعي) أى احبسي ماءك (وغيض الماء) أى ذهب ونقص فصار ما نزل من السماء هذه البحور التي في الأرض لأنها آخر ما بقي في الأرض من ماء الطوفان وبقي في الأرض أربعين سنة ثم ذهب .

(وروى) عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهرا عن ابن عباس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى بهم إلى كشيبي من تراب فأخذ كفاً من ذلك التراب فقال أتدرون ما هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم .

قال هذا كعب سام بن نوح قال ثم ضرب الكتيب بعصاه وقال له قم ياذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى أهكذا هلكت قال لا بل مت وأبا شاب ولكن ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت فقال له حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الطير فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله إلى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث فأكلاه فلما كثر الفأر في السفينة وجعل يقرض حبالها وذلك أنه ترأده في السفينة أوحى الله تعالى إلى نوح أن اضرب بين عيني الأسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر فأكلاه فقال له عيسى كيف علم نوح أن البلاد قد يبست قال بهت نوح غرابا يأنيه بالخبر فوجد جيفة فوق عليها واشتغل عن الرجوع فدعا عليه نوح بالخوف فذلك لا يالف البيوت ثم بهت الحمامة فجاءت بورق الزيتون بمنقارها وطين برجلها فعلم أن البلاد جفت قال فطوقها بالخضرة التي في عنقها ودعا لها أن تسكون في أنس وأمان فمن ثم تألف البيوت فقالوا يا رسول الله ألا تنطلق به إلى أهلنا فيجالس معنا ويحدثنا قال كيف يتبعكم من لارزق له ؟ ثم قال له عد ياذن الله تعالى فعاد ترأباً .

قال أهل التاريخ أرسل الطوفان لثلاثة عشر يوماً نزلت من آب ومضى ستمائة سنة من عمر نوح ولتمة ألفي سنة ومائة سنة وست وخمسين سنة من لدن أهبط آدم إلى الأرض وركب نوح ومن معه في السفينة لعشر خلوان من رجب وخرجوا منها في العاشر من المحرم فلذلك سمي يوم عاشوراء وأقاموا في الفلك ستة أشهر فلما هبط نوح ومن معه في الفلك سالمين صام نوح وآمن جميع من معه من الإنس والوحوش والدواب والطيور فصاموا شكراً لله تعالى ويقال إن نوحاً وقومه كانت قد أظلمت عليهم أعينهم في السفينة من دوام النظر إلى الماء فأمروا بالاكتمال يوم عاشوراء الذي خرجوا فيه من السفينة .

(عن ابن عباس) قال قال رسول الله ﷺ من اكتمل بالاثمديوم عاشوراء لم ترمد عينيه أبداً ، فلما خرج نوح ومن معه من السفينة اتخذ من ناحية من الارض الجزيرة موضعاً وابتنى هناك قرية سموها سوق ثمانين لانه كان ابتنى فيها لمن آمن معه وهم ثمانون فهي اليوم تسمى بسوق ثمانين فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لا يعو والطوفان إلى الارض أبداً وعاش نوح بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة فكان جميع عمره الف سنة إلا خمسين عاماً ثم قبضه الله تعالى إليه (و يروى) أنه قيل لنوح لما احتضر كيف وجدت الدنيا قال (كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر) ولما حضرته الوفاة أوصى ابنه ساماً وجعله ولي عهده وكان ولد له سام قبل الطوفان بثمان وسبعين سنة وقيل لما حضرته الوفاة دعا ابنه ساماً وهو بكره فقال يا بني أوصيك بإثنين وأنهاك عن لائنين فأما اللذان أنهاك عنهما فالإشراك بالله والكبر فإنه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من الشرك والكبر وأما اللذان أوصيك بهما فإني رأيتهما يكثران الولوج إلى الله تعالى قول لا إله إلا الله وسبحان الله فإن قول لا إله إلا الله لو جمعت السموات السبع والارضون السبع لخرقتهما حتى تبلغ إلى ربها ولو جمعت لا إله إلا الله في كفة ميزان لوجعت بالسموات السبع وما فيها وأوصيك بسبحان الله فإنها صلاة الخلق وبها يرزقون .

(ذكر خصائص نوح عليه السلام)

وهي خمسة عشرة خصلة لم يسم أحداً من الانبياء باسمه وسمى بذلك لسكثرة نوحه على نفسه وكان أول نبي من أنبياء الشريعة وأول داع إلى الله تعالى وأول نذير عن الشرك وأول من عذبه أمته لردهم دعوته وأهلك أهل الارض كلهم بدعائه ويقال إن الله تعالى أوحى إليه بعد الطوفان إنى خلقت خلقتى وأمرتهم بطاعتى فانتهمكوا مصيقتى فاشتد لذلك غضبى فعذبت بذنوب العاصين من لم يعصنى وعذبت بذنوب بنى آدم جميع خلقتى وقد حلفت إنى لا أعذب بمثل هذا العذاب أحداً من خلقتى بعدها ولكن جعل الدنيا دولا بين عبادى ثم أجزيتهم بأعمالهم إذا اجتمعوا عندى وكان عليه السلام أطول الانبياء عمراً وقيل له أكبر الانبياء وشيخ المرسلين وعمر ألف

سنة ولم ينقص له سن ولم تنقص له قوة ولم يبلغ أحد من الرسل في الدعوة مثل ما بلغ
وكان يدعو قومه ليلاً ونهاراً وإعلاناً وسراً ولم يلق نبي من أمته من الضرب
والشتم والأذى والجفاء مثل ما لقي فلذلك قال الله تعالى (وقوم نوح من قبل إنهم
كانوا قوماً فاسقين .

وجعل ثانياً المصطفى ﷺ في الميثاق والوحي قال الله تعالى (وإذا أخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح) وقال تعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين
من بعده) هو في البعث أول من تمشق عنه الأرض يوم القيامة بعد محمد ﷺ وأعطاه
الفلك وعليه صنعته وحفظه بما فيه وأجراه فوق الماء وسماه شكوراً فقال تعالى
(ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً) وأكرمه بالسلامة والبركة فقال
تعالى (يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك) الآية .

(قال) محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام وكل مؤمن ومؤمنة إلى
يوم القيامة وجعل ذريته هم الباقيين فهو أول البشر وأصل النسل .

(وروى) عن الحسن بن سمره بن جندب قال قال رسول الله ﷺ وولد
نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السود
ويافث أبو الترك ويأجوج وماجوج (قال) عطاء ودها نوح على حام أن لا يعدو
شعر ولده آذانهم وحيثما كان ولده يكونون عبيد الولد سام ويافث فلما هبط نوح
وذريته من العلك قسم الأرض بين ولده أثلاثاً فجعل لسام وسط الأرض ففيها
بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحون وجيهون وذلك ما بين قيسون إلى
شرق النيل وبين بحري الجنوب إلى بحري الشمال وجعل لحام قسمه غربى النيل وما بين
بحري ريج الجنوب وما وراء إلى سيحون إلى بحري ريج الدبور وجعل قسم يافث
من قيسون فما وراء إلى بحري الصبا فذلك قوله تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقيين
وتركناهم عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين إنا كذلك نجزي المحسنين إنه
من عبادنا المؤمنين) :

(م ٥ -- قصص الانبياء)

(مجلس في قصة هود عليه السلام)

قال الله تعالى (وإلى عاد أخاهم هوداً) إلى (تتقون) وهو عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح وهو عاد الأولى وكانوا ينزلون اليمن وكانت منازلهم منها بالشجر والاحقاف كما قال الله تعالى (راذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر) الآية وهو رمال يقال له رمل عاج وهو ما بين عمان إلى حضرموت وكانوا مع ذلك قد فسدوا في الأرض وكثروا وقهروا أهلها لفضل قوتهم التي آتاهم الله تعالى وكان قد أعطاهم الله من القوة والقامة ما لم يعط غيرهم كما قال الله تعالى (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة) أي عظماً وطولاً وقوة وشدة .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار وهو د بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وولد لشالخ عابر بعد أن مضى من عمره ثلاثون سنة فأمرهم هود أن يوحدوا الله تعالى ولا يجعلوا معه إلهاً غيره وأن يكفوا عن ظلم للناس ولم يأمرهم فيما يذكر بغير ذلك فأبوا ذلك عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة وبنوا المصانع وبتشوا فيها بطش الجبارين كما قال تعالى (أتبنون بكل آية تعذبون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين) فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى أضر بهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء وجهد طلبوا من الله تعالى الفرج وكان طلبهم ذلك من الله تعالى عند بيته الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم ليجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة أديانهم وكلمهم معظم بمكة عارف بحرمتها وسكانها عند الله تعالى وأهل مكة يومئذ العماليق وإنما سماوا العماليق لأن أباهم عماليق ابن سام بن نوح وكان سيد العماليق وإذ ذاك بمكة رجلاً يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية إسمها ناهدة بنت اجبيري رجل من عاد فلما قحط المطر من عاد جهدوا وقالوا جهزوا منكم وقدأ إلى مكة فليستسقوا لكم فبعثوا منهم قيل بن عنز والقيم بن هزال بن هزيل وعبيل بن ضد بن عاد الأكبر ومرثد بن عفير وكان مسلماً كتم إسلامه وجماعة بن الخبيري .

قال معاوية بن بكر ثم بعثوا أيضاً لقمان بن عاد بن ضد بن عاد الأكبر فالطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين رجلاً فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فاقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قبيتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهراً ومقامهم شهراً فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومه يستغيثون من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه وقال هلك أخوالي وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفى والله ما أدرى كيف أصنع بهم فاستسقى أن أمرهم بالخروج إلى ما بعثوا إليه فيظنون أنه ضيق من مقامهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهداً وعطشاً فشكا ذلك من أمرهم إلى الجرادتين فقالتا له قل شعراً تغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك يحررهم فقال معاوية بن بكر :

ألا يا قبيل ويحك قم فنيتم	لعل الله يمنحنا غلاما
فتسقى أرض عاد إن عادا	قد أمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجوا	به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهموا بخير	فقد أمسك نساؤهموا عيامى
وإن الوحش يأتيهم جواراً	ولا يخشى لعدى سهاما
وأنتم هنا فيم اشتيتتم	نهاركموا وليلكوا تماما
فتبجح وفدهم من وفد قوم	ولا لقوا النجوة والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض يا قوم إنما بعثكم قومه يستغيثون بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد وكان قد آمن بهود عليه السلام سرراً إنكم والله لاتسقون بدعائكم وإن أطعتم نبيكم وأنبتم إلى ربكم سقيتم فأظهر إسلامه عند ذلك وقال جهامة بن الخبيري خال معاوية حين سمع قوله وعرف أنه قد اتبع دين هود عليه السلام

أيا سعد فإنك من قبيل	ذوى كرم وأمك من ثمود
فإنا لا نطيعك ما بقينا	ولسنا فاعلين لما تريد

أنا مرننا لنترك دين رفد ورمل وآل ضد والعبود
ونترك دين أباء كرام ذوى رأى وتبع دين هود

ثم قال لما وية بن بكر وأبيه بكر وكان شيخاً كبيراً احبسا عنا مرثد بن سعد حتى يقدم معنا مكة فإيه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا إلى مكة يستسقون لعاد بها فلما دخلوا مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتى أدركهم بمكة قبل أن يدعوا الله بشيء مما خرجوا إليه فلما انتهى قام يدعو الله ووفد عاد قد أخذوا يدعون فجعل يقول اللهم اعطني سؤلى ولا تدخلىنى فى شيء مما يدعو وقد عاد وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد قد أمرهم أن يؤمنوا عليه فقال وفد عاد اللهم اعط قبلا ما سألك واجعل سؤالنا مع سؤاله وكان تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد ولم يدخل فى دعوتهم فقال اللهم إني جئتك وحدى فى حاجتى فاعطنى سؤلى .

وقال قيل بن عنز حين دعا واستسقى اللهم لم أجدى لمريض فأداويه ولا لاسير فأفاديه اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيهم يا إلهنا إن كان هود صادقاً فاسقنا فإننا قد هلكنا فأنشأ الله سحباً ثلاث واحدة بيضاء وواحدة حمراء وواحدة سوداء ناداه مناد من السحاب ألا يا قيل اختر لنفسك واحدة من هذه السحب الثلاث فقال قيل اخترت السحابة السوداء فإنها أكثر السحاب ماء فناداه المنادى يقول اخترت يا قيل رماداً ومداً فلم تبق من آل عاد أحداً لا والداً تتركه ولا ولداً إلا جعلتهم رمياً همداً إلا بنوا اللويذة المهداً وبنو اللويذة رهط من هزال بنى هزير ابن بكر وكانوا سكاناً بمكة مع أخوالهم لم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد الآخرة فساق الله السحابة السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النعمة إلى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المنيف فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض مطرنا فقال الله تعالى (بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها) أى كل شيء مرت به وكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهرد فلما تذبذبت ما فيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا لها ما رأيت؟ قالت رأيت ريحاً فيها كشمب النار أمامها رجال يقودونها

(أخبرنا) الحسن بن محمد بن الحسين أنبأنا محمد بن جهمر أنبأنا الحسن بن علوة
أنبأنا إسماعيل بن عيسى أنبأنا إسحاق بن بشر أخبرني المثنى بن الصباح عن عمرو بن
شعيب عن أبيه عن جده قال أوحى الله تعالى إلى الريح العقيم أن تخرج على قوم عاد
فقتلتهم لهم منهم فخرجت بغير كيل ولا وزن على قدر منخر ثور حتى رجفت الأرض
عالي المشرق والمغرب قال فقال الخزان يارب إن يطيقوها ولو خرجت على حالها
لاهلك ما بين مشارق الأرض ومغاربها فأوحى الله إليهم أن يرجعوا فخرجت
على قدر منعمة الخاتم وهي الحلقة قال فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام
حسوماً أي دائمة متتابعة فلم تدع أحداً من عاد إلا أهلكته وكان هود ومن معه
قد اعتزلوا في حظيرة ما يصيدونهم من الريح إلا ما يلين جلودهم ولذ به الأنافس وأنها
من عاد لظن فتحمليهم ما بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا قال
محمد بن إسحاق السدي : بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا إلى
الإبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض ، فبانت البيوت فلما دخلوها
دخلت عليهم الريح فأخرجتهم منها فهلكوا ، فلما أهلكهم الله تعالى أرسل عليهم
طيوراً سوداً لتلقونهم في البحر فألقتهم فيه (قال) ابن بشر لما خرجت الريح على
عاد من الوادي قال تسعة رهط منهم أحدهم الخليلان وكان رئيسهم وكبيرهم في
ذلك الزمان تعالوا حتى نقوم على رأس الوادي فزدها فجعلت الريح تدخل إلى
تحت الواحد منهم فتحمله ثم ترمى به فيندق عنقه وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة
بعروقها وتهدم عليهم بيوتهم وتقلعهم فتتركهم كما قال الله تعالى (كأنهم أعجاز نخل
خاوية) حتى لم يبق منهم إلا الخليلان فال إلى الجبل فأخذ بجانب منه فهزه فاهتز
في يده ثم أنشأ يقول :

لم يبق إلا الخليلان نفسه يالك من يوم دهاني أمسه

فقال له هود ويحك يا خليلان أسلمت تسلم فقال مالي عند ربك إذا أسلمت ؟
قال الجنة قال فما هؤلاء الذين أراهم في السحاب كأنهم البخت ؟ قال هود ذلك
اللائكة قال إن أسلمت أيقيني ربك منهم لقومي قال ويحك هل رأيت ملكاً

يقيد من جنوده فقال لو فعل ما رضيت ان يجاءت الريح فالحقته بأصحابه وأهلكته
وأفى الله عاداً سبوى من بقى من قومهم بمكة ونواحيها.

قالوا وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينما
هم عنده إذ أقبل رجل على ناقة في ليلة مقمرة من أنصار عاد فأخبرهم بهلاك عاد
فقالوا له أين فارقت هوداً وأصحابه قال فارقتهم بساحل البحر فكلمهم شكوا فيما
حدثتهم به فقالت هرقة بنت بكر صدق ورب الكعبة ومنصور بن يعقوب بن أخى
معاوية بن بكر معهم قالوا وقد قيل لمرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عمرو بن
دعوا بمكة قد أعطيتهم منها فاختاروا لانفسهم فقال مرثد اللهم اعطني برأ وصدقة
فأعطى ذلك وقيل قال اختار أن يصيبني ما أصاب قومي فقيل له هلاك فقال لا أبالي
لا حاجة لي في البقاء بعد قومي فأصابه الذي أصاب عاد من العذاب فهلك وقال لقمان
يارب اعطني عمراً فقيل له اختر لنفسك بقاء سبع بقرات سمان ثمواظب عقر لا يمسه
القطر أو عمر سبعة أنسر إذا مضى نسر حوات إلى نسر آخر فاستحق بقاء الأبقار
واختار عمر النسور فمهر عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته
فيأخذ الذكر منها لقوته فيربيه حتى إذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل مثل ذلك حتى
أتى إلى السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة فلم يبق غير السابيع .

قال ابن أح لقمان يا عم لم يبق من عمرك إلا هذا النسر فقال لقمان يا ابن أخى
هذا أبد ولبد بلسانهم الدهر فلما انقضى عمر لبد طارت النسور غداة من رأس
الجبل ولم ينهض لبد فيها وكان نسور لقمان لا تغيب عنه قال فلما رأى لبد لم ينهض
مع النسور ونام إلى الجبل لينظر ما فعل لبد فوجد لقمان في نفسه وهناً ولم يكن
يجده قبل ذلك فلما انتهى إلى الجبل رأى نسر لبد واقفاً بين النسور فناداه انهض
لبد فذهب لينهض فلم يستطع فسقط ومات لقمان معه وفيه جرى المثل (أتى أبد
على لبد) وقال النابغة الذبياني :

ضجعت قفاراً وأضحى أهلها احتملوا
أخى عليها الذى أخى على لبد

وقال محمد بن إسحاق قال مرثد بن سعد حين سمع قول الراكب الذي أخبر
بإهلاك عاد شعراً :

عصت عاد رسولهم فأمسوا	عطاشاً ما تبلهم السماء
بوسير وفدهم شهراً ليسقوا	فأردفهم مع العطش العناء
بكرمهم ببرهم جبارا	على آثارهم عاد الصفا
ألا نزع الإله حلوم عاد	فإن قلوبهم قفر هواء
من الرب المهيمن إذا عصوه	وما تفي النصيحة والشقاء
فنفسي وإبتئاي ولم ولدي	لنفس نبينا هود فداء
أنا والقلوب معميات	على ظلم وقد ذهب الضياء
لنا صنم يقال له صمود	يقابله صدى والهناء
فأبصره الذين له أنابوا	وأدرك من يكذبه الشقاء
رواني سوف الحق آل هود	وإخوته إذا جن المساء

ثم إنه لحق بهود ومن معه وبقي هود فاشاء الله ثم مات وعمره مائة وخمسون
سنة وقال أبو الطفيل عامر بن وائلة سمعت علياً رضي الله عنه يقول لرجل من
أهل حضرموت هل رأيت كتيباً أحمر يخالطه مدرة حمراء وأراك وسدر كثيرة
بيناحية كذا وكذا من حضرموت قال نعم يا أمير المؤمنين إنك لتنته لي نعت
رجل قد رأيته قال لا ولكني قد حدثت عنه فقال الحضرمي وما شأنه يا أمير المؤمنين؟
فقال فيه قبر النبي هود عليه السلام .

أخبرنا أبو عمر وأحمد بن أبي العرابي أنبأنا المغيرة بن عمرو بن الوليد بمكة
في المسجد الحرام بين الركن والمقام أنبأنا الفضل بن يحيى الجندی أنبأنا يوسف بن
محمد أنبأنا يزيد بن أبي حكيم عن سفيان الثوري عن عطاء عن السائب عن عبد الرحمن
بن سابط أنه قال بين الركن والمقام وزمزم قبور تسعة وتسعين نبياً وأن قبر هود
روصاخ وشعيب وإسماعيل عليهم السلام في تلك البقعة .

(مجلس في قصة صالح عليه السلام)

قال الله تعالى (وإلى ثمود أخاهم صالحاً) وهو ثمود بن عامر بن لارم بن سام ابن نوح وهو أخو جدريس وأراد ههنا القبيلة قال أبو عمرو بن العلام سميت ثمود لقلة ماؤها والثمد الماء القليل وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام وكان من قصتهم على ما ذكر محمد بن إسحق بن يسار والسدي والكلبي ووهب بن منبه وكعب وغيرهم من أهل الكتب دخول كلام بعضهم في بعض أن عاداً الأولى لما أهلهم الله تعالى وانقضى أمرهم عمرت ثمود بعدهم واستخلفوا في الأرض خلوا فيمها وكثروا وعمروا حتى جعل بعضهم يلقى المسكن من الحجر واليد فينهدم وهو حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً فنحتوا منها وجابوها وجوفوها وكانوا في سعة من معاشهم .

كما قال الله تعالى (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعسوا في الأرض مفسدين) .

خالفوا أمر الله وعبدوا غيره فأفسدوا في الأرض فبعث الله إليهم صالحاً نبياً وهو صالح بن عبيد بن آصف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود وكانوا قوماً عرباً وكان صالح من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً فبعثه الله تعالى إليهم رسولاً فدعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته فلم يتبعه إلا قليل مستضعفون فلما أوحى إليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر عليهم التخويف والتحذير سألوهم أن يريهم آية يكون صدقة لما يقول فقال اللهم أرهم آية ليعتبروا بها ثم قال لهم آية تريدون ؟ قالوا تخرج معنا إلى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون إليه بأصنامهم في يوم معلوم من السنة فتدعو إلهك وتدعوا آلهتنا فإن استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعنا فقال لهم صالح نعم ؛ فخرجوا بأثوابهم إلى عيدهم ذلك وخرج صالح معهم فدعوا أولادهم وسألوها أن لا يستجاب لصلح في شيء مما يدعونه .

ثم قال جندع بن عمرو بن حراس وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة بعن الصخرة المنفردة عن الجبال من ناحية الحجر يقال لها الكائبة ناقة مخترجة جوقاء وبراء عشراء والمخرجة ماشاكت البخت من الإبل فإن فعلت ذلك حمدتاك وآمننا بك فأخذ عليهم صالح الميثاق أنه إذا فعل ذلك صدقوا وآمنوا به .

ثم أن صالحاً عليه السلام صلى ودعا الله تعالى بذلك فتمنخت الصخرة تمنخت التروج بولدها ثم تحركت الهضبة فصعدت عن ناقة عشواء جوقاء وبراء كما سألوه لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله تعالى وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت سقيا مثلها في العظم فأمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا بصالح ويبايعوه فنهزم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والخباب صاحبها أو ثائهم ورياب بن صهر وكانوا من أشراف ثمود وكان لجندع بن عمرو ابن عم يقال له شهاب بن خليفة فأراد أن يسلم فنهزم أولئك الرهط فأطاعهم فقال رجل من ثمود :

وكانت عصابة من آل عمرو	إلى دين النبي دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جيماً	فهب أن يجيب ولو أجابا
فأصبح صالح فينا عزيزا	وما بدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الفؤاة من آل حجر	نالوا بعد رشدهم ذؤابا

فلما خرجت الناقة قال صالح (هذه ناقة لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم) فحككت الناقة ومعها سقيا في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء فسكانت ترد الماء يوماً ولهم يوم فإذا كان يوماً وضعت رأسها في بئر بأرض الحجر يقال له بئر الناقة فيرتفع الماء إليها فما ترفع رأسها إلا وقد شربت جميع ما فيها ولا تدع قطرة ماء فيها فتفجع ثم تروح عليهم فيحلبون من لبنها ماشاوا فيشربون ويدخرون ويملئون أوانيهم لكن تصدر من غير الفج الذي وردت منه لأنها لا تقدر أن تصدر من حيث وردت لأنه يضيق عليها .

قال أبو موسى الأشعري أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته سمين هزاعاً فإذا كان الغد من يومهم - شربوا من الماء وقد أخرجه الله تعالى من البئر

وأدخروا ما شاؤا قدر كفايتهم في يوم الناقة وكانوا مع ذلك في سمة ودعة
وكانت الناقة في الصيف إذا كان الحر أطلع ظهر الوادي فتهرب منها أغنامهم ويقوم
وليلهم وتهبط إلى بطن الوادي في حره وحدته فكانت المواشي تنفر منها إذا
رأتها إذا كان الشتاء سبقت الناقة في بطن الوادي فتهرب مواشيتهم إلى ظهر الوادي
في البر والحدة فأضر ذلك مواشيتهم للبلاء والاختيار فكانت مراتعها الجبال فكبر
ذلك عليهم حتى حملوا على الناقة فاحتالوا في عقرها .

وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنيم بن مخلد وتكنى أم غنم وهي
من بني عبيد بن المهمل وكانت امرأة ذؤاب بن عمر وكانت عجوزاً مسنة ولها بنات
حسان ومال كثير من الإبل والبقر والغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوق بنت
الحيا بن مهر وكانت غنية جميلة ذات مواشى كثيرة وكانت هاتان المرأتان من أسد
الناس عداوة لصالح وكانتا تحتالان على عقز الناقة من كفرهما بصالح بما أضرت
بمواشيتهم وكانت صدوق عند ابن خال لها يقال له صقيم بن هراوة بن سعد بن
الغطريف بن هلال فأسلم وحسن إسلامه وكانت صدوق قد وضعت إليه مالها
فأنفقته على من أسلم من أصحاب صالح عليه السلام حتى نفذ المال فأطلع صدوق على إسلامه
فماتته على ما فعل فأظهر لها دينه ودعاها إلى الله تعالى فأنت عليه وأخذت أولادها
فغيبيتهم في بني عمها الذين هي منهم فقال لها زوجها ردي على أولادي فلما ألح عليها
قالت حتى أحاكمك إلى بني عمي وذلك أن بني عمه كانوا مسلمين فأبت أن تحاكمه
إليهم فقال لها بنو عمها والله لتمطينه ولده طائفة أو كارهة فلما رأت ذلك أعطته
أولاده وكانت أوفر الناس جمالا وأكثرهم مالا وأحسنهم كالا فأجابها إلى ذلك
ودعت عنيزة قدار بن سالف أهل قرح واسم أمه قديرة وكان رجلاً أشقر أزرق
قصيراً ويزعمون أنه كان لزانية رجل يقال له صفوان ولم يكن لسالف ولكنه قد
ولد على فراشه فقالت له يا قدار أعطيتك من بناتي أيما شئت على أن تعقر الناقة
وكان قدار عزيزاً في قومه وذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انبعث أشقاها رجل
عزيز في قومه مثل أبي زمعة .

قالوا قاتلوا قدار ومصدع واستعانوا بمن استعانوا من ثمود فأتبهم سبعة نفر
وكانوا تسعة رهط كانوا لله تعالى (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض
ولا يصلحون) فأتبهم هديات بن مبلخ خال قدار وكان عزيزاً من أهل الحجر ودع
ابن غنم بن داغرة أخى مصدع وخمسة لم يذكر أسماءهم فاجتمعوا على عقر الناقة .

قال السدي وغيره أوحى الله إلى صالح أن قومك سيعقرون الناقة فقال لهم ذلك
فقالوا ما كنا لنفعل ذلك فقال لهم إنه سيولد في شهركم هذا غلاما يعقرها ويكون
هلاككم على يديه فقالوا لا جرم لا يولد لنا في هذا الشهر ولد إلا قتله فولد
التسعة منهم في ذلك الشهر تسعة بنين فذبحوا أولادهم وولد للماشرا بن فأن أن يذبح
إبنة وكان بكره لم يولد له قبل ذلك شيء وكان ابن الماشر أزرق أحمر فنبئت نباتاً
سريعاً وكان إذا مر بالتسعة ورأوه ندموا على ذبح أولادهم وقالوا لو كان أبناؤنا
أحياء لم كانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لأنه كان سبب قتل أولادهم
فتعجبوا بالله لنبيته وأهله قالوا نخرج فيرى الناس أنا قد خرجنا لسفر فأتى الغار
فتمكن فيه حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده أئذناه فنقلته ثم رجع إلى
الغار فتمكن فيه وتصرف بعد ذلك إلى رجالنا فنقول ما شهدنا سمك أهله وإنا
لصادقون فيصدقونا ويظنون أنا قد خرجنا إلى سفر وكان صالح لا ينام الليل
معهم في القرية وكان يأوى إلى مسجد يقال له مسجد صالح يبيت فيه بالليل فإذا
أصبح أتاهم ووعظهم وذكرهم فإذا أمسى خرج إلى المسجد فصلى فيه .

فلما دخلوا الغار وأضمرُوا أنهم يخرجون إليه بالليل فيقتلونه سقطت عليهم
صخرة من الغار فقتلتهم فالطلق رجال من كان قد اطلع على ذلك إلى الغار فإذا هم
برضخ فرجهم ويصيحون في القرية يا عباد الله ما قنع صالح أن أمرهم بقتل أولادهم
حتى قتلهم فاجمع أهل القرية عقر الناقة .

(قال) ابن إسحق إنما كان تهايم التسعة على تبديت صالح عليه السلام بعد
عقرهم الناقة وإفناد صالح إياهم بالهذاب وذلك أن التسعة الذين عقروا الناقة قالوا

هم فليقتل صالحاً فإن كان صادقاً كنا عجلنا قتله وإن كان كاذباً كنا ألحقناه بقاتله
ليلاً فأتوه ليلاً ليبيتوه في أهلهم فماتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطأوا على أصحابهم
أتى أصحابهم منزل صالح فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح
أنت قتلتهم وهموا به فقامت عشيرته وأخذوا السلاح وقالوا والله لا تقتلونه أبداً
فقد وعدكم بأن العذاب نازل بكم في ثلاث فإن كان صادقاً فلم تزيدوا بكم عليكم
إلا غضباً وإن كان كاذباً فأنتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليأتهم تلك .

(قال) السدي غيره فلما ولد ابن العاشر يعني قدار وكان يشب في كل يوم
شباب غيره في الجمعة ويشب في الجمعة شباب غيره في الشهر ويشب في الشهر شباب
غيره في السنة فلما كبر جلس مع أناس يصيدون الشراب فأرادوا ماء يمزجون به
شربهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء شربته الناقة فاشتد عليهم ذلك
وقالوا ما نضع باللبن ولو كنا نأخذ الماء الذي تشربه هذه الناقة فنسقيه أنعامنا
وحرثنا كان خيراً لنا فقال ابن العاشر هل لكم أن أعقرها قالوا نعم .

(قال) ابن إسحق وغيره فالطلق قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا
الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل شجرة على طريقهما وكمن لها
مصدع في أصل شجرة أخرى فمرت الناقة على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة
ساقها وخرجت أم غنمة وعنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجهاً
فترأت لقدار وأسفرت عن وجهها لو حرضته على عقر الناقة فشدد عليها بالسيف
فكشفت عرقوبها فأرداها وطعن في لبنها ونحرها وخرج أهل البلد واقتسموها
وأكلوا لحماً وكانت لما عقرها رغت فلما رأى سقيمها ذلك انطلق حتى أتى جبلاً
منيعاً يقال له ضوه وقيل لإسمه فارة .

وروى ذلك مسنداً عن رسول الله ﷺ من حديث شهر بن حوشب عن عمرو
ابن خارجة فأتى صالح عليه السلام فقيل له أدركت ناقةك قد عقرت فأقبل وخرجوا
يتلاقونه ويعتذرون إليه ويقولون يا نبي الله إنما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال لهم

صالح انظروا هل تدركون فصيلا فما إن أدركتموه فمسي أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا
يطلبونه فلما رأوه على الجبل ذهبوا إليه ليأخذوه فأوحى الله إلى الجبل فتطاول في
السماء حتى لا تناله الطير وجاء صالح عليه السلام فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت
دموعه ثم دعا ثلاثاً وانفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح عليه السلام ليكل أمة
أجل فتمتعوا في داركم ثلاثة أيام ثم يأتكم العذاب ذلك وعد غير مكذوب يا صالح

قال محمد بن إسحق بن يسار أتبع الفصيل أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة
وفيهم مصداق وأخوه ذؤاب ولد مخرج فرماه مصدع بسهم فأنظلم قلبه ثم جره
برجله فأنزله وألقوا لحمه مع لحم أمه فقال له صالح عليه السلام انتم كنتم حرمته الله
فأبشروا بعذاب الله تعالى ونقمته فقالوا مستهزئين به ومتى ذلك يا صالح وما آية
ذلك وكان يسمون الأيام فيوم الأحد الأول والإثنين أهون والثلاثاء ديار والاربعاء
جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شبان وفيه يقول الشاعر الجليلي

أومل أن أعيش وأن يومي بأول أول بأهون أول جبار
أو المردي ديار فإن أفنه مؤنس ذؤاب عروبة أو شبان

قالوا وكان عقر الناقة يوم الأربعاء فقال لهم صالح عليه السلام حين سألوهم عن
وقت العذاب وآيته إنكم تصبحون غرة مؤنس وجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم
العروبة وجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شبان وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب
يوم الأول فأصبحوا يوم الخميس وجوهكم مصفرة كأنما طلعت بالخلق صغيرهم
وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فأيقنوا بالعذاب وعرفوا أن صالحاً قد صدقهم فطلبوه
ليقتلوه فخرج صالح عليه السلام هارياً حتى لحق ببطل من قومهم فبطل لهم بتواضعهم
قنزل على رجل منهم يقال له نقييل ويكنى أبا هذيل وهو مشرك فذمهم فلم
يقدروا عليه فعدوا على أصحاب صالح يهدلونهم عليه فقال من أجل ذلك
أصحاب صالح يقال له مهديع بن هرم يابى الله إنهم ليعذبوننا لذلك لهم عليك أفندهم

قال نعم فدلهم عليه مبدع فأبوا هذب فكلموه في ذلك فقال نعم هو عندي وليس
لكم إليه سبيل فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم ما أنزل الله تعالى بهم من عذابه
فجعل بعضهم يخبر بعضاً بما يرون في وجوههم فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد
مضى يوم الأجل فلما أصبحوا اليوم الثاني إذا وجوههم حمرة كأنما خضبت بالدم
فصاحوا وضحوا وبكوا وعرفوا أن العذاب واقع بهم فلما أمسوا فإذا وجوههم
مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا جميعاً ألا قد حضركم العذاب .

فلما كان ليلة الأحد خرج صالحاً عليه السلام من بين أظهرهم وخرج معه من
أمن حتى جاؤا الشام فنزلوا رملة فلسطين فلما أصبحوا تسكفوا وتحنطوا وكان
حنوطهم الصبر والمر وكانت أكتافهم الانطاع ثم ألقوا أنفسهم بالأرض فجعلوا
يقلبون أبصارهم إلى السماء مرة وإلى الأرض مرة ولا يدرون من أين يأتيهم
العذاب فلما أشد الضحى من يوم الأحد أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل
ساعة وصوت كل شيء له صوت في الأرض فقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق
فيهم صغير ولا كبير إلا هلك كما قال عز وجل (فأصبحوا في دارهم جاثمين) كان
لم يغنوا فيها إلا إن ثمود كفروا ربهم إلا بعداً لثمود) ولم ينبج منهم إلا جارية
مقعدة يقال لها ذريعة بنت شاف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فاطلق لها
رجليها بعد ما عاينت العذاب أجمع فخرجت كأسرع شيء يكون حتى أتت قرحاً
وهو وادي القرى حد ما بين الحجاز والشام فأنخبتهم بما عاينت من العذاب وما
أصاب ثمود ثم استسقت من الماء فلما شربت ماتت .

(وروى) أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي ﷺ بالحجر في
غزوة تبوك قال لأصحابه لا يدخلن أحد هذه القرية ولا تشربوا من مائها ولا
تدخلوا على هؤلاء المعدنين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم ثم
قال أما بعد فلا تسألوا رسوليكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوها رسولهم الآية
فنبئت الله لهم الناقة .

وقال أهل العلم توفي صالح عليه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وذلك أنه انتقل من الشام إلى مكة بعد ما أهلك الله تعالى قومه وكان يعبد الله تعالى هناك حتى مات وكان قد أقام في قومه عشرين سنة .

(أخبرنا) محمد بن عبد الله بن محمد الحسن قال حدثنا عبد الله بن هاشم حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا قتيبة أبو عثمان عن أبيه عن الضحاك بن مزاحم قال قال رسول الله ﷺ يا علي أتدرى من أشقى الأولين قال قلت لله ورسوله ألم قال حافر الناقة قال يا علي أتدرى من أشقى الآخرين قال قلت لله ورسوله أعلم قال قاتلك والله أعلم .

(مجلس في قصة إبراهيم عليه السلام والنمروذ)

وهو إبراهيم بن تازخ بن ناحور بن ساروغ بن ادغو بن قالع بن طابر بن صالح بن قينان بن أرخشيد بن سام بن نوح وكان إسم أبي إبراهيم الذي سماه به أبوه تازح فلما صار مع النمروذ قيماً على نخزائن آلهته سماه آزر وقال مجاهد إن آزر ليس إسم أبيه وإنما هو إسم صنم وقال ابن إسحاق ليس إسم صنم بل هو لقب عيب به وهو بمعنى معوج وقيل هو بالقبطية الشيخ الهرم وولد لناخور تارخ بعد ما مضى من عمره سبع وعشرين سنة وهذا المجلس يشتمل على أبواب والله أعلم .

(الباب الأول في مولد إبراهيم عليه السلام)

اختلف العلماء في الموضع الذي ولد فيه فقال بعضهم كان مولده بالسوس من أرض الأهواز وقال بعضهم كان مولده بيبال من أرض السواد بناحية يقال لها كوئا وقال بعضهم كان مولده بالوركاء ناحية حدود كسكر ثم نقله أبوه إلى الموضع الذي كان به نمروذ من ناحية كوئا وقال بعضهم كان مولده بجران وليكن نقله أبوه إلى أرض بابل وقال عامة السلف من أهل العلم ولد إبراهيم عليه السلام في زمن نمروذ بن كنعان وكان بين الطوفان وبين مولد إبراهيم عليه السلام ألف ومائتان وثلاث وستون سنة ونمروذ بن كنعان بن سنجار يب بن كوش بن حام

ابن نوح (ويقال) ملك الأرض أربعة : مؤمنان وكافران ، فأما المؤمنان فسلیمان
ابن داود وذو القرنين عليهما السلام ، وأما الكافران فنمرود وبختنصر ، وكان
نمرود أول من وضع على رأسه التاج وتجبر في الأرض ودعا الناس إلى عبادته ،
وكان له كهان ومنجمون فقالوا له إنه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل
الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال إنهم وجدوا ذلك في
كتب الأنبياء .

(وقال السدي) رأى نمرود في منامه كأن كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس
والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع فرعاً شديداً ودعا السحرة والكهنة والفاقة وهم
الذين يخطون في الأرض وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك هذه
السنة يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك على يديه قال فأمر نمرود بذبح كل غلام
يولد في تلك الناحية تلك السنة وأمر بمنزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة
رجلاً رقيباً أميناً فإذا حاضت المرأة خلى بينه وبينها إذا أمن الموافقة فإذا طهرت
عزل الرجل عنها فرجع آزر أبو إبراهيم فرجد امرأته قد طهرت من الحيض فوقع
عليها في ظهرها فحملت بإبراهيم عليه السلام .

(وقال) محمد بن إسحق بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقرية فخبئها عنده
إلا ما كان من أم إبراهيم فإنه لم يعلم بحبلها وذلك أنها كانت جارية حديثة السن
لم تعرف الحبل ولم يبن في بطنها .

(قال ابن عباس) لما حملت أم إبراهيم قال الكهان للنمرود إن الغلام الذي
أخبرناك به قد حملت به أمه هذه الليلة فأمر نمرود بذبح الغلمان فلما دنت ولادة أم
إبراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطالع عليها فيقتل ولدها فوضعت
في نهر يابس ثم لفته في خرقه ووضعت في حلفاء ورجعت فأخبرت زوجها بأنها
قد ولدت في موضع كذا فانطلق أبوه فأخذه من ذلك المكان وحفر له سرداباً عند
نهر فوارة وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف إليه فترضعه ،

(وقال السدي) لما عظم بطن أم إبراهيم خشي آزر أن يذبح فانطلق بها إلى أرض بين الكوفة والبصرة يقال لها وركاء فأنزها في سرداب من الأرض وجعل يتمهد بها ويكتم ذلك عن أصحابه فولدت إبراهيم عليه السلام في ذلك السرداب فشب فكان وهو ابن سنة كإبن ثلاث سنين وصار من الشباب بحالة أسقطت طمع الذباحين ثم ذكر آزر لأصحابه أن له ابناً فانطلق به إليهم .

(قال ابن إسحق) لما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت ليلة إلى مغارة وكانت قريبة منها فولدت فيها إبراهيم عليه السلام وأصلحت من شأنه ما يصلح المولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت إلى بيتها ثم كانت تطالعه في المغارة فتجده حياً يمص إبهامه (قال أبو زريق) كانت أم إبراهيم كلما دخلت على إبراهيم عليه السلام وجدته يمص إبهامه فقالت ذات يوم لأنظرن إلى أصابعه فوجدته يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبناً ومن أصبع عسلاً ومن أصبع سمناً .

(قال ابن إسحق) وكان آزر سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت له غلاماً مات فصدقها وسكت عنها وكان اليوم على إبراهيم عليه السلام في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث إبراهيم عليه السلام في المغارة إلا خمسة عشر يوماً حتى جاء إلى أبيه آزر فأخبره أنه ابنه وأخبرته امرأته بما كانت صنعت في شأنه فسر آزر بذلك وفرح فرحاً شديداً .

(الباب الثاني في خروج إبراهيم عليه السلام من السرداب ورجوعه إلى قومه)
(ومحاجته إياهم في الدين وإلقاتهم إياه في النار وما يتعلق بذلك)

(قال أهل العلم بسير الماضين) لما شب إبراهيم عليه السلام وهو في السرداب قال لأمه من ربي؟ قالت أنا قال فمن ربك؟ قالت أبوك قال فمن ربي؟ قالت له عمروذ قال فمن ربي عمروذ؟ قالت له اسكت فسكت ثم رجعت إلى زوجها فقالت أرايت الغلام الذي يحدث أنه يغير دين أهل الأرض فإنه ابنك ثم أخبرته بما قال (م ٦ - - قصص الأنبياء)

لها فأتاه أبوه آزر فقال إبراهيم عليه السلام يا أبتاه من ربي؟ قال أمك قال فمن ربي أمي قال أنا قال فمن ربك؟ قال نمرود قال فمن رب نمرود؟ فاطمه لطمته وقال اسكت وذلك قوله تعالى (واقعد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين).

ثم قال لأبويه أخرجاني فأخرجاه من السرب فانطلقا به حتى ضابت الشمس فنظر إبراهيم عليه السلام إلى الإبل والبقر والغنم والخيول يراح بها فسأل أباه ما هذه فقال إبل وخيول وبقر وغنم فقال ما لهذه بد أن يكون لها رب خالق ثم نظر وتفكر في خالق السموات والأرض وقال إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي مالي إله غيره ثم نظر فإذا المشتري قد طلع ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة في آخر شهر فرأى السكوكب قبل القمر فقال هذا ربي فذلك قوله تعالى (فلما جن الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال إنني لم يهدني ربي لا كوني من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر) لأنه رأى ضوءها أعظم (فلما أفلت قال يا قوم إنني بريء مما تشركون إنني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين) قالوا وكان أبوهما يصنع الأصنام فلما ضم إبراهيم إلى نفسه جعل يصنع الأصنام ويعطيها إبراهيم ليبيعهما فيذهب بها إبراهيم عليه السلام فينادي من يشتري ما يضر ولا ينفع فلا يشتري أحد منه فإذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر فضرب رؤسها وقال لها اشربي كسدت استمزاه بقومه بما هم عليه من الضلالة والجهالة حتى فشى عيبه إياها واستمزأوه بها في قومه وأهل قريته فحاجه قومه في دينه فقال لهم (أتحاجونني في الله وقد هداني) الآيات إلى قوله عز وجل (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ترفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم) حتى خصمهم وغلبيهم بالحجة ثم إن إبراهيم عليه السلام دعا أباه آزر إلى دينه فقال (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً) إلى آخر القصة فأتى أبوه الإجابة إلى مادعا إليه ثم إن إبراهيم عليه السلام جاهر قومه بالبراهمة مما كانوا يعبدون وأظهر دينه فقال (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباءكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين) قالوا فمن تعبد أنت قال رب العالمين قالوا أتعني نمرود فقال إلا الذي خلقني

فهو يهديني إلى آخر القصة ففشا ذلك في الناس حتى بلغ نمرود الجبار فدطاه فقال له يا إبراهيم أرأيت إلهك الذي بمثلك وتدعو إلى عبادته وتذكر من قدرته التي عظمتها بها على غيره قال ما هو؟ قال إبراهيم عليه السلام ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود أنا أحيي وأميت قال إبراهيم كيف يحيي ويميت قال أخذ رجلين استوجبا للقتل في حكمي فأقتل أحدهما فأكون آمنه ثم أعفو عن الآخر فأتركه فأكون قد أحييته فقال له إبراهيم عند ذلك إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت عند ذلك نمرود ولم يرجع إليه شيئاً ولزمته الحججة فذلك قوله عز وجل (فبهت الذي كفر) الآية ثم أن إبراهيم عليه السلام أراد أن يرى قومه ضعف الأوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله وعجزها إلزاماً للحجة عليهم فجعل ينتهز لذلك فرصة ويختال فيه إلى أن حضرهم عيد لهم .

قال السدي : كان لهم في كل سنة عيد يخرجون إليه ويحتمون فيه فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ثم طادوا إلى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم يا إبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم إبراهيم فلما كان في بعض الطريق ألقى نفسه وقال إني سقيم أشتكى رجلي فتولوا عنه وهو صريع فلما مضوا نادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس (وتالله لا كيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) فسمعوها منه .

وقال مجاهد وقتادة وإنما قال إبراهيم عليه السلام هذا في سر من قومه ولم يسمع ذلك إلا رجل واحد منهم وهو الذي أشأه عليه قالوا ثم رجع إبراهيم عليه السلام من الطريق إلى بيت الآلهة فإذا في البيت نهر مستقبل باب النهر صنم عظيم يليه أصغر منه إلى باب النهر وإذا هم قد جعلوا طعاماً فوضعوه بين يدي الآلهة وقالوا إذا كان حين رجوعنا فرجعنا وقد باركت الآلهة في طعامنا أكلنا فلما نظر إبراهيم عليه السلام إلى الأصنام وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء أأنا نكون فلما لم يجبه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضرباً باليمين وجعل يكسرها بفأس في يده حتى لم يبق إلا الصنم الأكبر فعلق الفأس في عنقه ثم خرج فذلك قوله عز وجل (فجعلهم جنداً إذا إلا كبيراً لهم لعلمهم إليه يرجعون) فلما جاء القوم من العيد

إلى بيت آلهتهم ورأوها بتلك الحالة قالوا (من فعل هذا بأهتنا أنه لمن الظالمين
قالوا سمعنا فتي يذكرهم يقال له إبراهيم) هو الذي نظنه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود
الجبار وأشرف قومه فقالوا فأتوا به على أعين الناس لعلمهم يشهدون عليه أنه هو
الذي فعل ذلك وكرهوا أن يأخذوه بغير بينة .

قال قتادة والسدي وقال الضحاك لعلمهم يشهدون بما نصنع به ونعاقبه فلما
أحضره قالوا أنت فعلت هذا بأهتنا يا إبراهيم قال إبراهيم بل فعله كبيرهم هذا
غضب من أن تعبدوا معه هذه الأصنام الصغار وهو أكبر منها فكسرهن فاسألوه
إن كانوا ينطقون قال النبي ﷺ دلم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات
كلها في الله تعالى وقوله إنى سقم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك الذى عرض
إسارة هى أختي) فلما قال إبراهيم ذلك رجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون
هذا الرجل فى سؤالكم إياه وهذه آلهتكم التى فعل بها ما فعل حاضرة فاسألوها وذلك
قول إبراهيم عليه السلام فاسألوه إن كانوا ينطقون فقال قومه ما نراه إلا كما قال
(قيل) إنكم أنتم الظالمون بعبادتكم الأوثان الصغار مع هذا الكبير ثم فكسروا
على رؤسهم متجيرين فى أمره وعللوا أنها لا تنطق ولا تبطش فقالوا لقد علمت
ما هؤلاء ينطقون فلما اتجهت الحجة عليهم لإبراهيم عليهم السلام قال لهم (أفتعبدون
من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف أنتم تعبدون من دون الله أفلا
تعقلون) فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا حوقوه وانصروا آلهتكم
إن كنتم فاعلين) .

قال ابن إسحق كانوا يجمعون الحطب شهراً حتى إذا كثر الحطب وجمعوا منه
ما أرادوا وأشعلوا النار فى كل ناحية بالحطب فاشتعلت النار حتى إن الطير لير بها
فيحترق من شدة وهجها ثم عمدوا إلى إبراهيم عليه السلام فرفعوه على رأس البنيان
وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقاً بإشارة إبليس لعنه الله تعالى حيث لم يتمكنوا من
إلقائه فى النار من شدة حرها فاتخذوا المنجنيق ووضعوه فيه مقيداً مغلولاً صلوات
الله عليه فضجت السموات والأرض والجبال ومن فيها من الملائكة وجميع الخلق
إلا الثقلين ضجة واحدة وقالوا أى ربنا إبراهيم ليس فى أرضك أحد يعبدك غيره

يحرق في النار فاذن لنا في نصرته فقال الله تعالى لهم إن استعان بشيء منكم أو دعا
فلينصره فقد أذنت لكم في ذلك وإن لم يدع غيري فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني
وبينه فلما أرادوا إلقاءه النار أتاه ملك المياه فقال إن أردت أخذت النار فإن
المياه والأمطار بيدي وأناة حازن الريح فقال إن شئت طيرت النار في الهواء فقال
إبراهيم عليه السلام ولا حاجة لي إليكم ثم رفع رأسه إلى السماء فقال اللهم أنت
الواحد في السماء ليس في الأرض أحد يعبدك غيري .

وروى المعتمر عن أبي بن كعب عن أرقم (أن إبراهيم عليه السلام قال حين
أوثقوه ليلقوه في النار لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك
لا شريك لك) ثم رموا به في المنجنيق إلى النار في موضع شاسع فاستقبله جبريل
عليه السلام فقال يا إبراهيم ألك حاجة قال أها إليك فلا قال جبريل فبسل ربك
فقال إبراهيم عليه السلام حسبي من سؤالي علمه بحالي حسبي الله ونعم الوكيل وفي
الخبير (أن إبراهيم عليه السلام إنما نجى بقوله حسبي الله ونعم الوكيل) قال الله
عز وجل (يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) .

قال السدي فأخذت الملائكة بصبي إبراهيم فأقعدته على الأرض فإذا عين ماء
ورد أحمر ونرجس قالوا فأقام إبراهيم في النار سبعة أيام قال المنهال بن عمر قال
إبراهيم خليل الله ما كنت أياماً قط أنعم مني عيشاً من الأيام التي كنت فيها في النار
(قال ابن إسحق وغيره) وبعث الله ملك الظل في صورة إبراهيم عليه السلام
فقدم فيها إلى جنب إبراهيم وهو مؤنسه فأناه جبريل عليه السلام بقميص من حرير
وقال يا إبراهيم إن ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبائي وألبسه القميص
ثم أشرف نمرود من صرح له حال ونظر إلى إبراهيم عليه السلام وما يشك أنه قد
هلك فرآه جالساً في روضة ورأى الملك قاعداً إلى جنبه وحوله نار تحرق ما جمعوا
من الخطب فناده نمرود يا إبراهيم كبير إهلك الذي بلغت قدرته أن حال بينك
وبين النار حتى لم تضرك يا إبراهيم فهل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال فهل
تخشى إن أقت فيها أن تضرك قال لا قال فقم اخرج منها فقام إبراهيم عليه السلام

يمشي فيها حتى خرج منها فلما خرج منها قال له الثرود ما الذي رأيت معك في مثل
حضورك قاعداً إلى جانبك قال ملك الظل أرسله إلى ربي ليؤنسني فيها .

(قال الشعبي) ألقى إبراهيم عليه السلام في النار وهو ابن ست عشرة سنة
وذبح إسحق وهو ابن سبع سنين وولده سارة رضى الله عنها وهي ابنة تسعين سنة
وكان مذبحه من بيت المقدس على ميلين ولما علمت سارة بما أراد بإسحق بقيت يومين
وماتت في اليوم الثالث .

(قال ابن إسحق) استجاب لإبراهيم عليه السلام رجال من قومه حين رأوا
ما صنع الله عز وجل به من جعل النار عليه برداً وسلاماً على نخوف من نمرود
وملشهم فآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ وهاران هو
أخو إبراهيم عليه السلام وكان لها أخ ثالث يقال له ناحور بن تارخ فهاران أبو لوط
وناحور أبو تنويل وتنويل أبو لابان ورفقا بنت تنويل امرأة إسحق بن إبراهيم
أم يعقوب وليا وراحيل زوجتا يعقوب عليه السلام وهما ابنتا لابان وآمنت أيضاً
به سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الأكبر عم إبراهيم عليه السلام .

(قال السدي) كانت سارة بنت ملك حران ، وذلك أن إبراهيم ولوطاً عليهما
السلام انطلقا قبل الشام فلقى إبراهيم سارة هي بنت الملك حران ، وكانت قد
ظننت على قومه في ذيتهم فتزوجها إبراهيم عليه السلام على أن لا يضرها .

(قال ابن إسحق) خرج إبراهيم عليه السلام من كوثا من أرض العراق
مهاجراً إلى ربه عز وجل وخرج معه لوط وسارة عليهما السلام كما قال الله تعالى
(فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي) فخرج حتى نزل حران فمك بها ماشاء
الله تعالى أن يمك ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج من مصر إلى الشام فنزل
السبع من أرض فلسطين وهي بيرة الشام ونزل لوط بالمؤتفة وهي من السبع على
مسيرة يوم وإيلة فبعثه الله نبياً فذلك قوله عز وجل (ونجيننا لوطاً إلى الأرض التي
يجار كنا فيها للعالمين) يعني الشام فبركتها أن بعث منها أكثر الأنبياء وهي الأرض

المقدسة وأرض المحشر والمذشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك الله
المسيخ الدجال بياب لد وهي أرض خصبة كثيرة الأشجار والأنهار والثمار يطيب
فيها العيش للغني والفقير .

(الباب الثالث في مولد إسماعيل وإسحق عليهما السلام)
(ونزول إسماعيل وأمه هاجر الحرم وقصة بئر زمزم)

(قال أهل العلم بسير الماضين) لما نجا الله خليله إبراهيم عليه السلام آمن به من
آمن وتابعوه على فراق قومهم وإظهار البراءة منهم فقالوا (إنا برآء منكم ومما
تعبدون من دون الله ككفرأ بكم) أيها المعبودون من دون الله ككفرأ بكم) أيها
المعبودون من دون الله (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء) أيها العابدون (حتى
تؤمنوا بالله وحده) ثم خرج إبراهيم عليه السلام مهاجراً إلى ربه وخرج معه لوط
عليه السلام وتزوج إبراهيم عليه السلام بإبنة عمه سارة فخرج بها يلتمس الفرار
بمدينة والأمان على عبادته لربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله أن يمكث ثم
خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الأولى وكاتت سارة
من أحسن النساء وأجملهن وكان لا تعصى إبراهيم عليه السلام في شيء وبذلك
أكرمها الله .

قال فأتى الجبار رجل وقال له إن ههنا رجل معه امرأة من أحسن النساء
ووصف له حسننها وجمالها فأرسل الجبار إلى إبراهيم عليه السلام فجاءه فقال ما هذه
المرأة منك فقال هي أختي ونخوف إن قال هي امرأتى أن يقتله فقال زينها وأرسلها
إلى حتى أنظر إليها فرجع إبراهيم إلى سارة عليها السلام وقال لها أن هذا الجبار
قد سألتني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده فإنك أختي في كتاب الله عز
وجل أنه ليس في هذه الأرض مسلم غيري وغيرك .

ثم أقبلت سارة إلى الجبار وقام إبراهيم عليه السلام يصلي فلما دخلت عليه
ورآها أهوى إليها ليتناولها بيده فبسط يده إلى صدره فلما رأى الجبار ذلك عظم

أمرها وقال لها سبي ربك أن يطلق يدي فوالله لا آذيتك فقالت سارة اللهم إن كان صادقاً فأطلق يده فأطلق الله تعالى يده .

(وفي بعض الأخبار المسندة) أنه فعل ذلك ثلاث مرات بقصد أن يتناولها فتبديس يده فلما رأى ذلك ردها إلى إبراهيم ووهب لها هاجر وهي جارية قبطية فقالت إلى إبراهيم فلما أحس بها إبراهيم أنفثل من صلانه قال مهيم فقالت كفى الله كيد الفاجر الباغى بما رأى ، قال محمد بن سيرين كان أبو هريرة إذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله ﷺ قال فثلك أمكم يا بني ماء السماء .

(وفي بعض الأخبار) أن الله تعالى رفع الحجاب بين إبراهيم وسارة حتى كان ينظر إليهما من وقت خروجهما من عنده إلى وقت العصر افها إليه كرامة لها وتطييباً لقب إبراهيم عليه السلام قالوا وكانت هاجر جارية ذات هيئة فوهبتها سارة لإبراهيم فقالت إنى أرها امرأة وضيعة فخذها لعل الله تعالى أن يرزقك منها ولداً وكانت سارة قد منعت الولد حتى أسنت فوقع إبراهيم على هاجر فولدت له إسماعيل عليه السلام .

(وروى) محمد بن إسحق عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري قال قال رسول الله ﷺ (إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً) .

قال ابن إسحق فسألت الزهري ما الرجم التي ذكرها رسول الله ﷺ فقال : كانت هاجر أم إسماعيل منهم ثم خرج إبراهيم من مصر إلى الشام وهاب ذلك الملك الذي كان بها وأشفق من شره فنزل السبع من أرض فلسطين واحتفر بها بئراً واتخذ بها مسجداً وكانت ماء تلك البئر معيناً ظاهراً وكانت غنمه تردها فأقام إبراهيم بالسبع مدة ثم أن أهله آذوه فيها ببعض الأذى فخرج منها حتى نزل بناحية من أرض فلسطين بين الرملة ولابليا يقال لها قطة فلما خرج من بين أظهرهم نصب ماء تلك العين وذهب فقدم أهل السبع جميعاً على ما صنعوا وقالوا أخرجنا من بين أظهرنا رجالاً صالحاً فأنهبوا أثره حتى أدركوه وسألوه أن يرجع فقال ما أنا براجع إلى بلد أخرجت منه

قالوا إن الماء الذي كنت تشرب منه وتشرب معك منه قد نصب وذهب فأعطاهم
سبعة أدنز من غنمه وقال اذهبوا بها معكم فإنكم إذا أوردتموها البئر ظهر الماء حتى
يكون معيناً ظاهراً كما كان فاشربوا ولا تقربنها امرأة حائض فخرجوا بالأدنز .

قال فلما وقفت على البئر ظهر الماء فيمكثوا يشربون منها وهي على تلك الحال
حتى أتتها امرأة طاهية فاخترفت منها فركد ماؤها إلى الذي عليه اليوم وأقام إبراهيم
عليه السلام ببلده وكان بضيف من نزل به وقد أوسع الله تعالى عليه وبسط له من
الرزق والمال والخدم فلما أراد الله تعالى دلائك قوم لوط عليه السلام بعث إليه رسوله
يأمرونه بالخروج من بين أظهرهم وأمرهم أن يبدؤا بإبراهيم عليه السلام ويبدؤوه
وسارة بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب فلما نزلوا على إبراهيم عليه السلام وكان
الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوماً حتى شق عليه ذلك وكان لا يأكل إلا مع
ضيف ما أمكنه فلما رآهم على صورة الرجال سر بهم ورأى ضيوفاً لم يضيف مثلمهم
حسناً وجمالاً فقال لا يخرج هؤلاء القوم إلا أنا فخرج فجاء بعجل سين حديد وهو
المشوى بالحجارة فقر به إليهم فأهسكوا أيديهم عنه فقال لهم أأنا نكون (فلما رأى
أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة) حيث لم يأكلوا من طعامه فقالوا
يا إبراهيم لا نأكل طعاماً إلا بثمن قال فإن لها ثمناً قال وما ثمنه قال تذكرون اسم
الله تعالى على أوله وتحمده ونه على آخره فنظر جبريل إلى ميكائيل عليهما السلام
قال يحق لهذا أن يتخذ ربه خائباً لا ثم قال له لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط
وامرأته سارة قائمة بخدومهم وإبراهيم قاعدتهم فلما أخبروه بما أرسلوا به وبشروه
بإسحق ويعقوب ضحك سارة واخفاف العلماء في العلة الجالبة لضحكها ما هي فقال
السدى إنما ضحكك سارة حيث لم يأكلوا من طعامهم وقالت يا عجبا لا ضيافنا
هؤلاء أنا نخدومهم بأنفسنا تبرهة لهم وهم لا يأكلون طعامنا .

(قال السدى) قالت سارة لجبريل عليه السلام لما بشرها بالولد على حالة البكر
ما آية ذلك فأخذ بيده عوداً يابساً فلواة بين أصابعه فادنز أنضض فقال إبراهيم هو
فله إذا ذبح .

وقال مجاهد وعكرمة فضحكك أي حاضت في الوقت تقول العرب ضحكك الأرنب
إذ حاضت وقال السدي وابن يسار وغيرهما من أهل الأخبار فحملت سارة بإسحق
وقد كانت حملت هاجر بإسماعيل فوضعتا معاً وشب الغلامان فبينما هما يتناضلان
ذات يوم وقد كان إبراهيم عليه السلام سابق بينهما فسبق إسماعيل فأخذه وأجلسه
في حجره وأجلس إسحق إلى جانبه وسارة تنظر إليه ففضبت وأخذها ما يأخذ
النساء من الخيرة فحلفت لتقطعن بضعة منها ثم تاب إليها عقابها .

فقال لها إبراهيم عليه السلام اخفضيها واثقي أذنيها ففعلت ذلك فصارت سنة
في النساء ثم أن إسماعيل وإسحق عليهما السلام افتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان
ففضبت سارة على هاجر وقالت لا تسنا كسفيني في بلد واحد وأمرت إبراهيم عليه
السلام أن يعزلها عنها فأوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام أن يأتي بهاجر وإبنها
مكة فذهب بها حتى قدم مكة وهي إذ ذاك عذاة وسلم وبعث إليها خارج مكة أناس
يقال لهم العماليق وموضع البيت يومئذ ربوة حراء فقال إبراهيم عليه السلام لجبريل
عليه السلام ههنا أمرت أن تضعها قال نعم فعمد بهم إلى موضع الحجر فأنزلهما
فيه وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ عريشاً ثم قال (ربنا إني أسكنت من ذريتي
بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس
تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) ثم انصرف فأتبعته هاجر
وقالت إني من تسكننا فجعل لا يرد عليها شيئاً فقالت الله أمرك بهذا ؟ قال نعم ،
فقال إذا لا يضيئنا ثم انصرف راجعاً إلى الشام .

وكان مع هاجر شنة فيها ماء فنفض الماء فعطشت وعطش الصبي فنظرت أي
الجبال أدنى من الأرض فصعدت الصفا وتسمعت هل تسمع صوتاً أو ترى إنسياً
فلم تسمع شيئاً ولم تر أحداً ثم إنها سمعت أصوات سباع الوادي نحو إسماعيل
فأقبلت إليه مهرولة بسرعة ثم سمعت صوتاً نحو المروة فسعت وهي تزيد السعي
كالإنسان المجهود فهي أول من سمى بين الصفا والمروة ثم صعدت إلى المروة
فسمعت صوتاً كالإنسان الذي يكذب سمعه حتى استيقظت وجعلت تدعو اسمع إبل
يعني يا الله قد أسمعتني صوتك فأغثنى فقد هلك من مهي .

فاذا هي بجبريل عليه السلام فقال لها من أنت ؟ فقالت سرية لبراهيم عليه
السلام تركني وابني ههنا قال ولى من وكلكما ؟ قالت وكنا الى الله تعالى قال لقد
وكلكما الى كريم كاف ثم جاء بهما وقد نفذ طعامهما وشرا بهما حتى انتهى بهما الى
موضع زمزم فضرب بقدمه فخارت عين فلذلك يقال لزوم ركضة جبريل عليه
السلام فلما نبع الماء أخذت هاجر شنة لها وجعلت تسقى فيها وتدخره فقال لها
جبريل عليه السلام أنها رى وجعلت أم إسماعيل تحببها حبساً .
قال رسول الله ﷺ (لولا أنها عجبت لكانت زمزم معيناً) وقال لها جبريل
لا تخافى الظمأ على أهل هذه البلدة فإنها عين يشرب منها ضيفان الله تعالى وقال لها
أما أن أبا الغلام سيجيء فيبينان لله تعالى بيتاً هذا موضعه ومررت رفقة من جرهم
تريد الشام قرأوا الطير على الجبل فقالوا إن هذا الطير لحائم على ماء فأشرفوا فإذا
هم بالماء فقالوا لها جر إن شئت كمننا معك فأنا نسناك والماء ماؤك فأذنت لهم فنزلوا
معها وهم أول سكان مكة فلذلك كانت العرب تقول في تلبيتما :
لا هم أن جرهما عبادك الناس طارف وهم بلادك وهم قديماً عمروا بلادك
فكانوا هناك حتى شب إسماعيل وماتت هاجر فتزوج إسماعيل امرأة من
جرهم وأخذ أسانهم فتعرب بهم فهم أولاده العرب المتعربة .
ثم أن إبراهيم عليه السلام استأذن سارة أن يزور هاجر وإبنتها فأذنت له
واشترطت عليه أن لا ينزل فقدم إبراهيم عليه السلام مكة وقد ماتت هاجر ويقال
لأنه قدمها راكباً البراق فلما قدمها ذهب إلى بيت إسماعيل فقلنا لامرأته أين صاحبك
قالت ليس هنا ذهب يتصيد وكان إسماعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع وكان
مولماً بالصيد نخس بالقنص والفروسية والرمى والصراع فقال لها إبراهيم عليه
السلام هل عندك طعام أو شراب قالت ليس عندي شيء وما عندي أحد فقال لها
إبراهيم إذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فذهب
إبراهيم عليه السلام ودخل إسماعيل فوجد ربح أبيه فقال لامرأته قد جاءك أحد
فقلت شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأته قال فما قال لك قالت قال فاقرتي
زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى فابث إبراهيم عليه

السلام ما شاء الله سم استاذن سارة أن يزور إسماعيل فأذنت له واشترطت عليه
أن لا ينزل فجاء إبراهيم عليه السلام حتى انتهى إلى باب إسماعيل فقال لامرأته أين
صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يحيى الآن إن شاء الله فانزل يرحمك الله قال لها
هل عندك ضيافة فقالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لها بالبركة فلو جاءت يومئذ
بخبز أو بر أو شعير أو تمر لكانت مكة أكثر أرض الله برأ وشعيراً وتمرأ ثم
قالت له انزل حتى أغسل رأسك وشيئك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعتة عند شقه
الأيمن فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه فيه فغسلت شق رأسه الأيمن ثم جعلت
المقام إلى شقه الأيسر فغسلت شق رأسه الأيسر فقال إذا جاء زوجك فاقرئيه
السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء إسماعيل ووجد ريح أبيه فقال
لامرأته هل جاء أحد قالت جاءني شيخ أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً فقال
لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت له رأسه وهذا موضع قدميه على المقام
فقال ذلك إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

(قال) أنس بن مالك رأيت المقام أثر أصابع إبراهيم عليه السلام وعقبه
وإخص قدميه غير أنه أذهب مسح الناس بأيديهم .

(وأخبرنا) محمد بن أحمد بن عبدون قال أخبرنا محمد بن حمدون بن خالد حدثنا
محمد بن إبراهيم حدثنا هدية بن خالد حدثنا أبو يحيى بن جابر بن مسح القرشي قال
سمعت مسافر بن شيبه يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول شهد ثلاث مرات أني
سمعت رسول الله ﷺ يقول (الركن والمقام يا قوتتان من بواقيت الجنة طمس
الله نورهما ولو لا أن طمس الله نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب) .

(الباب الرابع في القول على بقية قصة زمزم)

(روت الرواة) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال عبد المطلب بن هاشم بينما أنا نائم في الحجر إذ أتاني آت فقال لي احفر طيبة قلت وما طيبة فذهب عني ولم يجبني فلما كانت الليلة الثانية جاءني فقال احفر درة قلت وما درة فذهب عني ولم يجبني فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فقال احفر المصونة فذهب عني فلما كان من الغد رجعت إلى منجمي فتمت فجاءني فقال احفر زمزم فقلت وما زمزم ؟ وكانت قد رست وغار ماؤها لما مضت أيام إسماعيل عليه السلام قال بر يسمي الحجيج منه عند منحر قريش عند نقرة الغراب وقرية النمل فلما تبين له قام فدل على موضعها وعرف أنه قد صدق فغدا بمولاه ومعه الحرث بن عبد المطلب وليس له ولد غيره يومئذ فلما علمت به قريش قاموا إليه فقالوا يا عبد المطلب إنها من آثار أجدنا إسماعيل وإن لنا فيها حقاً فأشركنا فيها فقال ما أنا بفاعل إن هذا شيء خصصت به ذريكم وأعطيته من بينكم قالوا له فأنصفنا فإننا غير تاركيك حتى نخاصمك قال فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أخاصمكم إليه قالوا كاهنة بنى سعد بن هذيل قال نعم وكانت من أطراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى عبد مناف فركب من كل قبيلة من قريش نفر قال والأرض إذ ذاك مفاوز فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز نفذ ما كان معهم من الماء حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا لنا بمفازة وإنا نخشى على أنفسنا أن يصيبنا مثل ما أصابكم فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم قال لأصحابه ماذا ترون قالوا إن رأينا تبع لرأيك فأمرنا بما شئت .

قال فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم لنفسه حفرة بما يجد من القوة فكل من مات دون صاحبه ودفنه في حفرة قال فحفروا وجلسوا يتذكرون الموت ثم قال عبد المطلب وما لنا لا نضرب في الأرض فعسى الله أن يرزقنا ماء فارتحلوا ومن معهم من قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون وتقدم عبد المطلب إلى واحلته فركبها فلما أن انبعثت به انفجرت من تحت حوافر دابة عبد المطلب عين ماء عذب فكبهر عبد المطلب وكبهر أصحابه ثم نزل فشرب منه وشرب أصحابه حتى رووا وملئوا

أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلموا إلى الماء فقد سقانا الله تعالى وإياكم
فشربوا وسقوا ثم قالوا والله قضى الله عيناً يا عبد المطلب والله لا نخاصك في
زمزم أبداً إن الذي سقاك هذا الماء في هذه الفلاة فهو ساقيك زمزم فارجع فرجع
ورجعوا معه حتى أوفوا مكة وخلوا بينه وبين زمزم ولما جن الليل رأى
عبد المطلب في منامه كأن قائلاً يقول له :

يا أيها المدج احفر زمزم إنك إن حفرتها لم تندم
وهي تراث من أبيك الأعظم تسقى الحجيج حافلاً لم ينقم

فلما سمعه عبد المطلب قال وأين زمزم ؟ قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب
الأعصم قال فغدا عبد المطلب ومعه ابنة الحرث فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر
عند الوثنين أساف ونائلة اللذين كانت قريش تعبدهما فجاء بالمعول وقام ليحفر
حيث أمر فقامت قريش وقالوا والله لا نتركك أن تحفرها ووثناها ومنحرونا
عندها وكانت قريش - سدوة على ذلك لأنهم أخبروا أن جرهما لما سكنت مكة
أودعت في زمزم أموالاً وأسلحة للمصطفى صلى الله عليه وسلم لما أخبرت أن الله تعالى باعث في
هذه القرية نبياً من صفته وحاله كيت وكيت ولم يكونوا عرفوا موضعها فلما أخبر
بذلك عبد المطلب نازعوه في ذلك فقال بعضهم لبعض دعوه يحفر فرجاً يخطيء
الموضع فحفر غير بعيد فظهرت له العلامات فكبر فعرّفوا أنه لم يخطيء فتبادى
حتى بلغ إلى تمثالين من ذهب هما الغزالان اللذان دفنهما جرهم ووجد فيها سيوفاً
ودروعاً فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شركة قال لا ولكن
نضرب بالقداح عليه قالوا وكيف نصنع قال اجعلوا للكعبة قدحين ولي قدحين
ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا
أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين
أبيضين لقريش ثم أعطوا القداح التي تضرب بها عند هبل وقام عبد المطلب يدعو
فخرج إليهما الأصفران على الغزالين للكعبة وخرج الأسودان على الأسياف
والأدرع لعبد المطلب وتخلف قدحاً قريش قال فعلق عبد المطلب الأسياف والأدرع
بباب الكعبة وضرب في الباب الغزالين الذهب فكان أول ذهب حلقت به الكعبة

وكانت الرياسة والتقدمة لعبد المطلب قبل حفر زمزم فلما حفرها وأخرج منها
ما أخرج ازداد بذلك في قریش عظماً وجاهاً ومنزلة وعافت الحجاج المياہ التي
كانت بمكة ونواحيها وأقبلوا على زمزم لما كان من عذوبة ماؤها ولا يكونها من أثر
إسماعيل عليه السلام وافتخرت بنوعبد مناف على قریش وعلى سائر العرب والله أعلم

(الباب الخامس في صفة بناء الكعبة وبدء أمرها إلى وقتنا هذا)

أخبرنا أبو عمر وأحمد بن أبي أحمد الفهراني أخبرنا الحسن بن المغيرة بن عمر بن
الوليد المغربي بمكة حدثنا أبو سعيد المنفصل بن محمد بن إبراهيم بن المنفصل حدثنا
عبد الله بن أبي غسان اليماني حدثنا أبو همام حدثنا محمد بن زياد عن ميمون بن
عمران عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ كان البيت قبل هبوط آدم عليه السلام
ياقوتة من يواقيت الجنة والبيت المعمور الذي في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف
ملك ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة حذاء الكعبة وأن الله تعالى أهبط آدم
عليه السلام إلى موضع الكعبة وهو مثل الفلك من شدة رعدته وأنزل عليه
الحجر الأسود وهو يتأللاً كأنه لؤلؤة بيضاء فأخذه آدم وضمه إليه استئناساً به
ثم أخذ الله تعالى من بني آدم ميثاقهم فجعله في الحجر ثم أنزل الله تعالى على آدم
العصا ثم قال يا آدم تخط فتخطى فإذا هو بأرض الهند فسكت هناك ما شاء الله أن
يمكث ثم استوحش إلى البيت فقيل له حج يا آدم فأقبل يتخطى فصار موضع
كل قدم تربة وما بين كل ذلك مفاوز حتى قدم إلى مكة .

فقال آدم يا رب اجعل لهذا البيت عمارة يعمرونه من ذريتي فأوحى الله تعالى
إليه إنى معمروه بنبي من ذريتك لإسمه إبراهيم أنخذة خليلاً أفضى على يديه عمارته
وأهبط له سقايته وأورثه حله وحرمة ومواقفه وأعلمه مشاعره ومناسكه فلما
فرغ من بنائه نادى يا أيها الناس إن الله تعالى بنى بيتاً فحجوه فاسمع ما بين الخافقين
فأقبل من يحج هذا البيت من الناس يقول لبنيك لبنيك وقال ﷺ وأن آدم عليه السلام
سأل ربه عز وجل فقال يا رب أسألك لمن مات في هذا البيت من ذريتي لا يشرك

بك شيئاً أن تلحقه بي في الجنة فقال الله تعالى يا آدم من مات في الحرم لا يشرك بي شيئاً آمناً يوم القيامة .

روى الرواة بأسانيد مختلفة : أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض كان طوله ستين ذراعاً ، فلما فقد آدم عليه السلام ما كان يسمع من أصوات الملائكة وتسبيحهم استوحش وشكا ذلك إلى الله عز وجل فأنزل الله تعالى يا قوته من يواقيت الجنة فكانت موضع البيت الآن ، ثم قال يا آدم إني أهبطته لك بيتاً تطوف به كما يطاف حوله عرشى وتصلى عنده كما كنت تصلى عند عرشى فتوجه آدم عليه السلام إلى مكة ورأى البيت فطاف به ،

(وروى) أبو صالح عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام أن لي حرماً بحيال عرشى فهنا لك أستجيب لك ولولدك من كان في طاعى قال آدم رب كيف لي بذلك ولا أقوى عليه ولا أهتدى إليه فقيض الله ملكاً فانطلق نحو مكة فكان آدم عليه السلام إذا مر بروضة وبمكان يعجبه قال للملك انزل بي ههنا فيقول له الملك مكانك حتى قدم مكة فكان كل مكان نزل فيه عمرانا وكل مكان تعداه مفاوز وقفار ثم بنى البيت فلما فرغ من بنائه خرج الملك إلى عرفات فأراه المناسك كلها التي يفعلها الناس كلها اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت أسبوعاً ثم رجع إلى أرض الهند فمات على تود .

قال أبو يحيى بائع القم قال لي مجاهد لقد حدثني عبد الله بن عباس أن آدم نزل حين هبط بالهند ولقد حج منها أربعين حجة على رجليه فقلت له يا أبا الحجاج ألا كان يركب قال وأي شيء كان يحمله والله أن خطوته مسيرة ثلاثة أيام .

وقال وهب بن منبه أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض فرأى سمعتها وأم يرفيها أحداً غيره قال يارب أما لهذه الأرض عامر يسبح بحمدك ويقدمك غيرى قال الله تعالى إني سأجعل فيها من وادك من يسبح بحمدى ويقدمنى وسأجعل فيها بيوتاً ترفع بذكرى ويسبح فيها خلقى ويذكر فيها إسمى وسأجعل من تلك البيوت بيتاً أخصه بكرامتى وأوثره بإسمى وأسميه يلقى وأنطقه بعظمتى وعليه

وضعت جلالى ثم أجعل ذلك البيت حراماً آمناً يحرم بحرمة من حوله ومن تحته
ومن فوقه فن حرمه بحرمة استوجب بذلك كرامق ومن أخاف أهله فقد ضيع
دينى وخفر ذمق وأباح حرمتى أجعله أول بيت وضع للناس يأتونه شعماً غرباً
وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق .

(واختلف العلماء فى كيفية بيان ذلك فقال بعضهم إن الذى خرج مع إبراهيم
عليه السلام من الشام لدلالاته على موضع البيت جبريل عليه السلام وذلك قوله
عز وجل (وإذا بوأنا لإبراهيم مكان البيت) الآية قالوا جعل إبراهيم بينيه
وإسماعيل يتأوله الحجارة وكان إبراهيم عبرانياً وإسماعيل عربياً فألهم الله تعالى
أحدهما لسان صاحبه فكان إبراهيم عليه السلام يقول هب لى كيناً يعنى هات لى
حجراً فيقول له إسماعيل هاك فنخذه فبئذا الكعبة من خمسة أجبل طور سيناء
وطور زيتا ولبنان والجودى وبنيت قواعده من حراء قال فبقى حجر فذهب
إسماعيل يبتئيه ثم رجع فوجدته قد ركب حجراً فى مكانه فقال يا أبت من أتاك
بهذا الحجر فقال أتانى به من لم يكفى لىك ثم قال إبراهيم لإسماعيل ائتنى بحجر
حسن أضعه على الركن ليكون علماً للناس فناداه أبو قبيس يا إبراهيم أن لك
عندى وديعة فهاك فنخدها فاخرج إبراهيم عليه السلام الحجر الأسود من جبل
أبى قبيس وركبه فى موضعه فلما فرغ إبراهيم وإسماعيل من بناء البيت وأتماه
دعوا ربهما فذلك قوله تعالى (وإذا يرفع إبراهيم البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم) إلى قوله (وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب
الرحيم) فأجاب الله تعالى دعاه وأرسل جبريل عليه السلام ليعلمهما مناسك الحج
فخرجنهما يوم التروية إلى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم بات
بهما حتى أصبح الصباح ثم غدا بهما إلى عرفة فقام بهما هناك حتى إذا مالت الشمس
جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم راح بهما إلى الموقف من عرفة فوقف بهما على
الموضع الذى يقف عليه الناس اليوم فلما غربت الشمس دفع بهما إلى المزدلفة فجمع
بين الصلاتين المغرب والعشاء ثم بات بهما حتى طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة الغداة

فوقف بهما على قزح حتى إذا أسفر الصبح أفاض بهما إلى منى فأراهما كيف يرميان
الحجار وأمرهما بالذبح وأمرهما بالنحر من منى وأمرهما بالهلق ثم أفاض بهما إلى البيت

فأوحى الله تعالى إلى نبيهما محمد صلى الله عليه وسلم (أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من
المشركين) ثم أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج فقال
يا رب وما يبلغ صوتي ؟ فقال عليك الأذان وعلى البلاغ فعلا تبيراً ونادى يا عباد
الله إن ربكم قد بنى بيتاً فحجوه وأجيبوا داعي الله فسمعته ما بين السماء والأرض
وما بين الأبحر ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء فأجابه كل من آمن بالله
من سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك .

(وقال) عبد الله بن الزبير لعبيد بن عمير استقبل إبراهيم عليه السلام اليمن
والمشرق والمغرب والشام فدعا إلى الحج فقيل لبيك اللهم لبيك وذلك قوله وعز
وجل (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)
الآيات فلم يزل البيت على ما بناه إبراهيم عليه السلام إلى سنة خمس وثلاثين من
مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك قبل مبعثه بخمس سنين فهدمت قريش الكعبة ثم بنتها
وكان السبب في ذلك على ما ذكر محمد بن إسحاق وغيره من أن الكعبة كانت روضة
فوق القامة فأرادوا رفعها وتسقيفها وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من
تجار الروم فتحطمت فأخذوا خشبها فأعدوه لسقفها وكان بمكة رجل قبطي نجار
فيها لهم أنفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها
ما يهدى لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة وكانوا يهابونها وذلك أنه كان
لا يدنو منها أحد إلا كثرت وفتحت فاهاً فكانوا يهابونها فيبئنها هي ذات يوم
على جدار الكعبة كما كانت تصنع فبعث الله طائراً قاخطفها فذهب بها .

وقالت قريش إنا لندرجوا أن الله تعالى قد رضى ما أردناه من عمارة بيته وأن
عندنا عاملاً رقيقاً وخشياً وقد كفانا الله تعالى الحية وذلك بعد حرب الفجار بخمس
عشرة سنة فلما أجمعوا أمرهم على هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمر وابن عمير
ابن عامر بن مخزوم فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه

فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنايتها من كسبكم إلا طيباً ولا تدخلوا فيها من مهر
بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ثم إن الناس هابوا هدمها فقال الوليد
ابن المغيرة أنا أبدأ لكم في هدمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لا تريد
إلا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فترى الناس به في تلك الليلة وقالوا أنتظره
إن أصيب لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما هي وإن لم يصبه شيء فقد رضى الله
تعالى بما فعلناه فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى
انتهى الهدم إلى الأساس فأفضوا إلى حجارة خضر كأنها أسنمة الإبل آخذة بعضها
ببعض فأدخل من قريش عتلة بين حجرين ليقلع أحدهما فلما تحرك الحجر
تحركت مكة بأسرها فعلموا أنهم قد انتهوا إلى الأساس .

وقالوا إن القبائل قد اجتمعت لبنائها فجعلت كل قبيلة تجتمع على حدتها ثم
بنوا فلما بلغوا البنيان إلى موضع الركن اختصموا فيه فكل قبيلة أرادت أن
تضعه في صفة دون الأخرى حتى تجاروا وتخالفوا وتواعدوا للقتال فحرب
بنو عبد الدار حفنة مملوءة دماء ثم تعاقبوا هم وبنو عدى بن كعب على الموت
وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم فسموا لعقة الدم بذلك فمكثوا أربع ليال أو خمس
ليال على ذلك ثم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض
الرواة أن أبا أمية بن المغيرة وكان حينئذ أسن قريش كلها فقال يا معشر قريش
اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم من باب هذا المسجد يقضى بينكم
فيه فرضوا بذلك وتوافقوا عليه .

فيكان أول من دخل عليهم محمد رسول الله فلما رآوه قالوا هذا محمد الأمين
ادرؤنا به فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال هلموا إلى ثوباً فأتوا به فأخذ
ولركن فوضعه فيه بيده ثم لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ادفعوه جميعاً
ففعلوا به ذلك حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه قالوا فكانت
الكعبة كذلك على ما بنته قريش إلى أربع وستين من الهجرة حتى حاصر الحصين بن
نمير الكموني عبد الله بن الزبير فخذفوا البيت بالمنجنيق وجعلوا يرتجزون ويقولون

حجارة مثل النبيق المزيدي ترمى بها عيدان هذا المسجد
وقال آخر منهم :
كيف ترمى صنيع أم قروة تأخذهم من الصفا والمروة

أم فروة لاسم منجنيق فالت حيطان الكعبة بما رميت به من حجارة المنجنيق
وأنها مع ذلك احترقت وكان السبب فيه أنهم كانوا يوقدون حولها فاقبلت شرار
هبت بها الريح فاحترقت باب الكعبة واحترق خشب البيت وقال بعضهم كان
السبب في ذلك أن امرأة كانت تبخر البيت فطارت شرارة من النار فاحترق البيت
وكان أول ما تكلم الناس في القدر يومئذ فقال قوم هو من قدرة الله وقال قوم
ليس من قدرة الله قالوا فهمم عبد الله بن الزبير الكعبة حتى سواها بالارض
وكان الناس يطوفون بها من وراء الأساس ويصلون إلى موضعها وجعل الحجر
الأسود في تابوت في خرقة من حرير وجعل ما كان من حلي البيت وما وجد فيه
من ثياب وطيب عند الحجر في خزانة البيت ثم أعاد بناءه .

وقال إن أمي أسماء بنت أبي بكر حدثتني أن رسول الله ﷺ قال لعائشة :
« لولا حداثة عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس إبراهيم فايد في
الكعبة الحجر وإن قريشاً أعوزتهم النفقة فأخرجوا الحجر من البيت وجعلت لها
بابين باباً شرقياً وباباً غروبياً فامر به الزبير فحفر فوجدوا قلاعاً أمثال الإبل
فحركوا منها صخرة فبرقت برقة فقال أقررها على أساسها فبناها ابن الزبير وأدخل
فيها الحجر وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر فكانت الكعبة
ملى ما بناها ابن الزبير إلى سنة أربع وسبعين حتى قتل الحجاج بن يوسف الثقفي
عبد الله بن الزبير وولي الحجاز من قبل عبد الملك بن مروان فنقض الحجاج نذيان
الكعبة الذي كان بناه الزبير بأمر عبد الملك وأعادها إلى بنائها الأول بمشهد من
عشايق قريش فهي اليوم على ما بناها الحجاج .

(الباب السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده)

قال الله تعالى (فلما بلغ معي السبعين قال يا بني انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابي افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) واختلاف السلف من علماء المسلمين فى الذى أمر ابراهيم عليه السلام بذبحه من بنيه بعد اجماع اهل الكتاب على انه كان اسماعيل عليه السلام .

(وروى) شعبة عن اسحاق بن ابي الاحوص قال افتخر رجل عند عبد الله بن مسعود قال انا فلان بن فلان بن الاشياخ الكرام فقال عبد الله ذاك يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله .

(وروى) سفيان بن زيد بن اسلم عن عبيد الله بن عمير عن ابيه عن جده قال قال موسى عليه السلام يا رب يقولون يا اله ابراهيم واسحق ويعقوب فلم قالوا ذلك فقال ان ابراهيم لم يعدل بى شيئاً قط الا اختارنى عليه وان اسحق جاذلى بالذبح فهو بغير ذلك اجود ان يعقوب كلما زدته بلاء زادنى حسن الظن

وروى حمزة بن الزيات عن ابي اسحق عن ابي ميسرة قال قال يوسف عليه السلام لملك مصر اترغب ان تاكل معى وانا والله يوسف بن يعقوب نبي الله بن اسحق بن ابراهيم خليل الله وقال الآخرون هو اسمعيل ولى هذا القول ذهب عبد الله بن عمرو و أبو الطفيل عامر بن وائله وسعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد وكان الشعبي يقول رأيت قرنى الكباش منوطين بالسكبة .

(وروى) محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظى انه كان يقول ان الذى أمر الله تعالى ابراهيم بذبحه من ابنه اسمعيل وانا لنجد ذلك فى كتاب الله تعالى فى قصة الحق عن ابراهيم عليه السلام وما أمر به من ذبح ابنه انه اسمعيل وذلك ان الله عز وجل يقول حين فرغ من قصة المذبح من ابنى ابراهيم وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين وقال تعالى (فبشرناه باسحاق ومن وراء اسحق

يعقوب) يقول يا ابن وا بن ابن فلم يكن يأمره بذبح إسحق وله فيه من الله تعالى من الموعود ما وعده وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل .

وأما الرواة التي روت عنه صلى الله عليه وسلم أن الذبيح إسماعيل فروى عمر بن عبد الرحمن الخطابى بإسناده عن الصحابى قال كنا عند معاوية بن أبى سفيان فذكروا أن الذبيح إسماعيل أو إسحق فقال على الخبر سقطتم كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فقال يا رسول الله أعد على ما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل يا أمير المؤمنين ومن الذبيحين فقال إن عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لربه إن سهل عليه أمرها ليذبحن أحد ولده قال فخرج السهم عبد الله فنهته أخواله وقالوا له اهد ولدك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل والثانى إسماعيل فهذا ما ورد من الاخبار وفي القرآن ما يدل على صحة كل واحد من القولين فاما الدليل على أنه إسحق فهو أن الله تعالى أخبر إبراهيم عليه السلام حين فارق قومه مهاجراً إلى الشام مع سارة ولوط وقال لى ذاهب إلى ربى سيهدين أنه دعاء فقال ربى هب لى من الصالحين يعنى ولدأ صالحاً من الصالحين وذلك قبل أن يعرف هاجر وقبل أن تصير له أم إسماعيل ثم أتبع ذلك الخبر عن إجابة دعوته وتبشيره إياه بغلام حلیم وعن روى إبراهيم أن يذبح ذلك الغلام الذى بشر به حين بلغ معه السعى وليس فى القرآن أنه بشر بولد ذكر إلا بإسحق .

وأما الدليل على أنه إسماعيل فما ذكرناه من حديث القرنين وقد صح الخبر أن قرنى السككش كانا معلقين بالسكعبة إلى أن احترق البيت فاحترق القرنان فى أيام ابن الزبير والججاج وهذا ادل دليل على أن الذبيح إسماعيل ، وأما قصة الذبيح وصفته وفعل إبراهيم بإبنه عليهما السلام .

قال السدى بإسناده لما فارق إبراهيم الخليل عليه السلام قومه مهاجراً إلى الشام هارباً بدينه كما قال تعالى (لى ذاهب إلى ربى سيهدين) دعاء الله أن يهب له ابناً صالحاً من سارة (رب هب لى من الصالحين) فلما نزل به أضيافه من الملائكة المرسلين إلى الموتفكة بشروه بغلام حلیم فقال إبراهيم لما بشر به هو إذاً لله ذبيح

فلما ولد الغلام وبلغ معه السعي قيل له أوف بنذرك الذي نذرت قرباناً إلى الله تعالى وكان هذا هو السبب في أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام بذبح لابنه فقال إبراهيم عند ذلك لابنه إسماعيل تقرب قرباناً إلى الله تعالى وأخذ سكيناً وحبلاً ثم انطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا أبت أين قربانك فقال (يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر - ستجدني إن شاء الله من الصابرين) .

قال ابن إسحاق كان إبراهيم إذا زار هاجر وإسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقبل بمكة ويرجع من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى إذا بلغ إسماعيل معه السعي وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يامل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرمانه رأى في المنام أن يذبحه فلما رأى ذلك قال لابنه يا بني خذ هذا الحبل والمدية ثم انطلق إلى هذا الشعب لتحتطب فلما خلا إبراهيم بابته في شعب ثبير أخبره بما تأمر به وقال (يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك) الآية فقال له ابنه الذي أراد أن يذبحه يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينضح عليهما دمي فينقص أجرى وتراه أمي فتحزن وأشحن شفرتك وأسرع بمسكين على حلقى ليكون أهون للموت على فإن الموت شديد فإذا أتيت أمي فاقرأها مني السلام فإن رأيت أن ترد قهي فافعل فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني .

فقال إبراهيم نعم العون يا بني أنت على ما أمر الله به ففعل إبراهيم ما أمره لابنه ثم أنه أقبل عليه يقبله وهو يبكي الابن يبكي حتى استنبح الدموع تحت خده ثم أنه أوضع المسكين على حلقه فلم يجزع ولم تعمل المسكين شيئاً .

قال السدي وضرب الله صحيفة من نحاس على حلقه فقال عند ذلك الابن يا أبت كبتني على وجهي فإنك إن تنظر إلى وجهي رحمتني وأدركتك على رقة تحول بينك وبين أمر الله ففعل إبراهيم ذلك فذلك قوله تعالى (فلما أسلما وتلاه للجبين) ثم إنه وضع المسكين على قفاه فانقلب ونودي (يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) الآية هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه فنظر إبراهيم عليه السلام فإذا هو

بجبريل عليه السلام ومعه كبش أعين أملح أقرن فكبر الكبش وكبر إبراهيم
وكبر إبنه فذلك قوله تعالى (وفديناه بذبح عظيم) .

قال سعيد بن جبير وغيره وعن ابن عباس خرج عليه الكبش من الجنة قدره
فيها أربعين خريفاً وروى عنهما أيضاً أن الكبش الذي فدى به عن إبراهيم عليهما
السلام هو الكبش الذي قرب به هايل بن آدم فتقبل منه فارسل إبراهيم وأخذ
الكبش وأتى به المنحر من منى فذبحه فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان أول
الإسلام وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميازيب الكعبة قد وحش يعني يمس .
وروى عمرو بن عبيد عن الحسن بن أبيه أنه كان يقول ما فدى إسماعيل
إلا بكبش من الأروى أهبط عليه بثبير وهي رواية أبي صالح عن ابن عباس
قال كان وعلا .

(ووى) أبو هريرة عن كعب الأحبار وابن إسحق عن رجال قالوا لما
رأى إبراهيم في المنام أن يذبح إبنه قال الشيطان والله لئن لم أفن أنا آل إبراهيم
وإلا لم أفن أحداً منهم أبداً فمثل لهم الشيطان رجلاً فأتى أم الغلام فقال لها
أترين أين ذهب إبراهيم يا بئس قالت ذهب به ليحتطب من هذا الشعب فقال
لا والله ما ذهب به إلا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به منى وأشد حياء من ذلك
فقال لها إنه يرعم أن الله أمره بذلك فقالت له إن كان أمره بذلك فقد أحسن
في امتثال طاعة ربه وفي امتسلامه لأمر الله تعالى فخرج الشيطان من عندها هارباً
حتى أدرك الإبن وهو يمشى على أثر أبيه فقال له يا غلام هل يدري أين يذهب
بك أبوك قال يحتطب لأهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد إلا ذبحك قال
ولم ؟ قال يزعم أن الله أمره بذلك قال فليفعل ما أمره الله به فسمعاً وطاعة لأمر
الله تعالى فلما امتنع منه الغلام أقبل على إبراهيم فقال أين تريد أيها الشيخ ؟ قال
أريد هذا الشعب لحاجة لي فقال والله لئن أرى الشيطان قد جاءك في منامك يأمرك
بذبح إبنك هذا فمرفه إبراهيم فقال له اليك عنى يا ملعون فوالله لأمضين لأمر
ربى فرجع ابليس لعنه الله بغيظ لم يصب من إبراهيم وأهله شيئاً بما أراد وقد
امتنعوا منه بمون الله وتأييده .

وروى أبو الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما أن إبراهيم عليه السلام لما
أمر بذلك عرض له ابليس عند المشعر الحرام فأسبغه فسبغه إبراهيم عليه السلام
ثم ذهب إلى جرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم
عرض له عند الجرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجرة
الكرى فرماه بسبع حصيات ثم مضى إلى إبراهيم عليه السلام لأمر الله تعالى
فهذه قصة الذبح وقال أمية بن الصلت الثقفى في ذلك شعراً :

ولا إبراهيم المـوفى بنذر	احتساباً وحامد الأجزاء
يكره لم يكن ليصبر عنه	لو رآه في مشعر اقتال
أى بنى انى نذرتك لله شحيطاً	فاصبر فاذلك حالى
واشدد العصد حين جهدى للسكين	جبذ الأسير الأغلالات
له مديّة تخايل فى اللحم	غلاماً جبينه كالللال
بينما يخاع السراويل عنه	فكفه ربه بكبش حلال
تخذ ذا فدا لإبنك انى	للذى فعلتما غير قالى
ربما تجزع النفوس من الأمر	له فرجة ككل العقال

(الباب السابع فى هلاك النمرود بن كنعان وما أحل الله تعالى به)
(من ندمته وقصة الصرح)

قال الله تعالى (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم
السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) .

(زوت الرواة) باسانيد مختلفة أن أول جبار كان فى الأرض النمرود بن كنعان
وكان الناس يخرجون إليه ويمتارون من عنده الطعام فخرج إليه إبراهيم يمتار مع
من يمتار وكان النمرود إذا مر به الناس قال لهم من ربكم ؟ قالوا أنت حتى مر إبراهيم
قال من ربك قال ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله
يأتى بالشمس من المشرق فأتى بها من المغرب فبهت الذى كفر ورد إبراهيم بفهم

طعام فرجع إبراهيم إلى أهله فر بكشيب أغفر فقال لاخذن من هذا فتأتي به أهلي
فتطيب به قلوبهم حين أن أدخل عليهم فأخذ إبراهيم منه فتأتي به إلى أهله فوضع
متاعه ثم نام فقامت امرأته إلى متاعه ففتحتة فإذا هو بأجود دقيق وأتته فأخذته
وصنعت منه طعاماً فلما أفاق قدّمته إليه وكان عهد أهله أن ليس معهم شيء ولا عندهم
طعام فقال لهم من أين هذا فقالت من الطعام الذي جئت به فعلم إبراهيم أن الله
رزقه فحمد الله وشكره .

ثم إن النمرود الجبار لما حاجه إبراهيم عليه السلام في ربه قال إن كان ما يقول
إبراهيم حقاً فلا انتهى حتى أعلم من في السماء فبنى صرحاً عظيماً عالياً ببابل وقال
مقاتل وكعب كان طوله فرسخين ثم عمد إلى أربعة أفراخ من النسور فعلقها باللحم
والخبز ورباها حتى شبت واستفحلت ثم قعد في تابوت ومعه غلام وقد حمل قوسه
ونشابه وجعل لذلك التابوت باباً من أعلاه وباباً من أسفله ثم ربط التابوت بأرجل
النسور وعلق اللحم على عصا فوق التابوت ثم دخل على النسور فطارت وصعدت
طمعاً في اللحم حتى أبعثت في الهواء فقال النمرود لفتاه افتح الباب الأعلى وانظر
إلى السماء هل قربنا منها ففتح الباب الأعلى ونظر فإذا السماء على هيئتها ثم قال
افتح الباب الأسفل فالظر إلى الأرض كيف يراها ففتح فقال أي الأرض مثل
الحبة البيضاء والجبال كالدخان وطارت النسور وارتفعت حتى حالت الريح بينها
وبين الطيران فقال لعلامه افتح الباب الأعلى وإذا السماء كهيئتها وفتح الباب
الأسفل فإذا الأرض سوداء مظلمة ونودي أيها الطاغى أين تريد .

قال عكرمة فأمر عند ذلك غلامه قزعي بسهم فعاد إليه السهم متلظخاً بالدم فقال
كفيت شغل إله السماء واختلّفوا في ذلك السهم من أي شيء تلظخ فقال عكرمة من
سكة بحر معلق في الهواء بين السماء والأرض قربت نفسها لله تعالى وقال بعضهم
أصاب السهم طائر من الطير فتلظخ من دمه ثم أمر النمرود غلامه أن يصوب العصا
وينكس اللحم ففعل ذلك فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال حفيف التابوت

والذي سور قفزات وظننت أنه أمر حدث في السماء وأن الساعة قد قامت فذلك قوله تعالى (وقد مكروا مكروهم وعند الله مكروهم وإن كان مكروهم لزول منه الجبال) ثم إن الله تعالى أرسل ريحاً على صرح النمرود فألقت رأسه في البحر فخر عليهم الباقي وانقلبت بيوتهم وأخذت النمرود وعدة وتبلبلت ألسن الناس حين سقط صرح النمرود من الفزع فتكلموا بثلاث وسبعين لساناً فلذلك سميت بابل لتبلبل الألسنة فيها فلذلك قوله تعالى (فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) وذلك أن الله تعالى بعث إلى النمرود ملكاً أن آمن حتى أتركك على مالك قال فهل رب غيري فجاءه الثانية والثالثة فأبى عليه فقال له الملك اجمع جموعك إلى ثلاثة أيام فجمع جموعه وجنوده فأمر الله تعالى أن يفتح عليه باباً من البعوض ففعل فظلمت الشمس ذلك اليوم فلم يروها من كثرة البعوض فبعثها الله تعالى على النمرود وقومه فأكلت لحومهم وشربت دماهم فلم يبق منهم إلا العظام والنمرود كما هو لم يصبه شيء من ذلك فبعث الله إليه بعوضة فدخلت في منخره حتى وصلت إلى دماغه فحكك أربع مائة سنة تضرب رأسه بالمطارق فأرحم الناس به من جمع يديه ثم يضرب بهما رأسه وكان جباراً أربع مائة سنة فعذب به الله أربع مائة سنة كدة ملكة ثم إن البعوضة أكلت دماغه وأهلكه الله سبحانه وتعالى وخذله .

(الباب الثامن في ذكر وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة أزواج إبراهيم وولده)

قال الله تعالى (أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته) الآية قال أهل العلم بأخبار الماضين ماتت سارة وهي ابنة مائة وسبع وعشرين سنة بالشام بقرية الجبارة من أرض كنعان في جبرون في مزرعة اشترها إبراهيم عليه السلام ودفنت بها وكانت هاجر ماتت قبل سارة بمكة فدفنت في الحجر فلما ماتت سارة تزوج إبراهيم بامرأة من بعدها من الكنعانيين يقال لها قورا ابنة يقظان فولدت له ستة نفر يقشان وزهران ومدان ومدين وأشبقي وشوخ وتزوج أيضاً بامرأة أخرى من العرب اسمها حججون بنت أهيب فولدت له خمسة بنين كيسان وفروح وإهيم ولوطا ونافس فكان

جميع بني إبراهيم مع إسحق وإسماعيل ثلاثة عشر وكان إسماعيل بكره وأكبر أولاده فأبركه
إسماعيل بأرض الحجاز وإسحق بأرض الشام وفرق سائر زولده في البلاد فقالوا لإبراهيم
يا أبانا انزلنا معك وإسماعيل بقربك وأمرتنا أن ننزل بأرض الغربية والوحشة
قال بذلك أمرت ثم علمهم أسماء الله تعالى فكانوا يستسقون منه ويستنصرون .

(الباب التاسع في ذكر وفاة إبراهيم عليه السلام)

قال أهل التاريخ والسير لما أراد الله تعالى قبض روح إبراهيم عليه السلام
أرسل إليه ملك الموت في صورة شيخ هرم قال السدي بإسناده وكان إبراهيم كثير
الإطعام يطعم الناس ويصيفهم فبينما هو يطعم الناس إذ هو بشيخ كبير يمشي في
الجادة فبعث إليه بحمار فركبه فلما أتاه قدم إليه الطعام فجعل الشيخ يأخذ اللقمة
ويريد أن يدخلها فاه فيدخلها في عينه مرة وفي أذنه مرة ثم إذا أدخلها في فيه حصلت
في جوفه خر جت من دبرة وكان إبراهيم قد سأل ربه أن لا يقبض روحه حتى يكون
هو الذي يسأله الموت فقال للشيخ حين رأى حاله ما بالك يا شيخ تصنع هكذا فقال
يا إبراهيم من السكر قال ابن كم أنت قال كيت وكيت فحسب إبراهيم فوجد عمره
يزيد على عمر إبراهيم بسنتين فقال له إبراهيم بيني وبينك سنتان فإذا بلغت عمرك
صرت مثلك قال نعم فقال إبراهيم اللهم اقبضني قبل ذلك فقام الشيخ فقبض نفسه
وكان الشيخ ملك الموت وكان عمر إبراهيم مائتي سنة وقيل مائة وخمسة وتسعون
سنة ودفن عند قبر سارة عند مزرعة جبرون .

(الباب العاشر في ذكر خضائض إبراهيم عليه السلام)

هو إبراهيم خليل الرحمن قال الله تعالى (واتخذ إبراهيم خليلاً) وهو سيد الفتيان
روى في الحديث أنه قيل للنبي ﷺ يا سيد البشر . قال ذلك إبراهيم وهو
أبو الضيفان وكان لا يتغذى ولا يتعمق إلا مع ضيف وربما مشى ميلين أو أكثر
حتى يجد ضيفاً .

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ (بعثت على ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل وهو المجهول على لسان الصدق في الآخرين فليس من نبي تجرى السنة الخلق كماهم بتصديقه وتفضيله وتبجيله كل أمة غيره وذلك بدعائه عليه السلام (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) وهو المبتلى بأنواع البلاء والمشهود له بالوفاء قال الله تعالى (وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن) وقال (وإبراهيم الذي وفى) بما أمر به وهو الأمة القانت قال الله تعالى (إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين) إلى آخر الآية ومعنى الأمة أنه كان معلماً للخير وقد اجتمع فيه من خلال الخير وأنواع الفضل ما يجمع في أمة كما قال الشاعر :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وهو الذى أوتى رشدة من قبل بلوغه وهو إمام الموحدين وجعل له لسان الحجية في التوحيد فدعا الخلق إلى الحق بلسان الحجية من صغره إلى كبره قال تعالى (وتلك حججتنا آتينها إبراهيم) الآية وأول من سماه الله حنيفاً مسلماً قال تعالى (ولما كان حنيفاً مسلماً) وبرأه من دعاوى اليهود والنصارى وشهد له بالإسلام والإخلاص فقال (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً) الآية وهو أول من اختن

قال أبو منصور الخنشارى حدثنا أبو العباس العقلى أخبرنا عبد الحكيم أخبرنا ابن وهب أخبرنا يحيى بن نصر قال قرأ على ابن وهب أخبرنا عن محمد بن المسكندر عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضى الله عنه إنه قال اختن إبراهيم عليه السلام بالقدوم وهو ابن مائة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة وأخبر الحسين بن محمد بن فتحويه أخبرنا محمد بن محمد بن جعفر أخبرنا الحسن بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا إسحاق بن بشر عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال إن إبراهيم أول من أضاف الضيف وأول من ثرد الثريد وأول من لبس النملين

وأول من قسم الفء وأول من قاتل بالسيف وأول من اختتن واختتن على رأس
مائة وعشرين سنة من ميلاده ختن نفسه في موضع يقال له القدوم بالقدوم وهو
الفاس وذلك أنه كان وقع بينه وبين العمالة وقعة عظيمة فقتل من الفريقين خلاق
عظيم فلم يعرف إبراهيم أصحابه ليدفنهم فجعل الختان علامة لأهل الإسلام فاختتن
يومئذ بالقدوم وهو أول من اتخذ السراويل .

أخبرنا الحسن الدينوري أخبرنا أحمد بن شداد بن عمر بن أحمد القطان أخبرنا
محمد بن إسماعيل بن حسان أخبرنا وكيع أخبرنا جرير بن حازم عن واصل مولى
ابن عيينة قال أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إنك أكرم أهل
الأرض على فإذا سجدت فلا تری الأرض عورتك فاتخذ السراويل وهو أول من
شاب فلما رآه هاله ذلك فقال يارب ما هذا قال لوقار فقال يارب زدني وقاراً
وهو أول من أقام المناسك وذلك بدعوته حيث قال (وأرنا مناسكنا وتب علينا)
فاستجيب له وهو أول من ضحى وهو الذي بوأ له مكان البيت وأراه ذلك بعد
دروسه حتى بناه قال الله تعالى (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت) الآية وهو أول
من ألقى في النار فجمعت النار عليه برداً وسلاماً وهو أول نبي أحيى الله له الموتى
بسؤاله حيث قال رب أرني كيف تحيي الموتى (وهو الذي يكسى حلة بيضاء يوم
القيامة ويوضع له منبر عن يسار عرش الرحمن قال عليه الصلاة والسلام) يحشر الناس
يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بهما وأول من يكسى إبراهيم خليل الرحمن) وهو
الكفيل لأطفال المسلمين والقائد لأهل الجنة وهو أول من فص شاربه وأول
من قلم أظفاره وأول من استنجد وأول من نتف الإبط وأول من أستاك وأول
من فرق شعره وأول من تمضمض وأول من استنشق وأول من استنجى بالماء
وأول من هاجر لله قال تعالى (فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي) وجعل مقامه
قبلة للناس قال الله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وجعله إماماً للناس
قال الله تعالى (إني جاعلك للناس إماماً) وقال تعالى (قد كان لكم أسوة حسنة في
إبراهيم) وأن محمداً خير الأنبياء وأمه خير الأمم بإتباع ملته قال الله تعالى (ثم أوحينا

إليك أن انبع ملة إبراهيم حنيفاً) وقال (قل بل ملة إبراهيم حنيفاً) وسماه سليمان منيباً أو اها قال تعالى (إن إبراهيم لحليم أواه منيب) الحليم السيد الذي يملك نفسه عند الغضب والأواه الذي يكثر التأوه عند ذكر الذنوب والمنيب المقبل بقلبه إلى ربه فهذه ستة وأربعون خصلة من خصاله التي أكرمها الله بها .

(روى) أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم يا إبراهيم إنك لما سلمت مالك إلى الضيفان وابنتك إلى القربان ونفسك إلى النيران وقلبك إلى الرحمن اتخذناك خليلاً .

(وروى) أبو إدريس الخولاني عن أبي ذر الغفاري قال قلت يا رسول الله كم كتاباً أنزل الله تعالى مائة صحيفة وأربعة كتب أنزل الله على آدم عشر صحائف وهي شيث خمسين صحيفة وعلى إدريس ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان قال فتلت يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم قال كانت أمثالا كلها أيها الملك المبتلى المساط المغرور إن لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولسكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردّها ولو كانت من كافر وكان فيها أمثال على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يحاسب فيها نفسه على ما قدم وأخر وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال والحرام في المطعم والمشرب وغيرهما وعلى العاقل أن لا يكون طاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاده ومؤنة لمعاشه ولذة في غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه ومن علم أن كلامه شر من عمله قل كلامه فيما لا يرضيه والله عن محذور يخفيه .

(بحاس في ذكر بعض أخبار إسماعيل وأسحق ابني إبراهيم عليهما السلام)

وقد ذكرنا سير إبراهيم الخليل بإنته إسماعيل وهاجر إلى مكة وإسكانه إياهما بها ولما كبر إسماعيل وبلغ النكاح تزوج امرأة من بجرهم فكان من أمرها ما قدمنا

ذكره ثم طلقا بأمر أبيه ثم تزوج امرأة أخرى يقال لها السيدة بنت مضا بن عمرو الجرهمي وهي التي قال لها إبراهيم حين قدم مكة إذا جاء زوجك فاقرنيه مني السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فولدت السيدة لإسماعيل اثني عشر رجلا نابتا وقيدار وأدبيل وبسام ومسمع وذومسا وحرا وفما ونطور فافس وقيدما ومن نابت وقيدار ابني إسماعيل نشر الله تعالى العرب ثم نبأ الله تعالى إسماعيل فبعثه إلى العماليق وقبائل اليمن فلما حضرت إسماعيل الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق أن يزوج بنته من عيص بن إسحاق وعاش إسماعيل مائة وسبعة وثلاثين سنة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر .

(وروى) عمر بن عبد العزيز أنه قال شكوا إسماعيل إلى ربه تعالى حر مكة فأوحى الله تعالى إليه أني فاتح لك باباً من الجنة يجرى عليك روحها إلى يوم القيامة وفي ذلك المكان دفن وأما حديث إسحاق عليه السلام فإنه نسكح رفقة بنت بتويل فولدت له عيصا ويعقوب بعد ماضى من عمره ستون سنة ولهما قصة عجيبة على ما ذكره السدي قال حملت رفقة في بطن واحد بغلامين وكان يعقوب أكبرهما في البطن ولكن عيصاً خرج قبله فلما كبر الغلامان وكان عيص أحبهما إلى أبيه ويعقوب أحبها إلى أمه وكان صاحب صيد فلما كبر إسحاق وعمى قال لعيص يا بني اطعمني لحم صيد واقرب مني أدعوك بدعاء دعاني به أبي وكان عيص رجلاً أشهر ويعقوب رجلاً أجرد فخرج عيص يطلب الصيد .

فسمعت أمه الكلام فقالت ليعقوب يا بني اذهب إلى الغنم فاذبح منها شاة واشوها واليس جلدها ثم قدمها إلى أبيك وقل له انا ابنك عيص ففعل ذلك واتى إلى أبيه وقال يا أبتاه كل فقال من أنت قال انا عيص فمسه وقال المس مس عيص والزيج ريح يعقوب فقالت له امرأته هو ابنك عيص فادع له فقال قدم طعامك فقدمه فأكل منه ثم قال أدن مني فدنا منه فدعا له أن يجعل في ذريته الأنبياء والملوك ثم قام يعقوب من عنده وجاء عيص بعده فقال يا أبت قد جئت بك بالصيد الذي أردته

فقال يا بني قد سبقك أخوك يعقوب فغضب عيص وقال والله لا يقتله فقال يا بني قد بقيت لك دعوة فإعلم أذع لك بها فتقدم إليه فدعا له فقال أن تكون ذريتك عدد التراب ولا يملكهم أحد غيرهم ثم إن أم يعقوب قالت ليعقوب الحق بخالك فيمكن عنده خشية عليه أن يقتله عيص فانطلق يعقوب إلى خاله كان يسير في الليل ويمكن بالليل فلذلك سماه إسرائيل وهو أول من سرى بالليل فأتى يعقوب إلى خاله وكان إسحق أمره أن لا ينسكح امرأة من الكنعانيين وأمره أن ينسكح امرأة من بنات خاله لبان بن ناهر وأن يعقوب لما مكث عند خاله فخطب لابنته راحيل وكان له ابنتان ليا وهي الكبرى وراحيل وهي الصغرى فقال له هل لك من مال فأزوجك عليه فقال لا لكن أخدمك اجيراً حتى تستوفي صداق ابنتك فقال له أن صداقها أن تخدمني سبع حجج فقال يعقوب تزوجني راحيل لأنها أصغر ولاجلها أخدمك فقال له خاله ذلك بيني وبينك فرعى له يعقوب سبع سنين فلما وفي له شرطه دفع له ابنته الكبرى ليا وأدخلها عليه ليلاً فلما أصبح وجد غير ما شرط فجاء يعقوب وهو في ناد من قومه فقال له غررتني وخذعتني واستحللت عمل سبع سنين ودأست على غير امرأتى فقال له خاله يا ابن أختي أردت أن لا يدخل علي في ذلك العار وألبسه وأنا خالك ووالدك متى رأيت الناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى فهلم فأخذ سبع سنين أخرى حتى أزوجك الأخرى .

وكان الناس يومئذ يجمعون بين الأختين إلى أن بعث موسى وأنزل التوراة فرعى له يعقوب سبع سنين أخرى فدفع إليه راحيل فولدت له ليا أربعة أسباط روبيل وكان أكبرهم يهوذا وشمعون ولاوى وولدت له راحيل يوسف وبنيامين وهو بالعربية شداد وإنما سمي بنيامين لأن أمه راحيل ماتت في نفاسها وبنيامين بالعربية الشكل وكان لبان دفع إلى ابنتيه حين جهزهما إلى يعقوب أمتين ويقال لإحداهما زلفى والأخرى بلهة فوطىء الأمتين يعقوب فولدت كل واحد منها ثلاثة أسباط فولدت زلفة ليعقوب دان ونفتال وروبالون وولدت له بلهة جاد وبشر وأشر فكان ليعقوب اثنا عشر رجلاً إثنان من راحيل وأربعة من ليا

(م ٨ - قصص الأنبياء)

وثلاثة من زلفة وثلاثة من بلهة وهم الذين سماهم الله تعالى الاسباط وسماوا بذلك لان كل واحد منهم ولد قبيلة .

والسبط في كلام العرب الشجرة الملتفة الكثيرة الاغصان والاسباط من بني اسرائيل كالشعوب من العجم والقبائل من العرب ثم ان يعقوب فارق خاله لسان وانصرف بولده وامراتيه وجاريته المذكورات إلى منزل أبيه من فلسطين على تخوف شديد من أخيه عيص فلم ير منه إلا خيراً فنزل أخاه وتآلفه وتلطفه حتى ترك البلاد ونقل في الشام وصار إلى السواحل ثم عبر إلى الروم فاستوطنها فصار ذلك له ولولده من بعده .

وقال ابن إسحق تزوج عيص ابن إسحق بنت عمه نسيبه بنت إسماعيل بن إبراهيم فولدت له الزوم بن عيص فكل بني الأصفر من ولده وكان عيص فيما يذكر يسمى آدم لأمته ولذلك سمي ولده بني الأصفر قالوا وعاش إسحاق بعد ما ولد له عيص ويعقوب مائة سنة وتوفي وله مائة وسبعون سنة ودفنه ابناؤه عند قبر ابنه إبراهيم عليه السلام في مزرعة جبرون والله أعلم .

(مجلس في قصة لوط عليه السلام)

وهو لوط بن هاران بن نارح بن أخى إبراهيم عليه السلام وإنما سمي لوطاً لأن حبه لاط بقاب إبراهيم عليه السلام أى تعلق به ولصق ، ومنه حديث أبي بكر رضي الله عنه حين ذكر عمر اللهم اغفر لولا ذلك لوط أى ألصق بالقلب ، وكان إبراهيم يحبه حباً شديداً ، وكان من أمر لوط فيما ذكر أهل العلم بأخبار الأنبياء . وذكر وهب في المبتدأ له أنه شخص من أرض بابل مع عمه إبراهيم مؤمناً به متبعاً له على دينه مهاجراً معه إلى الشام ومعهما سارة بنت ناحور وشخص معه نارح أبو إبراهيم مخالفاً لإبراهيم في دينه ، ومقماً على كفره إلى ان وصلوا إلى حران ومكثوا بها فمات نارح وهو آزر أبو إبراهيم بحران على كفره وشخص إبراهيم ولوط وسارة إلى الشام ثم مضوا إلى مصر فوجدوا بها فرعون من فراعينها يقال له سنان بن عاران بن عبيد بن عوج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه

الصلاة والسلام فرجعوا عوداً إلى أرض الشام فنزل إبراهيم فلسطين وانزل لوطاً
الأردن فبعثه الله تعالى إلى أرض سدوم وما يليها وكانوا أهل كفر بالله وركوب
فواحش كما أخبر الله عنهم بقوله تعالى (أنأتون الفاحشة ما سبقكم منها من أحد
من العالمين إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون) .

قال عمرو بن دينار ما كان يرى ذكر علي ذكر حتى كان قوم لوط وقال تعالى
إنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر) فكان قطعهم
السبيل فيما ذكر أهل التأويل أن إتيانهم الفاحشة مع من ورد بلادهم وإتيانهم
المنكر في ناديهم قال المفسرون هو أنهم كانوا يجلسون في مجالسهم على الطريق
فيحذفون من مر بهم ؛ ويتضارطون في مجالسهم وينسكح بعضهم بعضاً في الطريق
وقال مجاهد كانوا يجامعون الرجال في مجالسهم على الطريق .

وروى أبو صالح عن أم هاني قالت : سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية
فقال : كانوا يجلسون على الطريق فيحذفون من مر بهم ويستخرون به وهو
المنكر الذي كانوا يأتونه وكان لوط ينمأهم عن ذلك ويدعوهم إلى عبادة الله تعالى
ويتوعدهم على إصرارهم على ما هم عليه ويأمرهم بالتوبة منهم ويخوفهم من العذاب
بالإلزام فلا يجرهم عن ذلك وعده ولا يزيدهم وعظه إلا تمادياً وعتواً واستعجالاً
بعذاب الله تعالى وإنكاراً وتكذيباً ويقولون له (ائتنا بعذاب إن كنت من
الصادقين) حتى سأل لوط ربه أن ينصره عليهم فقال (رب انصرني على القوم
المفسدين) فأجاب الله دعاه وبعث جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام
لإهلاكهم وبشارة إبراهيم عليه السلام بالولد فاقبلوا مشاة في صورة رجال مره
حسان حتى نزلوا على إبراهيم عليه السلام فتضيفوه وبشروه بإسحق وقد مضت
القصة فلما فرغوا من ذلك وأخبروا إبراهيم أن الله تعالى بعثهم لإهلاك قوم لوط
فأظفرهم إبراهيم وحاجهم في ذلك كما قال الله تعالى (فلما ذهب عن إبراهيم الروع
وجاءته البشري يجادلنا في قوم لوط) .

وكان جداه إياهم على ما ذكر ابن عباس وغيره أنهم لما قالوا له إنا مهلكوا
أهل هذه القرية ؛ قال لهم أتهلكون قرية فيها أربع مائة مؤمن قالوا : لا قال :
أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن ؟ قالوا : لا ؛ قال أفتهلكون قرية فيها أربعون
مؤمناً ؟ قالوا : لا ؛ قال أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمناً ؟ قالوا : لا ؛
وكان إبراهيم يهدم أربعة عشر بامرأة لوط فسكت عنهم واطمأنت نفسه .

وروى سعيد عن ابن عباس قال : قال الملك لإبراهيم إن كان فيهم خمسة
يصلون رفع عنهم العذاب فلما عرف إبراهيم حال قوم لوط ، قال للرسول : إن فيها
لوطاً ، قالها إشفاقاً منه عليه ، فقالت له الرسول : (نحن أعلم بمن فيها لننجينهم
وأهلهم إلا امرأته) .

ثم مضت رسل الله تعالى نحو سدوم فلما انتهوا إليها لقوا لوطاً في أرض له
يعمل فيها قتاده راوياً عن حذيفة أن الله تعالى قال للملائكة ، لا تهلكوهم حتى
يشهد عليهم لوط أربع شهادات فأتوه ، فقالوا إنا متضيفوك الليلة فانطلق بهم
فلما مشى ساعة التفت وقال : أما بلغكم أمر هذه القرية ؟ قالوا وما أمرها ؟
قال أشهد بالله إنها أشرف قرية في الأرض ، وما أعلم على وجه الأرض أنا أنخبث
منهم قال ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله وعلم لوط أنه سيحتاج إلى المدافعة
عن أضيافه ونخاف عليهم من قومه فذلك قوله تعالى (وجاءت رسالتنا لوطاً سوء
بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب) أي شديد

قال السدي بإسناده : لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط ،
فاتواها نصف النهار فلما بلغوا سدوم لقوا بنت لوط تسقى الماء لأهلها وكان
له ابنتان اسم الكبرى ريثا والآخرى عيثا فقالوا لها يا جارية على من تنزل ؟
قالت نعم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم ففرغت عليهم من قومها ثم أتت أباهما
فقالت يا أبته أدرك فتياناً على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم فطأ أحسن منهم
لئلا يأخذهم قومك فيفضحوك ، وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجالاً وقالوا له

خلى عنك فلنضيف الرجال فلذلك قوله تعالى (أو لم ننمك عن العالمين) فجاء بهم لوط إلى منزله ما يعلم بهم أحد إلا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومها بذلك وقالت : إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثلهم حسناً قط .

قال أبو حمزة الثمالي : بلغنا أن العلم الذي كان بين امرأة لوط وقومه إذا اتهم الضيفان يقول رسوطا هيموا لنا ملها تدعوهم بذلك إلى الفاحشة بأضياف لوط فبلغنا أن الله تعالى مسخها ملها قالوا فلما أخبرت امرأة لوط قومها بأضياف زوجها جاء قومه يهرعون إليه أي يسرعون ويهرولون فلما أتوه قال لهم لوط : (يا قوم اتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد) وقال لهم (هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) قالوا (أو لم ننمك عن العالمين) أن تضيف الرجال وقالوا (لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وأنتك لتعلم ما نريد) فلما لم يقبلوا منه من عرض عليهم قال (لو أن لي بكم قوة آوى إلى ركن شديد) قالوا فما بعث الله نبياً بعده إلا في شرف من قومه منعه من عشيرته ، وقال عليه السلام لما قرأ هذه الآية رحم الله أخى لوطاً لقد كان يأوى إلى ركن شديد .

قال ابن عباس وغيره وغلق بابه والملائكة معه في الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم يألهون تسور الدار فلما رأت الملائكة مالقى لوط من السكر والنصب والتعب بسببهم قالوا له (يا لوط إن ركنك أشد من آتيتهم عذاب غير مردود ، إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فاسر بأهلك بقطع من الليل) الآية ثم قالوا له افتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحيه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبيك مثل المرجان كأنه الثلج بياضاً وقدماه إلى الخضر فضرب بجناحيه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فذلك قوله تعالى (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم) الآية فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم ثم انصرفوا وهم يقولون النجاة النجاة إن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض

وقالوا للوط أجتئنا بقوم سحرة سحرنا كن كما كنت حتى تصبح يتوعدونه فلما علم
لوط أن أضيافه رسل ربهم وأنهم أرسلوا بهلاك قومه قال لهم أهلكوهم الساعة ،
فقال له جبريل (إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) ثم أمره أن يسرى
بأهله يقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحد إلا امرأته فلما كان السحر خرج لوط
وأهل بيته ومعه امرأته فذ قوله تعالى (إلا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من
عندنا كذلك نجزي من شكر) .

فلما أصبحوا أدخل جبريل جناحه تحته أرضهم فاقتلع قرى قوم لوط الأربع
وكان في كل قرية مائة ألف فرفعهم على جناحه بين السماء والأرض حتى سمع أهل
سما الدنيا صياح ديوكهم ونباح كلابهم كفاها وقلبها فجعل عاليها سافلها كما قال
الله تعالى (فجعلنا عاليها سافلها) ثم أنبع شاردهم ومسافرهم بالحجارة فذلك قوله
تعالى (وأمطرنا عليهم حجارة من سجين منضودة مسومة عند ربك وما هي من
الظالمين يبعيد) أي ممن يفعل كفعالهم .

أخبرنا الحسين بن محمد بن فتحويه أخبرنا نخلد بن جعفر الباقري أخبرنا الحسين
ابن علوية أخبرنا اسماعيل بن عيسى أخبرنا إسحاق بن بشر أخبرنا جوبير ومقاتل
عن الضحاك عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال رسول
الله ﷺ إني لأسمع العواصف والقواصف من الرعد فأخشى أنها الحجارة التي
أعدت لقوم لوط أو من يفعل بفعالهم .

وأخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عقيل القطان أخبرنا أبو الفضل عبدوس
ابن الحسين بن منصور أخبرنا أبو حاتم الرازي أخبرنا أبو الثمان الحكيم بن نافع
الحصبي عن صفوان بن عمرو قال كنت عند عبد الملك بن مروان إلى أن أتى شعيب
قاضي حمص وكان رجلاً عالماً فسأله عن عقوبة اللوطي قال أن يرموه بالحجارة
كما رجم قوم لوط فإن الله تعالى قال (وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين)
وقال تعالى (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) فقبل عبد الملك ذلك منه واستحسنه
مقالوا وكان الرجل منهم يتحدث في قرية التي يكون فيها فيأتيه الحجو فيقتله قال

وسمعت امرأة لوط الهدية فالتفتت وقالت واقوماه فأدركها حجر فقتلها فذلك قوله تعالى (إلا امرأته كانت من الغابرين) أي الباقيات في العذاب .

أخبرنا الحسين محمد بن الحسين أخبرنا موسى بن محمد بن علي أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا إسماعيل بن عيسى قال أخبرنا المصيب قال سمعت أبا روق يقول : (إلا امرأته كانت من الغابرين) وكانت تسمى هلسفغ وقال غيره اسمها وائلة ، قالوا وكانت قري قوم لوط - خمساً سدوم وعمورة ودومة وساعورة فأما سدوم فهي القرية العظمى وكان في هذه القرية أربعة آلاف فاحتلمها جبريل على جناحه فقلبها فلذلك سميت بالمؤتفكات أي المتقلبات وأما القرية فإنها تسمى صفرة ونجت من العذاب لأن أهلها آمنوا بلوط .

وروى أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام « إن الله تعالى سماك بأسماء ففسرها لي » قال وصفك في قوله تعالى (ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين) فأخبرني عن قوتك : قال يا محمد رفعت قري قوم لوط من تخوم الأرض على جناحي في الهواء حتى سمعت ملائكة السماء الدنيا أصواتهم وأصوات الديكة ثم قلبتها ظهر آلبطن . قال فأخبرني عن قوله تعالى مطاوع ؟ قال أن رضوان خازن الجنان ومالك خازن النيران متى قلت لهما أو كلفتهما فتح أبواب الجنان أو النيران فتحاها ؛ قال فأخبرني عن قوله تعالى أمين ؟ قال إن الله تعالى أنزل من السماء مائة وأربعة كتب على أنبيائه لم يأت من عليها غيري .

أخبرنا عبد الله بن الحسين بن محمد الثقفي أخبرنا أبو عثمان بن أحمد بن سمعان البراري أخبرنا عبد الله بن قحطبة أخبرنا ياسر بن ثوبة أخبرنا محمد بن راموز أخبرنا أبو بكر بن عياش قال . سألت أبا جعفر أعذب الله النساء من قوم لوط بفعل رجالهم ؟ فقال ؛ الله تعالى أعدل من ذلك بل استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فوجب عليهم العذاب جميعاً .

أخبرنا ابن فتحويه أخبرنا مخلد بن جعفر أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا إسماعيل بن عيسى أخبرنا إسحق بن بشر حدثني مقاتل بن سليمان قال قلت لمجاهد يا أبا الحجاج هل بقي من قوم لوط - أحد ؟ قال لا إلا رجل بقي أربعين يوماً وكان

يحكمة فجاءه حجر ايصديه في الحرم فقام إليه ملائكة الحرم فقالوا للحجر ارجع
من حيث جئت فإن الرجل في حرم الله ; فوثب الحجر خارج الحرم أربعين يوماً
بين السماء والأرض حتى قضى الرجل حاجته ، فلما خرج أصابه الحجر فقتله عن
مقاتل عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال (ما عمل ذلك قوم لوط . إنما كانوا ثلاثين
رجلاً ونيفاً لا يبلغون الأربعون فأهلكهم الله جميعاً) وقال رسول الله ﷺ
(لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو لتعمنكم العقوبة جميعاً) .

(مجلس في قصة يوسف بن يعقوب وإخوته عليهم الصلاة والسلام)

قال الله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) الآية قال سعد بن أبي وقاص
نقلت الصحابة لرسول الله ﷺ لو حدثتنا ؛ قال فأنزل الله تعالى (الله نزل أحسن
الحديث كتاباً متشابهاً) الآية فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى
(نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن) الآية فدلهم الله
تعالى في هذه الآية على أحسن القصص ، فقال بعض أهل المعاني معنى الآية قصة حسنة
اللفظه لفظ المبالغة وحكمه حكم الصفة كقوله تعالى (وهو أهون عليه) قال الشاعر
إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائه أعز وأطول

إرادة عزيزة طويلة وأجراه الباقي على الظاهر فقالوا هي أحسن القصص
ثم اختلفوا في وجهها فروى مقاتل عن سعيد بن جبير قال اجتمع أصحاب رسول
الله ﷺ إلى سلمان الفارسي فقالوا يا سلمان حدثنا عن التوراة بأحسن ما فيها
فأنزل الله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) يعني أن قصص القرآن أحسن
عما في التوراة وقيل سمي الله هذه القصة أحسن القصص لأنها ليست قصة في القرآن
تتضمن من العبر والحكم والعجائب واللطائف ما تضمنت هذه القصة ولذلك قال
الله تعالى (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) وقال تعالى (لقد كان في
قصصهم عبرة لأولى الألباب) وقال تعالى (لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم)
وقيل لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن والإنس

والأنعام والظير وسير الملوك والمماليك والعلماء والتجار والعقلاء والجهلاء ، وحال الرجال والنساء ومكرهن وحيلهن وفيها أيضاً ذكر العفة والتوحيد، وعلم السير وتعبير الرؤيا وآداب السياسة والمعاشرة وتدبير المعاش فصارت أحسن القصص لما فيها من المعاني الجزيلة والفوائد الجليلة التي تصلح للدين والدنيا وتجمع خير الدنيا والعقبى .

أخبرنا أبو عبد الله الثقفى أخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان أخبرنا محمد بن محمد بن سليمان أخبرنا محمد بن حميد الرازى أخبرنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن روح بن القاسم قال : حدثني عمارة عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ : « مررت ليلة أسرى بي إلى السماء فرأيت يوسف فقلت يا جبريل من هذا ؟ فقال : هذا يوسف قالوا فكيف رأيته يا رسول الله ؟ قال - كالقمر ليلة البدر . »

وعن أبي اسحق بن عبد الله بن أبي فروة قال : كان يوسف إذا سار في أزقة مصر يرى تلالاً ووجهه على الجدران كما يرى نور الشمس والقمر على الجدران . قال كعب الأحبار . إن الله تعالى مثل لآدم ذريته بمنزلة الذر فأراه الأنبياء عليهم السلام نبياً نبياً وأراه في الطبقة السادسة يوسف متوجاً بتاج الوقار متزراً بحلة الشرف مرتدياً برداء الكرامة مقمصاً بقميص البهاء .

وكان يخبر بالامر الذي يروى في المنام أنه سيكون كذا وكذا من قبل أن يكون ذلك الامر عليه الله ذلك كما علم الاسماء كلها لآدم ، ويقال إنه ورث الحسن من جده اسحق بن ابراهيم وكان أحسن الناس واسحق هو الضاحك بالهبرانية وهو ورث الحسن عن أمه سارة فإن الله تعالى صورها على صورة الخور العين ولكن لم يعطها صفاء هن وأعطى يوسف من الحسن والجمال وصفاء اللون ونقاء البشرة . ما لم يعطه أحداً من العالمين .

وقال وهب : الحسن عشرة أجزاء ، ليوسف تسعة وواحد بين سائر الناس .

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي عليه السلام قال (هبط جبريل عليه السلام

فقال يا محمد إن الله تعالى يقول لك كسوت حسن يوسف من نور الكرسي
وكسوت وجهك من نور عرشي .

وقيل لبعض الحكماء أيوسف أحسن أم محمد ؟ فقال كان يوسف من أحسن
الناس ومحمد صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ويدل عليه حديث جابر بن عبد الله قال - نظرت
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء ونظرت إلى القمر ليلة البدر فهو أحسن في
عينى من القمر .

(القول فى القصة)

قال أهل العلم بقصص الأنبياء وأخبار الماضين - كان ابتداء أمر يعقوب
ويوسف عليهما السلام وبدء محبة يعقوب له وإيثاره على سائر ولده أن الله تعالى
أنبت ليعقوب شجرة فى صحن داره ، فكان كلما ولد له ولد أخرج الله تعالى من
تلك الشجرة غصناً ، فكان كلما كبر الغلام وشب طال ذلك الغصن وغلظ ، فإذا
بلغ ذلك الغلام قطع يعقوب ذلك الغصن ودفعه إليه فولد له عشر بنين فأخرج
الله تعالى من تلك الشجرة عشرة قضبان ، فلما ولد له يوسف لم يخرج الله تعالى
من الشجرة شيئاً فلما كبر وشب قال لآبيه يا بنى الله إنه ليس أحد من إخوتى إلا
حوله غصن إلا أنا فادع الله تعالى أن يخصنى بغصن من الجنة .

فرفع يعقوب يديه إلى السماء وقال اللهم إني أسألك أن تهب ليوسف غصناً من
الجنة يفتخر به على جميع إخوته فهبط جبريل عليه السلام ومعه قضيب من الجنة من
الزبرجد الأخضر فقال ليوسف خذ هذا فيك يوسف يأخذه ويخرج به مع إخوته
قال فرأى يوسف فيما يرى النائم وهو إذ ذاك صبي كأن قضيبه غرس فى الأرض
فعلق وتدلأت أغصانه وأثمر من كل ثمرة ثم أتى بأغصان إخوته ففرست حوله
فلم تعلق ولم تفرع ولم تثمر ؛ وإذا بغصن يوسف أقصرها وأصغرها فلم يزل يتعالى
فى السماء ويطول حتى طال على أغصان إخوته من أصولها وألقتها فى البحر وثبت
غصن يوسف فى الأرض قائماً فانتبه فزعاً مرعوباً فقال له أبوه ما الذى دهاك يا بنى
فقص عليه رؤياه (إذ قال يوسف لآبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً) الآية

وكان ينام إلى جانبه فبينما يوسف نائم عند أبيه ليلة من الليالي إذ رأى الرؤيا التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز وكانت ليلة الجمعة فانتبه من منامه فزعا مرعوبا فالتزمه يعقوب وضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وقال يا حبيب أبيه ما الذي رأيت؟ قال يوسف؛ رأيت كأن أبواب السماء فتحت وقد أشرق منها النور فاستنارت النجوم واشرقت الجبال وزخرفت البحار وعلت أمواجها وسبحت الحيتان بأنواع اللغات ورأيت كأنني ألبست رداء اشرفت الأرض من حيه ونوره ورأيت كأن مفاتيح خزائن الأرض القيت بين يدي فبينما أنا كذلك إذ رأيت أحد عشر كوكبا انقضت من السماء ومعها الشمس والقمر نخرروا إلى ساجدين .

فقال يعقوب (يا بني لا تقصص رؤياك على أخوتك) الآية ثم عبر رؤياه فقال (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك أمن تأويل الأحاديث) الآية ، قال فسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لأبيه فقال لها يعقوب اكنتمى ما قال يوسف لأبيه ولا تخبري أولادى بذلك فقالت نعم فلما أقبل أولاد يعقوب من مراعيهم أخبرتهم بالرؤيا التي أمرها يعقوب بكنتمها فحسدوه على ذلك فلذلك قيل في الحكمة (لا تأمن قارئاً على صحيفة ولا شاباً على امرأة ولا امرأة على سر) .

وروى الحكم بن ظهير عن إسماعيل السدي عن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل من اليهود يقال له نسيان إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أخبرني عن النجوم التي رآها يوسف ساجدة له ما أسماؤها؟ فسكت رسول الله ﷺ ولم يجبه بشيء حتى نزل جبريل عليه السلام فأخبره بأسمائها فأرسل إلى اليهودي ودعاه وقال له إن أخبرتك بأسمائها أتسلم؟ قال نعم ، فقال له جريان والطارق والذبال وذو الكلتفين والفرغ ووثاب وعمودان وقابس والمصبح والفليق والضروح ورآها يوسف في أفق السماء ساجدة له فلما قص رؤياه على أبيه قال ، أرى شيئاً مشتتاً ويجمعه الله لك؟ فقال اليهودي هذه والله أسماؤها ويقال كان بين رؤيا يوسف في الغصن ورؤياه في السكواكب سبع سنين؛ فلما ما كان من أمر يوسف ما كان وانضاف إلى ذلك تخصيص أبيه يعقوب لإياه بالمحبة والقربة حسده

إخوته وحملهم الحسد على أن تأمروا بينهم في أن يفرقوا بينه وبين أبيه بضرب من
الاحتيايل ويهاكوه فيما هم بينهم كما أخبر الله عنهم في قوله تعالى (إذ قالوا ليوסף
هو أخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين) أي خطأ بين في إشاره
يوسف وأخاه علينا (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا
من بعده قوما صالحين) أي تائبين فاستعدوا للتوبة قبل وقوع الذنب .

قال قائل منهم وهو يهوذا وكان أفضلهم وأعلمهم لا تقتلوا يوسف فإن القتل
عظيم وألقوه في غيابة الجب وهو البئر غير المطوية يلتقطه بعض السيارة إن كنتم
فاعلين قيل للجسن ، أي حسد المؤمن فقال للسائل ما أنساك بنى يعقوب ولهذا قيل -
الاب جلاب والأخ سلاب فعند ذلك أجمعوا رأيهم أن يدخلوا على يعقوب ويكلموه
في إرسال يوسف معهم إلى البرية فقال لهم روييل وهو أكبر ولد يعقوب إن
أباكم لا يأمنكم على يوسف ولا يمكن انطلقوا بنا إلى يوسف حتى نلعب بين يديه فإذا
نظر إلينا كيف نمرح ونلعب اشتاق إلى ذلك فأقبلوا على يوسف وهو قاعد يسبح
فجعلوا يتلاعبون ويتصاحكون بين يديه فلما رأى يوسف ذلك اشتاق إلى اللعب
معهم فأقبل عليهم وقال يا إخوتاه أهكذا تلعبون في مراعيكم ؟ فقالوا نعم يا يوسف
إنك لو رأيتنا ونحن نلعب في مراعيها لتمنيت أن تكون معنا فشوقوه إلى ذلك
حتى كان هو الطالب إليهم فقال لهم يا إخوتاه انطلقوا إلى أبي واسألوه ان يرسلني
معكم فأقبلوا إلى يعقوب ووقفوا بين يديه صفاً وكانوا يفعلون هكذا إذا أرادوا
أن يسألوه حاجة فلما رأهم بين يديه وقوفاً صفوفاً قال ما حاجتكم ؟ قالوا يا أبانا
(مالك لا تأمننا على يوسف وإنا له لناصحون) نحوطه ونحفظه حتى نرده إليك
(أرسله معنا غداً يرتع ويلعب) في الصحراء (وإنا له لحافظون) فقال لهم يعقوب (إنني
ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه خافلون) لا تشعرون بذلك .

قال ابن عباس وغيره إنما قال ذلك يعقوب لأنه رأى في منامه كأن يوسف
على رأسه جال وكأن عشرة من الذئاب قد شددوا عليه لئلا كلوه وإذا ذئب منها
يحمي عنه وكان الأرض قد انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها إلا بعد ثلاثة

أيام فلما رأى يعقوب هذه الرؤيا خاف على يوسف من الذئب فلذلك قال لهم
الخاف ان يأكله الذئب .

أخبرنا الحسين بن محمد بن فتحويه أخبرنا عبد الله بن شبة أخبرنا أبو نعيم
وعبد الرحمن بن قريش أخبرنا محمد بن عمرو بن الحكم الهروي أخبرنا مالك بن
سليمان القروي أخبرنا عبد الله بن عمر العمري عن نافع عن عمر قال قال رسول الله
ﷺ لا تلقنوا الناس الكذب فيكذبوا فإن بنى يعقوب لم يعلموا إن الذئب يأكل
الإنسان حتى لقتلهم أبوه فلما لقتلهم وقال إنى أخاف ان يأكله الذئب قالوا أكله
الذئب) فقال بنوه (لأن أكله الذئب ونحن عصبة) أى عشرة رجال (إنا إذا لخاسرون)
عجزة مغلوبون ثم قالوا يا نبي الله كيف يأكله الذئب وفيما شمهون إذا غضب لا يسكن
غضبه حتى يصبح فإذا صاح لا تسمعه حامل إلا وضعت ماني بطنها وفيما يهوى إذا غضب
شق السبع نصفين فلما سمع يعقوب ذلك منهم اطمأن إليهم وأقبل يوسف حتى
وقف بين يدي أبيه ثم قال يا أبت أرسلني معهم قال أو تحب ذلك يا بني ؟ قال نعم قال
إذا كان غداً أذنت لك في ذلك فلما أصبح يوسف لبس ثياباً بهو شد عليه منطقتة وأخذ
قضيبه وخرج مع إخوته ثم عمد يعقوب إلى السلة التي حمل فيها إبراهيم زاد إسحق
فحمل فيها زاداً ليوسف وخرج ليشتريهم فقالوا يا بني الله ارجع فقال يعقوب يا بني
أوصيكم بتقوى الله وبحببي يوسف أسألكم بالله إن جاع فاطعموه وإن عطش
فاسقوه وقوموا عليه ولا تتعبوه ولا تأخذوه وكونوا متواصلين متراحين ، قالوا نعم
نعم يا أبانا كنا لك وهو أخونا كأحدنا بل له الفضل علينا بحبك إياه فقال نعم يا بني
الله خليفتي عليكم مع أنى خائف أنا كون قد ضيعته ثم إنه أقبل على يوسف فالتزمه وضمه
إلى صدره وقبله بين عينيه ثم قال استودعتك الله رب العالمين وانصرف راجعاً .

وروى السدي ورجاء عن ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب النبي
ﷺ وإسحق بن بشر بن جوير عن الضحاك عن ابن عباس ومقاتل عن ابن بكيرة
عن كعب الأحبار وعن سعيد بن أنى عروبة عن الحسن دخل كلام بعضهم في بعض
قالوا أرسل يعقوب يوسف مع إخوته فأخرجوه مظهرين له السكرامة فلما برزوا
إليه إلى البرية أظهروا له العداوة وضربوه فجعل يستغيث بهم واحداً بعدواحد وهم

يضربونه حتى كادوا يقتلونه وعطش عطشاً شديداً فقال لهم اسقوني جرعة من ماء
قبل أن تقتلوني فلم يسقوه فعند ذلك بكى الملائكة رحمة ليوسف فاما رأى يوسف
أن ليس أحد منهم يعطف عليه جعل يصيح ويقول يا ابتاه يا يعقوب لو تعلم ما يصنع
يا ابنك بنو الآباء فلما هموا يقتله قال لهم يهوذا وكان ابن خالة يوسف وأحسنهم فيه رأياً
ليس إنكم قد أعطيتموني موثقاً أن لا تقتلوه فعند ذلك أجمعوا على إلقائه في الجب كما قال
الله تعالى (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) فالطلقوا به إلى الجب
ليطرحوه فيه وكان ذلك الجب في الأردن بين مدين ومصر وقيل بين طبرية والقدس
على قارة الطريق في واد من أوديتها على ثلاث فراسخ منزل يعقوب وكان بئر
وحشة مظلمة وأسفلها واسع وأعلىها ضيق يهلك من طرح فيها من سعة أسفلها لا يمكنه
الصعود وكان الجب من حفر سام بن نوح ويسمى جب الأحزان فلما أرادوا أن يلقوه
فيه جعلوا يدلون في البئر فيتعلق بشفير البئر فربطوا يديه إلى عنقه ونزعوا قميصه فقال
يا إخوتاه ردوا علي قميصي أستبره عورتى ويكون لي كفناً بعد عاتي وأطلقوا يدي أطرد
بهما عنى هوام الجب فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تلبسك
وتؤانسك فدلوه في البئر بحبل فلما بلغ نصفها قطعوا الحبل ليستقط فيموت فيه
فأخرج الله تعالى على وجه الماء صخرة مملومة لينية ورفعها إلى يوسف فوقف عليها
وجعل يوسف يبكي فنادوه فظن أنهم رحمة لحقتهم فأجابهم فهموا أن يرضعوه بالحجارة
فيقتلوه فنهضهم يهوذا وقال لقد أعطيتموني موثقاً أن لا تقتلوه قالوا فلما ألقى يوسف في
الجب وعذب ماؤه حتى كان يغنيه عن الطعام والشراب وبعث الله تعالى إليه ملسكا فحل عنه
قيده وكان إبراهيم حين ألقى في النار حرد من ثيابه وقذف في النار غرياً نافعاً تاه جبريل عليه
السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه وكان ذلك القميص عند إبراهيم فلما مات
إبراهيم ورثه إسحق فلما مات إسحق ورثه يعقوب منه فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك
القميص في تعويذة وعلقه في عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما ألقى في الجب
عرياً ناساه ذلك وكان عليه التعويذة فأخرج القميص وألبسه إياه وجعل يؤنسه بالنهار
ويروى أن الملك أتاه بسفر جلة من الجنة فأطعمه إياها فلما أمسى يوسف نهض
الملك ليذهب فقال له يوسف إنك إذا خرجت عنى استوحش فقال له الملك قل إذا

هبت شيئاً يا صريخ المستصرخين يا غياث المستغيثين يا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعرف حالي ولا يخفى عليك شيء من أمري ؛ فلما دعا يوسف بهذا الدعاء بعث الله إليه سبعين ملكاً فخفوا به وآسوه في النهر ثلاثة أيام ؛ فلما كان في اليوم الرابع أتاه جبريل عليه السلام وقال يا غلام من طرحت ههنا في هذا الجب؟ قال إخوتي لأبي ولم قال؟ حسدوني على منزاتي من أبي قال أنتحب أن تخرج من هذا الجب؟ قال قل يا صانع كل مصنوع ويا جابر كل مكسور ويا حاضر كل مألأ ويا شاهد كل تجوى ويا قريباً غير بعيد ويا مؤنس كل وحيد ويا غالباً غير مغلوب ويا اعلام الغيوب ويا حياً لا يموت ويا يحيى الموتى لا إله إلا أنت سبحانك أسألك يا من له الحمد يا بديع السموات والأرض يا ملك الملك ويا ذا الجلال والإكرام أسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد وأن تجعل لي من أمري ومن ضيقي فرجاً ومخرجاً وترزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب فقالت يوسف فجعل الله له من الجب مخرجاً ومن كيد إخوته فرجاً وآتاه ملك مصر من حيث لا يحتسب وأوحى الله إليه وهو في البئر لتنبئن إخوتك بما عملوا وهم لا يعلمون أنك يوسف فذنت قوله تعالى (لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) .

وقال مجاهد - خرج يوسف من عند يعقوب وهو ابن ست سنين ولم يشعر وجمع الله بينهما وهو ابن أربعين سنة .

أخبرنا أبو عبد الله الدينوري أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف الصرصري أخبرنا أبو جعفر بن محمد بن جرير الطبري أخبرنا عمران القزاز أخبرنا عبد الوارث أخبرنا يونس عن الحسن قال ألقى يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان في العبودية والملك والسجن ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثمانية وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وخمس وعشرين سنة .

وصلنا إلى قصة يوسف عليه السلام وإخوته بعد ما أتى في الجب فلما ألقوه في الجب عمدوا إلى سحلة من الغنم فذبحوها ولطخوا قيص يوسف بدمها وشووها وأكلوا لحمها - ثم لأنهم رجعوا إلى يعقوب وهو قاعد على قارعة الطريق ينتظرهم

من يأتون بيوسف فلما دنوا منه اضطرخوا صراخ رجل واحد ورفعوا أصواتهم بالبكاء فعلم يعقوب أنهم قد أصيبوا بمصيبة ، فلما وافوه اجتمعوا وتقدموا بين يديه وشقوا جيوبهم وبكوا ففرع يعقوب وقال مالكم يا بني وأين يوسف (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق) أي نتنضل وكذلك هو في قراءة عبد الله (وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) وهذا قبيصه ملاحظ بدمه - فذلك قوله تعالى (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) وإنما فعلوا ذلك ليكنوا في الظلمة أجراً على الاعتذار وتزوير ما مكروا فقد قالوا - لا تطلب الحاجة في الليل فإن الحيام في العيين ولا تعتدوا بالنهار فاعلمك فقتل جاج في الاعتذار فلا تقدر على إتمامه .
وروى الشعبي - قال جاءت امرأة إلى شريح فجعلت تبكي فقال رجل ألا ترى إلى هذه المسكينة كيف تبكي فقال شريح قد جاء إخوة يوسف عشاء يبكون ثم إنه أنشد في معناه -

أغرك من شيخ بكاء وعلمة أم اللحية البيضاء للنتف معلقة
فإن بنى يعقوب جاءوا أباهم عشاء وهم يبكون زوراً ومخرقة

قال فلما قالوا (يا أبانا إنا ذهبنا نستبق) أي نتنضل وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب الآية إلى قوله - بدم كذب . لأنه لم يكن دم يوسف وإنما كان دم شاة وقرأت عائشة بدم كذاب بدال غير معجزة أي طرى فلما قالوا ذهب لي يعقوب بكوا بكاء شديداً وقال لهم أروني قبيصه فأروه ، فقال تالله ما رأيت كاليوم ولا ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يشق له جيباً ولا خرق له شقاً وصاح صيحة وخر مغشياً عليه فلم يفق إلا بعد ساعة طويلة فلما أفاق بكى بكاء شديداً ثم أخذ القميص وجعل يشمه ويقبله ويضعه على وجهه وعينيه .

أخبرنا ابن فتحويه أحمد بن إبراهيم بن شاذان أخبرنا عبد الله بن ثابت أخبرنا أبو سعيد الأشج أخبرنا أسامة حدثني زكريا عن سماك عن الشعبي قال كان في قبيص يوسف ثلاث آيات لما جاءوا به إلى أبيه فقالوا أكله الذئب - فقال أبوه لئن أكله الذئب ليشقن قبيصه وحين سمى نحو الباب فشقت قبيصه من خلف فعرف

الوزير أنه لو كان هو الذي راودها لكان الشق من بين يديه وحين ألقى على وجهه فارتد بصيراً .

قالوا فلما أصبح إخوة يوسف من الغد رجعوا إلى مراعيهم فقال بعضهم لبعض قد رأيتكم ما كان من تكذيب أبيكم البارحة فإن أردتم أن يصدقكم ويخرجكم من الملامة فمروا بنا على الجب فنخرج يوسف منه ونفرك بين اضلاعه ولحمه ونجى به فقال لهم يهوذا يا إخوة أين العهد الذي بيني وبينكم والله لئن فعلتم ما تقولون لا تخبرن يعقوب بما كان منكم إليه ثم لا تكونن لكم عدواً ما بقيت فتذكوه فمئذ ذلك قال يعقوب لأولاده (بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل) وهو الذي لا جزع فيه ولا شكوى والله المستعان على المتصفون .

قال ابن عباس إنما كان سبب بلاء يعقوب أنه ذبح شاة وهو صائم فاستطعمه جار له فلم يطعمه فابتلاه الله تعالى بأمر يوسف قال فكث يوسف في الجب ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع ودعا له بالدعاء الذي علمه جبريل عليه السلام جاءت سيارة أي رفقة مارة من قبل مدين تريد مصر فأخطئوا الطريق وضلوا عنها حتى نزلوا قريباً من الجب قال وكان الجب في قفر بعيد من العمران إنما هو للرعاة والمجتازة

فلما نزلت السيارة أرسلوا رجلاً من العرب من أهل مدين يقال له مالك بن دعر ليطلب لهم ماء فذلك قوله تعالى (وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه) قالوا والوارد الذي يتقدم الرفقة إلى الماء فيمسيء الأرشية والدلاء فوصل الوارد إلى البئر فأدلى دلوه أي أرسلها فتعلق يوسف بالحبيل فلما وصل إلى فم البئر ورآه مالك بن دعر فرأى أحسن ما يكون من الغلمان فقال يا مالك يا بشرى هذا غلام يبشر أصحابه أنه أصاب عبداً وأسروه بضاعة قال المفسرون أسر مالك ابن دعر وأصحابه أمر يوسف من التجار الذين معهم وقال لهم بضاعة استبضعناها من بعض الناس إلى مصر خيفة أن يطلبوا منهم فيه الشركة إن علموا حاله .

(م ٩ - قصص الأنبياء)

قال وكان يهوذا يأتي يوسف بالطعام كل يوم سرّاً من اخوته فأتاه ذلك اليوم كما كان يفعل فلم يجده في البئر فنظر فإذا هو بمالك وأصحابه نزولاً ويوسف معهم وقد باعوه بثمن بخس بعد أن أخرجوه من الجب وان الذي اشتراه منهم هو عزيز مصر فذلك قوله تعالى (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين) أي باعوه بثمن ناقص ظلم حرام لأن ثمن الحر حرام ثم بين الثمن فقال دراهم معدودة وإنما قال ذلك لأنهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقل من أوقية أربعين درهماً إنما كان يعدونها عدّاً فإن بلغ أوقية وزنوه لأن أقل أوزانهم واصغرها يومئذ أوقية أربعون درهماً .

ويروى أنهم ذهبوا به حتى قدموا مصر قال مالك ما نزلت منزلاً ولا ارتحلت إلا استبان لي بركة يوسف وكنت اسمع تسليم الملائكة عليه صباحاً ومساءً وكنت انظر إلى غمامة بيضاء تظله وتسير فوق رأسه إذا سار وتقف على رأسه إذا وقف فلما قدموا مصر أمره مالك بن دعر أن يغتسل فاغتسل وألبسه ثوباً حسناً وعرضه للبيع فاشتراه قنظير بن رحيب وهو العزيز بمصر ونواحيها وكان على خزائن الملك يومئذ بمصر ونواحيها الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشه بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام .

ويروى أن هذا الملك ما مات حتى آمن بيوسف وتبعه على دينه ، ثم مات ويوسف حي ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلوأس بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان كافراً فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى أن يسلم .

قال ابن عباس لما دخلوا مصر تلقى قنظير السيارة وابتاع يوسف من مالك ابن دعر بعشرين ديناراً وزوج نعال وثوبين أبيضين .

أخبرنا أبو بكر الجوزقي أخبرنا أبو العباس الدعولي بسرخين أخبرنا علي بن الحسين الهلالي أخبرنا أبو نعيم أخبرنا زهير عن ابن إسحاق عن أبي عبيد عن عبد الله بن مسعود قال أفرس الناس ثلاثة ، العزيز حين تفرس في يوسف وقال

لامرأته أكرمي مشواه ، والمرأة التي أتت موسى فقالت لا يبها يا أبت استأجره
وأبو بكر حين استخلف عمر ، قال الله تعالى - وكذلك مكنا ليوسف في الأرض
يعنى أرض مصر .

(قال أهل الكتاب) لما تم ليوسف في الأرض ثلاثون سنة استوزرة فرعون
مصر وجعله على خزائنه فذلك قوله تعالى (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض
ولنعلمه من تأويل الأحاديث) الآية فلما أتى العزيز بيوسف إلى منزله وقال
لامرأته أكرمي مشواه فتأملته امرأة العزيز ورأت حسنه وجماله وقع حبه في قلبها
وعشيقته فراودته أى طلبت منه متابعتها على هواها وذلك قوله تعالى (وراودته
التي هي في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقال هيت لك) أى هلم تدعوه إلى
نفسها فقال يوسف عند ذلك (معاذ الله إن ربي أحسن مشواي) يعنى زوجك قطفير
سيدى إنه أحسن مشواي أنه لا يفلح الظالمون ؛ يعنى ان فعلت هذا فخنته في أهله
بعد ما اكرمنى وائتمنى فانا ظالم له ولا يفلح الظالمون قال الله تعالى (ولقد همت
به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) ومعنى ألهم بالشيء ما حدث المرء به نفسه ولم
يفعل ذلك بعد - قال الشاعر

هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على وعثمان تبكي حلاله

أما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهمها به فاختلف أهل العلم في ذلك .

قال السدى وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه
جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه إلى نفسها فقالت له - يا يوسف ما أحسن
شعرك ؛ قال هو أول شيء يثتر من جسدى قالت - يا يوسف ما أحسن عينيك
قال هما أول ما يسيل في الأرض من جسدى قالت - ما أحسن وجهك ، قال
التراب يا كاه قلم تزل تأمره وتعظمه أخرى وتدعوه إلى اللذة وهو شاب مستقبل
مجد شبق الشباب وهي حسناء جميلة حتى لان لها لما يرى من كلفها به ولم يتخوف
منها حتى خلوا في بعض البيوت وهم بها ، لولا أن رأى برهان ربه .

وأما البرهان الذي رآه يوسف ، وكان سبب العصمة وصرف الفاحشة عنه
فاختلفوا فيه .

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الطبراني أخبرنا حسن بن
عطية عن اسرائيل بن أبي حسين عن أبي سعيد قال ابن عباس في قوله تعالى
(لولا أن رأى برهان ربه) قال له مثل له يعقوب فضربه بيده على صدره .

قال فكل بنى يعقوب ولد اثنا عشر ولداً إلا يوسف فإنه ولد له أحد عشر
ولداً من أجل ما نقص من شهوته حين رأى صورة أبيه فاستحيا منه . وقال قتادة
رأى صورة يعقوب فقال له يعقوب يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب
في ديوان الأنبياء .

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد الأصفهاني أخبرنا أحمد بن محمد بن يزيد
السكوني أخبرنا محمد بن إبراهيم بن خالد بن عمر حفص البصري ببغداد أخبرنا
خالد بن يزيد البصري أخبرنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى
(ولقد همت به وهم بها) فإذا بكف قد بدت فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب
فيها (وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون) فقام هارياً فأرأفها ذهب
عنهما الروح والرعب عادت وعاد وإذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا
معصم مكتوب فيها (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) فقام هارياً وقامت فلما
ذهب عنهما الرعب عادت وعادوا إذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم
مكتوب فيها (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) وقال الله تعالى
(كذلك أنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخالصين)

أخبرنا يعقوب بن أحمد أخبرنا محمد بن عبد الله النعماني أخبرنا عبد الله بن أحمد
ابن عامر الطبرستاني حدثني أبي قال حدثني علي بن موسى الرضا حدثني أبي عن
أبيه جعفر بن محمد الصادق حدثني أبي عن أبيه عن علي بن الحسين في قوله تعالى

(لولا أن رأى برهان ربه) قال قامت امرأة العزيز إلى الصنم فظلمت دونه بشوب فقال لها يوسف ما هذا ؟ قالت استحي أن يراها فقال لها يوسف استحين من لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا استحي أنا من خلق الله كما وعلمها :

قالوا فلما رأى يوسف البرهان قام مبادراً إلى باب البيت هارباً عما أرادته فاتبعتة المرأة فذلك قوله تعالى (واستيقنا الباب) يعنى تبادر يوسف وراعيل إلى الباب أما يوسف ففراراً من ركوب الفاحشة وأما المرأة فطلباً ليوسف ليقتضى حاجتها التي راودته عنها ، فأدركته فتملقت بقميصه من خلفه فجذبتة إليها مانعة له من الخروج ففقدت أى خرقت وشقت قميصه من دبر أى من خلفه لأن يوسف كان الهارب والمرأة الطالبة فلما خرجا ألفا سيدها لدى الباب أى وجد زوجها فظفير عند الباب جالسا مع ابن عم لراعيل فلما رأته هابتة ، وقالت سابقاً بالقول لزوجها (ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً) يعنى الزنا (إلا أن يسجن أو عذاب أليم) يعنى الضرب بالسياط .

عن ابن عباس - وهكذا كالمثل السائر خذ اللص قبل أن يأخذك فقال يوسف بل هي راودتني عن نفسي فأبيت وقررت منها فأدركتني وشقت قميصي قال نوف الشامي ما كان يوسف يريد أن يذكرها فلما قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً غضب وقال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها واختلفوا في هذا الشاهد من هو ؟

قال سعيد بن جبير والضحاك كان صديقاً في المهدي الطقة الله تعالى يدل عليه حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال : تمكلم أربعة في المهدي وهم صفار ، ابن ماشطة بدت فرعون ، وشاهد يوسف وصاحب جريج الراهب وعيسى ابن مريم .

وقال الحسن وعكرمة وقيادة ما كان صديقاً ولكن كان رجلاً حكيماً وله رأى وكان من خاصة الملك ، وقال السدي هو ابن راعيل كان جالسا مع زوجها على باب فحكم بما أخبر الله تعالى عنه ((إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من

الكاذبين ، وإن كان قبيصه قد من دبر فسكذبت وهو من الصادقين) فلما رأى قبيصه
دبر من دبر ، عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام فقال إنه من كيدكن إن
كيدكن عظيم ثم أقبل على يوسف فقال يا يوسف أعرض عن هذا الحديث لا تذكره
لأحد ثم قال لامرأته (واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين) أي من المذنبين
حين راودت شاباً عن نفسه وخنت زوجها فلما استعظم كذبت عليه .

قال فشاع أمر يوسف وراعيل وتحدثت الناس بذلك (وقال نسوة في المدينة)
وهي امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواة وامرأة صاحب السجن
وامرأة الحاجب (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) أي عبدها الكنعاني قد
شفقها حباً أي دخل حبه في شفاف قلبها وهو حجابها وغلافه إنا انراها في ضلال
مبين أي خطأ بين حيث تراود عبدها عن نفسه .

فلما سمعت راعيل بمكرهن أي بقولهن وحديثهن قال ابن اسحق يعني بكيدهن
وذلك إنما قلته مكرأ بها لترين يوسف لما بلغن من حسنه وجماله فاتخذت راعيل
مائة ودعت أربعين امرأة ممن هؤلاء اللواتي عيرنهن فذلك قوله تعالى (وأرسلت
إليهن وأعدت لهن متكئاً) أعدت أي هيأت لهن مجلساً للطعام وما يتكئن عليه
من الخمارق والوسائد .

عن ابن عباس ومعهيد بن جبير وقتادة : يعني هيأت طعاماً وقال مجاهد متكئاً
نخيفاً غير مهموز - وهو كل طعام تجزه بالسكين وقال وهب أعدت لهن أترجا
وبطينخاً وموزاً ورمناً وورداً وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقال ليوسف
خرج عليهن وكانت قد أجالسته في مجلس غير المجلس الذي هن فيه جلوس فنخرج
عليهن يوسف فلما رأينه أكبرنه وهاهن أمره وبهتن وقطن أيدين بالسكاكين
اللاقي معهن وهن يحسبن أنهن يقطن الأترج وغيره .

قال قتادة قطن أيدين حتى القينها فما أحسن إلا بالدم ولم يجدن من جن
الأيدي ألما لشغل قلوبهن بيوسف عليه السلام .

(وقال حاشته) أي ماذا لله (ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم) فقالت راعيل عند ذلك للنسوة (فذلك الذي لم تني فيه) أي في حبه وشفقي به ثم لأنها أبدت لمن الميل الذي عنوها فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أي امتنع واستعصى فقالت النسوة ليوسف اطع مولانا فكالت راعيل (لئن لم يفعل ما أمره ليسجن وليكونا من الصاغرين) فاختار يوسف حين عاودته المرأة في المراودة وتوعدته بالسجن على المخالفة فقال (رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ولا أتصرف عن كيدهن أصعب إليهن) أي أمل وأنا بعين (وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن لأنه هو السميع العليم ثم بدا لهم) أي العزيز وأصحابه (من بعد ما رأوا الآيات) الدالة على براءة يوسف وهو قد القميص من دبر وخمش الوجه وقطع النسوة أيديهن (ليسجننه حتى حين) .

قال السدي - وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس فيما ان تأذن لي اخرج فأعذر واما أن تحبسه كما حبستني فحبسه بعد علمه ببرأته دفعا للتهمة عن امرأته ، وذلك ان الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيراً ليوسف من همه وتكفيراً لزلته قال ابن عباس عشر يوسف ثلاث عشرات حين هم بها فسجن وحين قال اذكرني عند ربك فابث في السجن بضع سنين وحين قال لإخوته إنكم تسارقون قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل .

ولما سجن يوسف دخل معه السجن فتيان وهما غلامان كان للوليد بن الريان ملك مصر الاكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه واسمه مجلب والآخر ساقيه وصاحب شرابه واسمه بيوص غضب عليهما الملك فحبسهما وذلك أنه بلغه عنهما أن خبازه يريد أن يسمه وان ساقيه وافقه على ذلك وكان السبب فيه أن جماعة من مصر أرادوا المنكر بالملك واغتيالاه فخدسوا إلى هذين الغلامين وضمنوا لهما مالا ليسيا الطعام للملك والشراب فأجابهم إلى ذلك ثم إن الساقى نكل عنه والخباز غش الملك وقبل الرشوة فسم الطعام فلما حضر وقته وأحضر الطعام قال الساقى أيها الملك لا تأكل فإن الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب لأن الشراب مسموم فقال الملك

للساقى اشرب فلم يضره فقال للخباز كل من طعمك فأبى فحرب ذلك الطعام في دابة
من الدواب فأكلته فهلكت فأمر الملك بحبسهما وكان يوسف عليه السلام لما دخل
السجن قال لأمله إنى أعبى الاحلام فقال أحد الفتيين لصاحبه هلم نجرب حلم هذا
العبد العبرانى فنترامى له فسألا من غير أن يكونا رأيا شيئا قال عبد الله بن مسعود
ما رأى صاحبها يوسف شيئا وإنما كان تحالما ليحربا عليه وقال قوم بل كانت رؤياهما
على صحة وحقيقة فسألاه عنها . وقال مجاهد لما رأى الفتيان يوسف قال له والله لقد
أحببتك حين رأيتك فقال لهما يوسف أنشد كما الله تعالى لا تحباني فوالله ما أحبني أحد
قط إلا دخل على من حبه بلاء لقد أحببتى عمى فدخل على من حبه بلاء ثم أحببتى أبى
فدخل على من حبه بلاء ثم أحببتى زوجة صاحبي فدخل على من حبه بلاء فلا تحباني
بارك الله فيكما قال فأبيا إلا حبه وألفاه حيث كان وجعل يعجبهما ما يريان من
فهمه وعقله وقد كانا رأيا حين دخل السجن رؤيا فأتيا يوسف فقال الساقى أيها العالم
إنى رأيت كأنى في بستان فإذا أنا بأصل كرمة عليها ثلاث عناقيد من عتب فحنيتهما
كلها وكان كأس الملك بيدي فعصرتها وسقيت الملك شربة فذلك قوله تعالى (قال
أحدهما إنى أرانى أعصر خمرا . وقال الخباز إنى رأيت كأن فوق رأسى ثلاث
سلال فيها خبز تأكل الطير منه نبثا بتأويله إنا نراك من المحسنين) .

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عقيل أخبرنا عبد الله بن محمد بن
إبراهيم بن قالويه أخبرنا محمد بن يزيد السلمي أخبرنا أبو الربيع الزهراني أخبرنا
خلف بن خليفة أخبرنا سليم عن الضحاك بن مزاحم في قوله (إنا نراك من المحسنين)
قال كان إحسانه إذا مرض رجل في السجن قام فإذا ضاق عليه وسع له وإن احتاج
جمع له وسأل ربه وقال قتادة بلغنا أن إحسانه كان يداوى مريضهم ويعزى حزينهم
ويجتهد لربه وقال لما انتهى يوسف إلى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم واشتد
بلاؤهم وظال جزئهم فجعل يقول أبشروا واصبروا وتوجروا إن في هذا الأجر
ثوابا . فقال يافى بارك الله فيك ما أحسن وجهك وخلقتك وحديثك لقد بورك
لنا في جوارك إنا لانحب أن نكون في غير هذا المسكان منذ رأيناك لما تخبرنا به من

الأجر والكفارة والظهارة في ذلك فمن أنت يافتي ؟ قال أنا يوسف ابن صفي الله يعقوب بن إسحاق بن خليل الله إبراهيم عليه السلام فقال له عامل السجن والله يافتي لو استظمت خليت سيدك ولكن سأحسن جوارك وأحسن إيثارك في أي بيت شئت قال فسكروه يوسف أن يعبر لهما ما سألاه لما علم في ذلك من المكروه على أحدهما فأعرض يوسف عن سؤالهما وأخذ في غيره وقال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نباتكما بتأويله قبل أن يأتيكما فقال هذا فعل السكينة والسحرة فقال ما أنا بكاهن ولا ساحر ولكن ذلك كما علمني ربي ثم بين لهما دينه ومذهبه فقال (إن تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعتم ملة آباء إبراهيم وإسحاق ويعقوب) الخ الآية فأراهما يوسف فطنته ودرأته ثم دعاهما إلى الإسلام وأقبل على أهل السجن وكان بين أيديهم أصنام يعبدونها من دون الله فقال إلزما للحجة (يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الواحد القهار ما نعبدون من دونه) الآية ثم فسر رؤياهما لما أحبا عليه فقال (يا صاحبي السجن أما أحدكما) وهو الساقى (فيسقى ربه خمرآ) يعني الملك ويعود إلى منزلته التي كان عليها أما العناقيد الثلاثة فإنها ثلاثة أيام في السجن ثم يخرج (وأما الآخر فيصلب) والصلال التي رآها في المنام ثلاثة أيام فيبقى في السجن ثم يخرج (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) .

قال ابن مسعود : لما سمعنا قول يوسف عليه السلام قالا ما رأينا شيئا إنما كنا نلعب ونجرب عليك هذا فقال يوسف قضى الأمر الذي فيه نستفتيان أي فرغ الأمر الذي عنه تسألان .

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد الوزان أخبرنا محمد بن عبد الله الصفار أخبرنا أحمد بن مهران عن أبي رزين العقيلي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت ، إن الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة وأحسبه قال لا تقصها إلا على ذي رأي وعقل قال ﷺ : الرؤيا الأولى عابرة ، فقال يوسف عليه السلام عند ذلك للذي علم أنه ناج منهم وهو الساقى إذ كرم عند ربك يعني الملك وقل له في السجن غلام محبوس ظالماً (فأنساه الشيطان ذكره

ربه (الآية والبضع ما بين الثلاثة إلى العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين .

وقال وهب بن منبه أصاب أيوب البلاء سبع سنين وعذب بختصر بالمسخ سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين .

وروى يونس عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ رحم الله أخى يوسف لولا كلمته ما لبث في السجن ما لبث ، يعنى قوله اذ كرتى عند ربك ثم بكى .

وقال الحسن : نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس .

وقال مالك بن دينار . لما قال يوسف للساقى (اذ كرتى عند ربك) فقيل له يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا لا طيلن حبسك فبكى يوسف وقال يارب أنسى قلبى كثرة البلوى فقلت ما قلت فويل لإخوتى .

ويحكى أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو فى السجن فلما رآه يوسف عرفه وقال يا أخا المنذرين ما لى أراك بين المخطئين ؟ فقال له جبريل عليه السلام يا طاهر الطاهرين اقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك ما استحييت منى استشفعت بالآدميين فوعزتى لا لبئذك فى السجن بضع سنين قال يوسف يا أخى يا جبريل وهو فى ذلك راضى عنى ؟ قال نعم . قال إذا لا أبالى .

وقال كعب الأحبار قال جبريل ليوسف إن الله تعالى يقول لك من خلقتك ؟ قال الله تعالى ؛ قال فمن حببك إلى أميك ؟ قال الله تعالى قال فمن آنسك فى البئر وألبسك وأنت عريان ؟ قال الله تعالى قال فمن نجاك من كرب البئر ؟ قال الله تعالى قال فمن علمك تأويل الرؤيا ؟ قال الله تعالى قال فكيف استغثت بآدمى مثلك ؟ قالوا فلما انقضت سبع سنين قال السكلى وهذه السبع سوى الخمس التى كانت قبلها وذلك أنه حبس خمس سنين قبل أن يستشفع بالساقى وهو قوله تعالى (ليسجننه حتى حين) .

فلما استشفع بالساقى وقال له أذكرني عند ربك لبث في السجن سبع سنين
فلما انتهت محنته ودنا فرجه وراحته رأى ملك مصر الأكبر وهو الريان بن
الوليد رؤيا عجيبة فهااته وذلك أنه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس
وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان فدخلت في بطونهن فلم ير منها شيئاً
بورأى سبع سذبلات خضر قد انعقد حبها وأفركت وسبع أخرى يابسات قد استحصدت
فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبتها فجمع السحرة والسكينة ومعبريه وقصها
عليهم وقال (أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون) أي تفسرون
(قالوا أضغاث أحلام) مختلطة مشتبهة التأويل أباطيل (وما نحن بتأويل الأحلام
بالمين، وقال الذي نجا منهما) أي من الفتيين وهو الساقى (وادكر بعد أمة) أي
وتذكر حاجة يوسف بعد حين قال ابن عباس بعد أمة أي بعد سنين (أنا أنبئكم
بتأويله فأرسلون) أي إلى السجن .

قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن السجن في المدينة فبعثوه فأتى ليوسف
فقال له (أيها الصديق) يعنى فيما عبرت لنا من الرؤيا والصديق هو كثير الصديق
(أفتنا في سبع بقرات سمان يابس كان سبع عجاف) إلى قوله (لعلمهم يعلمون) أي فضلك
وعلمك فقال له يوسف (تزرعون سبع سنين دأباً) إلى قوله (وقيه يعصرون)
فخرج الساقى إلى الملك وأخبره بما أفناه به يوسف من تأويل رؤيا كالنهار وعرف
الملك أن الذى قال كاهن فقال الملك اتتوني بالذى عبر رؤياي هذا فلما جاء الرسول
إلى يوسف أبى أن يخرج معه حتى يعرف عذره وبراهته ويعرف صحة أمره من
قبل الذنوة فقال للرسول (ارجع إلى ربك) أي سيدك الملك (فأسأله ما بال الذنوة
اللاتى قطعن أيديهن إن ربي بيكيدهن عليهم) .

قال ابن عباس لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك شأنه ما زالت في نفسه منه
حاجة يقول هو هذا الذى راود امرأتى وقال رسول الله ﷺ لقد عجبت من أخى
يوسف وكرمه وصبره والله تعالى يغفر له حين سئل عن البقرات السمان والعجاف

ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى اشترط أن يخرجوني ولو كنت مكانه ولبثت في
السجن ما لبثت لأسرع الإجابة وبادرت الباب ولم أبتغ العذر والله إنه كان حليماً
ذا أناه ، قال فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالته فدعا النسوة اللاتي
قطعن أيديهن وامرأة العزيز فقال لهن (ما خطبكن إذ راوتن يوسف عن نفسه قلن
حاشا لله ما علمنا عليه من سوء) قالت امرأة العزيز (الآن حصحص الحق أنا راوته
عن نفسه وإنه لمن الصادقين) فلما سمع يوسف قال (ذلك ليعلم إنى لم أخنه بالغيب
وإن الله لا يهدي كيد الخائنين) فقال له جبريل ولا حين هممت بها يا يوسف؟ فقال
يوسف عند ذلك (وما أبرئ نفسي) الآية فلما تبين للملك عذر يوسف وعرف
أمانته وكفائته وديانته وعلبه وعقله قال (ائتوني به استخلصه لنفسى) فلما جاء
الرسول إلى يوسف قال أجب الملك الآن فخرج يوسف ودعا لأهل السجن بدعاء
يعرف إلى اليوم وذلك أنه قال : اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عنهم
الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار إلى اليوم في كل بلدة .

ثم إنه اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثياباً جدداً حسناً وقصد إلى الملك
قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربى من دنياى حسبي ربى من خلقه عز
جاره وجل ثناؤه ولا إله غيره ، فلما دخل على الملك قال ، اللهم إنى أسألك
بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره ، فلما نظر إليه الملك سلم عليه
يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان ؟ قال لسان عمى إسماعيل ثم إنه دحاله
بالعبرانية ثانياً فقال له ما هذا اللسان ؟ قال لسان أبى يعقوب .

فأعجب الملك ما رأى منه وكان يوسف ابن ثلاثين سنة فلما رأى الملك حداثة سنه
وغزارة عليه قال لمن عنده إن هذا تأويل علم رؤياى ولم تعلمه السكينة والسحرة
ثم أنه أجلسه وقال إنى أحب أن اسمع رؤياى منك شفهاً فقال يوسف نعم أيها
الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك عنهن نهر النيل
قطعن عليك من شاطئه تشخب أنخلافهن لبناً فبينما أنت كذلك تنظر إليهن وقد

أعجبك حسنين إذا غضب النيل فغار ماؤه وبدا قعره فخرج من حمته ووحله سبع
بقرات عجاف شعث غير ملصقات البطون ليس لهن ضروع ولا أخلاف ولهن
أنياب وأضراس وأكف كما كف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع ؛ فاختلفن
بالسيان واقتربن اقتباس السباع وأكلن لحمهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن
ومششن مخن ، فبينما أنت تنظر وتتعجب كيف غابتن وهن مهازل لم يظهر فيهن سمن
ولا زيادة بعد أكلن إذا سبع سنبلات خضر وسبع آخر سود يابسات في منبع واحد
عروقهن في الثرى والماء . فبينما أنت تقول في نفسك ما هذا ؟ هؤلاء خضر ثميرات
وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولها في الماء إذ هبت ريح فردت أوراق السود
اليابسات على الخضر المثميرات فأشعلت فيهن النار فأحرقتمن وصرن سوداً متغيرات
فقدنا آخر ما رأيت من الرؤيا ، إنك انتبهت مذعوراً فقال له الملك والله ما شأن
هذه الرؤيا وإن كانت عجيباً بأعجب مما سمعته منك ، فما ترى في رؤياي أيها الصديق ؟
فقال يوسف الصديق : إني أرى أيها الملك أن تجمع الطعام وتزرع زرعاً كبيراً في
هذه السنين الخصبه وتبنى الخزائن وتجعل الطعام فيها بقصبه وسنبله ليكون أبقى له
ويكون قصبه وسنبله علفاً للدواب ، وتأمر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس
فيكفيك الطعام الذي جمعه لأهل مصر ومن حولها ثم تأتيك الخلق من جميع
النواحي فيمتارون منك بحببك فيجتمع عندك الكمنوز مالم يجتمع لأحد قبلك
فقال له الملك وهن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه لي ويكفيني الشغل فيه ؟ فقال له يوسف
(أجمعني على الخزائن الأرض إني حفيظ عليم) أي كاتب حاسب ، وقيل حفيظ لما
استودعتني عليم بسق المجاعة وبلغة من يأتيني . قال له الملك ومن أحق به منك
وولاه ذلك كله وقال له (إنك اليوم لدينا مكين أمين)

وروى سفيان عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذلي قال : قال الملك
ليوسف إني أريد أن تخاطني في كل شيء غير إني أنف أن تأكل معي . فقال له
يوسف إني أحق أن أنف بذلك منك لأنى أنا ابن يعقوب ابن إسحق ابن إبراهيم
خليل الله فصار بعد ذلك يأكل معه .

قال ابن عباس فلما انصرفت السنة من يوم سأل الامارة دطاء الملك فتوجه
بتاجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه فدانت له الملوكة ولزم الملك وفوض إليه أمر
مصر وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه ثم مات قطفير عن قريب
فزوج الملك يوسف براعيل امرأة قطفير فلما دخل عليها قال لها اليس هذا خيراً
بما كنت تريدين مني ؟ فقالت له أيها الصديق لا تلمني فإنني كنت امرأة حسنة ناعمة
كما رأيت في ملك ودينيا وكان صاحبي لا يأتي الفساء وكنت كما جعلك الله في صورتك
وهيئتك فغلبتني نفسي فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء فأصابها فولدت له ابنتين
إفرائيم وميشا ابني يوسف عليه السلام واستوثق ليوسف ملك مصر فأقام فيها العدل
فأحبه الرجال والنساء فذلك قوله تعالى (وكذلك نجزي المحسنين وكذلك مكنا
ليوسف في الأرض) يعني أرض مصر (يتبوا منها من حيث يشاء نصيب برحمتنا
من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين) وللبخترى في هذا المعنى :

أما في رسول الله يوسف أسوة لمثلك محبوساً على الظلم والإفك
أقام جميل الصبر في السجن برهة فأل به الصبر الجميل إلى الملك
وكتب بعضهم إلى صديق له هذه الأبيات :

وراء مضيق الخوف متسع الآمن وأول مقروح به آخر الحزن
فلا تياسن فالله ملك يوسف خزائنه بعد الخلاص من السجن

قال فلما اطمأن يوسف في ملكه ونحلت السنون الخضبة ودخلها المجذبة جاءت
بهول لم يعهد الناس مثله فأصاب الناس الجوع فلما كان بدء القحط نام الملك فبينما هو
نائم إذ أصابه الجوع (فهتف الملك يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا أول
القحط والجوع) فلما دخل أول سنة من سنن الجذب هلك فيها كل شيء أعدوه من
السنين فجعل أهل مصر يبتاعون من يوسف الطعام فباعهم في أول سنة بالنقود من
الذهب والفضة حتى لم يبق في مصر درهم ولا دينار إلا قبضه وباعهم في السنة الثانية بالحلي
والحلال والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس منها شيء وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي

والدواب حتى احتوى عليها أجمع، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق عبد ولا أمة إلا أخذه وباعهم في السنة الخامسة بالاضياح والعقار والدور حتى احتوى عليها ولم يبق لأحد ملك، وباعهم في السنة السادسة بأولادهم فإن الرجل كان يشتري بولده الخنطة أو الشعير من شدة السنة فلم يبق لأحد ولد ذكر ولا أنثى إلا بمالك وباعهم في السنة السابعة برقابهم وأرواحهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد ولا أمة إلا صار ملكاً له فتمجيب الناس من أمر يوسف وقالوا تالله ما رأينا ملكاً أجمل من هذا ولا أعظم ثم قال يوسف للملك كيف رأيت صنع ربي فيما خولني فما ترى في هذا فقال له الملك الرأي رأيك وإنما نحن لك تبع فقال يوسف فإني أشهد الله وأشهدك أني قد اعتقت أهل مصر جميعاً .

وروي أن يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الأيام فقبل له أتجوع وبيدك خزائن الأرض فقال إني أخاف إن شبعت أن أنسى الجائع .

وروي أن يوسف أمر طباطباخ الملك أن يجعل غذاءه نصف النهار مرة واحدة في اليوم والليلية ، وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع ويحسن إلى المحتاجين ففعل الطباطباخ ذلك فمن ثم جعل الملوك غذاءهم نصف النهار ، وقصد الناس مصر من كل ناحية يمتارون فجعل يوسف لا يمكن أحداً منهم وإن كان عظيماً من أكثر من حمل بعير تقسيطاً بين الناس وتوسيعاً عليهم . فتزاحم الناس عليه قالوا وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام من القحط والشدة ما أصاب سائر البلاد ونزل يعقوب من ذلك ما نزل بالناس فأرسل بنبيه إلى مصر يطلبون الميرة وأمسك عند بنيامين أخا يوسف لأمه ، فجاء بنو يعقوب إلى يوسف عليه السلام وكانوا عشرة وكان منزلهم بالقرب من أرض فلسطين من ثغور الشام وكانوا أهل بادية ومواش فلما دخلوا عليه عرفهم يوسف وأنكره لما أراد الله تعالى يبلغ يوسف ما أراده .

وقال ابن عباس وكان بين أن قذفوه في الجب وبين أن دخلوا عليه أرض مصر أربعون سنة فلذلك أنكره وقيل إنه كان متزيياً بزى فرعون مصر فكانت عليه

ثياب الحرير جالسا على سرير وفي عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب
فلذلك لم يعرفوه وقيل كان بينهم وبينه ستر فلذلك أنكروه .

قال بعض الحكماء المعصية تورث النكرة ولذلك قال الله تعالى (وجاء إخوة
يوسف فدخلوا عليهم فعرّفهم وهم له منكرون) قالوا فلما نظر إليهم يوسف وكلّمه
بالعبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما أمركم فإني أنكرت شأنكم؟ فقالوا نحن قوم
من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجتنا نمتار فقال لعلمكم عيون جتتم تنظرون
عورة بلادى؟ فقالوا لا والله وما نحن بجواسيس وإنما نحن إخوة بنو أب واحد
شيخ كبير صديق من أنبياء الله تعالى يقال له يعقوب قال فكم أنتم؟ قالوا نحن
كنا اثنا عشر فذهب منا أخ إلى البرية فهلك فيها وكان أحب إلى أبينا منا قال كم
أنتم ههنا؟ قالوا عشرة قال فأين الآخر؟ عند أبينا لأنه أخو الذي هلك من أمه
فأبونا يتسلى به . قال فمن يعلم أن الذي تقولون حق؟ فقالوا أيها الملك إننا في بلاد
لا نعرف فيها . فقال يوسف : فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم إن كنتم صادقين فإني
أرضى بذلك قالوا إن أبانا يحزن على فراقه وسراوده عنه ، قالوا فضعوا بعضكم
عندي رهينة حتى تأتوني بأخيكم فاقترعوا بينهم فأصاب القرعة شمعون وكان أبرهم
يوسف فحلفوه عنده فذلك قوله تعالى (لما جهزهم بجهازهم قال اتوني بأخ لكم من
أبيكم) الآية إلى قوله (وإنا لفاعلون) فقال عند ذلك يوسف لفتيانه أي لفتيانه
الذين يكيلون الطعام (اجعلوا بضاعتهم) أي ثمن طعامهم .

قال ابن عباس كانت بضاعتهم النعال والأدم ، وقال قتادة كانت ورقا في
وحالهم (لعلمهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلمهم يرجعون)

واختلف العلماء في السبب الذي فعل ذلك يوسف بهم من أجله : قال يوسف تخوف
يوسف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به إليه مرة أخرى ، وقيل خشق أن يشق
أخذ ذلك منهم على أبيه إذا كانت السنة سنة جذب وقيل رأى لو ما أخذ ثمن الطعام
من أبيه وإخوته مع احتياجهم إليه فرد عليهم من حيث لا يعلمون تكريما وتمضلا ،

وقيل فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وامانتهم تحملهم على رد البضاعة ولا يستحلون
المساكنا فيرجعون اليه لاجلها فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا اباانا قدمنا على خير
رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجل من ولد يعقوب ما اكرمنا كرامته فقال
لهم يعقوب اذا اتيتم ملك مصر فاقرءوا عليه من السلام وقلوا له ان اباانا يصلي
عليك ويدعوك بما اوليتنا ثم انه قال لهم اين شمعون ؟ فقالوا له ان الملك ارتبه
فما تبه بنيامين ثم اخبروه بالقصة فقال لهم ولم اخبرتموه بذلك ؟ فقالوا انه اخذناه
وقال لانكم جواسيس حيث كلمناه بلسان العبرانية ثم قصوا عليه القصة (وقالوا
يا اباانا منع السكيل فارسل معنا اخانا) يعني بنيامين (نسكتل وانا له لحافظون)
فقال يعقوب (هل آمنكم عليه الا كما آمنتم على اخيه من قبل) الآية .

قال كعب لما قال يعقوب (فالله خير حافظاً وهو ارحم الراحمين) قال الله وعزتي
وجلالى لاردن عليك كلاهما بعد ما توكلت على قالوا (ولما فتحوا متاعهم) الذى
حملوه من مصر (وجدوا بضاعتهم) اى ثمن طعامهم (ردت لبيهم) قالوا يا اباانا
ما نبغى هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك
كيل يسير) فقال لهم يعقوب (ان ارسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله لتأتينى
به الا ان يحاط بكم) اى تهلكوا جميعاً .

وروى جوبير عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله تعالى (حتى تؤتون موثقاً
من الله) يعنى حتى تحلفوا الى بالله وبحق محمد خاتم النبیین وسيد المرسلين ان لا تغدوا
بأخيكم ففعلوا ذلك فلما آتوه موثقهم قال يعقوب (الله على ما نقول وكيل) اى شاهد
بالوفاء فلما ارادوا الخروج من عنده قال لهم لا تدخلوا مصر من باب واحدوا دخلوا
من ابواب متفرقة وذلك انه خاف عليهم العين لانهم كانوا ذوى جمال وهيبة وصور
حسان وقامات ممتدة وكانوا اولاد رجل واحد فامرهم ان يتفرقوا فى دخولهم البلد
ثلاثاً يصابوا بالعين ثم قال لهم (وما أغنى عنكم من الله من شيء ان الحكم الا الله
(م ١٠ - قصص الانبياء)

عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم)
وكان لمصر أربعة أبواب فدخلوا من أبوابها كلها (ما كان يغني عنهم من الله من شيء)
صدق الله يعقوب عليه السلام فيما قال إلى قوله تعالى (ولا يكن أكثر الناس لا يعلمون)
ولما دخلوا على يوسف في المرة الثانية قالوا يا أيها العزيز هذا أخونا الذي أمرتنا
أن نأتيك به قد جئناك به قال لهم أحسنتم واصبتم وستحمدون على ذلك عندي
ثم إنه أنزلهم وأكرمهم وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة وأجلس بنيامين
وحده وحيداً فبكى وقال لو كان يوسف حياً لأجلسني معه فقال لهم يوسف لقد
بقي أخوكم هذا وحيداً فريداً ثم أجلسه يوسف معه على مائدته فجعل يؤاكله فلما
كان الليل أمر لهم يوسف بمثل ذلك وقال ليبت كل اثنين منكم على فراش واحد
فلما بقي بنيامين وحده قال يوسف هذا ينام معي على فراشي فبات معه فجعل
يوسف يضمه إليه ويشم ريحه حتى أصبح فجعل روبيل يقول ما رأينا مثل هذا
فلما أصبح قال لهم إني لأرى هذا الرجل الذي جئتم به ليس له أخ يونسه فإن
تشاءوا أضفه إلى ليكون منزله معي ثم إن يوسف أنزلهم منزلاً وأجرى عليهم
الطعام والشراب وأنزل أخاه لأمه معه .

فذلك قوله تعالى (آوى إليه أخاه) فلما خلا به قال له ما اسمك . قال بنيامين
قال له وما بنيامين ؟ قال المشكل وذلك أنه لما ولد فقد أمه قال وما اسم أمك ؟ قال
راحيل بنت ليمان بن ناحور قال فهل لك من ولد ؟ قال نعم كم ، قال عشرة بنين
قال فلما أسماؤهم لقد اشتقت أسماءهم من اسم أخ لي من أمي هلك اسمه يوسف فقال
يوسف لقد اضطررت ذلك إلى حزن شديد فما أسماؤهم ؟ قال بالما وأخير وأشكل
وأحيا وخير ونعمان وورد ورأس وعيثم وعيثم قال فما هذه الأسماء ؟ قال أما بالما
فإن أخى ابنامته الأرض وما أخير فإنه كان بكر أمي وأما أشكل فإنه كان أخى لاني
وأمي ومنى وأما أحيا فلكونه كان حياً وأما خير فإنه كان خيراً حيث كان وأما
نعمان فإنه كان ناعماً بين أبويه وأما ورد فإنه كان بمنزلة الورد في الحسن ، وأما رأس
فإنه كان بمنزلة الرأس من الجسد وأما عيثم فاعلمني أبي أنه حى وأما عيثم فلو رأيت

غرتة لقرت عيني وتم سروري فقال له يوسف أتحب ان أكون أخالك بدل أخيك ذلك الهالك فقال بنيامين أيها الملك ومن يجد أخا فشكك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام إليه وعانقه وقال (إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون) ولا تعلمهم بشيء من هذا ثم إن يوسف أوفى لإخوته الكيل وحل لبنيامين بعيراً .

قال كعب : لما قال له إني أنا أخوك قال بنيامين فإني إذا لا أفارقك قال يوسف إني قد علمت باغتمام الوالد فإن حبسته زاد غمه ولا يمكنني حبسك إلا بعد اشتهاك بأمر فظيع فقال لأبالي أفعلم ما تريد فقال يوسف إني أدس صاعى هذا فى رحلك ثم أنادى عليكم بالسرة ليتبيناً لى ردك بعد تسريحك قال أفعلم فذلك قوله تعالى (فلما جهزهم بجهازهم جعل الساقية فى رحل أخيه) وكانت مشربة يشرب بها الملك وكانت كأساً من الذهب مكلاً مرصعاً بالجواهر جعلها يوسف كيبالا يكتبال بها ثم إنهم ارتحلوا وأمهلبهم يوسف حتى ظننوا ثم إن يوسف أمر بهم فادركوا وحبسوا عن المسير (ثم أذن مؤذن أبتها العير إنكم لسارقون) فوقفوا فلما قرب منهم الرسول قال لهم ألم نحسن منزلتكم ونكرم ضيافتكم ونوف كيبكم وفعلنا لكم ما لم نفعل لغيركم قالوا بلى وما ذاك ؟ قال سقاية الملك فقدناها ولم نتمم عليها غيركم (قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين) ولنا منذ قطعنا هذه الطريق لم نرد أحداً بسوء وأسألوا عنا من مررنا به هل أضررنا أحداً أو أفسدنا شيئاً ولنا قد رددنا الدراهم لما وجدناها فى رحالنا فلو كنا سارقين ما رددناها . وفى الحديث (إنهم لما دخلوا مصر كموا أفواذوا بهم لئلا تتناول من حروث الناس شيئاً) فقال الرسول إنه صاع الملك الأكبر الذى يتسكن فيه وإنه لا تمنى عليه فإن لم أجده تخوفت أن تسقط منزلقى عنده وأفتضح فى مصر فمن رده على فله حمل بعير من طعام وأنا به زعيم أى كنفيل قالوا معاذ الله أن تسرق فقال المؤذن وأصحابه فما جزاؤه أى جزاء من وجد فى رحله إن كنتم كاذبين (قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين) فقال الرسول عند ذلك لا بد

من تفتيش أمتعتكم ولستم ببارحين حتى أفتشها ؛ ثم إنه انصرف بهم إلى يوسف
(فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه) لإزالة التهمة ؛ وكان
يفتش أمتعتهم واحداً واحداً .

قال قتادة : ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعاً ولا ينظر إلى وعاء أحد إلا استغفر
الله تعالى بما قد فهم به حتى لم يبق إلا الغلام فقال ما أظن هذا الغلام أخذ شيئاً
فقات إخوته والله ما تركك حتى تنظر في رحله فإنه أطيب لنفسك ولا نفسنا فلما
فتحوا متاعه استخرجوا الصاع منه فلما أخرج الصاع من رحل بنيامين نكس إخوته
رؤوسهم من الحياء ثم أقبلوا على بنيامين فقالوا إيش الذي صنعت بنا وفضحتنا
وسودت وجوهنا يا ابن راحيل لا يزال لنا منكم بلاء أخذت هذا الصاع فقال لهم
بنيامين : هل بنوا راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخي إلى البرية
فأهلكتموه إن الذي وضع الصاع في رحلي هو الذي وضع الدراهم في رحالكم ثم
لأنهم قالوا ليوسف (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) وهذا هو المثل السائر
عذره شر من جرمه .

واختلف العلماء في السرقة التي وصفوا بها يوسف قال سعيد بن جبير وقاتة
السرقة التي وصفوا بها يوسف أنه سرق صنماً لجده أبي أمه من ذهب فكسره والقاه
في الطريق وقال ابن جريج أمرته أمه وكانت مسلمة أن يسرق صنماً لحاله من ذهب
فأخذه وكسره وقال مجاهد جاء سائل يوماً فسرق يوسف بيضة من البيت وأعطاهما
السائل وقال ابن عيينة دجاجة فناولها السائل فميروه بها وقال وهب كان يخبأ الطعام
من المائة للفقراء وقال الضحاك وغيره - كان أول ما دخل على يوسف من البلاء
أن عمته بنت إسحق كانت أكبر ولد إسحق وكانت منطقة إسحق عندها وكانوا
يتوارثونها بالسكر وكانت راحيل أم يوسف ماتت فخضنته عمته وأحبته حباً
شديداً وكانت لا تصبر عنه فلما ترعرع وبلغ سنوات وقع خبه في قلب يعقوب
فأناها وقال لها يا أختاه سلمى إلى يوسف فوالله ما أصبر عنه ساعة واحدة فقالت

له ما أنا بتاركته فلما أوح عليها يعقوب قالت ذعه عندي أياما انظر إليه لعل ذلك
يسلمني عنه ففعل ذلك فلما خرج يعقوب من عندها عمدت إلى منطقة إسحق فحزمت
يوسف بها تحت ثيابه ثم إنها قالت فقدت منطقة إسحق فالظروا من أخذها
فالتست فلم تجد فلما فتشوا أهل البيت وجدوها مع يوسف فقال والله إنه سلم
لي اصنع فيه ماشئت وكان ذلك حكم آل إبراهيم في السارق فاناها يعقوب فأخبرته
بذلك فقال إن كان هذا فهو سلم لك لا أستطيع غير ذلك فأمسكته بعلة المنطقة فما
قدر عليها يعقوب يأخذه منها حتى ماتت فهو الذي قال إخوته (إن يسرق فقد
سرق أخ له من قبل فأسرهما يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله
أعلم بما تصفون) .

قالت الرواة لما دخلوا على يوسف واستخرج الصاع من رحل بنيامين ودعا
يوسف بالصاع فنقره ثم أدناه من أذنه ثم قال إن صاعى هذا ليخبرني انكم كنتم
اثني عشر رجلا وانكم انطلقتم بأخ فبعتموه فلما سمع بنيامين قام فسجد ليوسف
وقال أيها الملك سل صواعك هذا عن أخى أخى أين هو؟ فنقره ثم قال له حتى وسوف
تراه فقال بنيامين واصنع بي ماشئت فإنه أعلم بي سوف يستنقذني قال فدخل يوسف
إلى منزله ثم إنه بكى وتوضأ فقال بنيامين أيها الملك إني أريد ان تضرب صواعك
هذا فيخبرك بالحق من الذى سرقه فجعله في رحله فنقره ثم إنه قال إن صواعى
غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي الذى سرقتني وقد رأيت مع من كنت
قال وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا فغضب روبيل وقال أيها الملك والله
لئن لم تتركنا وتترك أختانا لأصيحن صيحة لا يبقى في مصر امرأة حامل إلا أقت
ما في بطنها وقامت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب إذا
غضبوا ومس أحدهم الآخر ذهب غضبه فقال يوسف لابنه قم إلى جنب روبيل
ومسه فقام الغلام فمسه فسكن غضبه فقال روبيل إن في هذا البيت لشيئا من ولد
يعقوب فقال يوسف من يعقوب؟ فغضب روبيل وقال أيها الملك لا تذكر يعقوب
فإنه إسرائيل الله ابن إسحق بن إبراهيم خليل الله قال يوسف أنت إذا إن كنت

صادقاً صادقاً فلما أراد يوسف ان يحتبس أخاه عنده ويصير بحكمه وإنه أولى به
منهم واحتبسه ورأوا ان لا سبيل لهم إلى تخليصه منه سألوه أن يخليه لهم ويمطوه
واحداً منهم بدله فقالوا (يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً فنخذ أحداً مكانه إننا
نراك من المحسنين قال) يوسف (معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده)
ولم يقل من سرق تحرزاً من الكذب (إننا إذا لظالمون) إن أخذنا بريئاً بسقيم
(فلما استياسوا منه خلصوا نجياً) أي خلا بعضهم ببعض متناجين متشاورين
فقال كبيرهم يعني في العقل وهو شمعون .

وقال قتادة والسدي كبيرهم في السن وهو روبيل (ألم تعلموا أن أباًكم قد أخذ
عليكم موثقاً من الله) في هذا الغلام لتردوه (ومن قبل ما فرطتم في يوسف) أي من
قبل هذا قصرتم في شأن يوسف (فلان ابرح الارض) يعني أرض مصر (حتى يأذن
لي أبي) فأرجع إلى الملك فأناجزه القتال (أو يحكم لي وهو خير الحاكمين
أرجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا) أي نحن
رأينا سرقة معه (وما كنا للغيب حافظين) حين سألتك ان ترسله معنا ولو علمنا
الغيب ان يسرق ما ذهبنا به معنا (واسأل القرية) يعني واسأل القرية (التي كنا
فيها والغير التي أقبلنا فيها) يعني قومنا أصحابوهم من أهل كنعان (وإننا لصادقون) لك في
قولنا فرجعوا إلى يعقوب بذلك القول فقال يعقوب (بل سؤاستكم أنفسكم أمراً
فصبراً جميل) وهو الذي لا جزع فيه (عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً) يعني يوسف
وبنيامين (إنه هو العليم الحكيم) وتولى عنهم يعقوب (وقال يا أسفا على يوسف)
وذلك انه لما بلغه خبر بنيامين تكامل حزنه وبلغ جمده وهيج حزنه على يوسف
فأعرض عنهم (وقال يا أسفا على يوسف) والاسف أشد الحزن .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ
« لم تعط أمة من الأمم عند المصيبة إلا لله وإنا إليه راجعون إلا أمة محمد ﷺ »
ألا ترى إلا يعقوب حين أصابه على ابنه ما أصابه من الحزن لم يسترجع إنما قال
يا أسفا على يوسف .

وقال الحسن ؛ كان بين خروج يوسف من عند أبيه إلى يوم الإلتقاء معه أكثر من ثلاثين سنة لأن يوسف أخذ من أبيه وهو ابن عشرة سنين ثم توصل إلى الملك وهو ابن ثلاثين ولم تجف عيناه من الدموع وما كان على وجه الأرض اكرم على الله تعالى من يعقوب فلما شكى وبكى قال له ولده (تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً) أى مريضاً ذاهب العقل من الهم (أو تكون من الهالكين) فقال يعقوب لما رأى غلظتهم وجفوتهم (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) لا إليكم وفي الحديث د إن يعقوب كبر وضعف حتى سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما بخرقه فقال له بعض جيرانه فتمشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أخوك فما بلغ بك ما أرى ؟ فقال طول الزمان وكثرة الأحران فأوحى الله تعالى إلى يعقوب أتشكوني إلى خلقي ؟ فقال يارب أخطأتها فاغفرها لي ، قال قد غفرت لك فيكأن بعد ذلك إذا سئل قال (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) .

اخبرني الحسين بن فتحويه : اخبرنا احمد بن الحسين بن حامد اخبرنا الحسين بن أيوب اخبرنا عبد الله بن أبي زياد اخبرنا سيار بن حاتم عن عبد الله بن السلط قال سمعت أبي يقول بلغنا ان رجلا قال ليعقوب ما الذي اذهب بصرك ؟ قال حزني على يوسف قال فما الذي قوس ظهرك ؟ قال حزني على اخيه فأوحى الله تعالى إليه يا يعقوب أتشكوني وعزتي وجلالي لا أكشف ما بك حتى تدعوني فقال عند ذلك (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) .

قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله يعقوب عليه السلام ما ساء ظنه بالله تعالى في طول بلائه ساعة من ليل أو نهار فعند ذلك خرج إخوة يوسف راجعين إلى مصر وهذه كرة ثلاثة فدخلوا على يوسف (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز) أى الملك بلغة مصر (مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة) أى قليلة رديئة لا تتفق في ثمن الطعام إلا بتجاوز من البائع فيها واختلاف المفسرون في هذه البضاعة ما هي فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا لا تتفق إلا بوضيعة .

وقال ابن أبي مليكة رضى الله عنه كانت خلقة الغرائر والحبال رداء المتاع .

وقال عبد الله بن الحارث والحسن كانت أمتة الأعراب الصوف والسن والاقط
وقال الضحاك كانت النعال والادم والسويق المقل (فأوف لنا السكيل وتصدق
علينا إن الله يحزي المتصدقين) .

قال الضحاك : لم يقولوا إن الله يحزيك إن تصدقت علينا لأنهم لم يعلموا أنه
مؤمن وقال عبد الجبار بن العلاء سئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على
أحد من الأنبياء سوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال سفيان ألم تسمع قول الله تعالى وتصدق
علينا) أراهم سفيان ان الصدقة كانت لهم حلالا وإنما حرمت على نبينا عليه الصلاة
والسلام فقال لهم يوسف مجيبا لهم عند ذلك (هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه إذ
أنتم جاهلون) واختلف العلماء في السبب الذي حمل يوسف على هذا القول الذي كان
بده فرج يعقوب وراحله وآخر بلائه ومحنه فقال بن إسحق ذكر لنا أنهم لما
كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه وأدركته الرقة فأرفض دمه با كيا ثم باح بالذي
كان يكتنم فقال (هل علمتم ما فعلتم) الآية .

وذلك ان يعقوب لما قيل له إن ابنك سرق كتب إلى يوسف كتابا من يعقوب
إسرائيل الله بن إسحق ابن إبراهيم خليل الله عزيز مصر المظهر العدل والموقر
السكيل أما بعد فإننا اهل بيت موكل بنا بالبلاء فأما جدى فابتلى بالنم وذهبت يده
ورجله وألقى في النار فجعلها الله عليه برداً وسلاماً وأما أبى فشمت يده ورجلاه
ووضع السكين على قفاه ليذبح ففداه الله بذبح عظيم . وأما أنا فكان لي ابن وكان
أحب اولادى إلى فذهب به إخوته إلى البرية ثم اتونى بقميصه ملطخاً بالدم وقالوا
قد أكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لي ابن آخر وكان أخاه من أمه
وكنيت أتسلى به فذهبوا ثم رجعوا وقالوا إنه سرق وإناك حبيسته لذلك وإنا
أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً فإن رددته على ولادعوت عليك دعوة تدرك
السابع من ولدك .

فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك نفسه من البكاء وعيل صبره فاظهر أمره

وقال بعضهم إنما قال ذلك حين سأل إخاء بنيامين هل لك ولد؟ قال نعم: ثلاثة بنين
قال فما سميتهم؟ قال سميت الأكبر منهم يوسف قال ولم؟ قال محبة لك ولذكرك قال
فما سميت الثاني؟ قال ذنباً قال ولم الذئب وهو سبع عاقر؛ قال لا ذكرك به قال
فما سميت الثالث قال دما قال ولم قال، لا ذكرك به فلما سمع يوسف هذه المقالة
خنفته العبرة ولم يتمالك ان قال لإخوته (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذا أنتم
جاهلون قالوا أنك لانت يوسف) ابن إسحق لما قال يوسف لإخوته هل علمتم
ما فعلتم بيوسف وأخيه كشف عنه الغطاء ورفع عنه الحجاب فعرفوه فقالوا (الأنك
لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى).

وروى جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال قال لهم يوسف (هل علمتم
ما فعلتم) الآية ثم تبسم وكان إذا تبسم كأن ثناياه اللؤلؤ المنظوم فلما أبصروا
ثناياه شبهوه بيوسف فقالوا له مستغفرين أنك يوسف.

وروى عطاء عن ابن عباس أنه قال إن إخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع
التاج عن رأسه وكان له في فرقه علامة وكان يعقوب مثلها وكان لإسحاق مثلها
وكان لسارة مثلها شبه الشامة فلما رفع التاج عن رأسه ورأوا الشامة عرفوه
وقالوا له (أنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا) بأن
جمعنا بعد ما فرقتم بيننا (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) ثم
لأنهم أقروا بفضل يوسف عليهم وجرى بينهم إليه فقالوا (تالله لقد آثرك الله علينا
وإن كنا لخاطئين) فقال يوسف وكان حليماً كريماً موقفاً (لا تريب عليكم اليوم
يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين).

قال السدي وغيره: لما عرفهم يوسف بنفسه سأهم عن أبيه فقال ما فعل أبي
من بعدى؟ قالوا ذهبت عيناه فأعطاهم قميصه.

قال الضحاك كان ذلك القميص لا يقع على مبتلى ولا على ستيم إلا صح وعوفي
فأعطاهم يوسف ذلك القميص وهو الذي كان لإبراهيم وقد مضت قصته فقال لهم

(اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه أبي يأت بصيراً واتتوني بأهلكم أجمعين)
فلما فصلت العير من مصر متوجهين إلى كنعان قال أبوهم يعقوب (إني لأجد ريح
يوسف لولا أن تفندون) أي تسفهون .

وروي أن ريح الصبا استأذنت ربها أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن
يأتيه البشير بالقميص فأذن لها فأتته بها ، قال ابن عباس : وجد يعقوب ريح
يوسف من مسيرة ثمان ليال وقال مجاهد وذلك أنه هبت ريح فصفقت القميص
فاحتملت الصبا ريح القميص إلى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم أنه ليس في الأرض
من رياح الجنة إلا ما كان عن ذلك القميص فمن ذلك قال (إني لأجد ريح يوسف
لولا أن تفندون) فقال له بنوه (تالله إنك لفي ضلالك القديم) فلما جاء البشير
وهو يهوذا ابن يعقوب قال ابن مسعود جاء البشير من بين يدي العير ، وقال السدي
قال يهوذا ليوسف انا ذهبت بالقميص ملطخاً بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف
أكله الذئب فأعطني اليوم قميصك لأخبره أنك حي فأفرحه كما أحزنته .

قال ابن عباس حمله يهوذا وخرج ماشياً حاسراً حافياً وجعل يعدو حتى أتى أباه
وكان معه سبعة أرغفة فلم يستوف أكلها حتى بلغ كنعان وكانت المسافة ثمانين
فرسخاً فلما أتاه بالقميص القاه على وجهه فارتد بصيراً قال الضحاك رجع إليه بصره
بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن .

عن أن هريرة رضى الله عنه قال : كان يعقوب عليه السلام أكرم أهل
الأرض على ملك الموت وإن ملك الموت استأذن ربه أن يأتي يعقوب فأذن له
فجاءه فقال له يعقوب يا ملك الموت أسألك بالذي خلقتك هل قبضت نفس يوسف
فيمين قبضت من النفس فقال لا ثم قال له ملك الموت يا يعقوب ألا أعلمك كلمات؟
قال بلى قال قل ياذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ولا يحصيه أحد غيرك قال فدعاها
يعقوب في تلك الليلة فلم يطلع الفجر حتى طرح القميص على وجهه فارتد بصيراً فقال
لهم عند ذلك (ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر
لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي) الآية

قال أكثر المفسرين آخر ذلك إلى السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة
طشوراه وذلك ان الدماء في الأسفار لا يجب عن الله تعالى فلما انتهى يعقوب
إلى الوعد قام إلى الصلاة بالسحر فلما فرغ منها رفع يديه إلى الله عز وجل -
وقال - اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لوالدي ما جنوا
على أخيهم يوسف فأوحى الله إليه إني قد غفرت لك ولهم أجمعين - وقال وهب -
كان يستغفر لهم كل جمعة في نيف وعشرين سنة

أخبرنا الحسن بن محمد بن فتحويه أخبرنا عبد الله بن محمد بن شيبعة أخبرنا أحمد
ابن أبي السفر بن ثوبان البصري أخبرنا إسحق بن زياد الأرمني أخبرنا الفضل
ابن حميد البغدادي أخبرنا بن زياد وابن ضمرة عن رجاء بن أبي سلمة عن
عطاء الخرساني قال - طلب الخوائج إلى الشباب أيسر منها إلى الشيوخ - ألا
ترى قول يوسف لأخوته لا تريب عليكم اليوم - وقول يعقوب سوف استغفر
لكم ربى .

وروى أن يعقوب قال للبشير لما أخبره بحياة يوسف كيف يوسف ؟ قال له
إنه ملك مصر فقال يعقوب ما صنع بالملك على أي دين تركته - قال على دين
الإسلام - فقال يعقوب الآن تمت النعمة .

وقال الثوري - لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام طاق كل واحد منهما
صاحبه وبكيا فقال يوسف يا أبت بكيت على حق ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة
تجمننا ؟ قال بلى يا بني ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك يوم
القيامة - قالوا وكان يوسف قد بعث مع البشير جهازاً ومائتي راحلة وسأله ان
يأتيه بأهله وولده اجمعين فتمياً يعقوب للخروج إلى مصر فلما دنا يعقوب من مصر
كلم يوسف الملك الأكبر الذي فوقه نخرج مع يوسف في أربعة آلاف من الجند
وركب أهل مصر معهما يتلقون يعقوب - وكان يعقوب يمشى متوكأ على يهوذا فنظر
يعقوب إلى الجند والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر الأكبر لا هذا ابنك

فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدؤه بالسلام فثبته الله من ذلك
وكان يعقوب افضل وأحق بذلك منه فابتدأه يعقوب بالسلام فقال : السلام عليك
يا منذهب الأحزان (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه) ورفعهما على العرش
وأبواه يعقوب ونخالته ليا فسمى الخالة أما كما سمي العم أبا في قوله تعالى (قالوا
نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق) وقال الحسن وكانت تحية
الناس يومئذ السجود ولم يرد بالسجود ووضع الجباه على الأرض فلما رأى يوسف
أبويه وإخوته قد خرّوا له سجداً أقشعر عند ذلك جلده - (وقال يا أبت هذا تأويل
رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً) الآية .

قال وهب دخل يعقوب وولده مصر وهم إثنان وسبعون إنساناً ما بين رجل
وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضع وسبعون
رجلاً سوى الذرية والمهرمي والزمني وكانت الذرية ألف ألف سوى المقابلة وقال
الفضيل بن عياض بلغنا ان يعقوب عليه السلام لما دخل مصر ورأى يوسف
وعلم بكتبته فكان يطوف يوماً من الأيام في خزائنه فرأى خزانة مملوءة قراطيس
بيضاء فقال له يا بني لقد تغيرت بعدى لك كل هذه القراطيس وما حملت بطاقة
منها تكتب إلى كتاباً ؟ فقال يوسف هذه القراطيس كلها لك كنت كلما زاد شوقى
وكثر حنينى أخذ ورقة أكتب إليك يا أبت فيمنعنى جبريل ان أكتب إليك
فأتركها في هذه الخزانة حتى بلغت هذه المبالغ فسأل يعقوب جبريل عن ذلك فقال
منعنى ربي فسأل الله عن ذلك فأوحى الله إليه لا لك قلت أخاف ان يأكله الذئب
فملا خفتنى هذه العقوبة لاجل تخوفك من غيرى

وروى صالح المروى عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال : إن الله تعالى لما
جمع ليعقوب شمله فخلا ولده نجبا ، فقال بعضهم لبعض اليس قد علمتم ما فعلتم
بالشيخ يعقوب ويوسف ؟ قالوا بلى قالوا فإن عفوا عنكم فكيف لكم بربكم ؟
فاستقام أمرهم على ان يأتوا بالشيخ فأتوه وجلسوا بين يديه ويوسف إلى جنب أبيه
قاعدا فقالوا يا أبانا أتيناك على أمر لم نأتك بمثله قط ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله قط

والانبياء أرحم البرية - فقال ما بكم يا بني ؟ فقالوا ألسنت تعلم ما كان منا إليك وإلى
أخيونا يوسف قال بلى قد علمت قالوا فلستما قد عفوتما عنا ؟ قالوا بلى قالوا فإن عفوكما
لا يعني عنا شيئاً إذا كان الله تعالى لم يعف عنا قال - فما تريدون يا بني قالوا نريد أن
تدعو الله لنا فإذا جاءك الوحي من عند الله فسله هل عفا الله عنا فإن أجابك بأنه قد
عفا عنا قرت أعيننا واطمأنت قلوبنا وإلا فلا قرت لنا عين في الدنيا أبداً فقام الشيخ
واستقبل القبلة وقام يوسف خلفه وقاموا كلهم خلفهما أذلة خاشعين فدعا يعقوب
وأمن يوسف عليهما السلام فلم يجب فيهم قريباً من عشرين سنة - قال صالح المري -
ثم نزل جبريل عليه السلام على يعقوب فقال إن الله تعالى بعثني إليك بأشرك بأنه قد
أجاب دعوتك في ولدك وأنه قد عفا عما صنعوا وإنهم قد انعمت موافقتهم بعدك على
النبوة قالوا - فأقام يعقوب بمصر بعد موافاته بأهله وولده أربعة وعشرين سنة
بأحسن حال وأهناً عيش وأنهم راحة وأدوم سلامة ؛ ثم حضرته الوفاة فلما حضر
جمع بين بنيه - وقال (ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا تعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم
واسماعيل واسحق) ثم قال (يا بني أن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم
مسلمون) ثم أوصى إلى يوسف أن يحمل جسده إلى الأرض المقدسة حتى يدفنه
عند أبيه اسحق وجده إبراهيم ففعل ذلك ونقله إلى بيت المقدس في تابوت من ساج
وخرج معه يوسف في عسكره وإخوته وعظماء أهل مصر ووافق ذلك يوم وفاة
عيسى ثم دفنوا في يوم واحد وكان عمرهما جميعاً مائة وسبعاً وأربعين سنة لأنهما
ولدا في بطن واحد وقبرا في قبر واحد .

قال قتادة فلما جمع الله ليوسف شمله وأقر له عينه وأتم له تفسير رؤياه وكان
موسماً عليه في ملك الدنيا ونعيمها وعلم أن ذلك لا يدوم له وأنه لا بد له من فراقه
فأراد نعيم الجنة إذ هو أفضل منه فتأقت نفسه إلى الجنة فتمنى الموت ودعا به ولم يتمن
قبلي قبله ولا بعده الموت فقال (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل
الاحاديث) الآية .

روى أن يوسف لما حضرته الوفاة جمع إليه قومه من بنى إسرائيل وهم ثمانون رجلاً وأعلمهم بحضور أجله ونزول أمر الله تعالى به - فقالوا يا نبي الله تحب أن أمرنا كيف تتصرف الأحوال بنا بعد خروجك من بين أظهرنا وإلى ما يؤول إليه أمرنا وديننا وملتنا - فقال لهم أمركم يستقيم على ما أنتم عليه وتستقيمون على دينكم إلى أن يبعث رجل جبار عات من القبط يدعى الربوبية فيقهركم ويندبح أبناءكم ويستحيي نساءكم ويسومكم سوء العذاب فتمد أيامه مدة مديدة - ثم يخرج من بنى إسرائيل من ولد لاوي بن يعقوب رجل اسمه موسى بن عمران رجل طويل جعد الشعر آدم اللون فينجيكم الله من أيدي القبط على يده قال فجعل كل من بنى إسرائيل يسمى ابنه عمران ويسمى عمران ابنه موسى .

ثم مات يوسف عليه السلام ، وكان قد أوصى إلى أخيه يهوذا واستخلفه على بنى إسرائيل فتوفاه الله طيباً طاهراً ودفن في النيل في صندوق من رخام وكان قبره في النيل إلى أن حمله موسى عليه السلام معه حين خرج من مصر ببني إسرائيل فنقله إلى الشام ودفنه بأرض كنعان خارج الصين حيث هو اليوم فذلك تنقل اليهود موتاهم إلى الشام من فعل ذلك فيهم .

وروى يونس بن عمران عن أبي موسى قال ؛ نزل رسول الله ﷺ بأعرابي فأكرمه فقال رسول الله ﷺ اكرمتنا فأحسنت نيل حاجتك فقال ناقة نرحلها وعزة تحلبها أهلي فقال رسول الله ﷺ أعجز هذا أن يكون مثل عجوز بنى إسرائيل فقالوا يا رسول الله وما عجوز بنى إسرائيل؟ فقال إن بنى إسرائيل لما خرجوا اضلوا الطريق وأظلم عليهم الليل فقالوا ما هذا؟ فقال علمواؤهم إن يوسف لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقاً من الله أن لا يخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا قال موسى فمن يعلم موضع قبره قالوا عجوز لبني إسرائيل فبعث إليها موسى فأتته فقال دليني على قبر يوسف فقالت وتمطيني حكى قال وما حكك قالت أن أكون معك في الجنة فذكره أن يعطيها حكماً فأوحى الله إليه إن أعطها حكماً .

وروى من طريق أن هذه العجوز كانت مقعدة عمياء فقالت لموسى ألا أخبرك بموضع قبر يوسف قال نعم : فقال لا أخبرك حتى تعطيني أربع خصال تطلق رجلى وتعيد إلى بصرى وشبابى وتجعلنى معك فى الجنة فكبر ذلك على موسى فأوحى الله إليه أن أعطها ما سألت فإنك إنما تعطى على ففعل فانطلقت بهم إلى موضع عين فى مستنقع ماء فاستخرجوه من شاطئ النيل فى صندوق من مرمر فلما حملوا تابوته طلع القمر وأضاء الطريق مثل النهار فاهتدوا به وحملوه

قال أهل التاريخ : عاش يوسف بعد موت يعقوب عليه السلام ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة صلوات الله عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وهكذا تلتهى قصة يوسف فى روعتها وجلالها ، والحمد لله رب العالمين .

(مجلس فى قصة موسى بن ميثا بن يوسف عليه السلام)

وقال موسى الأول وقد ذكرنا فيما مضى ان يوسف عليه السلام ولد له ابنان أحدهما يقال له أفرائيم والآخر ميثا وابنة يقال لها رحمة وهى امرأة النبى أيوب عليه السلام فولد لأفرائيم نون وولد لنون يوشع وهو فتى موسى بن عمران وخليفته على بنى إسرائيل وأما ميثا فولد له موسى فنبأه الله تعالى فزعم أهل التوراة أنه صاحب الخضر والعامية من العلماء أن صاحب الخضر موسى بن عمران وكذلك روى عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ .

قال أهل العلم والتاريخ لما مات يعقوب وإيوسف عليهما السلام وآل الأمر إلى الأسباط كثروا ونموا وظهر فيهم ملوك ففبروا مسيرتهم وأفسدوا فى الأرض وفشا فيهم السحر والسكمانه فبعث الله تعالى إليهم موسى بن ميثا رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وأداء أمره وإقامة سنته وذلك قبل مولد موسى بن عمران بمائتى سنة فأطاعه قوم منهم وعصاه آخرون .

وقال وهب بن منبه وغيره كان مما أوحى الله إليه أن قل لقومك إني بريء ممن
سحر أو سحر أو تسكهن أو تسكهن له أو تطير تطير له من آمن به صادقاً وتوكل
على فاتى كنت له كافياً ومثلياً وكفيتها هم دينه ودينه وكنت له خير معين وهاد
وكنت عند ظنه بى ومن عدل عنى ووثق بغيرى فأنا أغنى الشركاء عن الشرك أكله
إلى من وثق به دونى ومن وكلته إلى غيرى فليستعد للفتنة والعذاب ومن تباغذ
عنى كنت عنه أشد تباغذاً ومن تقرب إلى كنت أشد تقرباً منه إلى وقل لعبادى
لا تغفلوا عن ذكرى وليكثروا ذكر الموت عند كل شهوة فإنه يميت الشهوات
واللذات كلها قالوا فليث فيهم ما شاء الله أن يلبث يقوم أمرهم ويصلح أحوالهم
ثم مات صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين والله تعالى أعلم .

(مجلس فى ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة إرم ذات العماد)
قال الله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد) الآية

روى سفيان عن منصور عن أبى وائل قال إن رجلاً يقال له عبد الله بن قلابة
خرج فى طلب إبل له قد ضلت أى شردت فبينما هو فى بعض صحارى عدن فى تلك
الفلوات إذا وقع على مدينة عليها حصن حول ذلك الحصن قصور عظيمة وأعلام طوال
فلما دنا منها ظن أن فيها من يسأله عن إبله فلم ير فيها أحداً لا داخلاً ولا خارجاً فزول
عن ناقته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فإذا هو بباين عظيمين لم ير
فى الدنيا أعظم منها ولا أطول وإذا خشبهما من أطيب عود وعليها نجوم من ياقوت
أصفر وياقوت أحمر ضوءها قد ملأ المكان فلما رأى ذلك أعجبه ففتح أحد البابين
فإذا هو بمدينة لم ير الرءون مثلها قط وإذا هو بقصور معلقة تحتها أعمدة من زبرجد
وياقوت وفوق كل قصر منها غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت
والزبرجد على كل باب من أبواب تلك القصور مصراع مثل مصراع باب تلك المدينة
من عرد رطب قد لصدت عليه اليواقت وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ وبنادق
المسك والزعفران فلما رأى ذلك ولم ير هناك أحداً أخذ الفرع ثم أنه نظر إلى الأزقة
فإذا فى كل زقاق منها أشجار قد أثمرت وتحتها أنهار تجري فى قنوات من فضة أشبه

بمياضاً من الثلج فقال هذه الجنة التي وصفها الله لعباده في الدنيا والحمد لله الذي
أدخاني الجنة ثم إنه حمل لؤلؤة وبنادق المسك والزعفران ولم يستطع أن يقلع من
زبرجدها شيئاً ولا من يواقتها لأنها كانت مثبتة في أبوابها وجدرانها وكان اللؤلؤ
وبنادق المسك والزعفران منشورة بمنزلة الرمل في تلك القصور والغرف فأخذ منها
ما أراد وخرج حتى أتى ناقته فركبها ثم إنه سار يقفو أثر ناقته حتى رجع إلى
اليمين فأظهر ما كان معه وأعلم الناس بأمره وباع بعض ذلك اللؤلؤ .

(قال) أرسل معاوية إلى كعب الاحبار فلما حضر قال يا أبا إسحاق إن دعوتك
لامر رجوت أن يكون علمه عندك ، فقال له أمير المؤمنين علي الخبير سقطت سل
عما بدا لك فقال له أخبرنا يا أبا إسحاق هل بلغت أن في الدنيا مدينة بالذهب
والفضة وعمدها من زبرجد وياقوت وحصى قصورها وغرفها اللؤلؤ وأنهارها في
الآزقة تجري تحت الأشجار فقال كعب والذي نفس كعب بيده لقد ظننت أني
سأسألك قبل أن يسألني أحد عن تلك المدينة وما فيها وامكن أخبرك بها يا أمير
المؤمنين ولمن هي ومن بناها أما تلك المدينة فهي حق على ما بلغ أمير المؤمنين وعلى
ما وصفت له وأما الذي بناها فشداد بن عاد وأما المدينة فهي إرم ذات العماد التي لم
يخلق مثلها في البلاد فقال له معاوية يا أبا إسحاق حدثنا بحديثها يرحمك الله فقال كعب
يا أمير المؤمنين إن عاداً كان له إبنان سمي أحدهما شديد والآخر شداد فملك عاد
وبقى ولداه بعده فملكا وتجبرا وقهرا كل البلاد وأخذها عنوة وقهراً حتى دان لها
جميع الناس ولم يبق أحد في زمانهما إلا دخل في طاعتهم إلا في شرق الأرض
ولا غربها وأنهما لما صفا لها ذلك وقر قرارهما مات شديد بن عاد وبقي شداد
فملك وحده ولم ينازعه أحد وكانت له الدنيا كلها وكان مولعاً بقراءة الكتب
القديمة وكان كلما مر فيها على ذكر الجنة دعتة نفسه أن يجعل تلك الصفة لنفسه في
الدنيا عتواً على الله تعالى وكفراً فلما قر ذلك في نفسه أمر بصنع تلك المدينة التي
هي إرم ذات العماد وأمر على صنعها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الأعوان
ثم قال لهم انطلقوا إلى أطيب بقعة في الأرض وأوسعها واعملوا فيها مدينة من

(م ١١ - قصص الأنبياء)

ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ وتحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد وياقوت وعلى المدينة قصور ومن فوق القصور غرف واغرسوا تحت القصور غرائس فيها أصناف الثمار كلها وأجروا فيها الأنهار تحت الأشجار فأتى أرى في الكتب صفة الجنة ولاني أحب أن أجد مثلها في الدنيا وأتمجّل سكنها .

فقال له قهارته كيف لنا بالقدره على ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة فنبتني منها مدينة كما وصفت لنا ؟ فقال لهم شداد أستم تعلمون أن ملك الدنيا كلها بيدي قالوا بلى قال فانطلقوا كل إلى موضع به معدن من معادن الزبرجد والياقوت والذهب والفضة وأي بحر فيه لؤلؤ فوكوا به من كل قوم رجالاً تخرج ليكم ما في كل معدن من تلك الأرض ثم انطلقوا إلى ما في أيدي الناس من ذلك فخذوه سوى ما يأنىكم به أصحاب المعادن فإن معادن الدنيا فيها كثير من ذلك وفيها مما لا تعلمون أكثر وأعظم مما كلفتم به من صنعة هذه المدينة .

قال فخرجوا من عنده وكتب معهم إلى كل ملك في الدنيا كتاباً يأمره أن يجمع لهم ما في بلاده من الجواهر وأن يحفر معادنها فانطلق هؤلاء القهارمة وأعطوا كل ملك من الملوك كتاباً يأخذ ما يوجد في مملكته فيبقوا على تلك الحالة عشر سنين حتى جمعوا كل ما يحتاجونه إلى إرم ذات العباد من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة وأخذوا موضعاً كما أراد ووصف لهم قال فخرج عند ذلك القملة والقهارمة فتفرجوا في الصحارى ليتخذوا ما يوافق غرضه فلم يجدوا ذلك إلا في أرض أبين من بلاد عدن فوقها بها على صحراء عظيمة نقيية من التلال والجبال وإذا هم بعيون مطرودة فقالوا هذه صفة الأرض التي أمرنا بها فأخذوا بقدر ما أمرهم به من العرض والطول ثم جعلوا لها حدوداً محدودة ثم عمدوا إلى مواضع الأزقة التي فيها الماء فأجروا فيها القنوات لتلك الأنهار ثم وضعوا الأساس من صخور الجوزع اليماني وعجنوا طين ذلك الأساس من دهن اللبان والمحاب فلما فرغوا من وضع الأساس وأجروا فيها القنوات أرسل الملوك إليهم الجواهر والذهب والفضة فمنهم من بعث بالعمد مضروبة ومنهم من بعث بالذهب والفضة مصنوعة

مفروغاً منها فدفعوا كل ذلك إلى أولئك القهارمة والوزراء فأقاموا فيها حتى فرغوا من بنائها على ما أراد شداد فقال له معاوية يا أبا إسحاق إني لأحسبهم أقاموا في بنائها زماناً من الدهر قال نعم يا أمير المؤمنين إني لأجد في التوراة أنهم أقاموا في بنائها ثلثمائة سنة فقال معاوية كم كان عمر شداد صاحبها قال كان عمره سبعمائة سنة فقال له معاوية يا أبا إسحاق لقد أخبرنا خبراً عجيباً حدثنا فقال يا أمير المؤمنين إنما سماها الله تعالى إرم ذات العماد من أجل العماد التي تحتها من الزبرجد والياقوت وليس في الدنيا مدينة من الزبرجد والياقوت غيرها فلذلك قال (التي لم يخلق مثلها في البلاد).

قال معاوية يا أبا إسحاق لقد ظهر فضلك على غيرك من العلماء واقدم أعطيت من علم الأولين والآخرين ما لم يعطه أحد فقال يا أمير المؤمنين والذي نفس كعب بيده ما خلق الله في الأرض شيئاً إلا وقد فسره في التوراة لعبيده موسى عليه السلام تفسيراً وإن هذا القرآن أشد وعيداً وكفى بالله شهيداً ووكيلاً.

قال الشعبي أخبرنا غفل الشيباني عن رجل من حضرموت يقال له بسام أنه وقع على حفيرة شداد بن عاد في جبل من جبال حضرموت يطل على البحر وأخرج منها لوح مكتوب لا يوجد أحد يقرؤه حتى جاء رجل من أهل صنعاء حميري وكان يحسن قراءة تلك الكتابة فأخرجنا إليه اللوح فقرأه فإذا فيه مكتوب هذه الآيات :

اعتبرني أيها المفرور	بالعمر المديد
أنا شداد بن عاد	صاحب الحصن العميد
وأخو القوة والبأ	بماء والملك الحشيد
ذان أهل الأرض طراً	لي من خوف وعيد
وملك الشرق والغز	ب بسلطان شديد
ويفضل الملك والعدة	فيه والعديد
جاء هود وكنا	في ضلال قبل هود

فدعا لو قبانا كان بالأمر الرشيد
فمصيناه وناديننا ألا هل من محيد
فأتنا صيحة تهوى من الألق البعيد
فتواقبنا كزرع وسط بيداه حصيد

قال دغفل : سألت علماء حمير عن شداد وقلت إنه أصيب وقد كان دنا من إرم ذات العمام فكيف وجد في تلك المغارة وهي بحضرموت قالوا إنه لما هلك هو ومن معه من الصيحة على مرحلة من تلك المدينة ملك من بعده يزيد بن شداد وقد كان أبوه خلفه على ملكه بحضرموت فأمر بحمل أبيه إلى حضرموت فحمل مطلقاً بالصبر والكافور ثم أمر بحفر تلك المغارة فحفرت واستودعه فيها على ذلك السرير الذي من الذهب والله أعلم .

(مجلس في ذكر قصة أصحاب الرس)

قال الله تعالى (وعاد وثمود وأصحاب الرس) اختلف العلماء من أهل التفسير وأصحاب الأفاضل فيهم فقال سعيد بن جبير والكلبي والخليل بن أحمد دخل كلام بعضهم في بعض وكل أخبر بطائفة من حديث أصحاب الرس أن أصحاب الرس بقية ثمود قوم صالح وهم أصحاب البئر التي ذكرها الله تعالى في كتابه في قوله تعالى (وبئر معطلة وقصر مشيد) .

(قال) وكان قوم لهم نهر يدعى الرس ينسبون إليه وكان فيهم أنبياء كثيرة لا يقوم فيهم نبي إلا قتلوه وذلك النهر بمنقطع أذربيجان بينها وبين أرمينية فإذا قطعت مدبراً دخلت في حد أرمينية وإذا قطعته مقبلاً دخلت في حد أذربيجان وكان من حولهم من أرمينية يعبدون الأوثان ومن إمامهم من أهل أذربيجان يعبدون النيران وهم كانوا يعبدون الجوارى العذاري فإذا تمت لإحداهن ثلاثون سنة قتلوها أو استبدلوها غيرها وكان عرض نهرهم ثلاث فراسخ وكان يرتفع في كل يوم وليلة حتى يبلغ أنصاف الجبال التي حوله وكان لا ينصب في بحر ولا بر

فإذا خرج من حدهم يقف ويدور ثم يرجع إليهم فبعث إليهم ثلاثين نبياً في شهر واحد فقتلوهم جميعاً فبعث الله تعالى إليهم نبياً وأيده بنصره وبعث معه ولياً فجاهدهم في الله حق جهاده ثم بعث إليه ميكائيل حين نابذوه وكان في أوران وقرع الحب في الأرض وكانوا عند ذلك أحوج ما يكونون إلى الماء فحفر نهرهم في البحر وانصب ما في أسفله وأتى إلى عيونهم من فوق فسدتها وبعث الله إليه خمسمائة من الملائكة أعواناً له فحرفوا ما بقى في وسط نهرهم ثم أمر الله جبريل فنزل فلم يدع في أرضهم شيئاً ولا نهرأ إلا أبيضه بإذن الله تعالى وأمر ملك الموت فانطلق إلى المواشي فأماتها دفعة واحدة وأمر الرياح الأربع الجنوب والشمال والديور والصبيا فضمت ما كان لهم من متاع وألقى الله تعالى السبات .

ثم خفت الرياح الأربع بذلك المتاع أجمع فرمته في رؤوس الجبال وبطون الأودية وأما ما كان من حلي وتبر وآنية فإن الله تعالى أمر الأرض فابتلعته فاصبحوا لاشاة عندهم ولا بقرة ولا مال يعودون إليه ولا ماء يشربونه ولا طعاماً يأكلون فبأمر بالله عند ذلك قليل منهم وهداهم الله إلى غار في جبل له طريق من خلفه فنجوا وكانوا أحداً وعشرين رجلاً وأربع نسوة وصديين وكان عدد الباقي من الرجال والنساء والذراري ستمائة ألف ماتوا عطشاً وجوعاً ولم يبق منهم باقية ثم عاد القوم إلى منازلهم فوجدوها قد صار أعلاها أسفلها فداها القوم عند ذلك مخلصين لله أن يحييهم بماء وزرع وماشية ويجعله قليلاً لتلا يطغوا فأجابهم الله تعالى إلى ذلك لما علم من صدق نياتهم وإخلاصهم وقالوا إنه لا يبعث الله رسولا إلا من يليهم ويقاربهم إلا أعانوه وصدقوه وعضدوه فعلم الله منهم الصدق فأطلق لهم نهرهم وزادهم على ما سألوه فأقام أولئك القوم في طاعة الله ظاهراً وباطناً حتى مضوا وانقرضوا فحدث من بعدهم من نسلهم قوم أطاعوا الله في الظاهر ونافقوا في الباطن وأملى الله تعالى لهم وكان عليهم قادراً وكانت معاصيهم أكثر من طاعتهم وخالفوا أولياء الله فبعث الله عليهم من فارقوم وخالفهم فأسرع فيهم القتل وبقيت منهم شردمة فسلفظ الله عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحد وبقي نهرهم ومنازلهم وما فيها مما تبقى عام لا يسكنها أحد ثم أتى الله بقوم بعد ذلك فنزلوها وكانوا صالحين .

وروى علي بن الحسين زين العابدين عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب رضوان
الله عليهم أن رجلاً من أشرف بني تميم يقال له عمر أتاه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني
عن أصحاب الرس وفي أي عصر كانوا؟ وأين كانت منازلهم؟ ومن كان ملكهم؟
وهل بعث الله إليهم رسولا أم لا؟ وبماذا أهلكتهم؟ فأني أجد في كتاب الله عز
وجل ذكرهم ولا أجد خبرهم؟ فقال له أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لقد سألتني
عن حديث ما سألتني عنه أحد قبلك ولا يحدثك به أحد بعدى كان من قصتهم يا أخا
تميم أنهم كانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شات ذرخت وكان يافك بن
نوح غرسها على شفير عين يقال لها دوسان وكانت نبعت لنوح عليه السلام بعد
الطوفان وإنما سموا أصحاب الرس لأنهم رسوا نبيهم في الأرض وذلك قبل سليمان
ابن داود عليهما السلام وكانت لهم اثنتا عشر قرية على شاطئ نهر يقال له الرس
من بلاد المشرق وبهم سمي ذلك النهر ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر منه
ولا أعذب منه ولا قرى أكثر سكاناً وعمراً منها وكان أعظم منازلهم اسفنديار
وهي التي كانت ينزلها ملكهم وكان يسمى تركون بن عابور بن نوش بن سارب
ابن النروذ بن كنعان فرعون إبراهيم عليه السلام وفيها العين التي يسقون منها
الصنوبر التي كانوا يعبدونها وقد غرسوا في كل قرية منها حبة من طلع تلك
الصنوبرة فنبتت تلك الحبة وتصير شجرة عظيمة ثم حرموا ماء تلك العين والأنهار
فلا يشربون منها لا هم ولا أنعامهم ومن فعل ذلك قتله ويقولون هي حياة أهلكه
فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتها ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذي
عليه قراهم، وقد جعلوا في كل شهر من السنة عيداً يجتمع إليه أهلها ويضربون على
تلك الشجرة مظلة من الحرير فيها أصناف الصور ثم يأتون بشياه وبقر فيذبحونها
قرباناً للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب الكثير فإذا سطع دخان تلك الذبائح
ونارها وبخارها في الهواء وحال بينهم وبين النظر للسماء خروا سجداً للشجرة
يمكرون ويتضرعون إليها أن ترضى عنهم وكان الشيطان يجيء فيحرك أغصانها
ويصيح في ساقها صياح الصبي .

عبادى قد رضيت عنكم فطيبوا نفساً وقرؤا عيتاً فيرفعون عند ذلك رموسهم
ويشربون الخمر ويضربون المعازف فيكونون على ذلك يومهم وليالتهم ثم ينصرفون
حق إذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع إليه صغيرهم وكبيرهم فيضربون عند
شجرة الصنوبر والعين سرادقاً من ديباج وعليه أنواع الصور له اثنا عشر باباً
كل باب لاهل قرية منهم فيسجدون للصنوبرة من خارج السرادق ويقربون إليها
الذبائح أضعاف ما قربوا للشجرة التي في قراهم فيجىء إبليس عند ذلك فيحرك
الصنوبرة تحريكاً شديداً ويتكلم من جوفها كلاماً جهورياً يعدم ويمنيهم بأكثر
عما وعدتهم الشياطين جميعاً فيرفعون رموسهم من السجود ولحم من الفرح والسرور
ما لا يفيقون ولا يتكلمون معه فيديون الشرب والمعازف ويكونون على ذلك
اثنا عشر يوماً وليلة بعدد أعيادهم في السنة ثم إنهم ينصرفون فلما طال كفرهم بالله
تعالى وعبادتهم غيره بعث الله إليهم نبياً من بنى اسرائيل من ولد يهوذا بن يعقوب
فلبث فيهم زمناً طويلاً يدعوهم إلى الله تعالى ويعرفهم برؤسيتهم فلا يقبلونه
ولا يسمعون مقالته فلما رأى شدة ما هم فيه من الفى والضلالة وتركهم قبول
ما دعاهم إليه من الرشد والصلاح حضر عند قريتهم العظمى وقال يا رب إن
عبادك أبوا تصديقى ودعوتى إليهم وما أرادوا إلا تكذيبى والمكفر بك .

فبينما هم في عيدهم إذ غشيتهم ريح عاصف حراء فتعيروا فيها وذعروا منها
وتضام بعضهم إلى بعض ثم إن الأرض صارت من تحتهم كهجر كبريت تنوقد
وأظلمت سحابة سوداء فألقت عليهم حجراً كالقبة يلتهب فأذاب أبدانهم كما
يذوب الرصاص في النار فنعوذ بالله من غضبه ودرك نعمته إنه هو السميع العليم
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً كثيراً والله أعلم .

(مجالس في قصة نبي الله أيوب عليه السلام)

قال الله تعالى (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه) الآية وقال تعالى (وأيوب
إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) .

قال وهب وكعب وغيرهما من أهل الكتب كان أيوب رجلاً من الروم وكان
رجلاً طويلاً عظيم الرأس جعد الشعر حسن العينين والخلق قصير العنق غليظ الساقين
والساعدين وكان مكتوب على جبهته المبتلى والصابر وهو أيوب بن أموص بن تارخ
ابن روم بن عيص بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام وكانت أمه من ولد لوط بن
هاران وكان الله قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا وكان له الثنية من أرض الشام
كلها مهاتها وجبلها وما كان فيها وكان له من أصناف المال كله من الإبل والبقر والغنم
والخيل والحير ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدد والكثرة وكان له بها خمسمائة
فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد وصال ويحمل آلة كل فدان أتان
واكل أتان ولد من الإثنين إلى فوق الخمسة وكان الله أعطاه أهلاً وولداً من رجال
ونساء وكان أمراً تقياً رحيماً بالمساكين يكفل الأيتام ويكرم الضيف
ويبلغ ابن السبيل وكان شاكراً لأنعم الله تعالى مؤدياً لله قد امتنع من عدو الله
إبليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل والسهو
عن أمر الله تعالى بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه
وعرفوا فضله رجل من أهل اليمن يقال له اليغن ورجلان من أهل بلاده يقال
لأحدهما مالك وللآخر ظافر وكانوا كهولاً .

قال وهب إن لجبريل عليه السلام بين يدي الله مقاماً ليس لأحد من الملائكة
مثله في القرية والفضيلة وإن جبريل هو الذى يتلقى الكلام فإذا ذكر الله تعالى
عبداً بخير تلقاه جبريل ثم ميكائيل ثم من حوله من الملائكة المقربين والمحافين من
حول العرش فإذا شاع ذلك فى الملائكة المقربين صارت الصلاة على ذلك العبد من
أهل السموات فإذا صلت عليه ملائكة السموات هبط عليه بالصلاة إلى ملائكة
الأرض وكان إبليس لا يحجب عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حينما أراد

ومن هناك وصل إلى آدم حين أخرجه من الجنة فلم يزل على ذلك يصعد إلى السماء حتى رفع الله تعالى عيسى عليه السلام فحجب عن أربع وكان بعد من ثلاث فلما بعث الله محمداً ﷺ حجب عن الثلاث الباقية فهو وجنوده محجوب عن جميع السموات إلى يوم القيامة .

(إلا من استترق السمع فأتيه شهاب مبین) قال فسمع إبليس نواب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فأدركه البغي والحسد وصعد سريعاً حتى صعد في السماء موقفاً كان يقفه فقال يا إلهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبداً أتت عليه فشكره وعافيته فحمدك ثم لم تخبره لا بشدة ولا بلاء وأياك زعيم أثنى ضربته ببلاء ليكفرن بك وليذهبك فقال الله تعالى انطلق إليه فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله حتى بلغ الأرض ثم جمع عذابات الشياطين وعظماهم ، فقال ماذا كان عندكم من القوة والمعرفة فإني قد سلطت على مال أيوب وزوال المال هو المصيبة الفادحة والفتنة التي لا تحبر عليها الرجال فقال عذابت من الشياطين أعطيت من القوة ما لو شئت تحولت إعماراً من نار فأحرقت كل شيء فقال إبليس فأت الإبل فأحرقها ورعاتها فانطلق يوم الإبل وذلك حين وضعت رموسها وثبتت في مراعيها فما يشعر الناس حتى نار من تحت الأرض إعمار من نار تمنع فيه رياح السموم لا يدنوا منها أحد إلا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل إبليس على قعود منها في حنة راعيها ثم انطلق يوم أيوب حتى وجدته قائماً يصلي فقال له يا أيوب قال ليبيك فقال هل تدري ما الذي صنع ربك الذي اخترته وعبدته يا بلك ورعاتها فقال أيوب إنها ماله إعمار فيها وهو أولى بها إن شاء تركها وإن شاء أخذها وقد تحققت وطبقت لنفس أني ومالي للفناء والزوال فقال له إبليس فإن ربك أرسل إليها ناراً من السماء فأحرقها كلها وصار الناس مبهوتين وقوفاً عليها يتعجبون منها فمنهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيئاً وما كان إلا في غرور ومنهم من كان يقول لو كان إله أيوب بقدر هل أن يصنع شيئاً لمنع وليه من حريق مواشيه ومنهم من يقول بل هو إله أيوب بقدر هل

فقسمت به عدوه وجمع به صديقه فقال أيوب الحمد لله الذي أعطاني وحيث شاء
نزع من عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود إلى القبر وعريانا أحشر إلى
ربي ليس ينبغى لك أن تفرج حين أعارك الله وتجزع حين قبض عاريته فهو أولى
بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها الصبد خيراً لنقل روحك مع تلك الأرواح
وصيرك شهيداً مع الشهداء وليكنه علم فيك شراً فأخرجك وخلصك من البلاء
يخلص الزوان من القمح الخالص فرجع إبليس إلى أصحابه خائباً ذليلاً .

قال : وأيوب كلما انتهى إليه بهلاك مال من ماله حمد الله وأحسن الثناء عليه
ورضى بالتضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى ما بقي له مال فلما رأى إبليس
أنه قد أفنى ماله ولم ينل منه شيئاً ولا نجح في شيء من أفعاله شق عليه ذلك وصعد
سريعاً ووقف الموقف الذي كان يقفه وقال إلهي إن أيوب يرى أنك مهما متعته من
نفسه وولده فأنت تعطيه المال فهل أنت مسالطني على ولده فإنها الفتنة المضلة والمصيبة
التي لا تقوم لها قلوب الرجال ولا يقوى عليها صبرهم فقال الله تعالى له انطلق فقد
سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى جاء بني نبي الله أيوب وهم في قصرهم فلم يزل
يزلله حتى تداعى القصر من قواعده ثم جعل يناطح بجداره بعضها بعضاً فرماهم
بالخشب والجنيدل حتى مثل بهم كل مثله ثم رفع بهم القصر وقابه فصاروا منكسين
ثم إن إبليس انطلق إلى أيوب متمثلاً بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح
مشدوخ الرأس والوجه يسيل دمه من دماغه فأخبروه بذلك وقال له يا أيوب لو رأيت
بنيك كيف عذبوا وكيف قلب بهم القصر وكيف نكسوا على رؤسهم تسيل دماؤهم
وأدعتهم من أنوفهم وشفاهم ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم
لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ويردده حتى رق أيوب لذلك وبكى وقبض قبضة
من التراب فوضعها على رأسه فاغتم إبليس الفرصة منه لذلك فصعد سريعاً بالذي
كان من جزع أيوب مسروراً ثم لم يلبس أيوب أن أبصر فاستغفر وشكر فصعد
قرناؤه من الملائكة باستغفاره وتوبته فبدروا إبليس وسبقوه إلى الله والله أعلم بما
كان فوق إبليس خاسماً ذليلاً فقال إلهي إنما هون على أيوب خطر المال والولد
أنه يرى أنك مهما متعته بنفسه وأنت تعيد له المال والولد فهل أنت مسالطني على

نفسه وبدنه فإنك زعيم لمن ابتليته في جسده لينسينك وليكفرن بك وليجهدن
تعمتك ، فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على جميع جسده ولكن ليس لك سلطان
على لسانه وقلبه ولا على عقله ، وكان والله أعلم به أنه لم يسلطه عليه إلا رحمة ليحفظ
الله الثواب ويجعله عبرة للمصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به
في الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله سريعاً فوجد أيوب ساجداً فقبل أن
يرفع رأسه أتاه من قبل الأرض في موضع وجهه ونفخ في منخريه نفخة أشعل منها
جسده فذهل وخرج به من قومه إلى ثأ ليل مثل أليات الغنم ، ووقعت فيه حكة
لا يمسكها ولا يتماسك عن حكها فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ، ثم حكها بالمسوح
والخشنة حتى قطعها ثم بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى نزل لحمه وتقطع
وتغير وأنتن ، فأخرجته أهل القرية فجعلوه على كمناسة وجعلوا له عريشاً فرفضه
خلق الله كلهم غير امرأته رحمة بذت افرائيم بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام ،
وكانت تختلف إليه بما يصلحه وتكرمه فلما رأى أصحابه الثلاثة ما ابتلاه الله به
لاتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلقوا إليه وهو في
بلائه ، فبكتوه ولأموه وقالوا له تب إلى الله من الذنب الذي عوقبت به .

قال وكان حضر معهم في حديث السن وكان قد آمن به وصدقه فقال إنكم
تسكتم أيها الكهول وكنتم أحق بالكلام لاسنانكم وليكنكم قد تركتم من القول
أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الأسر أجهل من الذي
أنتم وقد كان لا يرب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم ، فهل تدرون
أيها الكهول حق من أنتم وجرمة ما أنتم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم ألم
تعلموا أن أيوب نبي الله وحبيبه وخيرته وصفوته من أهل الأرض في يومكم هذا
ثم إنكم لم تعلموا ولا أطلعكم الله تعالى على أنه سخط شيئاً من أمره منذ أتاه ما أتاه
إلى يومكم هذا ولا علمتم أنه نزع منه شيئاً من الكرامة التي أكرمه الله بها ولا أن
أيوب غير الحق في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا فإن كان البلاء هو الذي
أزرى به عندكم ووضع في أنفسكم فقد علمتم أن الله تعالى يبتلي النبيين والصديقين

والشهداء والصالحين ثم إن بلاءهم ليس دليلاً على سخطه عليهم ولا هو انهم عليه
ولكنه كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس هو من الله بهذه المنزلة إلا أنكم
أنتموه على وجه اصحبه لكان لا يحمل بالحكيم أن يعدل أخاه عند البلاء ولا يعيره
بالمصيبة ولا يعلم وهو مكروب حزين ولكن يرحمه ويبيغي معه ويستغفر الله له
ويحزن لحزنه ويدله على أرشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله
أيها الكهول فقد كان لكم في عظم الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم
ويكسر قلوبكم ألم تعلموا أن الله عبداً أسكنتهم خشيته من غير عني ولا بكم وإنما
لهم الفصحاء النبلاء الأولياء العالمون بالله وآياته وأسكنتهم إذا ذكروا عظمة الله
أفقطت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم إعظاماً
لله تعالى وإعزازاً وإجلالاً فإذا استفاقوا استبقوا إلى الله تعالى بالأعمال الزاكية
الصالحة يعدون أنفسهم مع الخاطئين الصالحين وإنما برآء ويعدون أنفسهم مع
المفرطين المقصرين وإنما لا كياس أقوياء وإنما لا يستكثرون الله الكثير ولا يرضون
له بالقليل ولا يدلون عليه بالأعمال ، فهم مروعون مفرعون خاشعون مستكينون
فقال أيوب إن الله تعالى يزرع الحكمة بالرحمة في قلب المؤمن الكبير والصغير فتى
نبتت في القلب أظهرها الله تعالى على اللسان وليس تكون الحكمة من قبل السن
والشيب ولا طول التجربة فإذا جعل الله العبد حكماً في الضب لم تسقط منزلته عند
الحكام وهم يرون من الله تعالى عليه نور الكرامة ثم إن أيوب أقبل على الثلاثة
وقال : أتيتوني غضاباً رهبتهم قبل أن تسترهبوا وبكيتهم قبل أن تسترهبوا وبكيتهم
قبل أن تضربوا كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عني بأموالكم لعل الله يخلصني
وقربوا عني قرباناً لعل الله يتقبلها ويرضى عني وإنكم فد أعجبت أنفسكم وظننتم أنكم
قد عوفيتهم بإحسانكم فبيناًكم بغيتهم وتعزيتهم ولو نظرتهم فيما بينكم وبين ربكم ثم
صدفتهم لو جدتكم لكم عيوباً سترها الله عليكم بالعافية التي ألبستكم إياها وقد كنت
فيما نخل الرجال ترفرتي وأنا معروف كلامي معروف حتى منتصف من خصمي ؛
فأصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم فأنتم اليوم أشد على من مصيبي
ثم أنه أعرض عنهم وأقبل على ربه مستغيثاً متضرعاً إليه فقال : رب لا ي شوم

خلقتني ليتني إذ كرهتني ما خلقتني يا ليتني كنت حبيضة ألقنتني أمي أو ليتني قد
عرفت الذنب الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتي وألحقتني
بأبائي فالموت كان أجمل لي يا إلهي ألم أكن للفريب داراً وللمسكين قراراً ولليتيم
ولياً وللارملة قيماً إلهي أنا عبد ذليل إن أحسنت فالمنة لك وإن أسأت فبيدك
عقوبتي جعلتني للبلاء عرضاً وللفتنة نصيباً لقد وقع علي بلاء لو سلطته علي جعل
لضئف عن حمله فكيف يحمله ضعفي ، إلهي تقطعت أصابعي فإني لا أرفع الأكلة
من الطعام إلا بيدي جميعاً فما يبليان في إلا علي الجهد مني ، إلهي تساقطت لهواتي
ولحم رأسي فما بين أذني من سداد بل إحداهما ترى من الأخرى ، وإن دماغني
ليسيل مني ، إلهي تساقط شعر عيني كأنما أحرق بالنار وجهي وحدثتني متدللتان علي
خدي وورم لساني حتى ملاً فمي فما أدخل فيه طعاماً إلا غصني وورمت شفقتني
حق غطت العليا أنفي والسفلى ذقني وتقطعت أمعائتي في بطني وإني لأدخل الطعام
فيخرج كما دخل ما أحسه ولا ينفعني وذهبت قوة رجلي فكأنهما قد يبستا
ولا أطيق حملها وذهب المال فصرت أسأل بكفي ويطعمني من كنت أعواه اللقمة
الواحدة فيمن بها علي ويهينني ، إلهي هلك أولادي ولوبقي واحد منهم أعانني علي
بلائني ونفسي ، وقد ملني أهلي وعقني أرحامي وتنكرت لي معارفني ؛ ورجب عني
صديقي وقطعتني أصحابي وجمدت حنوقي ، ونسيت صنائعي ، أصرخ فلا
يصرخونني ، وأعتذر فلا يعذرونني دعوت غلامي فلم يجبني وتضرعت لأمتي فلم
ترحمني ، وإن قضاءك هو الذي أذنتني وأذناني وأهانني وأقامني وإن سلطانك
هو الذي أسقمني وأنحل جسمي ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري فأطلق
لساني لأتكمم به لم فمي ولو كان ينبغي للعبد أن يحاج عن نفسه لرجوت أن
يعاقبني عند ذلك بما بي وليكنه ألقاني وتخلي عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني
ولا أسمع ، ولا نظر إلي فرحمي ولا دنائتي ولا أذناني فأتكمم ببراءتي وأخاصم
عن نفسي ؛ فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظلمته غمامة حتى ظن أصحابه أنه
عذاب ثم نودي يا أيوب إن الله تعالى يقول لك ها أنا قد دنوت منك فلم أزل
منك قريباً فآدل بعذرك وتكلم ببراءتك .

وقال الله تعالى يا أيوب نفذ فيك حكمي وسبقت رحمتي غضبي إذا أخطأت
فقد غفرت لك ما قلت ورحمتك ورددت عليك أهلک ومالك ومثلهم معهم
لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لأهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك
هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء ؛ وقرب عن أصحابك قرباناً واستغفر لهم
فإنهم قد عصوني فيك ؛ فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل ؛
فأذهب الله ما كان فيه البلاء ؛ ثم إنه خرج وجلس فأقبلت امرأته فقامت تلمسه
في مضجعه فلم تجده فقامت متكدرة كالواهلة فرت به فقالت يا عبد الله هل لك علم
بالرجل المبتلى الذي كان ههنا فقال لها وهل تعرفينه إذا رأيته ؟ فقالت نعم
وكيف لا أعرفه فتبسم وقال ما أنا هو فعرفته لما ضحك فاعتنقته .

وقال كعب - كان أيوب في بلاءه سبع سنين ؛ وقال وهب لبت في ذلك البلاء
ثلاث سنين ولم يزد يوماً واحداً ؛ فلما غلب أيوب إبليس لعنه الله ولم يستطع
له على شيء اعترض امرأته على هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال
على مركب ليس من مرآكب الناس له عظم وبهاء وجمال ؛ فقال لها أنت صاحبة
أيوب المبتلى ؟ قالت نعم قال فهل تعرفيني ؟ قالت لا قال أنا إله الأرض وأنا الذي
صنعت بصاحبك ما صنعت وذلك أنه عبد إله السماء وتركني وأغضبني ولو سجد
سجدة واحدة رددت عليك ما كان لكما من مال وولد فإنهم عندي ثم أراها إياهم
في بطن الوادي الذي لقيها فيه .

قال وهب - وقد سمعت أنه قال لها - لو أن صاحبك أكل طعام لم يسم عليه
للعوفي مما فيه من البلاء والله أعلم ؛ وأراد عدو الله يأتيه من قبلها ورأيت في
بعض الكتب أن إبليس قال لرحمة ؛ وإن شئت اسجد لي سجدة واحدة حتى أرد
عليك الأولاد والمال وأعافى زوجك فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراد
فقال لقد أراد عدو الله أن يفتك عن دينك ثم أن أيوب أقسم إن عافاه الله
ليضربنها مائة جلده فقال عند ذلك مسنى الضر من طمع إبليس في سجود

حرمتي ، ودعائه إياها وإيائي إلى الكفر قالوا ثم إن الله تعالى رحم رحمة امرأة
أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عنها وأراد أن يبر يمين أيوب فأمره أن
يأخذ جماعة من الشجرة مبلغ مائة قضيب خفيفاً لطافاً فيضربها ضربة واحدة كما
قال تعالى (وخذ بيدك ضعفاً فاضرب به ولا تخفت) الآية .

وقد كانت امرأة أيوب تتكسب وتعمل للناس وتجيئه بقوته ، فلما طال عليها
البلاء وسئمها الناس فلم يستعملها أحد التمسست يوماً من الأيام ما تطعمه فما وجدت
شيئاً فجرت قرناً من رأسها فباعته برغيف وأتته به فقال لها أين قرنك ؟ فأخبرته
فقال عند ذلك مسنى الضر ؛ وقيل إنما قال ذلك حين قصدت الدود قلبه ولسانه
فخشى أن يعيا عن الذكر والفكر ؛ وقيل إنما قال ذلك حين وقعت الدود من
فخذها فأخذها وردّها إلى موضعها وقال لها كلى فقد جعلني الله طعامك فعضته
عضة زاد ألمه على جميع ما قاسى من عض الديدان .

وقال عبد الله بن عبيد بن عمير كان لأيوب أخوان فأتياه فقاما من بعيد
لا يقدران على الدنو منه من نتن ريحه فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم في
أيوب خيراً ما ابتلاه بما ترى .

قال فما وجع أيوب شيئاً كان أشد عليه من تلك الكلبة وما جزع من شيء
أصابه جزعه من تلك الكلبة فعند ذلك قال مسنى الضر ثم قال اللهم إن كنت تعلم
لاني لم أبت ليلة شعبان قط وأنا أعلم بما كان جائئاً فصدقني فصدقه وهما يسمعان
ثم قال اللهم إن كنت تعلم لاني لم أتخذ قيصاً قط وأنا أعلم بما كان عرياناً فصدقني
فصدقته وهما يسمعان فخر ساجداً لله وقيل معناه مسنى الضر من شماتة الأعداء
يدل عليه ما روى أنه قيل له بعد ما عوفي ما كان أشد عليك في بلامك ؟ فقال
شماتة الأعداء وأشد بعضهم في معناه :

كل المصائب قد تمر على الفتى فتمون غير شماتة الحساد
إن المصائب تنقضي أيامها وشماتة الأعداء بالمرصاد

وقال الجنيد في هذه الآية عرفه فاقه السؤال لمن عليه بكرم التوال وذلك قوله تعالى (فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله) الآية .

واختلف العلماء في كيفية ذلك ؛ فقال قوم لما ابتلي الله أيوب في الدنيا مثل له أهله فأما الذين هلكتوا فإنهم لم يردوا عليه في الدنيا وإنما وعد الله أيوب أن يؤتيه إياهم في الآخرة .

وقال وهب كان له سبع بنات وثلاث بنين ؛ وقال آخرون بل ردهم الله تعالى إليه بأعيانهم وأعطاه أهله ومثلهم معهم وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وقتادة وكعب قالوا أحياءهم الله تعالى وآتاه مثلهم وهذا القول أشبه بظاهر الآية .

وذكر أن عمر أيوب كان ثلاثاً وتسعون سنة وأنه أوصى عند موته إلى ابنه حوئل وأنه بعث بعده بشر بن أيوب نبياً وسماه ذا الكفل وأمره بالدعاء إلى توحيد الله وأنه كان مقيماً بالشام طول عمره حتى مات وكان مبلغ عمره خمساً وتسعين سنة وأن بشراً أوصى إلى ابنه عبدان وأن الله تعالى بعث بعده شعبياً عليه السلام والله أعلم .

(مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام)

هذا المجلس يأتي بعد في آخر الكتاب بعد قصة اليسع وما كتب ههنا زيادة في المجلس المذكور .

وروى الأعمش عن المنهال بن عمر عن عبد الله بن الحارث أن نبياً من الأنبياء قال من يكفل لي أن يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب ؟ فقال أنا فقال له اجلس ثم إنه أعاد قوله ثانياً فقال الشاب أنا فقال له اجلس ثم إنه أعاد قوله ثالثاً فقال الشاب أنا فقال له تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب فقال نعم فمات ذلك النبي فجلس ذلك الشاب مكانه يقضى بين الناس فكان لا يغضب فجاء الشيطان في صورة إنسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يفطر فضرب الباب

ضرباً شديداً فقال من هذا ؟ فقال رجل له حاجة فأرسل إليه رجلاً فقال لا أرضى بهذا الرجل فأرسل معه آخر فقال لا أرضى فخرج إليه فأخذ بيده وانطلق معه حتى إذا كان في السوق نخلاه وذهب فسمى ذا الكفل ؛ وقال بعضهم ذو الكفل بشر بن أيوب الصابر بعثه الله بعد أبيه رسولا إلى أرض الروم فآمنوا به وصدقوه واتبعوه ثم إن الله تعالى أمرهم بالجهاد فكفوا عن ذلك وضعفوا وقالوا يا بشر إنا نحب الحياة ونكره المات ؛ ومع ذلك نكره أن نعصى الله تعالى ورسوله ؛ فلو سألت الله أن يطيل أعمارنا ولا يمتتنا إلا إذا شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه فقال لهم بشر لقد سألتوني عظيماً وكلفتموني شططاً ثم إنه قام وصلى ودعا وقال إلهي أمرتني بتبليغ الرسالة فبلغتها وأمرتني أن أجاهد أعداءك وأنت تعلم أني لا أملك إلا نفسي وإن قومي قد سألوني في ذلك ما أنت أعلم به مني فلا تؤاخذني بجزيرة غيري فأنا أعوذ برضائك من سخطك وبعفوك من عقوبتك قال فأوحى الله تعالى إليه ؛ يا بشر إني سمعت مقالة قومك وإني قد أعطيتهم ما سألوني طولت أعمارهم فلا يموتون إلا إذا شاءوا فكن كفيلاً لهم مني بذلك فبلغهم بشر رسالة الله وأخبرهم بما أوحى الله إليه وتكفل لهم بذلك كما أمر الله تعالى فسمى ذا الكفل .

ثم إنهم توأدوا ونموا حتى ضاقت عليهم بلادهم وتنفصت معيشتهم وتأذوا بكثرتهم فسألوا بشر أن يدعو الله أن يردهم إلى آجالهم فأوحى الله تعالى إلى بشر أما علم قومك أن اختياري لهم خير من اختيارهم لأنفسهم ثم إنهم ردوا إلى أعمارهم فماتوا بأجالهم قال فلذلك كثرت الروم حتى يقال إن الدنيا دارهم خمسة أسداسها للروم وسموا روماً لأنهم نسبوا إلى جدتهم روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام .

قال وهب وكان بشر بن أيوب المسمى ذا الكفل مقيماً بالشام حتى مات وكان عمره خمسين وتسعين سنة والله أعلم .

(مجلس في ذكر قصة شعيب النبي عليه السلام)

قال الله تعالى (وإلى مدين أخاهم شعيباً) الآية اختلف العلماء في نسب شعيب فقال أهل التوراة هو شعيب بن صيفوان بن عيفا بن نابت بن مدين بن إبراهيم وقال محمد بن إسحاق هو شعيب بن ميكائيل بن مدين بن إبراهيم اسمه بالسريانية بترون وأمه ميكيل ابنة لوط وكان شعيب عليه السلام أعمى فلذلك قوله تعالى إخباراً عن قومه (وإنا لنراك فينا ضعيفاً) أي ضريراً وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وأن الله تعالى بعثه نبياً إلى أهل مدين وهم أصحاب الأيكة والأيكة الشجر الملتف .

وقال قتادة بعثه الله تعالى إلى أمتين - أهل مدين وأصحاب الأيكة .

قالوا وكان قوم شعيب أهل كفر بالله وبخس للناس وتطيف في المكائيل والموازن وكان الله قد وسع لهم في الرزق وبسط لهم في العيش استدراجاً منه فقال لهم شعيب (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكائيل والميزان) الآية وتظيرها في الأعراف (فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم) الآية وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من قصد شعيباً ليؤمن به أنه كذاب فلا يفتنك عن دينك وكانوا يتواعدون المؤمنين بالقتل ويخونونهم .

قال السدي وأبوروق كانوا عشارين ، وقال عبد الله بن زيد كانوا يقطعون الطريق ، وقال النبي ﷺ (رأيت ليلة أسرى بي خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب أحد إلا شقته ولا شيء إلا خرقته . فقلت ما هذا يا جبريل ؟ فقال هذه أقوام من أمتك يقطعون على الطريق فيقطعونه ثم تلا (ولا تعدوا بكل صراط توعدون) الآية ، وكان من قول شعيب وجواب قومه إياه ما ذكر الله تعالى من سورة الأعراف وسورة هود وسورة الشعراء .

قال المفسرون ، وكان مما نهاهم عنه شعيب وعذبوا لأجله قطع الدنانير وذلك قوله تعالى (وقالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا) وقوله تعالى

﴿ إذ قال لهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعوه
وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين ﴾ سورة الشعراء .

قال ابن عباس رضى الله عنهما كان شعيب كثير الصلاة فلما كثرت فسادهم
وقل صلاحهم دعا عليهم فقال (ربنا افنح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير
الفاتحين) فأجاب الله تعالى دعاهم فيهم فأهلكهم بالرجفة وهى الزلزلة عن السكالي
ويقال بالصيحة وبعباب الظلة .

قال ابن عباس وغيره وهى أن الله تعالى فتح عليهم باباً من أبواب جهنم
فأرسل عليهم برداً وحرّاً شديداً فأخذوا أنفسهم فدخلوا فى أجواف البيوت فلم
ينفعهم ظل ولا ماء فأنضجهم الحر فخرجوا هرباً إلى البرية فبعث الله عليهم سحابة
فأظلمت ووجدوا لها برداً وجاءت ريح طيبة فنأدى بعضهم بعضاً فلما اجتمعوا
تحت السحابة ألهمها الله عليهم ناراً ورجفت الأرض بهم فاحترقوا كما يحترق الجراد
فى المقل فصاروا رماداً وذلك قوله تعالى (فأصبحوا فى دارهم جاثمين)

وقال تعالى (فأخذهم عذاب يوم الظلة لأنه كان عذاب يوم عظيم) .

قال ابن عباس بلغنى أن رجلاً من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهم لما رأى

الظلة فيها العذاب أقشعر جلده وقال

يا قوم إن شعيباً مرسل فذروا عنكم شميراً وعمران بن شداد
إنى أرى غيمة يا قوم قد طلعت تدعو بصوت على حنانة الوادى
فإنه لن يرى فيها ضجاء غد إلا الرقيم يمشى بين أنجاد

وشمير وعمران كاهنان لهم والرقيم كلب لهم قال أبو عبد الله البجلي أبو جاد
وحطى وهوز وكنن وسعنص وقرشت أسماء ملوكهم وكان ملكهم يوم الظلة فى
زمان شعيب كنين فقالت أخت كنين تبكيه حين هلك

كنين هدد ركنى هلكه وسط المحله
سيد القوم أتاه الله تنحرف ناراً وسط ظله
جعلت ناراً عليهم دارهم كما بالضم حله

قال الله تعالى (الذين كذبوا شعيباً كان لم يفتوا فيها الذين كذبوا شعيباً كما ذوا
هم الخاسرين) أى لهم الهلاك فى الدنيا والعذاب فى الآخرة .

(بحاس في ذكر صفي الله ونجده موسى بن عمران عليه السلام وهو يشتمل على عدة أبواب)

(الباب الأول في ذكر نسب موسى عليه السلام)

قال الله تعالى (واذكر في الكتاب موسى إذ كان مخلصاً وكان رسولا نبياً)

وهو موسى بن عمران بن يصر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب عليه السلام .

قال أهل العلم باخبار الأولين وسير الماضين ولد ليعقوب لاوي وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة ثم إن لاوي نكح نابتة بنت ماوي بن يشجب فولدت له غرسون ومرزي ومردي وقاهت ثم أن قاهت بعد أن مضى له من عمره ست وأربعون سنة نكح فاهي بنت ميين بن تنويل بن إلياس فولدت له يصر بن قاهت فنكح يصر بن قاهت سميت بنت يتاهم بن برشيا بن يشعان بن إبراهيم فولدت له عمران وقد مضى له من عمره ستون سنة وكان عمر يصر مائة وسبعة وأربعين سنة فنكح عمران بن يصر نجيب بنت شمويل بن برشيا بن يشعان بن إبراهيم فولدت له هرون وموسى واختلاف في اسم أمهما فقال ابن إسحاق نجيب وقيل ناحية وقيل يوحنايل وهو المشهور وكان عمر عمران مائة وسبعاً وثلاثين سنة وولد له موسى عليه السلام وقد مضى من عمره سبعون سنة والله أعلم .

(الباب الثاني في ذكر مولد موسى عليه السلام)

قال أهل التاريخ لمية مات الريان بن الوليد فرعون مصر الأول صاحب يوسف عليه السلام وهو الذي ولي يوسف خزائن أرضه وأسلم على يده فلما مات ملك بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف الثاني فدعاه يوسف إلى الإسلام فآبى وكان جباراً وقبض الله على يوسف في ملكه وطال ملكه ثم هلك وقام بالملك بعده أخوه أبو العباس بن الوليد بن مصعب بن الريان بن أراشة بن شروان بن عمرو ابن فاران بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان أغنى من قابوس وأكبر وأجر وامتدت أيام ملكه وأقام بنو إسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام وقد أنتشروا وكشروا وهم تحت العمالة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم شرعوا فيه من الإسلام متمسكون به حتى كان فرعون

وموسى الذى بعثه الله إليه وقد ذكر اسمه ونسبه ولم يكن فيهم فرعون أعتى منه
على الله ولا أعظم قولاً ولا أقسى قلباً ولا أطول عمراً فى ملكه ولا أسوأ ملكاً
لبنى إسرائيل وكان يعذبهم ويستعبدهم وجعلهم خدماً وخولاً وصنفهم فى أعماله
فصنف يبنون وصنف يحرثون وصنف يتولون الأعمال القذرة ومن لم يكن أهلاً
للعمل فعليه الجزية كما قال الله تعالى (يسومونكم سوء العذاب) وقد استنكح
فرعون منهم امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم رضى الله عنها من خيار النساء
المعدودات ويقال هى آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون
يوسف الأول فاسلمت على يد موسى .

قال مقاتل ، لم يسلم من أهل مصر إلا ثلاثة ، آسية وحزقيل ومريم بنت
ناموسى التى دلت موسى على قبر يوسف عليهم السلام قالوا فعمر فرعون فيهم
وهم تحت يده عمراً طويلاً يقال إنه أربعمائة سنة يسوموهم سوء العذاب فلما أراد
الله أن يفرج عنهم بعث موسى عليه السلام وكان بدء ذلك على ما ذكره السدى
عن رجاله أن فرعون رأى فى منامه كأن ناراً قد أقبلت من بيت المقدس حتى
اشتعلت على بيوت مصر فأحرقتها واحرقت القبط وتركت بنى إسرائيل فدعا
فرعون الكهنة والسحرة والمعبدين والمنجمين فسألهم عن رؤياه فقالوا يولد فى
بنى إسرائيل غلام يسابك الملك ويغلبك على سلطانك ويخرجك وقومك من أرضك
ويبدل دينك وقد أظلك زمانه الذى يولد فى أيام فرعون بقتل كل غلام يولد فى
بنى إسرائيل فجمع القوابل من النساء من أهل مملكته وقال لمن لا يسقط على
أيديكن غلام من بنى إسرائيل إلا قتلته ولا جارية إلا تركتها ووكل بهن وكلاء
فكن يفعلن ذلك .

قال مجاهد . لقد بلغنى أنه كان يأمر بالقصب فيشق ثم يجعل أمثال الشفار ثم
يصف بعضه إلى بعض ثم يأتى بالحبالى من بنى إسرائيل فيوقفهن عليه فتجرح
أقدامهن حتى إن المرأة منهن لتضع ولدتها فيقع بين رجليها فتظل تطؤه وتتقى به
حد القصب عن رجليها لما بلغ من جهدها .

وكان يقتل الغلمان الذين في وقته ويقتل من يولد بعدهم ويعذب الحبالي حتى
يضمن ما في بطونهم وأسرع الموت في مشيخة بنى إسرائيل فدخّل موسى القبط
على فرعون وقالوا له إن الموت قد وقع في مشايخ بنى إسرائيل وأنت صغارهم
وتميت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون بذبج الولدان صمنة وتركهم
سنة فولدت هرون في السنة التي لا يذبج فيها أحد فترك وولد موسى في السنة
التي يذبجون فيها قال فولدت هرون وأمه علانية آمنة .

فلما كان العام الذي أمر فيه بقتل الولدان حملت بموسى فلما أرادت وضعه
حزنت من شأنه واشتد غمها فأوحى الله تعالى لبيها (أن أرضعيه فإذا خفت عليه
فألقيه في اليم) إلى قوله (المرسلين) فلما وضعت في خنية أرضعته ، ثم لأنها اتخذت
له تابوتاً وجعلت مفاتيح التابوت من داخل وجعلته فيه .

قال مقاتل وكان الذي صنع التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون وقيل أنه كان
من بردى فأنخذت أم موسى التابوت وجعلت فيه قطناً مخلوجاً ووضعت فيه موسى
وصرت رأسه ثم ألقته في النيل فلما فعلت ذلك وتواري عنها أباه الشيطان فوسوس
لبيها فقالت في نفسها لماذا صنعت يا بنى لو ذبح عندي لو رأيت وكفلته كان أحب إلى
من أن ألقيه بيدي في البحر وأدخله إلى دواب البحر ثم عصمها الله تعالى وانطلق
الماء بموسى يرفعه الموج مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين الأشجار عند دار
فرعون إلى روضة هي مستقى جوارى فرعون وكان بالقرب منها نهر كبير في
دار فرعون داخل في بستانه فخرجت جوارى فرعون يغتسلن ويستقن فوجدن
التابوت فاخذنه وظن أن فيه مالا فجعلنه على حالته حتى أدخله إلى آسية فلما افتحته
رأت فيه الغلام فالقى الله تعالى عليها محبة منه فرحمته آسية وأحبته حباً شديداً فلما
سمع الذباحون بأمره أقبلوا على آسية بشغارهم لينذبحوا الصبي فقالت آسية للذباحين
الصرقوا فإن هذا لا يزيد في بنى إسرائيل فانا آتى فرعون وأستوهبه إياه فإن
وهبه لي كنتم قد أحسنتم وإن أمركم بذبجه فلا ألوكم ثم لأنها أنت به فرعون
وقالت (قرّة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا) فقال فرعون قرّة عين لك

ما انا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله ﷺ والذي يخاف به لو أقر فرعون ان يكون له قرّة عين كما أقرت لهداه الله تعالى به كما هدى به امراته وليكن الله تعالى حرمه ذلك ، قال فاراد ان يذبحه وقال لاني اخاف ان يكون هذا من بنى اسرائيل ان يكون هذا الذي هلاكنا على يده وزوال ملكنا فلم تزل آسية تكلمه حتى وهبه لها فلما آمنت آسية ارادت ان تسميه باسم اقتضاه حاله فسمته موسى لانه وجد بين الماء والشجر وهو بلغة القبط هو الماء وشق للشجر فعرب فقيل موسى .

اخبرنا ابن فتحويه اخبرنا مخد بن جعفر اخبرنا الحسن بن علوية اخبرنا اسماعيل بن عيسى اخبرنا ابن بشير اخبرني جوير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان بنى اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعمالوا بالمعاصي ووافق خيارهم اشرارهم ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاشتضعفوهم وساموهم سوء العذاب فذبحوا ابناءهم .

وفي بعض الروايات ، لانه كان يلعب بين يدي فرعون ويده قضيب صغير فضرب به على راس فرعون فغضب غضباً شديداً وتطير منه وقال هذا عدوى المطلوب فارسل الى الذباحين ليذبحوه فبالغ ذلك امرأة فرعون وقالت له ما بدا لك في هذا الصبي الذي قد وهبته لي فاخبرها بما فعل موسى فقالت له لانا هو صبي لا يعقل وانا صنع هذا من صباه وانا اجعل فيه بيني وبينك امر تعرف به الحق واضع له حلياً من الذهب والياقوت واضع له جمرأ فان أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان اخذ الجرة علمت انه صبي ثم انها وضعت له طستاً فيه الذهب والياقوت وطستاً فيه الجرة فمد موسى يده على ان ياخذ الجواهر ليقبض عليه فحول جبريل عليه السلام يده الى الجمر فقبض على جمره ووضعها في فيه فجاء على لسانه فاحرقته وذلك الذي قال في قوله تعالى (واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فقالت له آسية ألا ترى الى فعله وانه صبي لا يعقل فكيف عن قتله وصرف الله عنه ذلك السوء فلم يزل عزيزاً مكرماً في بيت فرعون وحببه الله اليه والى اس كلهم حتى كان يحبه كل من يراه .

ويروى انه سئل إبليس هل أحببت أحد من العالمين قال لا إلا موسى بن عمران عليه السلام فقبل له وكيف ذلك قال لأن الله تعالى قال (وألقيت عليك محبة مني) فلم أتمالك ان أحببته .

(الباب الثالث في ذكر حلية موسى بن عمران عليهما السلام)

قال كعب الأحبار - كان هرون بن عمران نبي الله رجلاً فصيح اللسان بين الكلام إذا تكلم تكلم بتؤدد وعلم وكان أطول من موسى وكان على رأسه شامة وعلى طرف لسانه أيضاً شامة سوداء وكان موسى بن عمران رجلاً آدم اللون جعداً طويلاً كأنه من رجال أزد هنوءة وكان بلسان موسى عقدة وثقل وسرعة وعجلة وكان أيضاً على طرف لسانه شامة سوداء .

(الباب الرابع في قصة قتله القبطي وخروجه من مصر ووروده مدين)

قال أهل التفسير لما بلغ موسى بن عمران أشده كان يركب مراكب فرعون ويلبس ما يلبس فرعون وكان يدعى موسى بن فرعون وامتنع به عن بني إسرائيل كثير من الظلم والسخررة التي كانت فيهم ولا يعلم الناس أن ذلك إلا من قبل الرضاة قالوا فركب فرعون ذات يوم مراكباً وليس عنده موسى فلما جاء موسى قبل إن فرعون قد ركب فركب موسى في أثره وأدركه المقييل بأرض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد أغلقت أسواقها وليس في طرقها أحد وهي التي قال تعالى فيها (ودخل المدينة على حين غملة من أهلها) فبينما هو يمشى في ناحية المدينة إذ هو برجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر من آل فرعون كما قال الله تعالى (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه) الآية والذي من شيعته يقال له السامري والذي من عدوه رجل من القبط كان خبازاً لفرعون وإسمه فاتون وكان قد اشترى حطباً للمطبخ فسخر السامري له حبه

فامتنع السامري فلما مر به موسى استغاثه السامري على القبطي فقال موسى للقبطي
دعه فقال الخباز لموسى إنما آخذه في عمل أبيك وأبي أن يخل سبيله فغضب موسى
فبسط به ونخاض السامري من يده فبازعه القبطي (فوكزه موسى ففرض عليه)
قال موسى (هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين) ثم قال (رب إنني
ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم)

وقال وهب : أوحى الله إلى موسى بن عمران وهزتي وجلالي : لو كانت
النفس التي قتلت أقرت لي طرفة عين أني إله خالق رازق لاذقتك طعم العذاب
ولما عفوت عنك لأنها لم تقر لي ساعة واحدة إني إله خالق رازق قالوا ولما قتل
موسى القبطي لم يرهما إلا الله تعالى والإسرائيلي فلما قتله أصبح في المدينة خائفاً
يتربص الأخبار فأتوا فرعون وقالوا له إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلاً من آل
فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك فقال فرعون ائتوني بقاتله ومن
شهد عليه لأنه لا يستقيم أن يقتل بغير بينة ولا يثبت ملك على الأخذ بالظلم
فاطلبوا ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة إذ مر موسى من الغد فرأى ذلك
لإسرائيلي يقاتل فرعونياً فاستغاثه الإسرائيلي على قتال الفرعوني فصادف موسى
وهو زادم على ما كان منه بالأمس فسكره الذي رآه فغضب موسى فمد يده وهو
يريد أن يبسط بالفرعوني وقال للإسرائيلي (إنك لغو مبين) ففر الإسرائيلي من
موسى وظن أنه يبسط بالفرعوني وقال للإسرائيلي (إنك لغو مبين) ففر الإسرائيلي
من موسى وظن أنه يبسط به من أجل أنه أغاظ عليه في الكلام وكان غضبان فلما
أقبل لنصره ومد يده ظن أنه يريد قتله فقال له (يا موسى أتريد تعنتي كما قتلت
نفساً بالأمس) الآية إنما قال ذلك مخافة من موسى وظن أن يكون موسى أراد
إنما أراد الفرعوني فتنازعا فذهب الفرعوني فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي
وذكر أن موسى هو الذي قتل الرجل بالأمس وهو المثل السائر ، العدو
العاقل أحري عليك من الصديق الاحق ويزشد في معناه :

إن اللبيب إذا تزايد بغضه أحري عليك من الصديق الاحق

قال فلما أخبر فرعون بذلك أرسل الذباحين وأمرهم بقتل موسى وقال لهم
اطلبوه فإنه غلام لا يهتدى إلى الطريق فطلب موسى في ثديات الطريق وكان موسى
يسلك الطريق الأعظم فجاءه رجل من شيعته من أقصى المدينة يقال له حزقييل وكان
بقية من دين إبراهيم وكان أول من صدق بموسى وآمن به .

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال في سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين
حزقييل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلي بن أبي طالب كرم
الله وجهه بالجنة وهو أفضلهم ، قال فجاء حزقييل مؤمن آل فرعون فأخبر موسى
بما أمر به فرعون من قتله واختصر طريقاً قريباً حتى سبق الذباحين إليه فأخبره
الخبر لذلك قوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ
يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين) فتحير موسى ولم يدر أين
يذهب فجاء ملك على فرس بيده عنزة فقال له اتبعني فاتبعه فهداه الطريق إلى مدين .

وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج موسى من مصر إلى مدين
وبينهما مسيرة ثمان ليال ويقال نحو من السكوفة إلى البصرة فلم يكن له طعام
إلا ورق الشجر فما وصل إليها إلا وقد وقع خف قدمه وإن خضرة البقول
أترى من بطنه .

(الباب الخامس في دخول موسى مدين وتزويج شعيب لابنته إياه)

قال العلماء : لما انتهى موسى إلى أرض مدين في ثمان ليال نزل في أصل شجرة
وإذا تحتها بئر وهي التي قال الله تعالى (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من
الناس يسقون ووجد من دونها امرأتين تذودان) أي تحبسان أغنامهما فقال لهما
(ماخطبكما قالتا لأنسقى حتى يصدر الرعاء) لأننا امرأتان ضعيفتان لا نقدر على
مزاحمة الرعاء فإذا سقوا مواشيهم سقيننا أغنامنا من فضول حاجتهم وما يبقى من
حياضهم (وأبونا شيخ كبير) تعنيان شعيباً .

وروى حماد بن سلامة عن أنى حمزة عن ابن عباس قال اسم أنى امرأة موسى
الذي استأجره ثرون صاحب مدين ابن أخي شعيب النبي عليه السلام واسم إحدى

الجاريين ليا ويقال حنوننا والاخرى صفورا وهي امرأة موسى عليه السلام فلما
قالتا ذلك لموسى رجعتهما وكان هناك بئر على رأسها صخرة عظيمة وكان النفر من
الرجال يجتمعون إليها حتى يرفعوها عن رأسها .

وحكى الاستاذ أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الواعظ أن تلك البئر غير
التي تسقى منها الرعاة وقد حضرتها ورأيتها قال فرفع موسى الصخرة عن رأسها
وأخذ دلواً لهما وقال لهما قدما غنمكما فسقى لهما أغنامهما حتى أرواهما فرجعنا إلى
أبيهما سريعاً قبل الناس وتولى موسى إلى الظل ظل الشجرة (وقال رب إني لما
أنزلت إلى من خير فقير) قال ابن عباس لقد قال ذلك موسى ولو شاء إنسان
أن ينظر إلى خضرة أمعائه من شدة الجوع لنظرها وما سأل الله تعالى إلا أكلة
وقال أبو جعفر محمد الباقر لقد قالها وإنه لمحتاج إلى شق تمرة قالوا فلما رجعنا إلى
أبيهما قال لهما ما أعجلكما وأسرع رواحكما الليلة قالتا وجدنا رجلاً صالحاً فرحمنا
فسقى لنا أغنامنا فقال لإحداهما اذهبي فادعيه إلى (فجماعة إحداهما) وهي التي
تزوجها موسى وهي (تمشى على استحياء قالت إن أبي يدعوك ايجزيك أجر
ماسقيت لنا) فقام موسى فقدمته وهو يليها أي يتبعها فهبت ريح فألصقت ثوب
المرأة بزديها فذكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها امشي خافي ودائفي على
الطريق فإذا أخطأت فارمي قدامي بحصاة حتى أنهج نهجاً فإذا بنى يعقوب لا تنظر
إلى أعجاز النساء فنعمت له الطريق إلى منزل أبيها ومشت خلفه حتى دخل على شعيب
فسأل شعيب موسى عن حاله وقصته فأخبره الخبر فقال له (لا تخف نجوت من
القوم الظالمين فقالت لإحداهما) وهي التي كانت الرسول إلى موسى (يا أبت
استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين) .

قال النبي ﷺ أصدق النساء فراسة امرأتان كتاهما تفرستا في موسى فأصابتا
إحداهما امرأة فرعون حين قالت قرّة عين لي ولك لا تقتلوه والاخرى بذت شعيب
حيث قالت (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين) وإنما قالت القوي
الأمين لأنه أزال الحجر العظيم الذي لا يرفعه إلا أربعون رجلاً ، فقال لها أبوها

كيف أنك عرفت قوته فما أعلمك بأمانته فأخبرته بما أمرها موسى من استدبارها
إياه في الطريق فزاد فيه شعيب رغبة فقال له (إني أريد أن أنكحك إحدى
ابنتي هانين على أن تأجرني ثمان حجج) إلى قوله (من الصالحين) أي في حسن الصحبة
معك والوفاء بشرطك فقال موسى (ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت) الآية .

روى عن رسول الله ﷺ أنه سئل : أي الأجلين قضى موسى قال : أكلهما
وأفضلهما وروى أنه قال قضى أوفاهما وتزوج بصنراهما .

(الباب السادس في ذكر نعت عصا موسى وبدء أمرهما)

اختلف العلماء في اسمها والمنافع التي كانت فيها وما ظهر من دلالة قدرة الله فيها
فقالوا ثم أن شعيباً أمر إبنته أن تأتية بهصا فيعطيا لموسى فيستعين بها في رعايته
فجاءته بهصا وكانت تلك العصا وديعة عنده ودفعتها إليه ملك على صورة رجل
فردها عليها شعيب وأمرها أن تأتية بهصا أخرى فما زالت ترجع وتأتية بها بعينها
لأنها كانت كلما ردتها إلى مكانها وأرادت أن تأخذ غيرها سقطت هي في يدها فما
زالت كذلك حتى أخذها شعيب وأعطاها لموسى فلما أعطاه إياه ندم على ذلك
لأنها كانت وديعة عنده فقال له شعيب رد على العصا فأني أن يردها عليه فتنازعا
إلى أن شرطاً على أنفسهما أن يرتضيا حكم أول رجل يدخل عليهما فأتاها ملك
يمشي فتحا كما إليه فقال ضمها على الأرض فمن حملها فهي له ووضعها موسى على
الأرض فمالجها الشيخ فلم يطق حملها فأخذها موسى وقال لبث موسى عند شعيب
ما شاء الله ثم استأذنه في الإصراف فأذن له وقال له : ادخل هذا البيت وخذ
عصى من العصى تكون معك ادراً بها السباع عنك وعن غنمك وكانت عصى
الأنبياء عند شعيب فلما دخل موسى تدلت ووثبت إليه العصا فصارت في يده
فخرج بها فقال شعيب ردها وخذ غيرها وذلك أن شعيباً كان أخبر بأمر العصا
ولم يدر شعيب أن صاحبها هو موسى فردها موسى إلى البيت فألقاها وذهب
لأخذ غيرها فوثبت حتى صارت في يده فعمل ذلك مراراً فقال له شعيب ألم أقل

ذلك خذ غيرها فقال موسى قد رددتها مرات فكلمها ففعلت ذلك وثبت حتى تصير في يدي ففعلهم شعيب أن ذلك أمر يزيد الله تعالى فقال له خذها .

قالوا ، وزوجه لبنته ورعى له موسى عشر سنين وولد لموسى أولاد من لبنته شعيب قالوا لما خرج موسى من مدين ووافى مصر كان شعيب يزوره في كل سنة فإذا أكل قام موسى على رأسه ثم يكسر له الخبز ويلقيه بين يديه ويقول له كل

(الباب السابع في صفة المآرب التي كانت فيها لموسى)

قال أهل العلم بأخبار الماضين كان لعصا موسى شعبتان ومخجن في أسفل الشعبتين وسنان حديد في أسفلها وكان موسى إذا دخل مفازة ليلا ولم يكن قمر للقوى شعبتاها كالشعبتين من نار تضئتان له مد البصر وكان إذا أعوزه الماء دلاها في البئر فتمتد على قدر قعر البئر ويصير في رأسها شبه الدلو فيستقى بها وإذا احتاج الطعام ضرب الأرض بها فيخرج ما يأكل يومه وكان إذا اشتهى فاكهة من الفواكه إغرسها في الأرض فتخرج أغصان تلك الشجرة التي اشتهى لموسى فاكهتها وأثمرت له ساعتها ويقال كانت عصا موسى من اللوز وكان إذا جاع ركزها في الأرض فأورقت وأثمرت وأطعمت وكان يأكل منها اللوز وكان إذا قابل بها عدوه يظهر على شعبتيها تذيئان يقاتلان وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب المرتقى وعلى الحجر والشوك فتفرح له الطريق وكان إذا أراد عبور نهر من الأنهار بلا سفينة ضرب بها عليه فانفاق وبدأ له فيه طريق منفرج وكان يشرب من إحدى شعبتيها العسل ومن الأخرى اللبن وكان إذا أعبأ في طريقه ركبها فتحمله إلى أي موضع شاء من غير ركض ولا تحريك وكانت تدله على الطريق وكانت تقاتل أعداءه عنه وكان إذا طاب منها الطيب فاح منها الطيب فيتطيب ويطيب ثوبه وإذا كان في طريق فيه لصوص يخاف الناس جانبهم تمسكه العصا فتقول له خذ جانب كذا وكذا ولا تأخذ حيث كذا وكذا وكانت يمش بها على غنمه ويدفع بها الشباع عنها والحشرات والحيات

وإذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جهازه ومتاعه ومخلاته ومقلاعه وكساءه
وظعامه وشرابه .

قال ابن حبان قال شعيب لموسى حين زوجه ابنته وسلم اليه أغنامه يراها
اذهب بهذه الأغنام فإذا بلغت مفرق الطريق نخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك
وإن كان السكلا بها أكثر فإن هناك تديناً عظيماً أخشى عليك وعلى الأغنام منه
فذهب موسى بالأغنام حتى إذا بلغ مفرق الطرق أخذت الأغنام ذات الدين
فاجتهد موسى أن يصرفها ذات الشمال فلم تطعه فخلاها على ما تريد ثم نام موسى
والأغنام ترعى وإذا التين قد جاء فقامت العصا فخاربتة فقتلته وأنت فاستأقت
إلى جانب موسى وهي دامية فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية والتين مقتولا
فعلم موسى أن في تلك العصا قدرة وعرف أن لها شأناً فهداه ما ربه موسى إذا
كانت في يده . وأما إذا ألقاها فيرى أنها كانت تقلب حبة كأعظم ما يكون من
الشمالين سوداء مدلهمة تدب على أربع قوائم فتصير شهباتها فما وفيه إثناعشر ناباً
وضرساً ولها صريف وضرير يخرج منها لهب النار ويصير محجنها عرقاً لها
كأشكال النار تلتهب وعيناها تلمعان كما يلمع البرق تهب منها رياح السموم فلا
تصيب شيئاً إلا أحرقتة .

تمر بالصخرة مثل الناقة السكوماه فتبتلعها حتى أن الصنخور في جوفها لتقعقع
وتمر بالشجر فتقصمها بأنيابها وتحطمها وتبتلعها وجعلت تتلبظ وتبرم كأنها
تتطلب شيئاً تأكله وكانت تكون في هضم الشعبان وفي خفة الجان وابن الحية
وذلك موافق لنص القرآن حيث يقول الله تعالى في موضع (فإذا هي شعبان
مبين) وفي موضع آخر : (كأنها جان) وفي موضع آخر . (فإذا هي
حية تسمى) .

(الباب الثامن في ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين)
وتكليم الله إياه في الطريق وإرساله إلى فرعون واستغاثته بأخيه هرون
وكيفية ذهابهما إلى فرعون لتبليغه الرسالة

قال الله عز وجل (فلما قضى موسى الأجل) الآية قالت العلماء بسير الأنبياء
لما ورد موسى أرض مدين وأتى عليه من يوم وروده تسع سنين قال له شعيب
لاني وهبت لك كل بقاء وأبلى من نتاج أغنامي التي تضعها في هذه السنة يعني السنة
العاشرة أراد بذلك مبرة موسى وصلة إبنته صفورا امرأة موسى ، قال فأوحى الله
إلى موسى ان اضرب بعصاك الماء في مستقى الأغنام ففعل موسى ذلك ثم سقى
الأغنام من ذلك الماء ما أخطت واحدة من تلك الأغنام إلا وضعت حملها مرتين
ما بين أبلى وبقاء ، فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله تعالى إلى موسى وأهله قوفى
موسى بشرطه وسلم إليه الأغنام التي وهبها منه وقضى موسى أتم الأجلين وأوفاهما
(فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله) منفصلا عن أرض مدين وكان في أيام الشتاء
ومعه امرأته وأغنامه وهي في شهرها لا تدرى أتضع ليلا أو نهاراً فانطلق في برية
الشام عادلا عن المدائن والعمران مخافة الملوك الذين كانوا بالشام وكان أكبر همه
يومئذ طلب أخيه هرون وإخراجه من مصر إن استطاع إليه سبيلا فسار موسى
في البرية غير عارف بطرقها فأجاء المسير إلى جانب الطور الايمن الغربي في عشيا
شامية شديدة البرد وأظلم الليل وأخذت السماء ترعد وتترق وتمطر وأخذ امرأته
الطلق فعمد موسى إلى زنده فقدمه فلم ينور فتحير وقام وقعد إذ لم يكن له عمد بمثل
ذلك في الزند وأخذ يتأمل ما قرب وما بعد تحيراً وضجراً ثم أخذ يتسمع طويلاً
هل يسمع حساً أو حركة فبينما هو كذلك إذا آنس من جانب الطور نوراً فحسبه
ناراً (فقال لأهله امكثوا لاني آنست ناراً اعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار
هدى) يعني من يدلني على الطريق وكان قد ضل الطريق فلما أتاها رأى نورا عظيماً
عمداً من عنان السماء إلى شجرة عظيمة هناك واختلموا في تلك الشجرة ما كانت فقيل
لهم وسجدة وقيل العناب فتحير موسى وارتعدت فرائصه حيث رأى ناراً عظيمة ليس

لها دخان وهي تلتهم وتشتعل في جوف شجرة خضراء لا تزداد النار إلا عظماً ولا تزداد الشجرة إلا خضرة فلما دنا موسى منها استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع عنها وخاف ثم ذكر حاجته إلى النار فرجع إليها ودنت منه فنودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة (أن يا موسى) فنظر فلم يرى أحداً فنودي (إني أنا الله رب العالمين) فلما سمع ذلك علم أنه ربه تعالى فناداه ربه أن ادن وأقرب فلما قرب وسمع النداء ورأى تلك الطيبة خفق قلبه وكل لسانه وضعفت بينته وصار حياً كيت إلا أن روح الحياة تردد فيه من غير حراك وأرسل إليه ملكاً يشد ظهره ويقوى قلبه فلما تاب إليه عقله تودى (فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى) وكان السبب في أمره بخلع نعليه ما أخبرنا حامد بن عبد الله الأصمباني قال حدثنا يحيى السدي قال حدثنا أحمد بن بجدة قال حدثنا الجمالي قال حدثنا عيسى بن يونس عن حميد عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ في قوله فاخلع نعليك قال (كانتا من جلد حمار ميت) وفي بعض الأخبار غير مدبوغ .

وقال مجاهد وعكرمة إنما قال (فاخلع نعليك) كي تمس راحة قدميه الأرض الطيبة فتناوله بركتها لأنها قدست مرتين ، وقال سعيد بن جبير إنما قال له ذلك لأن الحفوة من أمارات التواضع والاحترام فقبل له طأ الأرض حافياً كما تدخل السكبة لتحصل على بركة الوادي ، وقال أهل الإشارة النعل عبارة عن المرأة وذلك تأويله في المنام فقبل له مرغ قلبك من شغل أهلك ، ثم قال تعالى سكنياً لقلبه وإذها بالدهشته (وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصا) الآية فقال الله تعالى (ألقها يا موسى فألقها فإذا هي حية تسعى) قدصارت شعبناها فها ومحببنا عرفا لها في ظهرها وهي تهتز لها أنياب وهي كما شاء الله أن تكون فرأى موسى أمراً فظيماً فولى موسى مدبراً ولم يعقب فناداه ربه تعالى أن (يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين) (سنعيدها سيرتها الأولى) أي نردها عصا كما كانت ويقال إن الحكمة في أمر الله تعالى إياه بالقاء العصا قبل أن يصل إلى فرعون لكيلا يفرغ منها موسى إذا رآها على تلك الحالة عند فرعون فلما أقبل موسى قال له خذها إذ كانت عصا ولا تخف لأنه كان ادعى الملك فقال هي عصا فنبه على ذلك . وكان على موسى جبة من صوف

فلما كف على يده وهو لها هائب فنودي أن أحسب يدك فحسركم على يده ثم أدخل يده تحت لحبيها فلما أدخل يده قبض فإذا هي عصاة في يده ويده بين شعبتيها حيث كان يضمها ثم قال له (أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى) قالوا ولما صعد موسى الجبل لئلا جاة الله تعالى صار الجبل عقيقاً فلما نزل موسى عنه عاد إلى حالته الأولى فلما رجع موسى شيعته الملائكة وكان قلب موسى مشغولاً بولده وأراد أن يختنه فأمر الله تعالى ملكاً فهد يده ولم تزل قدمه عن موضعها حتى جاء به الملك ملفوفاً في خرقة وناوله إلى موسى فأخذ حجرين فخك أحدهما بالآخر حتى حده كالسكين من الحديد فخن به لابنه ثم إن الملك صالح المقطوع من المختون فتفل فيه فبرأ من ساعته بإذن الله تعالى ثم أن الملك رده إلى موضعه الذي جاء منه ولم يزل أهل موسى مقيمين في ذلك المكان لا يدرون ما فعل موسى حتى مر بهم راع من أهل مدين فعرفهم فاحتماهم وردهم إلى مدين فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعد ما فاق البحر وجاوزه بنى إسرائيل وأغرق الله فرعون فبعث بهم شعيب إلى مصر لموسى ، قالوا وخرج موسى من فوراً لما بعثه الله إلى مصر لا علم له بالطريق ، وكان الله تعالى يهديه ويدله وليس معه زاد ولا سلاح ولا حوالة ولا صاحب له ولا شيء من الأشياء غير العصا ومدرة من صوف وقلائد صوف ونعاليين وكان يظل صائماً ويبيت قائماً ويستعين بالصيد ويقول الأرض حتى ورد مصر فلما قرب من مصر أوحى الله تعالى إليه لا تخف ولا تجزع ثم أوحى الله تعالى إلى أخيه هرون يبشره بقدوم موسى ويخبره أنه قد جعله وزيراً له ورسولاً معه إلى فرعون وأمره أن يمر يوم السبت غرة ذي الحجة متكرراً إلى شاطئ النيل ليلا تقي بموسى تلك الساعة ، قال فخرج هارون وأقبل موسى فالتقيا على شاطئ النيل قبل طلوع الشمس ، ثم إن موسى وهرون انطلقا في تلك الغيضة حتى وصلا إلى باب المدينة الأعظم الذي هو أقرب أبوابها إلى منزل فرعون وكان منه يدخل ويخرج وذلك ليلة الإثنين بعد هلال ذي الحجة بيوم فأقاما عليه سبعة أيام فسكاهما واحد من الحراس وقال لهما أتدريان لمن هذا الباب ؟ فقال موسى إن هذا الباب

(م ١٣ - قصص الأنبياء)

والارض كلها وما فيها لرب العالمين وأهلها عبيد له فسمع ذلك الرجل كلاماً ولم
سمع مثله قط ولم يظن أحد من العالمين يفصح بمثله فلما سمع الرجل ما سمع أسرع
إلى كبرائه الذين فوقه وقال لهم سمعت اليوم قولاً وعائدت عجباً من رجلين هما عندي
أعظم وأشنع وأفظح مما أصابنا في الأسد وما كانا بقدران أن يقدمنا على ما قدما
عليه به من عظيم وأخبرهم بالقصة ، فلم يزل ذلك الخبر يتداول بينهم حتى انتهى
إلى فرعون .

قال السدي بإسناده سار موسى بأهله نحو مصر حتى أتاهم ليلاً فتضيف أمه
وهي لا تعرفه فأتاهم في ليلة كانوا يأكلون الطفيل فنزل في جانب الدار فجاها هرون
(فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته أنه ضيفه فدعاه فأكل معه) فلما قدما وتحدثنا
سأله هرون من أنت ؟ فقال أنا موسى فقام كل واحد منهما إلى صاحبه فاعتنقه
فلما تعارفا قال له موسى يا هرون انطلق معي إلى فرعون فإن الله تعالى قد أرسلنا
إليه فقال هرون سمعاً وطاعة فقامت أمهما وصاحت وضجت وقالت أنشدكما الله
أن لا تذهبا إلى فرعون فيقتلكما فأبيا عليهما ومضيا لأمر الله تعالى فانطلقا إليه ليلاً
فأتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلاً فقرعا الباب فمزع فرعون وفزع البواب
فقال فرعون من هذا الذي يضرب بابي في هذه الساعة فأشرف عليهما البواب
وكلهما فقال له موسى إني أنا رسول رب العالمين فمزع البواب وأنى فرعون
وأخبره بما سمع وقال له ، إن هنا إنساناً مجنوناً يزعم أنه رسول رب العالمين .

قال ابن إسحق خرج موسى لما بعثه الله تعالى حين قدم مصر على باب فرعون
هو وأخوه هرون يلتمسان الإذن عليه وهما يقولان - إنا رسول رب العالمين ،
فكشاً نحو سنتين يغدوان إلى بابه ويروحان وفرعون لا يعلم بهما ولا يجترىء
أحد أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطل يلعب معه ويضحك فقال أيها الملك ، إن
على بابك رجلين يقولان قولاً عجبياً يزعمان أن لهما إلهاً غيرك . فقال فرعون
دخلوهما فأدخل موسى ومعه هرون عليهما السلام .

(الباب التاسع في ذكر دخول موسى وهرون على فرعون)
قال الله تعالى (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين) وقال تعالى:
(فقولا قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى).

وروى عمرو بن عبيد عن الحسن البصري في هذه الآية قال قال لهما اعذاز
إليه لعله يتذكر أو يخشى فقولا له إن لك رباً ومعاداً وإن بين يديك جنة ونارا
لعله عند ذلك يتذكر أو يخشى وعيدكما، وهو عندي لا يتذكر ولا يخشى قال
لسكيلا يقول أهل بيته قبل أن أعذر إليه، قال فلما أذن فرعون لموسى وهرون
دخلوا عليه فلما وقف عنده دعا موسى بدعاء وهو لا إله إلا الله الحليم الكبير
لا إله إلا الله العلي العظيم؛ سبحان رب السموات والأرضين السبع وما فيهن
وما بينهن ورب العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، اللهم إني
أدرك بك في نحره وأعوذ بك من شره وأستعين بك عليه فاكفنيه بما شئت قال
فتحول ما في قلب موسى من الخوف أمناً؛ وكذلك كل من دعا بهذا الدعاء وهو
خائف أمن الله وخوفه ونفس الله كربتة وهون عليه سكرات الموت ثم أن فرعون
قال لموسى من أنت؟ فقال أنا رسول رب العالمين فتأمله فرعون فقال له (ألم تربك
فيما وليدأ وليدت فينا من عمرك سنين وفعالت فعلت التي فعلت وانت من الكافرين)
معنا على ديننا هذا الذي هو الآن تعيبيه قال موسى (فعلتها إذا وأنا من الضالين)
أي من المخطئين ولم أرد بذلك القتل (ففرت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً
وجعلني من المرسلين) ثم أقبل موسى ينكر عليه ما ذكره له من يده عليه فقال
(وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل) أي اتخذتهم عبيداً تتزع أبناءهم
من أيديهم فتسترق من شئت وتقتل من شئت أي إنما صيرني إليك ذلك (قال
فرعون وما رب العالمين؟ قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين)
قال فرعون (لمن حواه) من ملئه (ألا تستمعون)؟ إنكاراً لما قال موسى ربكم
ورب آباءكم الأولين (قال) فرعون (إن رسولكم الذي أرسل إليكم لجنون) يعني
ما هذا بكلام رجل صحيح العقل إذ يزعم أن لكم إلهاً غيري (قال) موسى (رب
المشرق والمغرب وما بينهم إن كنتم تعقلون) ثم قال فرعون لموسى (لئن اتخذت

لها غيرى لا جعلناك من المسجونين قال اولو جئتكم بشيء مبین (تعرف به صدقي
وكذبك وحقى وباطلك) قال فرعون (فأت به إن كنت من الصادقين فألقى موسى
عصاه فإذا هي ثعبان مبین) فأتحة فاها قد ملأت ما بين جاتى القصر واضعة لحيتها
الاسفل فى الارض والاعلى على سور القصر حتى رأى بعض من كان خارجا من
مدينة مصر رأسها ثم توجهت لنعو فرعون تأخذة فانقض منها الناس وذعر منها
فرعون ووثب عن سريريه وأحدث حتى قام من بطنه فى يومه ذلك أربعين مرة
وكان فيما يزعمون لا يسعل ولا يتمخط ولا يتصدع رأسه ولا تصيبه آفة ما يصيبه الناس
قالوا فلما قصدته الحية صاح يا موسى أنشدك الله وحرمة الرضاع إلا ما أخذت
وأمسكتها عنى وأنا أو من بك وأرسل معك بنى إسرائيل فآخذها موسى فعادت
عصا كما كانت ، ثم إن موسى نزع يده من جيبه فأخرجها فقال له فرعون هذه يدك
فما فيها فأدخلها موسى فى جيبه ثم أخرجها ولها نور ساطع فى السماء تكلم عنه
الابصار قد أضاء ما حولها ودخل ضوءها البيوت ورؤى من الكوى ومن وراء
الحجب فلم يستطع فرعون النظر إليها ثم ردها موسى إلى جيبه ثم أخرجها فإذا هي
على لونها الاول . قالوا فهم فرعون بتصديقه فقام إليه هامان وجلس بين يديه ، ثم
إنه قال بينما أنت إله تعبد إذ أنت تابع لعبد ، فقال فرعون لموسى مهلنى اليوم وغدا
فأوحى الله لموسى أن قل لفرعون إنك إن آمنت بالله وحده عمرتك فى ملكك
ورددتك شاباً طرباً فاستنظره فرعون فلما كان من الغد دخل إليه هامان وقال له
والله ما يعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوماً واحداً ونفخ فى منخره ثم قال هامان أنا
أردك شاباً فاتى بالوشم فخصبه فمر أول من خصب بالسود فلذلك كرهه ^{بالتلويح} ونهى
عنه فلما دخل عليه موسى ورآه على تلك الحالة هاله ذلك فأوحى الله تعالى إليه
لا يبولنك ما رأيت فإنه لن يلبث إلا قليلا حتى يعود إلى حالته الاولى .
وفى بعض الروايات أن موسى وهرون لما انصرفا من عند فرعون أصابهما
مطر فى الطريق فأتيا على عجوز من أقرباء أمهم ركار فرعون وجه الطالب فى أثرهما
فلما دخل عليهما الليل ناما فى دارها وجاء الطالب إلى الباب والعجوز منتبهة فلما أحست
بهما خافت عليهما فخرجت العصا من جانب الباب والعجوز تنظر إليهما فقامت لهما فقتلت
منهم سبعة أنفس ثم عادت ودخلت الدار فلما اتبعه موسى وهرون أخبرتهما وأمنت

(الباب العاشر في قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة)

(وخر وجههم يوم الزينة إلى الفضاء للمغالبة)

قالت العلماء بأخبار الأنبياء إن موسى وهرون عليهما السلام وضع فرعون
مرهما وما أنيابه من سلطان الله تعالى على السحر فقال للملأ حوله إن هذان
الساحران عليان فإذا تأمرون؟ قالوا اقتلتهما فقال العبد الصالح حز قبيلى مؤمن آل
لرعون (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) إلى قوله تعالى (سبيل الرشاد) وقال
قلاً من قوم فرعون أرجئه وأخاه وابعث في المداين حاشرين ياتوك بكل ساحر
عظيم وكانت لفرعون مداين فيها سحرة معدة للأمر إذا حز به .

فلما اجتمع السحرة والناس جاء موسى متكباً على عصاه ومعه أخوه هرون
حتى أتيا المجتمع وفرعون في مجلسه مع أشرف قومه فقال موسى للسحرة حين جاءهم
(وبلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحركم بهذاب قد خاب من افتري) فتناجوا فيما بينهم
فقال بعضهم لبعض ما هذا يقول ساحر فذلك قوله تعالى (فتنازعوا أمرهم بينهم
وأسرروا النجوى) فقالت السحرة لنا تدينك اليوم بسحر لم تر مثله (وقالوا بعزة
فرعون إنا لنحن الغالبون) وكانوا قد جاءوا بالعصى والجبال يحملها استون بعيراً
فلما أبوا إلا الإصرار على السحر قالوا لموسى (إما أن تلقى وأما أن نسكون نحن
المالقين) قال لهم موسى بل القوا انتم جبالكم وعصيكم فالتقوا فإذاهما حيات كما مثال
الجبال قد ملأت الوادى يركب بعضها بعضاً تسمى فذلك قوله تعالى (يخيل إليه من
سحرهم أنها تسعى) إلى قوله (خيفة موسى) فقال موسى إنها كانت لهصايا في أيديهم
ولقد عادت حيات وما عصاى هذه ؛ فلما حدث نفسه بذلك أوحى الله إليه (لا تخف
إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح
الساحر حيث أنى) ففرج موسى ثم إنه التقى عصاه من يده فإذا هى ثعبان مبین
كأعظم ما يكون من الثعابين اسود مدلهم يدب على أربع قوائم فصار غلاظ شداد
وهو أعظم وأطول من بختى عظيم وله ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة
برأسه وعقله وكامله لا يضرب بذنبه على شيء إلا حطمه وقصمه ويكسر بقوامه
الصخر الصلب ويطحن كل شيء ويصرم الحيطان والبيوت نفسه نار ؛ وله

عينان تلتهبان ناراً ومنخراه ينفخان سموماً وعلى معرفته شعر كأمشال الرياح وصارت
الشمبتان له فما سحنته إلنا عشر ذراعاً وفيه أنياب وأضراس لها فحيح وكشيش
وصريف وصرير فاستمرضت ما ألفت السجرة من حبالهم وعصيمهم وهي نخيل في
أعين الناس وعين فرعون وإنها تسعى فجاءت تلقفها وتبلمها واحداً واحداً حتى لم
يز في الوادي لأقليلاً ولا كثيراً مما ألقوا وانهم قوم فرعون هاربين منقلبين
فتزاحوا وتضاغطوا ووطىء بعضهم بعضاً حتى مات منهم يومئذ في ذلك الزحام
خمسة وعشرون ألفاً وانهم فرعون فيمن انهم من خوفاً مرعوباً ذاهباً عقله ، وقد
استطلق عليه بطنه من يومه ذلك أربع مائة مرة فصار يحصل لذلك أربعين مرة في
كل يوم وليلة على الدوام إلى أن هلك فلما انهم الناس وطان السجرة ما عابنوا
قال لبعضهم لو كان ساحراً ما علينا ولا نخفي علينا أمره ولو كان سحراً فإين حبالنا
وعصينا (فالقى السجرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون
وكان فيهما اثنان وسبعون شيخاً قد انحمت ظهورهم من الكبر وكانوا علماء ورؤساء
وكان رؤس السجرة خمسة نفر ساجدين وغادرو وحفظوا وخططوا ومصفاة وهم الذين آمنوا
حين رأوا ما رأوا من سلطان الله تعالى فلما رأى فرعون ذلك أسف وقال لهم متجلدة
(آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي عليكم السجود) إلى قوله تعالى (أشد
عذاباً وأبقى قالوا نؤثرك على ما جاءنا من البينات) الآية فقطع أيديهم وأرجلهم
من خلاف وصلبهم في جذوع النخل وهو أول من فعل ذلك فأصبحوا سحراً
كفر : وأمسوا شهداء بررة ورجع فرعون مغلوباً مهزوماً مكسوراً ثم أبى إلا
الإقامة على الكفر والتنادى في الشر فتابع الله عليه الآية وأخذته وقومه بالسنين
إلى أن أهلهم ثم إن موسى عاد راجعاً إلى قومه والعصا على حياضه تحية تبعه
وتبصيص حوله وتلوذ به كما يلوذ السحاب الألف بصاحبه والناس ينظرون إليها
ويتعجبون منها وقد ماشوا رعباً فلم تزل العصا على هيئة الحية والناس يتحدثون
وينظرون إليها ويتصاعقون ويتضاغطون حتى دخل موسى عليه السلام عسكر بني
إسرائيل فأخذ برأسها فإذا هي عصا كما كانت أول مرة وشقت الله على فرعون
أمره ولم يجد إلى موسى سبيلاً واعتزل موسى مدينته ولحق بقومه وعسكره
وكانوا مجتمعين إلى أن صاروا ظافرين .

(الباب الحادى عشر فى قصة حزقيـل مؤمن آل فرعون)
(وامراته ومقتله وأولاده رضى الله عنهم أجمعين)

قالت الرواة : كان حزقيـل من أصحاب فرعون نجاراً وهو الذى صنع لام موسى التابوت حين ولدته وألقته فى البحر . وقيل إنه كان خازناً لفرعون وقد خزن له مائة سنة وكان مؤمناً مخلصاً يكتـم إيمانه إلى أن ظهر موسى على السحرة فأظهر حزقيـل أمره فأخذه يومئذ وقتل مع السحرة صلباً وهو الذى ذكره الله فى القرآن قوله تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) وقال رسول الله ﷺ سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حبيب النجار مؤمن آل يس وحزقيـل مؤمن آل فرعون وعلى مؤمن آل محمد ﷺ وهو أفضلهم . وأما امرأة لحزقيـل فإنها كانت ماشطة بنات فرعون وكانت مؤمنة من إمام الله الصالحات لا إياها كانت مع بنات فرعون تخدمهن وكانت من قصتها ما أخبرنا به بالأسانيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال (لما أسرى نى مرت برائحة طيبة فقلت لجبريل عليه السلام ما هذه الرائحة : قال هذه ماشطة آل فرعون وأولادها كانت تمشط ذات يوم بنت فرعون فوق المشط من يديها فقالت بسم الله فقالت بنت فرعون أبى ؟ قالت لا بل ربي ورب أبيك فقالت لها لا تخبرن بذلك أبى فلما أخبرته دعا بها وبولدها وقال لها من ربك ؟ فقالت إن ربي وربك الله فأمر بتنور من نحاس فاحر وأمر بها وبولدها ان يلقوا فيه فقالت له إن لى لى لك حاجة فقال وماهى قالت تجمع عظامى وعظام ولدى فتدفننا قال ولك ذلك لما لك علينا من الحق ثم أمر بأولادها فألقوا واحداً واحداً فى التنور حتى إذا كانت آخر أولادها ولداً صبيهاً رضيها فقال اصبرى يا أمه فإنك على الحق فألقيت فى التنور مع ولدها .

فمثل ابن عباس فيمن تكلم فى المهد فقال : تكلم فى المهد أربعة ؛ عيسى بن مريم وشاهد يوسف وصاحب جريج وهذا الصبي .

(الباب الثاني عشر في ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون)

(ومقتلها رحمها الله تعالى)

قال الله تعالى (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) يقال إن امرأة فرعون آسية كانت تعال في قضاء حاجتها فتبرز فتصلي يومها في مئذنها خوفاً من فرعون وكانت على تلك الحالة إلى أن قتل فرعون امرأة حزقيل وكانت آسية متطاعة من كوة قصر فرعون تنظر إلى الماشطة امرأة حزقيل كيف تعذب وتقتل فلما قتلت الماشطة طابت آسية الملائكة وقد هرجت بروحها لما أراد الله تعالى من كرامتها وما أراد لها من الخير فزادت يقيناً بالله وتصديقاً فبينما هي كذلك إذ دخل عايمها فرعون وجعل يخبرها بخبر الماشطة امرأة حزقيل وما صنع بها فقالت له آسية الويل لك يا فرعون ما أجراك على الله تعالى فقال لها لعلك قد اعتراك الجنون الذي اعتري صاحبك فقالت ما اعترانى جنون ولا كفى آمنت بالله ربي وربك ورب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها إن ابنتك قد أخذها الجنون الذي أخذ الماشطة ثم إنه أقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن بالله موسى نجات بها أمها وسألته موافقة فرعون فما أراد فأبت وقالت تريدن أن أكفر بالله فلا والله ما أفعل ذلك بها فأمر بها فرعون فدفنت بين أربعة أوتاد ثم مازالت تعذب حتى ماتت رحمها الله تعالى وذلك قوله تعالى (وفرعون ذى الأوتاد) .

عن ابن عباس قال أخذ فرعون امرأته آسية حين ابتداء بها يعذبها لتدخل في دينه فمر بها موسى وهو يعذبها فشكت إليه بأصبعها فدعا الله موسى أن يخفف عنها من العذاب فبعد ذلك لم تجد للعذاب المأ إلى أن ماتت في عذاب فرعون فقالت وهي في العذاب (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني) الآية فأوحى الله إليها أن ارفعي رأسك ففعلت فرأت البيت في الجنة من در فضحكك فقال فرعون انظروا إلى الجنون الذي بها تضحك وهي في العذاب .

(الباب الثالث عشر في بناء الصرح)

قال الله تعالى (وقال فرعون يا هامان ابن لي عندك صرحاً) الآية قالت العلماء
كان الله تعالى قد أملى لفرعون في كل باب من أبواب التملك والتسلط والثروة
والتنعم والرفع والتمتع ما قد استخف به رغيته من أهل مملكته حتى استعبدهم
فعبدوه وادعى الربوبية فقبلوه مع ما أوتي من العمر الطويل والقوة والمنعة
والسعة والجود والشوكة والعدة والعدد .

قال سعيد بن جبير مالك فرعون أربع مائة سنة لا يرى مكروهاً ولو كان في تلك
المدة فأدرك جوع يوم أوحى ليلة ما ادعى الربوبية وقدم على خطب عظيم وخطر
جسيم فلم يمسسه سوء ولا مكروه ولا تلقاه إلا محبوب ومرغوب وكان له قصر من
تصوره مشرف منيف على ألف درجة وسخر الله دابة من دوابه يركبها فيصعد
تلك القصر عليها ، وكان يركبها صاعداً ونازلاً مع أنعم الله تعالى عليه استدرأ جأ
منه فلما عان من أمر موسى ما عان لم يزد ذلك إلا اعتواً واستكباراً وعلم من
قومه الرعب والخوف فخاف عليهم أن يؤمنوا بموسى ويجعلوه مكانه فاحتال لنفسه
وعزم على بناء صرح يقوى به سلطانه وبشيد أركانها فقال لوزيره (يا هامان ابن لي
صرحاً لعل أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً)
فأمر هامان ببنائه فجمع له العمالقة والفعلة ولم يترك أحداً يقدر عليه ممن يعمل البنيان
إلا جهده لبنائه حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأنباغ والأجراة ممن يطبخ
الآجر والجبس ويتخذ الخشب والأبواب والمسامير فلم يزل يبني الصرح ويسر الله
تعالى له أمره استدرأ جأ منه وأناه الأمر على ما يريد إلى أن فرغ منه في سبع سنين
فارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والأرض فشق
ذلك على موسى فأوحى الله تعالى إليه أن دعوه وما يريد فإني مستدرجه وأخذة بفتة
وإني مبطل كل ما عمله في ساعة واحدة وكان ذلك المرح إذا ظلمت الشمس ضرب
ظله نحو المغرب وإذا غربت ضرب ظله نحو المشرق بحيث لا يعلمه إلا الله تعالى
فلما أتم بنائه بعث الله تعالى جبريل عليه السلام فغرب بجناحه المرح ضربة فقطعته

ثلاث قطع فلما رأى فرعون ذلك من أمر الله تعالى علم أن حيله لم تغني عنه شيئاً
فعمز على قتال موسى وقومه فأمر أصحابه فنصبوا له الحرب ثم إن عسكر فرعون
قالوا لموسى إنك لساحر وأنت عبد من عبيد فرعون أبقت منه وكفرت نعمته
وتريبته ونسيت إحسانه إليك ومنته عليك حيث ألقاك أمك في اليم قبجاً بك
وبغضاً لك لما علمت ما أنت صائر إليه من سوء الحال فاستنقذك فرعون من الغرق
واستدركك من الموت فأواك وكفلك ورباك واتخذك ولداً ثم فررت منه آبقاً
كافراً وجهته عدواً محارباً فلما علمنا بممتهن منك حتى نردك إلى عبادته وخدمته أو
نذيقك الذل والهوان فلما رأى الله تعالى ذلك وقد علم أنه لا يغني عنهم ما جاءهم به
موسى لما سبق فيهم من مكر الله النافذ وحقت عليهم كلمة العذاب وابتلاهم الله
بالعذاب والآيات .

(الباب الرابع عشر في ذكر الآيات التي ابتلى بها فرعون وقومه)

(حين دنا هلاكهم لإظهار آقدرته وإلزاماً لحجته)

قال الله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) قال المفسرون : هي المصا
واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفاق البحر
فقال تعالى (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات) .

وقال قتادة : أما السنون فكانت يباديهم ومواشيهم ، وأما نقص الثمرات
فكان في أمصارهم قال الله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان) الآية .

واختلف المفسرون في ذلك الطوفان ما هو .

قال ابن عباس كان أول الآيات الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء ،
وقال مقاتل هو الماء طغى فوق حروشهم فأهلكها ، وقال الضحاك هو الفرق ،

وقال مجاهد وعطاء هو الموت الذريع الجارف ، وروى ذلك عن رسول الله ﷺ
وقال وهب هو الطاعون بلغة أهل اليمن أرسل الله الطاعون على أبنكار آل فرعون
فانقضن في ليلة فلم يبق منهم باقية ، وقال أبو قلاية الطوفان الجدرى فهم أول من
عذب به فبقى في الأرض (والجراد والقمل) .

واختلفوا في القمل ما هو فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس القمل هو السوس
الذي يخرج من الحنطة، وروى عن علي بن أبي طلحة أنه الدبا وقال مجاهد والسوس
وقتادة والسكبي وغيرهم الجراد الطيارة التي لها أجنحة والقمل الصغار التي لا أجنحة
لها وروى معمر عن قتادة قال القمل أولاد الجراد وقال عبد الرحمن بن أسلم هو
البراغيث وقال عطاء هو القمل دليله قراءة الحسن والقمل بفتح القاف وجزم الميم
وقال أبو عبيدة هو الجنان وهو ضرب من القردان؛ قال أبو العالية أرسل الله الجنان
على دوابهم فأكلها حتى لم يبق منها شيء ولم يقدروا على المسير قال أمية بن أبي الصلت الثقي
أرسل الذر والجراد عليهم وهذا بأهل سكنتهم دبور
(باب في صفة تنزيل الآيات تفصيلاً وكيفيتها)

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن إسحق وغيرهم من أصحاب
الأخبار دخل حديث بعضهم في حديث بعض؛ لما آمنت السحرة وصابهم عدو الله
فرعون ورجع عدو الله مغلوباً مقهوراً انصرف موسى وهرون إلى عسكر
بنى إسرائيل فأمر فرعون قومه أن يكفوا بنى إسرائيل مالا يطيقون فكان يقول
عن القبط يجيء إلى الرجل من بنى إسرائيل يقول له انطلق معي فاكنس عشى
واعلف دوابي واستق لي وتجيء القبطية إلى السكينة من بنى إسرائيل فتكفها
حالا تطيق ولا يطعمونهم في كل ذلك خبزاً فإذا انتصف النهار يقولون لهم اذهبوا
فاكتسبوا لأنفسكم ما تأكلون فشكوا ذلك إلى موسى فقال لهم (استمعوا بالله
واصبروا إن الأرض لله يرثها من يشاء من عباده والمعاقبة للمتقين) قالوا يا موسى
(أودينا من قبل أن يأتينا ومن بعد ما جهننا) كنا نطعم إذا استعملونا من قبل أن
تأتينا فلما جهننا استعملونا ولم يطعمونا فقال موسى (عسى ربكم أن يهلك عدوكم)
يعنى فرعون والقبط (ويستخلفكم في الأرض) يعنى الشام ومصر فينظر كيف تعملون
فلما أبى فرعون وقومه إلا التمادي على الكفر والإفامة على الشر والظلم ودعا
موسى ربه فقال : يا رب عبدك فرعون قد طغى في الأرض وبغى وعثا وإن قومه
يقضوا عبدك وأخافوا وعبدك رب نخدمهم بمقربة تجعلها لهم نعمة ولقومي عظة ولين
يهدم من الأمم اعتباراً فتابع الله عليهم الآيات المفصلات وبعضها في أثر بعض فأخدمهم

بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث الله عليهم الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط شتباكة مخالطة بعضهم في بعض فامتلات بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم من جاس منهم غرق ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة واحدة وفاض الماء على وجه أراضيهم وركد فلم يقدروا على أن يحرثوا ولا يعملوا شيئاً حتى جهدوا ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا العذاب فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا موسى ربه فرفع عنهم الطوفان فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل وعادوا إلى أشركهم كما كانوا عليه فأنبت الله تعالى لهم في تلك السنة من السكّال والزرع والثمار ما لم ينبت قبل ذلك فأعشبت بلادهم وأخصبت فقالوا هذا ما كنا نتمنى وما كان هذا الماء إلا نعمة لنا وما يسرنا أن نلقى نمتراً فأقاموا شهراً في عافية ثم بعث عليهم الجراد فأكل عامة زرعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم وزهرها حتى إنها كانت تأكل الأبواب والشباب والأهتمة وسقوف البيوت والخشب والمسامير من الحديد حتى تساقطت دورهم وابتلى الجراد بالجوع فجعل لا يشبع وكان لا يدخل بيوت بني إسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فهججوا وضجوا وقالوا (يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لأن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك في بني إسرائيل) فأعطوه عهد الله وميثاقه فسأل موسى ربه فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت ويقال أن موسى برز إلى الفضاء فأشار إلى المشرق بالعصا فذهب الجراد من حيث جاء كأن لم يكن (فصل في بعض ما ورد من الأخبار الغربية في الجراد)

أخبرني الحسن بن محمد بإسناده عن جابر وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه كان يدعو على الجراد يقول: اللهم اقطع الجراد اللهم اقطع دابرهم اللهم اقتل كبارهم واهلك صغارهم وافسد بيضه وخذ بأفواههم عن معايشنا وارزقنا إنك أنت سميع الدعاء فقال له رجل من القوم كيف ذلك يا رسول الله تدعو على جند من جنود الله بهلاكه وقطع دبره؟ فقال إنما الجراد نثر سعوت من البحر.

وقال ابن علاثة : حدثني من رأى الحوت ينثره وبإسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (في صدر الجراد مكتوب جند الله الأعظم) وبإسناده عن جابر بن عبد الله قال : عدم الجراد في سنة من تنفى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلم يخبر عنه بشيء فأنتم لذلك فأرسلوا كعباً إلى اليمن وراكباً إلى الشام وراكباً إلى العراق يسألون هل رأوا شيئاً من الجراد أم لا فأتاه الراكب الذي دخل اليمن بقبضة من الجراد فألقاه في يده فلما رآه كبر ثلاثاً ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول خلق الله ألف أمة منها ستائة في البحر وأربعمائة في البر فأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فإذا هلك الجراد يتابع مثل النظام إذا قطع سلسكته .

وبإسناده عن أبي أمامة الباهلي يحدث عن النبي ﷺ أنه قال « إن مريم ابنة عمران سألت ربها أن يطعمها لحماً لا دم له فأطعمها الجراد فقالت اللهم أعشه بغير رضاع وتابع بيده بغير شياح » فقلت يا أبا المظفر ما الشياح ؟ قال الصوت . وبإسناده عن عبد الله بن ضميرة السلولي قال لما أخرج الله تعالى إبليس من الجنة قال لا اتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً قال الله تعالى وأنا متخذ من خلقى جنداً هو الجراد فقال إبليس وأنا جندي النساء هي شبكتي التي لا تخطيء أبداً .

أخبرنا الحسين بإسناده عن الأوزاعي يقول كان ببيروت رجل صالح يذكر أنه رأى رجلاً صالحاً وراكباً على جرادة قال وعليه خفان طويلان أظنهما أحمرين وهو يقول الدنيا باطل باطل ما فيها ويقول بيده هكذا فحينما أشار استاق الجراد إلى ذلك الموضع فبلغنا أن ذلك الرجل ملك الجراد قال فأقام قوم فرعون شهراً في عافية ثم بعث الله عليهم القمل وذلك أن موسى أمر أن يمشى إلى كوشيب أعقر قرية من قرى مصر تدعى عين شمس فمشى موسى إلى ذلك الكوشيب وكان مهيباً عظيماً فضربه بعصاه فأنهال عليهم القمل فنتبصع ما بقي من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فأكلها ولحس الأرض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلئ قملاً حتى أن أحدهم ليبنى الأسطوانة بالحصص ويزلفها حتى لا يرتقى فوقها شيء ثم يرفع فوقها الطعام فإذا صعد إليه لياً كله وجدده ملياً قملاً فما أصيبوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذ القمل أشعارهم وأبشارهم وأشفار

هيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كأنها الجدرى عليها ومنعتهم للنوم والقرار ولم
يستطيعوا لها حيلة وقال سعيد بن جبير النمل السوس الذي يخرج من الحبوب فكان
للرجل يخرج عشرة أقفزة إلى الرحا فلا ترد منها ثلاثة أقفزة فلما رأوا ذلك شكوا
إلى موسى وصاحوا وقالوا يا أيها الساحر : أى أيها العالم إنا نتوب ولا ندع فادع
لنا ربك بما عهد عندك يكشف عنا هذا العذاب فدعا موسى ربه فكشف عنهم القمل
فانتشروا في أقطار الأرض وأطراف البلاد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت
إلى السبت ثم نكثوا العهد وعادوا إلى أنخبث أعمالهم وقالوا ما كنا أحق أن نستيقن
أن موسى ساحر لنا إلا اليوم فيجعل الرمل دواب فعلى ماذا تؤمن وترسل معه
بنى إسرائيل فقد أهلك زرعنا وحرثنا وأذهب أموالنا فما عسى أن يفعل أكثر مما
فعل وعزة فرعون لا تصدق به أبداً ولا نذبه فدعا عليهم موسى بعد ما أقاموا
شهر في عافية وقيل أربعين يوماً أوحى الله تعالى إليه وأمره أن يقوم على ضفة النيل
فيخز عصاه فيه ويشير بالعصا إلى أدناه وأقصاه وأعلاه وأسفله ففعل ذلك فتنابع
له الضفادع بالنقيق من كل جانب حتى أعلم بعضها بعضاً وأسمع أدناها أنصاها ثم
لأنها خرجت من النيل مثل الليل الدامس سراعاً تؤم نحو باب المدينة فدخلت عليهم
في بيوتهم بغتة وامتلات منهم أفئدتهم وآنيتهم وكان أحدهم لا يكشف ثوباً ولا إناء
ولا طعاماً ولا شراباً إلا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع
ويهم أن يتكلم فتثب الضفادع في فيه وكان أحدهم ينام على فراشه وسريه فيستيقظ
وقد ركبته الضفادع ذراعاً بعضها فوق بعض وتصير عليه ركاباً حتى لا يستطيع
أن ينصرف إلى شقه الأيمن ولا الأيسر وكان أحدهم يفتح فاه لا كانه فتسببه الضفادع
إلى فيه وكانوا لا يعجزون شيئاً من العجين إلا الشدخت فيه ولا يطبخون قدرأ
إلا امتلات منه وكانت تلب في نيرانهم فتطفئها وفي طعامهم فتفسده فلقوا منها أذى شديداً
روى عكرمة عن ابن عباس قال : كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله تعالى على
فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تقذف أنفسها في القدور وهي تدور وفي التناير
وهي مسحورة فأثابها الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء قال فضجوا إلى فرعون من
ذلك وضاق عليهم أمرهم حتى كادوا يهلكون وصارت المدينة وطرقتها ملوثة جيفاً

من كثرة ما يطئونها بأقدامهم وأروحت البقاع كلها منها فلما رأوا ذلك بكوا
وشدوا إلى موسى وقالوا كشف عنا هذا البلاء فإننا نتوب هذه المرة ولا نعود
فأخذ على هذا عمودهم وموائيقهم ثم أن موسى دعا ربه فكشف عنهم الضفادع
وذلك فيما يروي أن موسى أمر أن يهتف بعصاه ويميلها ففعل ذلك فانتشع ما كان
منها حياً فلاحق بالنيل وأرسل الله على الميتة ريحا ففتحها عن مدينتهم بعد ما أقامت
عليهم سبعة أيام من النسبت إلى النسبت فأقاموا شهراً في عافية وقيل أربعين يوماً ثم
نقضوا العهد وعادوا إلى كفرهم وتكذيبهم فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم
الدم وذلك أن الله تعالى أمر موسى أن يذهب إلى شاطئ البحر فيضربه بعصاه
ففعل ذلك فسال عليهم النيل دماً وسارت مياههم كلها دماً وما يسقون من الأنهار
والآبار إلا وجدوه دماً أحمر عبيطاً فشكوا ذلك إلى فرعون وقالوا إنا قد ابتلينا
بهذا الدم وليس لنا شراب غيره فقال لهم إنه قد سحركم موسى فيمكن يجتمع الرجال
على الإناء الواحد القبطى والإسرائيلى فيكون ما يلى الإسرائيلى ماء وما يلى القبطى
دماً عبيطاً وكان القبطى والإسرائيلى يستقيان ماء واحداً فيخرج ماء القبطى دماً
وماء الإسرائيلى ماء عذبا وكان يقومان إلى الجرة التي فيها ماء فيخرج للإسرائيلى
ماء وللقبطى دم حتى إن المرأة من آل فرعون تأتي إلى المرأة من بنى إسرائيل حين
يجهدنها العطش فنقول اسقيني من مائك فتسكب لها من جرتها أو تصب لها من
فربتها فتعود في الإناء دماً قالوا والنيل على ذلك يسقى الزرع والأشجر فإذا ذهبوا
ليستقوا من بين الزرع عاد الماء دماً عبيطاً وإن فرعون اعتراه العطش في تلك
الأيام حتى إنه اضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغها صار ماؤها ملحاً
أجاجاً ومرأزها قافاً فكشوا في ذلك سبعة أيام لا يأكلون ولا يشربون إلا الدم.
وقال زيد بن أسلم: كان الدم الذي سلط عليه الرعاف فلما ضجروا من ذلك
قالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك وترسل معك
بنى إسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم ذلك وذلك أن موسى أمر أن يضرب
النيل بعصاه ضربة أخرى فيضربه فتحول ماء صافياً كما كان فلم يؤمنوا ولم يفوا بما
عاهدوا عليه وذلك قوله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان) الآيات قال نوف البكالى

هن امرأة كعب الاحبار مكث موسى في آل فرعون عشرين سنة بعد ما غلب
السحرة يريهم الآيات الطوفان والجراد والقمل والضفادع وقال أصحاب الأخبار
لما يتس موسى من إيمان فرعون وقومه ورآهم لا يزدادون إلا الظفیان والكفر
والتمادي والكبر دعا عليهم وأمن فرعون عليهما السلام وهو (ربنا إنك آتيت
فرعون وملائه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس
على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) فأجاب الله
دعاهما كما قال تعالى (قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تدبجان) الآية قالوا وكان
لفرعون وأصحابه من أثاث الدنيا وزهرتها وزينتها من الذهب والفضة واليواقيت
وأنواع الحلى والجواهر ما لا يحصيه إلا الله تعالى وكان أصل ذلك المال مما جمعه
يوسف عليه السلام في زمانه أيام القحط فبقى ذلك في يد القبط فأوحى الله إلى
موسى عليه السلام إنى مورث بنى إسرائيل ما فى يد آل فرعون من العروض والحلى
وجاعله لهم جهازاً وأعياداً إلى الارض المقدسة ما جعل لذلك عيداً تمتكف عليه
أنت وقومك تشكرون وتذكرون وتعلموننى ذلك اليوم وتعبدوننى فيه لما أرىكم
من الظفر تجاه الأولياء وهلاك الأعداء واستعبروا لعبيدكم من آل فرعون الحللى
وأنواع الزينة فإنهم لا يمنعون عنكم بسبب الحال بهم فى ذلك الوقت لما قذف فى
قلوبهم لكم من الرعب ففعل موسى ذلك كما أمره الله تعالى فأمر فرعون بزينة أهله
وولده وما كان فى خزائنه من أنواع الحللى فغيرت لبنى إسرائيل لما أراد الله بذلك
أن ينفى على موسى وقومه أفضل أموال أعدائهم بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا رجل
لطفاً منه بهم وإفضالا عليهم لما دعا موسى عليهم مسخ الله الاموال التى بقيت فى
أيديهم حجارة كلها حق المنخل والدقيق .

قال محمد بن كعب القرظى : سالتى عمر بن عبد العزيز عن التسع آيات التى أراها
الله فرعون وقومه فقلت : الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد
والبيضة والطمس وفاق البحر فقال عمر لا يكون الفقه إلا هكذا ثم إنه دعا بخريطة
ففيها أشياء مما كان أصاب لعبد العزيز بن مروان إذ كان فيها بقايا أموال فرعون فأخرج
البيضة مشقوقة نصفين وإنها الحجر والجوزة مشقوقة وإنها الحجر والحصى والعدسة

وروى محمد بن إسحاق عن رجل من أهل الشام كان بمصر قال : قد رأيت نخلة
مصروعة وإنما الحجر وقال رأيت إنساناً وما شككت أنه إنسان وإنما الحجر وكان
ذلك المسخ في أرقاتهم دون أحرارهم إذ العبيد من جملة أمواتهم فلم يبق لهم مال إلا مسخه
الله تعالى ما خلا الذي بأيدي بن إسرائيل من الخلي والجواهر وأنواع الزينة .

وقال ابن عباس : أول آيات العصا وآخرها الطمس ؛ قالوا وبلغنا أن الدنانير
والدراهم صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحاً وأنصافاً وأثلاثاً وجعل سكرهم حجارة

(الباب الخامس عشر في قصة إسرائاء موسى عليه السلام ببني إسرائيل)
(وخبر فلق البحر لهم)

(قالوا) لما سار موسى ببني إسرائيل من مصر وأرادوا أن يسيروا ضرب
الله عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبوا فدعا موسى عليه السلام مشايخ بني إسرائيل
فسألهم عن ذلك فقالوا له إن يوسف عليه السلام لما مات بمصر أخذ على إخوته عهداً
أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فيضعوه في الأرض المقدسة فلذلك نالنا
هذا الأمر فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادي أنشد الله كل من
يعلم موضع قبر يوسف ألا أخبرني ومن لا يعلم صمت أذناه عن قول فكان يمر بين
الرجلين ينادي فلا يسمعان قوله حتى سمعت عجوز منهم فقالت له رأيتك إن دللته
عليه أتعطيني ما سألتك ؟ فإني عليها وقال استأذن ربي فأمره ربه أن يعطيها مناها
فأعطاها ذلك فقالت له : إنني أريد أن لاتنزل غرفة من الجنة إلا نزلتها معك قال نعم
قالت فإني عجوز كبيرة لا أستطيع أن أمشي فاحملي فلما دنت من النيل قالت له
إنه في جوف هذا الماء فادع الله أن يحسر عنه هذا الماء فدعا الله تعالى فحسره عنه
فقالت له احفر هنا ففعل فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر فحمله معه ودفنه
في الأرض المقدسة .

قال عروة بن الزبير : وقد كان الله تعالى أمر موسى أن يسير ببني إسرائيل
إذ طالع الفجر فدعا ربه أن يؤخر طلوعه حتى يفرغ من أمر يوسف ففعل ففن ثم
تحمل اليهود موتاهم من كل بلد إلى الأرض المقدسة من فعل نبيهم ذلك .

(م ١٤ - قصص الأنبياء)

أخبرني الحسن بن محمد بإسناده عن ابن أبي موسى الأشعري عن أبيه عن النبي ﷺ قال : نزل النبي ﷺ بأعرابي فأكرمه فقال له عليه السلام : يعاهدنا فاتاه الأعرابي فقال له عليه السلام ما حاجتك ؟ قال له الأعرابي ناقة يا رسول الله بزحلها وأعز بحلبها أهلي فقال له رسول الله ﷺ ثانية ما حاجتك فقال ما لي حاجة غيرها ، فقال عليه السلام إن عجوز بنى إسرائيل كانت أحسن مسألة من هذا وذكر الحديث الذي في قصة يوسف .

قال فلما انتهى موسى إلى البحر هاجت الرياح وعادت ترمي بموج كالجبال فقال يوشع بن نون يا كريم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا فقال موسى ههنا نخاض يوشع بن نون الماء فجاز البحر ولم يوار حافر دابته الماء .

وقال الذي يكتم إيمانه وهو حزقيل مؤمن آل فرعون يا كريم الله أين أمرت قال ههنا فسكب فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقتحم البحر فاراسب في الماء فذهب القوم ليصنعوا مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدرى كيف يصنع فاوحى الله إليه (أن اضرب بعصاك البحر) وكان الماء في ذلك الوقت في غاية الزيادة فضرب موسى البحر بعصاه فلم يطعه فاوحى الله تعالى إليه أن كنهه فضربه ثانية وقال . انفلق يا أبا خالد بإذن الله تعالى (فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم) فلما انفلق البحر فإذا بالرجل الذي أقحم فرسه البحر واقف على فرسه لم يتبل سرجه ولا لبده وظهر في البحر اثنا عشر طريقاً لإثني عشر سبطاً لكل سبط طريق وأرسل الله تعالى الرياح والشمس على قعر البحر حتى صار يابساً كما قال الله تعالى (فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى) .

قال سعيد بن جبير . أرسل معاوية إلى ابن عباس يسأله عن مكان لم تطالع فيه الشمس إلا مرة واحدة فأرسل إليه إنه المكان الذي انفلق عنه البحر لبني إسرائيل أخبرنا الحسن بن محمد بإسناده عن عبد الله بن سلام أن موسى عليه السلام لما انتهى إلى البحر قال . يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والسكائن بعد كل شيء اجعل لنا فرجاً ومخرجاً فاوحى الله تعالى إليه (أن اضرب بعصاك البحر) فضرب بعصاه البحر (فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم) .

وروى الاعمش عن شفيق عن عبد الله قال . قال رسول الله ﷺ و ألا أعلمكم
الكلمات التي تكلم بها موسى حين جاز البحر ببني إسرائيل ؟ فقلنا بلى يا رسول الله
قال قولوا . اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان وعليك التكلان ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قال عبد الله . فما تركتم من ذممتهم من رسول الله ﷺ
قالوا نخاض بنى إسرائيل البحر كل سبط في طريق وعلى جانبه الماء كالجبيل
العظيم لا يدرى بعضهم بعضاً فخافوا وقالوا كل سبط قد قتل إخواننا فأوحى الله
إلى جبال الماء أن تشبكي فصار الماء شبكات كهيئات الطبقات فنظر بعضهم بعضاً
فأخذوا يجاوزون البحر وهم يرون بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم بعضاً حتى عبروا
البحر سالمين فذلك قوله تعالى (وإذ فرقنا بكم البحر) أي فلقنا وميزنا لكم الماء
يميناً وشمالاً (فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) وذلك أنه لما خرجت
ساقة عسكر موسى من البحر وصلت مقدمة عسكر فرعون إليه فأراد موسى أن
يدعو البحر ليرجع إلى حالته الأولى فأوحى الله إليه أن (اترك البحر رهواً) أي
سائماً على حاله . إنهم جند مفرقون . فلما وصل جند فرعون إلى البحر رأوه
مفلتاً . فقال فرعون . انظروا إلى البحر كيف انفلق لهيبتى حتى أدرك أعدائى
وعبيدى الذين أبقوا منى فاقتلهم فادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه ولم يكن
في خيل فرعون أنثى وإنما كانت ذكوراً كلها فجاء جبريل عليه السلام على فرس
له أنثى وهى مشتبهة للفحل وعليه عمامة سوداء فتقدمهم ونخاض البحر فظن أصحاب
فرعون أن الفارس منهم فلما شممت الخيول ريحها اقتحمت البحر أثرها حتى خاضوا
كلهم وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحشهم ويقول لهم الحقوا بأصحابكم
فلما أراد فرعون أن يسلك طريق موسى نهاه وزيره هامان وقال له إنى قد أتيت
إلى هذا الموضع مراراً وما لى عهد بهذا الطريق وإنى أخاف ولا آمن أن يكون
مكرراً من الرجل ويكون فيه هلاكنا وهلاك أصحابنا فلم يطعه فرعون وذهب
مما جلا على حصانه ليدخل البحر فامتنع الحصان فجاءه جبريل على رمحه بيضاء
فصهات فحمحم إليها حصان فرعون فخاض جبريل البحر فتبها حصان فرعون

فأفججه البحر فلما توافوا في البحر وهم أولهم أن يخرج من البحر أمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم ففرقهم أجمعين وذلك بمراى من بنى إسرائيل فذلك قوله تعالى (وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) يعنى إلى مصارعهم وانفرد جبريل عليه السلام بفرعون فلما أدرك فرعون الغرق (قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) فقال له جبريل (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) ثم إن جبريل أراه فتياه وتوقيعه الذى فيه ، وقال إنما هذا فتياك الذى أفتيت به ، ثم جعل يدس فى فيه من حما البحر مخافة أن يعيد تلك الشهادة .

وفى الحديث أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ ، ما أبغضت أحدا من الخلق ما أبغضت رجلاين ، أما أحدهما فن الجن وهو إبليس عليه لعنة الله حين أبى أن يسجد لآدم ، والآخر من الإنس ، وهو فرعون حين قال (أنا ربكم الأعلى) ولو رأيتنى يا محمد وأنا آتخذه من حما البحر وأدسه فيه مخافة أن يقول كلمة التوحيد فيرحمه الله تعالى بها .

أخبرنى الحسن بن محمد بإسناده عن محمد بن قيس قال جاء يهودى إلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال يا أبا الحسن ما صبرتم بعد نبيكم خمسا وعشرين سنة حتى قتل بعضكم بعضا ؟ فقال بلى قد كان صبر وخير ولستكنكم ما جفت أقدامكم من حما البحر حتى قلت يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة فلما أغرق الله تعالى فرعون ومن معه ونجى موسى ومن معه بعث موسى جندين عظيمين من بنى إسرائيل كل جند اثنا عشر ألفاً إلى مدائن فرعون وهى يومئذ خالية من أهلها قد أهلك الله عليانهم ورؤساءهم وقادتهم ومقاتلتهم ، فلم يبق منهم إلا النساء والصبيان والمرضى والهرمى فأمر على الجنديين يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فدخلوا بلاد فرعون وغنموا ما كان فيها من أموالهم وكنوزهم فحملوا من ذلك ما استقلت به الجمول منها وما لم يطيقوا حمله باعوه من قوم آخرين فذلك قوله تعالى (كم تركوا من جنات وعيون) إلى قوله تعالى (فأكف من كذلك أورثناهم قوماً آخرين) إلى آخر القصة ثم أن يوشع بن نون استخلف على قوم فرعون رجلا منهم وعمد إلى موسى بمن معه من المسلمين غانمين شاكرين .

(الباب السادس عشر في ذهاب موسى إلى الجبل لميقات ربه)
(وصفة لإيتاء الله تعالى الألواح وإنزاله التوراة وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر) وقال في موضع
آخر (وإذا واعدنا موسى أربعين ليلة)

قال العلماء بقصص الأنبياء وسير الماضين إن موسى كان واعد بنى إسرائيل
وهو بمصر إذا خرجوا منها وهلك عدوهم أن ياتيهم بكتاب فيه ما ياتون
وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون وقومه واستنقذ بنى إسرائيل من أيديهم
وأمنهم من عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليها قالوا يا موسى
أئتنا بالكتاب الذي وعدتنا به فقال موسى ربه ذلك فأمره الله أن يصوم ثلاثين
يوماً ثم يتطهر ويطهر ثيابه ويأتي طور سيناء ليكلمه ويعطيه ذلك الكتاب فصام
ثلاثين يوماً فلما صعد الجبل أنكر خلوف فيه فتمسوك بعود خروب

وقال أبو العالوية - أخذ من لحاء الشجر فمصه فقالت له الملائكة إنا كنا نشم
من فيك رائحة المسك فافسدتها بالسواك ، فأوحى الله تعالى إليه أن صم عشرة أيام
آخر ، وقال له أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من رائحة المسك ؛
وكانت فتنتهم في العشرة الأيام التي زادها الله تعالى على موسى فذلك قوله تعالى
(وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) ذي القعدة (وأتممناها بعشر) من ذي الحجة

قال وهب - كان بين الله وبين موسى سبعون حججاً فرحمها الله كلها إلا حججاً
واحداً فتجلى موسى لكلام الله تعالى واشتاق إلى رؤيته وطمع فيها فقال (رب
أرني أنظر إليك)

واختلف العلماء في معرفة النجلى قال ابن عباس ظهر نوره للجبل
وقال الضجك أظهر الله تعالى من نور الحجب مثل منخر الثور
وقال عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ، ما تجلى من عظمة الله تعالى للجبل
إلا كسم الخياط حتى صار دكاً دكاً

وقال السدي ما تجلي إلا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس عن النبي ﷺ أنه قرأ هذه الآية فقال (هكذا ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل يعني غار

وقال الحسن أوحى الله تعالى إلى الجبل وقال هل تطيق رؤيتي فغار الجبل وهو ساخ في الأرض وموسى ينظر إليه حتى ذهب أجمع

وقال السدي ما تجلي للجبل إلا قدر جناح بهوضة فصار الجبل دكاً
وقال ابن عباس نراباً وقال سفيان ساح حتى وقع في البحر
قال عطية العوفي صار رملاً هائلاً

وقال الكلبي جله دكاً أي مكسراً جبالاً صفاراً وبالإسناد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً)

(قال) فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام وأمره أن يحمل الألواح فيبأفها موسى فلم يطيق حملها فقال يا رب من يطيق حمل هذه الألواح بما فيها من النور والبيان والعهود وهل خلقت خلقاً يطيق حملها فأمده الله بملائكة يحملونها بعدد كل حرف من التوراة فحملوها حتى بلغوها موسى وعرضوا له الألواح على الجبل فأنهدع لها الجبل وخشع ، وقال يا رب من يطيق حمل هذه الألواح بما فيها من ضرب الله مثلاً في القرآن فقال تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) كما أنزل التوراة على الجبل فلم يطق حملها ، قال فلما وضعوها على الجبل بين يدي موسى وذلك عند صلاة العصر فقبض موسى على الألواح فلم يطق حملها فلم يزل يدعو حتى هون الله عليه حملها فحملها فذلك قوله (يا موسى إنني اصطفتك) الآية وقوله تعالى (وكتبنا له في الألواح) الآية

(فصل في نسخة العشر الكلمات التي كتبها الله تعالى لموسى نبيه وصفيه)
(في الألواح وهي معظم التوراة وعليه مدار كل شريعة)

وهي بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله الملك الجبار العزيز القهار
لعبيده ورسوله موسى بن عمران أن سبحني وقدسني لا إله إلا أنا فاعبدني
ولا تشرك بي شيئاً واشكر لي ولوالديك إلى المصير أحبك حياة طيبة ولا تقتل
النفس التي حرم الله عليك فاضيق عليك السماء باقطارها والأرض برحبها ولا تحاف بإسمي
كاذباً فإنني لا أطهر ولا أزكي من لا يعظم إسمي ولا تشهد بما لا يعي سمعك
ولا تنظر عينك ولا يقف عليه قلبك فإنني لا أوقف أهل الشهادات على شهادتهم
يوم القيامة وأسألمهم عنها ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلي ورزقي فإن
الحاسد عدو نعمتي ساخط لقسمتي ولا تزن ولا تسرق فأحجب عنك وجهي
وأغلق دون دعوتك أبواب السموات ولا تدبح لغيري فإنه لا يصعد إلى من
قر بان أهل الأرض إلا ما ذكر عليه إسمي ولا تفجرن بحليلة جارك فإنه أكبر
مقتاً عندي وأحبب للناس ما تحب لنفسك وأكره لهم ما تكره لنفسك فهذه
نسخة العشر الكلمات وقد أعطاها الله جميعاً لمحمد ﷺ في ثمان عشر آية وهي قوله
تعالى في سورة بنى إسرائيل (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) إلى قوله
(ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة) ثم جمعها في ثلاث آيات من سورة
الأنعام وهي

قوله تعالى (أتأمنون) أتأمنون (أتأمنون) أتأمنون (أتأمنون) أتأمنون
لعلكم تتقون)

أخبرنا أبو عمر محمد الفريابي بإسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ
(لما أعطى موسى الألواح نظر فيها فقال يا رب لقد أكرمتني بكرامة لم تكرم
بها أحداً من العالمين قبلي) قال (يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي
وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين)

اخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن نصير المكي قال أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المماصري عن أبيه أن كعب الأحبار رأى حبراً من اليهود يبكي فقال ذكرت بعض الأمر فقال كعب الأحبار أنشدك الله لئن أخبرتك بما أبكاك فتصدقني قال نعم قال أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل على موسى عليه الصلاة والسلام أن موسى نظر في التوراة فقال - إني أجد أمة هم خير الأمم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وتؤمنون بالكتاب الأول والآخر ويقا تلون أهل الضلالة حتى يقا تلوا الأعور الدجال فقال موسى رب اجعلهم أمتي قال هم أمة محمد يا موسى قال له الخبر نعم .

قال كعب أنشدك الله تعالى هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال إني أجد أمة هم الحامدون رعاة الشمس هم المحكمون إذا أرادوا أمراً قالوا نفعله إن شاء الله تعالى فقال موسى فاجعلهم أمتي فقال هم أمة محمد يا موسى قال الخبر نعم .

قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يا رب إني أجد أمة يأكلون كماراتهم وصدقاتهم وكان الأولون يحرقون صدقاتهم بالنار غير أن موسى كان يجمع صدقات بني إسرائيل فلا يجد عبداً مملوكاً ولا أمة إلا اشتراه من تلك الصدقة وما فضل يحنر له حنرة عميقة القمر وألقاه فيها ثم دفنه كي لا يرجعوا فيه وهم المسيحون المستجيبون المستجاب لهم وهم الشافعون والمشتنعون قال موسى يا رب اجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى قال الخبر نعم .

قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال إني أجد أمة إذا اشرف أحدهم على شرف كبر الله تعالى وإذا هبط إلى واد حمد الله تعالى ، الصعید لهم طور والأرض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من

الجنابة طهورهم بالصعيد كظهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غراً محجلين من آثار
لوضوء فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى قال الخبر نعم .

قال كعب الأشدك الله تجد في التوراة أن موسى نظر فيها فقال يارب لاني
أجد أمة إذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة وإذا عملها كتبت له
عشرا إلى سبعمائة ضعف ، وإذا هم أحدهم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه وإذا
عملها كتبت عليه سيئة مثما فاجعلهم يارب أمتي ، قال هم أمة محمد يا موسى قال
الخبر نعم .

قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة
فقال يارب لاني أجد أمة مرحومة أصفياء يرثون الكتاب فمنهم ظالم لنفسه
ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم إلا مرحوماً فاجعلهم
أمتي قال هم أمة أحمد يا موسى .

قال فلما عجب موسى من الخير الذي أعطاه الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين
قال موسى يا ليتني من أصحاب محمد - فأوحى الله تعالى إليه بثلاث آيات يرضيه
بهن فقال تعالى (يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ
ما آتيتك وكن من الشاكرين) إلى قوله تعالى (دار الفاسقين) وقوله تعالى
(ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) قال فرضى موسى كل الرضا .

وقال ابن عباس : لما صار موسى إلى طور سيناء إلى الميقات - قال له ربه
ما تبتغي ؟ قال جئت أبتغي الهدى قال وجده يا موسى قال موسى يارب أي
عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني ، قال فأى عبادك أفضى قال
الذي يقضى بالحق ولا يتبع الهوى ، قال أي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس
إلى علمه فيسمع الكلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى .

وقال عبد الله بن مسعود لما قرب الله تعالى موسى إلى طور سيناء رأى عبد
في ظل العرش جالساً قال يارب من هذا؟ قال عبد لا يحسد الناس على ما آتاهم
الله من فضله بر بوالديه ولا يمشى بالنميمة قال موسى يارب اغفر لي ما جرى من
ذني وما غبر وما بين ذلك وما أنت أعلم به مني أعوذ بك من وسوسة نفسي
وأعوذ بك من سوء عملي قال كفييت ذلك يا موسى قال موسى يارب فأى الأعمال
أحب إليك أن أعمل به قال تذكرني ولا تنساني قال أي عبادك خير عملاً قال من
لم يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزن في فهو مؤمن في خلق حسن قال أي عبادك
شراً عملاً قال فاجر في خلق سيء جيفة بالليل بطل بالنهار قال فلما رجع موسى
إلى قومه وقد آتاهم بالتوراة أبوا أن يقبلوها ويعملوا بما فيها من الأفعال
والأغلال التي كانت عليهم فيها وكانت شريعة ثقيلة فأمر الله جبريل فقلع جبلاً
على قدر عسكرهم وكان فرسخاً في فرسخ فرفعه فوق رؤوسهم مثل الظلّة مقدار
قائمة الرجل وقال أبو صالح عن ابن عباس أمر الله تعالى جبلاً من جبال فلسطين
فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم مثل الظلّة فذلك قوله تعالى (وإذا أخذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور) وقوله تعالى (وإذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة)

وقال عطاء عن ابن عباس - رفع الله تعالى فوق رؤوسهم الطور وبعث ناراً
من قبل وجوههم وآتاهم البحر ملحاً من خلفهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم بقوة
واسمعوا فإن قبلتموه وفعالتم ما أمرتكم به وإلا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم في
هذا البحر واحرقتم بهذه النار - فلما رأوا أن لا مهرب لهم منها قبلوا ذلك
وسجدوا على شق وجوههم يلاحظون الجبل وهم سجدوا فصارت سنة في اليهود
لا يسجدون إلا على انصاف وجوههم فلما زال الجبل قالوا يا موسى سمعنا وأطعنا
ولو لا الجبل ما أطعناك .

واخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الثقفى قال حدثنا محمد بن
بي شيبه قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله القزوينى قال حدثنا محمد بن

مرزوق النضري قال حدثنا هاني بن يحيى السامري قال حدثنا الحسين بن ابو سهل
عن جعفر عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ
(لما كلم الله موسى كان يبصر بعد ذلك ديب النلة في الليلة المظلمة على الصفا من
مسيرة عشر فراسخ .

وأخبرنا أبو عبد الله الثقفى قال حدثنا عبد الله بن سيبه قال حدثنا أبو حامد
المستعلى قال حدثنا إسحاق قال حدثنا خالد بن خراش قال حدثنا عبد الله بن زيد بن
أسلم عن أبيه ان موسى كان إذا غضب اشتعلت قلبسوته ناراً لشدةه .

(باب ذكر قصة بنى إسرائيل وهرون مع السامري حين اتخذ لهم العجل لها)

قال أهل السير وأصحاب التواريخ لما أهلك الله فرعون وقومه قال موسى
لانى ذاهب إلى الجبل لمينقات ربي وآتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذررون
وواعدهم ثلاثين ليلة واستحلف عليهم أخاه هرون فجاء جبريل عليه السلام على
فرس يقال لها فرس الحياة وهي بقاء أنى لا تضيب شيئاً إلا حي فلم يراه
السامري على تلك الفرس عرفه وقال أن هذه الفرس لشأناً عظيماً وأخذ قبضة من
تراب حافر فرس جبريل هذا قول السدى .

قال الكلبي إنما اتخذ السامري من تراب حافر فرس جبريل العجل حين عبروا
البحر وبعث الله تعالى جبريل على فرس بقاء خطوطها مد البصر عليهم تركب
الأنبياء كاهم وخاض البحر وسمت خيول قوم فرعون ريمها خاضت في أثرها قالوا
ولما عرف السامري جبريل دون بنى إسرائيل لأن فرعون حين أمر بذبج أولاد
بنى إسرائيل جعلت المرأة إذا ولدت الغلام انطلقت به سرأ في جوف الليل إلى
صحراء أو واد أو غار في جبل فأخفته فيقضي الله ملكاً من الملائكة يطعمه
ويسقيه حتى يخلط بالناس وكان الذى رب السامري جبريل عليه السلام فجعل بمصر

من أحد إبهاميه سمياً ومن الآخر عسلاً فمن ثم عرفه ، ومن ذلك الوقت إذا جاع
الطفل يمص إبهامه فيروى من المص لأنه جعل فيه رزق .

وقال الحسن البصرى إسم عجل بنى إسرائيل الذى عبدوه بهموت قالوا فلما
رأوا العجل وسمعوا قول السامرى ففتنوا به غير إثنى عشر ألفاً وكان مع هرون
ستائة ألف ، فمكفوا عليه يعبدونه من دون الله وأحبوه حباً ما أحبوا شيئاً
مثله قط ، فقال لهم هرون يا بنى إسرائيل (إنما فتنتكم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني
وأطيعوا أمرى قالوا ان نبرح عليه عاكهين حتى يرجع إلينا موسى) فأقام هرون
قيم من من المسلمين وأقام من يعبد العجل على عبادته وتخوف هرون إن سار
بمن من المسلمين إلى المفتونين الضالين أن يقول له موسى فرقت بين بنى إسرائيل
وكان له هائباً مطيحاً وقال قتادة فى هذه القصة قد كره الصالحون الفرقة قبلكم .

أخبرنى الحسن بإسناده عن راشد بن سعيد قال ، لما واعد الله موسى أربعين
يوماً قال الله تعالى يا موسى إن قومك قد افتنوا من بعدك قال يارب كيف
يفتنون وقد نجيتهم من فرعون ومن البحر وأنعمت عليهم ، قال إنهم اتخذوا
العجل لها من دونى وهو عجل ذو جسد له خوار قال يارب من نفخ فيه الروح
قال أنا ، قال أنت وعزتك فتنتهم (إن هى إلا فتنتك) الآية

عن ابن عباس قال ، قال رسول الله ﷺ (ليس المعان كالخبر قال الله تعالى
لموسى إن القوم قد فتنوا فلم يلق الألواح فلما عاين ألقى الألواح فمكسرها

عن تميم الدارى قال - قلت يا رسول الله مررت بمدينة صفتها كيت وكيت
قريبة من ساحل البحر ، فقال عليه الصلاة والسلام (تلك أنطاكية) أما إن فى
غار من غيرانها رضا من الألواح موسى وما من سخابة شرقية ولا غربية تمر بها
إلا ألتت عليها من بركاتها وإن تذهب الأيام والليالى حتى يسكنها رجل من أهل
بيتى يملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً) قالوا فلما رأى موسى ما صنع

قومه من بعده من عبادة العجل أخذ بشعر رأس أخيه هرون بيمينه وخطيته بشماله
وكان هرون قد اعتزلهم في اثني عشر ألفاً (لم يعبدوا العجل) فقال هرون
(ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ان لا تتبعن أفهصيت أمرى) هلا قاتلهم إذ علمت
لاني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم فقال هرون (يا ابن أم) الآية قال المفسرون
كان هرون أخا موسى لأبيه وأمه ولكن أراد بقوله يا ابن أم ترفيقه واستعطافاً
عليه (لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) أي بذوائبي (لاني خشيت) إن قاتلهم أن
يصيروا حن بين يقتل بعضهم بعضاً فنقول (فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي)
أي ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك (اخلفني في قومي واصلاح ولا تتبع سبيل
المفسدين) ثم أن موسى أقبل على السامري وقال (ما خطبك يا سامري) أي
ما أمرك وما شأنك ؟ فقال السامري (بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من
أثر الرسول) يعني أخذت تراباً من أثر فرس جبريل (فنبذتها) وطرحتها في
العجل (وكذلك سوات لي نفسي) أي زينت لي .

قالوا فما علم بنو إسرائيل لانهم قد أخطئوا وضلوا في عبادتهم العجل ندموا
على ذلك واستغفروا الله تعالى كما قال الله تعالى (ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم
ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا وينقر لنا لنكونن من الخاسرين) فقال لهم موسى
(يا قوم إنكم ظالمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) قالوا له فأى شيء نصنع وما الحيلة ؟
قال (توبوا إلى الله بارئكم) أي ارجعوا إلى خالقكم قال فكيف نتوب قال
(قاتلوا أنفسكم) أي ليقتل البريء المجرم (ذللكم) يعني القتل (خير لكم عند بارئكم)
قال ابن عباس أني الله أن يقبل توبة بني إسرائيل إلا بالخال التي كرهوا أن
يقاتلوه حين عبدوا العجل .

وقال قتادة : جعل الله توبة عبدة العجل القتل لانهم ارتدوا وكفروا والكفر
مبيح الدم فلما أمرهم موسى بالقتل استسلموا لأمره وقالوا نصبر لأمر الله ،
فجلسوا في الألفية محتبين وأظلت عليهم القوم بالسيوف والخناجر فيكان الرجل
يرى أخاه وإبنة وأباه وقريبه وجاره فلم يمكنه إلا إرضاء الله تعالى فقالوا يا موسى

كيف اصنع ؟ فأرسل الله ضيابة وسحابة سوداء حتى لا يبصر بعضهم بعضاً ،
وقيل لهم من حل حبوته أو مد طرفه إلى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون
مردودة توبته فيكافوا يقتلونهم فلما كثر فيهم القتل وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً
دعا موسى وهرون وبهما جزعاً وتضرعاً وقال يارب هلكت بنو إسرائيل
البقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم أن يرفعوا السلاح ويكفوا القتل فلما
انكشفت السحابة عن القتلى اشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى إليه :
أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة ؟ فكان من قتل منهم شهيداً ومن بقي
منهم مكفراً فذلك قوله تعالى (فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم) .

وروى أنه اختار من كل سبط ستة نفر فصاروا إثنين وسبعين رجلاً فقال
إنما أمرت بسبعين رجلاً فليتخلف منكم رجلان فتشاحوا على ذلك فقال موسى إن
لمن قعد مثل أجر من خرج فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فامر موسى
السبعين أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا أثوابهم ثم خرج بهم إلى الطور لميقات
ربه وذلك قوله تعالى (واختار موسى سبعين رجلاً لميقاتنا) الآية ، وكان لا يأتيه
إلا بإذن منه فلما دنا موسى إلى الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله
ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى إذا كلفه الله وقع على وجهه
نور ساطع لا يستطيع أحد من بني إسرائيل أن ينظر إليه فضرب دون الحجاب
ودون القوم حتى دخلوا في الغمام وخروا سجداً وسمعوا الله تعالى وهو سبحانه
وتعالى يكلم موسى ويأمره وينهاه وأسمعهم الله تعالى إنني أنا الله لا إله إلا أنا
فاعبدوني ولا تعبدوا غيري ، فلما فرغ موسى من الكلام وانكشف الغمام أقبل
إليهم فقالوا إن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهي نار جاءت
من السماء فأحرقتهم جميعاً .

قال وهب بل أرسل الله عليهم جنداً من السماء فلما سمعوا حسهم ماتوا يوماً
وايلة فذلك قوله تعالى (وإذا قلتم يا موسى لن نؤمن حتى نرى الله جهرة فأخذتكم

الصاعقة
ولا يأت
وقد أ
رجل
موت

قا
بأخبار
ابن يه

ابن ل
شمويل
إسحق

أصحا
وأفض

ق
للتور
(فبغ

ق
حين

الصاعقة وأنتم تنظرون) فلما ماتوا قال موسى (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا مما فعل السفهاء منا) يا رب كيف أرجع إلى بني إسرائيل ، وقد أهلكت خيارهم ولم يزل موسى يناشد ربه حتى أحياهم الله جميعاً رجلاً بعد رجل ينظر بعضهم بعضاً كيف يحيون فذلك قوله تعالى (ثم بعثناكم من بعد موتكم) الآية .

(باب في قصة قارون حين عصا ربه واستكبر وأورثه ماله الطغيان)
(والبطر حتى أهلكته الله تعالى)

قال الله تعالى (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم) الآية قالت العلماء بأخبار القدماء قارون كان ابن عم موسى لأنه قارون بن يصهر بن فاهث بن لاوي ابن يعقوب وموسى هو ابن عمران بن فاهث هذا قول أكثر العلماء :

وقال ابن إسحق تزوج يصهر بن فاهث سمين بنت ماريث بن برشيا بن يقشان ابن إبراهيم فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر فتمسك عمران بخيت بنت شمويل بن برشيا بن يقشان فولدت هارون وموسى ابن عمران فموسى على قول ابن إسحق بن أخى قارون وقارون عمه لأبيه وأمه على قول الآخرين ابن عمه وعليه أصحاب التواريخ ، وكان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهرون وأفضلهم وأجملهم .

قال قتادة كان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة منه ولا يكن عدو الله نفاق كما نفاق السامري فبغى على قومه كما قال الله تعالى (فبغى عليهم) واختلفوا في معنى هذا البغى .

قال ابن عباس رضى الله عنهما كان فرعون قد ملك قارون على بني إسرائيل حين كانوا بمصر .

وأخبرني الحسن بإسناده عن المسيب بن شريك أن قارون كان من قوم موسى
فبغى عليهم قال كان عاملاً لفرعون على بني إسرائيل وكان يبغى عليهم ويظلمهم .
وقال عطاء الخرساني وشهر بن حوشب زاد عليهم في الشياطين شبراً .

وروى شيبان عن قتادة قال بغى عليهم بالكبر والبذخ وبكثرة ماله وكان
أغنى أهل زمانه وأثرهم كما قال تعالى (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه
لتنوء) الآية .

(وفي الخبر) إن الله تعالى علم موسى الكيمياء ، فعلم موسى أخته فعلمته
قارون فكان ذلك سبب أمواله فذلك قوله تعالى (إنما أوتيته على علم عندي) أو
بالتصرف في التجارات والزراعات وسائر أنواع المكاسب والمطالب وقيل في سبب
جمعه تلك الأموال ما أخبرنا الثقفى بإسناده عن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان
الداراني كان يقول تبدي إبليس لقارون وكان قارون قد أقام على جبل أربعين سنة
يتعبد حتى إذا غلب جميع بني إسرائيل في العبادة بعث إليه إبليس شياطينه فلم
يقدروا عليه فتقدم هو له وجعل يتعبد مع قارون وجعل إبليس يقهره بالعبادة
ويفوقه فخضع له قارون وقال له إبليس يا قارون قد رضينا بهذا الذي نحن فيه
ولا يشهد لبني إسرائيل جماعة ولا تهود لهم مريضاً ولا نشهد جنازة قال فاحذره
من الجبل إلى البيعة فكانوا يؤتون بالطعام فقال له إبليس يا قارون قد رضينا أن
نكون هكذا كلا على بني إسرائيل فقال له قارون فأى رأى عندك قال نسكتسب
يوماً في الجمعة ونتعبد بقية الجمعة قال فتكسبنا في يوم الجمعة وتعبداً بقية الجمعة فقال إبليس
قد رضينا أن نكون هكذا قال قارون فأى رأى عندك قال نسكتسب يوماً ونتعبد
يوماً فتصدق ونعطي ، قال فلما كسبنا يوماً وتعبداً يوماً جالس إبليس وتركه
ففتحت على قارون أبواب الدنيا فبلغ ماله ما أخبرنا به ابن فتحويه بإسناده عن
المسيب بن شريك قال ما أن مفاتحه لتنوء بالعصبة وكانت أربعمئة ألف في أربعين
خزانة فصار في الثروة وكثرة الأمثال حيث يضرب به الأمثال أنشدني أبو العباس
سهل بن محمد المروزي عن بعضهم :

وعدتني وعودك حتى إذا أطعمتني من كثر قارون
جئت من الليل بغسالة تنسل ما قلت بصابون

فبغى قارون وطغى وتجبر حين استغنى وأثرى حتى هلك فصار عبرة للعابرين
وعظة للباقيين وكان أول طغيانه وعصيانه أنه تكبر واستطال على الناس بكثرة
الأموال فكان يخرج في زينته وهيبته ويختال كما قال تعالى (نخرج على قومه في
زينته) الآية .

قال مجاهد نخرج على براذين بيض عليها سروج الأرجوان وعليها المعصفرات
وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نخرج في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات .

قال وكان ذلك أول يوم ظهرت المعصفرات في الأرض فيما كان أبى يذكري
عن مقاتل أنه خرج على بغلة شهباء عليها سرج من الذهب عليهم الأرجوان
ومعه ألف فارس عليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعه ستائة جارية بيض عليهم
الحلى والثياب الحمر على البغال الشهب فتعنى أهل الخسارة والجهاشم مثل الذى أوتيه
فقالوا (يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم) فأنكر عليهم أهل
العلم بالله وقالوا لهم اتقوا الله واعملوا بما أمركم الله به وانتهوا عما نهاكم عنه فإن
(ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون) عن لذات الدنيا
وشهواتها قال الله تعالى (وما يلقاها إلا الذين صبروا) أى لا يوفق لهذه الكلمة
إلا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الحياة الدنيا .

قال فلما قطع موسى ببني إسرائيل البحر جعلت الحبارة وهى رياسة المذبحة
وبيت القربان لهرود فكانت بنو إسرائيل يأتون بهديهم فيدفعونه إلى هرون
فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون فى نفسه من ذلك فأتى
موسى وقال يا موسى لك الرياسة والرسالة وهرود الحبارة ولست أنا فى شيء
من ذلك وأنا أقرأ التوراة منكما ولا صبرى على هذا . فقال موسى والله ما جمعتهما
أنا فى هرون بل الله جعلهما له فقال له قارون والله لا أصدقك فى ذلك حتى تربى
(م ١٥ - قصص الأنبياء)

١
نه . قال فجمع موسى رؤساء بني إسرائيل وقال ، ها اتوا عصيكم فن أصبحت
عصاه خضراء فهو الحق بالحجارة فجمعوا العصي وجاءوا بها وكتب كل واحد اسمه
على عصاه فخرمها موسى وألقاها في القبة التي كان يعبد الله فيها وجعلوا يحرسون
عصيهم حتى أصبحوا فأصبحت عصاهرون قد اهتزت ولها ورق أخضر وكانت
من شجر اللوز فقال موسى : يا قارون ترى هذا من فعلي فقال قارون . والله
ما هذا بأعجب مما تصنع السحرة وذهب قارون مغاضباً واعتزل موسى باتباعه
وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد كل يوم
لا عتواً وتجبراً .

(قال) جمع قارون بني إسرائيل وقال لهم يا قوم إن موسى قد أمركم بكل
شيء فأطعتموه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا له أنت كبيرنا وسيدنا
فرنا بما شئت فقال أمركم أن تجيئوا بفلانة البغي فنجعل لها جملاً على أن نقذف
موسى بنفسها فإذا فعلت ذلك خرجت عليه بنو إسرائيل فرفضوه فاسترحنا منه
فأتوا بها فجعل لها قارون ألف درهم وقيل ألف دينار وقيل طستاً من ذهب على
أن نقذف موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل .

فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل ثم أتى موسى فقال إن بني إسرائيل
اجتمعوا ينظرون خروجك لتأمرهم وتنهائم وتبين لهم أعلام دينهم وأحكام
شرعهم فخرج إليهم موسى وهم في راح من الأرض فقام فيهم خطيباً ووعظهم وقال
يا بني إسرائيل من سرق فطمانا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن
زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة وإن كان له امرأة رجماه حتى يموت .

فقال له قارون وإن كنت أنت ؟ قال وإن كنت أنا قال إن بني إسرائيل
يزعمون أنك فجرت بفلانة قال أنا ؟ قال نعم . قال أدعوها فإن قالت فهو كما قالت
فدعوها فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء ، وعظم
عليها وسألها بالذي فلق البحر لموسى وبني إسرائيل وأنزل التوراة على موسى
إلا صدقت .

فلما ناشدها تداركها الله بالتوفيق وقالت في نفسها لان أحدث اليوم توبة
أفضل من أن أوذى رسول الله فقالت . لا بل كذبوا ولا يكن جمل لي قارون
جعلا على أن أفذفك بنفسى فلما تكلمت بهذا الكلام سقط في يد قارون ونكس
رأسه وسكت الملاء وعرف أنه قد وقع في مهاكة فخر موسى ساجداً لله يبكي ويقول
يا رب إن عدوك هذا قد آذاني وأراد فضيحتى وسبني اللهم إن كنت رسولك
فأغضب لي وساطفى عليه ، فأوحى الله تعالى إليه ان ارفع رأسك وأمر الأرض
بما شئت تطعمك فقال موسى : يا بنى إسرائيل إن الله تعالى قد بعثنى إلى قارون
كما بعثنى إلى فرعون ؛ فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معى فليعتزل عنه
فاعتزلوا عن قارون ولم يبق معه إلا رجلاان ثم قال موسى يا أرض خذهم
فأخذتهم إلى كهابهم ثم قال يا أرض خذهم فأخذتهم إلى ركبهم ثم قال يا أرض
خذهم فأخذتهم إلى جنوبهم ثم قال يا أرض خذهم فأخذتهم إلى أحقابهم ثم قال
يا أرض خذهم فأخذتهم إلى أعناقهم وقارون وصاحباها في كل ذلك يتضرعون
إلى موسى ويناشده قارون بالله والرحم حتى روى في بعض الاخبار أنه ناشده
سبعين مرة وموسى في جميع ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض
خذهم فانطبقت الأرض عليهم وأوحى الله إلى موسى يا موسى ما أظفك
استغاثوا بك سبعين مرة فلم تغشهم ولم ترحمهم أما وعزتى وجلالى لو إياى دعوا
لوجدونى قريباً بجيباً .

قال قتادة ذكر لنا أن الله تعالى يخسف بهم في كل يوم قامة وأنه يجمل بهم
فيها لا يبلغون قعرها إلى يوم القيامة .

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون بقراة عليه قال أحمد بن محمد بن الحسين
أخبرنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشير وأحمد بن يونس قال أخبرنا عبد الرزاق
أخبرنا معمر بن راشد عن همام ابن منبه قال أخبرنا أبو هريرة قال قال رسول
الله ﷺ : بينما رجل يتبختر في برديه وينظر في عطفه وقد أعجبته نفسه إذ خسف

الله به الأرض فهو يتجامل فيها إلى يوم القيامة ، قالوا فلما خسف الله بقارون وصاحبيه الأرض أصبحت بنو إسرائيل يتناجون فيما بينهم إن موسى إنمادعا على قارون ليستبد بداره وأمواله وكنوزه فدعا الله موسى حتى خسف الله بداره وأمواله الأرض وأوحى الله تعالى إليه إنى لا أعيد الأرض لأحد بعدك أبداً فذلك قوله تعالى (فخرسنا بداره الأرض فما كان له من فئة ينصروه من دون الله وما كان من المنتصرين) فلما حلت نعمة الله بقارون حمد الله تعالى المؤمنون الذين وعظوه وأنذروه بأس الله كما أخبر الله تعالى (إذ قال لقومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) أى لا تبطر ولا تأنس (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) الآية وندم الذين كانوا يتمنون مكانه بالأمس وماله وحاله كما قال الله (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) فنجى الله نبيه موسى صلوات الله على سيدنا محمد وعليه وسلامه والمؤمنين من كل بلاء ومحنة ، وأهلك أعداءهم فرعون وهامان وقارون كما قال تعالى (وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الأرض) الآيات .

(باب فى قصة موسى حين لقي الخضر وما جرى بينهما من العجائب)
(إلى أن بلغ من أمرهما ما بلغ)

قال الله تعالى (وإذ قال موسى لفتاه لأبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقياً) قال الاستاذ الإمام : اختلف العلماء فى السبب الذى قصد موسى لأجله الخضر فروى الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن سعد بن جبیر قال : جلست عند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب فقال بعضهم يا ابن عباس إن نوحاً ابن امرأة كعب يزعم عن كعب أن موسى عليه السلام الذى طلب العالم إنما هو موسى بن ميثم ، قال ابن عباس كذب نوح حدثني أنى بن كعب عن رسول الله ﷺ أن موسى بنى إسرائيل سأل ربه ، فقال يارب إن كان فى عبادك أحد

هو أعلم مني فدلتني عليه ، فقال الله عز وجل نعم في عبادي من هو أعلم منك ثم
ذهبت له مكان الخضر عليه السلام وأذن له في لقائه .

وروى هرون بن عنتره عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى ربه فقال
يا رب أي عبادك أحب إليك ؟ فقال الذي يذكركني ولا ينساني ، قال فأى عبادك
أقضى ؟ قال الذي يقضى بالحق ولا يتبع الهوى ، قال يا رب أي عبادك أعلم ؟ قال
الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن
ردي ، قال فهل في الأرض أحد أعلم مني ؟ قال نعم قال يا رب من هو قال الخضر
قال فأين أطلبه ؟ قال على الساحل عند الصخرة التي يفلت عندها الحوت وجعل
الحوت علماً له ودليلاً ، وقال إذا حي هذا الحوت فإن صاحبك هناك ، وكان
قد تزود سمكاً ملحاً .

وروى عطية الموفى عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر
واستقرت بهم الدار أنزل الله عليهم المن والسلوى فخطب موسى قومه فذكروهم
ما آتاهم الله من الخير والنعمة إذ نجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم واستخلفهم
في الأرض ؛ قال وكلم الله نبيكم تكليماً واصطفاه لنفسه ولحقى عليه محبة منه
وآتاكم من كل ما سألتوه ، فنبئكم أفضل أهل الأرض وأنتم تقرءون التوراة
فلم يترك نعمته أنعمها الله عليهم إلا ذكرها وعرفهم إياها ؛ فقال له رجل منهم من
بنى إسرائيل قد عرفنا الذي تقول فهل على وجه الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله ؟
قال لا قال فمتب الله عليه حيث لم يرد العلم إليه فبهت إليه جبريل عليه السلام ،
فقال له يا موسى ما يدريك أين أضع علمي بل إن لي عبداً بمجمع البحرين أعلم منك
فسأل موسى ربه أن يريه إياه فأوحى الله إليه أن أنت البحر فإنك تجد على
شاطئ البحر حوتاً فتحذه وادفعه إلى فتاك ثم ألزم شاطئ البحر فإذا نسيت
الحوت وهلك منك فثم تجد العبد الصالح .

قال فخرج موسى وفتاه يقصدان بجمع البحرين للقاء الخضر عليه السلام ومعهما
حوت مالح فذلك قوله تعالى (وإذ قال موسى) يعني ابن عمران (لفتاه) أي
له صاحبه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام (لا ابرح) أي لا أزال
أسير (حتى أباغ مجمع البحرين) يعني بحر فارس والروم وما يلي المشرق ، قاله
قتادة وقال أبي بن كعب دو أفريقية وقال محمد بن كعب طنجة (أو أهضى حقياً)
دهراً وزماناً طويلاً فذهبا ومعهما الخبز والسمك المملوح وسار حتى انتهيا إلى
الصخرة عند مجمع البحرين ليلاً فذلك قوله تعالى (فلما بلغا) يعني موسى وفتاه
(مجمع بينهما) يعني البحرين (نسيا) تركا (حوتهما) وإنما كان الحوت مع يوشع
وهو الذي نسيه يدل عليه قوله تعالى (إني نسيت الحوت) ولكنه صرف النسيان
اليهما والمراد به أحدهما كما قال تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وإنما
يخرجان من المالح دون العذب (فاتخذ) الحوت (سبيلاً في البحر سرباً) أي مذهباً
ومسلكاً واختلفوا في ذلك .

فروى أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ قال د أنجاب الماء عن مسلك الحوت
فصار كوة لم يلتشم فدخل موسى السكوة على إثر الحوت فإذا هو بالخضر عليه السلام
وقال ابن عباس رأى أثر جناحيه في الطين حين وقع في الماء وجعل الحوت
لا يمس شيئاً من البحر إلا يبس حتى يصير صخرة .

وروى ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ قال لما انتهيا إلى
الصخرة وضعا رءوسهما فناما فاضطرب الحوت في المسكن فخرج منه وسقط في
البحر هاباً فاتخذ سبيلاً في البحر سرباً فأمسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء
فصار عليه مثل الطلق فلما استيقظ موسى عليه السلام لم يسمع صاحبه أن يخبره بالحوت
فأطلقا بقية يومهما وإيلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه (آتنا غذاءنا)
الآية وفتاده رد الله إلى الحوت روحه فسرب حتى أفضى إلى البحر ثم سلكه جعل
لا يسلك منه موضعاً إلا صار ماء جامداً ظريفاً يبساً .

قال الحكيم كان لموسى عليه السلام خمسة أسفار : الأول سفر البحر وهو قوله تعالى (ففررت منكم لما خفتكم) الآية . والثاني سفر الطور وهو قوله تعالى (فلما أتاها نودي أن بورك من في النار ومن حولها) الآية وقوله تعالى (فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن) الآية . والثالث سفر الطلب وذلك عند خروجه من مصر قال الله تعالى (وأوحينا إلى موسى أن أسر ببعبادى) والرابع سفر الحرب وهو قوله تعالى إخباراً عن قول قومه (فاذهب أنت وربك فقاتلا) الآية والخامس سفر النصب وهو قوله تعالى (لقد أقمنا من سفرنا هذا نصباً) وذلك لما ألقى على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة يتخذ كالحوت ويرجع إلى موضع مطالبه فقال له فتاه وتذكر (رأيت إذا أومنا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت) أى تركته وفقدته . وقيل فيه اضمار تقديره فإني نسيت أن أذكر أمر الحوت (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجيباً) قال عبد الرحمن بن زيد أى شيء أعجب من حوت كان دهرأ من الدهور يؤكل منه ثم صار حياً حتى حشر في البحر قال وكان شق حوت .

وقال وهب بن منبه ظهر في الماء من أثر جرى الحوت أخذود شبه نهر حيث دخل إلى حيث انتهى فرجع موسى حتى انتهى إلى مجمع البحرين وإذا هو بالخضر فذلك قوله تعالى (قال ذلك ما كنا نبغ) أى لطالب (فارتدا) فارتجوا (على آثارهما) الذى جاء منه (قصصاً) أى يقصان الأثر (فوجدنا عبداً من عبادنا) يعنى الخضر عليه السلام .

(فصل في ذكر جهل من أخبار الخضر عليه السلام وأحواله)

واسمه بلياً بن ملكان بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وإنما لقب بالخضر كما أخبرنا به أبو سعيد محمد بن عبد الله حمدون بقراءتي عليه قال أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسين الشرقي، قال حدثنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف قالوا انبأنا عبد الرزاق انبأنا عبد الله بن حامد الوراق

قال أنبأنا مكى بن عبدان قال أنبأنا أبو الأزهر قال حدثنا عبد الرزاق قال أنبأنا
معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ
(إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضراء)

أخبرنا أبو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعي قال أنبأنا أبو بكر محمد
الحسن القصار قال أنبأنا أحمد بن يوسف السلمي قال أنبأنا محمد بن يوسف
الفرباني قد ذكر سفيان عن منصور عن مجاهد قال : إنما سمي الخضر لأنه أتبع
صلى الخضر حوله .

(فصل في بدء أمر الخضر عليه السلام)

يروى أن رسول الله ﷺ (لما أسرى به إلى السماء بينما هو على البراق وجهه يبرق
يمر به إذ وجد رائحة طيبة ، فقال له يا جبريل ماهذه الرائحة الطيبة ؟ قال إنه كان
ملك في الزمان الأول له سيرة حسنة في أهل مملكته وكان له ابن ولم يكن له ولد غيره
قال أصحاب الأخبار وكان أبوه ملكا عظيما فسلبه إلى المؤدب يؤدبه وكان يختلف
إليه وكان منزله ومؤدبه رجل عابد كان يمر به فأعجبه حاله فألفه وكان يجلس
عنده والمعلم يظن أنه في المنزل وأبوه يظن أنه عند المعلم حتى شب ونشأ وأخذ من
العابد شمائله وعبادته ، فقالوا لأبيه ليس لك ولد غيره يرث مملكك فلو زوجته
له يرزق أولادا فعرض عليه أبوه التزويج فأبى ثم عاوده فعرض عليه فرضى
فزوجته جارية من بنات الملوك فزفت إليه .

فلما بقيت عنده قال لها إني مخبرك بأمر إن أنت سمعته صرف الله عنك شر
الدنيا وعذاب الآخرة وإن أفضيت سرى عذبك الله في الدنيا والآخرة : قالت
وماذا ؟ قال إني رجل مسلم لست على دين أبي وليست النساء من حاجتي فإن
رضيت أن تقيمي معي على ذلك وتتابعيني على ديني فذاك إليك وإن أنت أبيت
لحقت بأهلك فقالت المرأة بل أقيم معك فلما أتت عليها مدة قالوا لأبيه ما نظن

إبنك إلا عاقر لا يولد له ولد فسأله أبوه فقال ما الذى بيدى وإنما ذلك بيد الله
يوثيه من يشاء فدعا المرأة وسأها فردت عليه مثل ما رد عليه الخضر .

فكث أبوه زمانا ثم دعا ابنه إليه فقال له أحب أن تطلق امرأتك هذه
وأزوجه امرأة غيرها ولودا ربما ترزق منها ولدا فذكره ذلك الخضر وألح عليه
أبوه حتى رق بينهما وزوجه امرأة غيرها ولوداً ثيباً فعرض عليها مقالته الأولى
فرضيت وقالت أقيم معك فلبثا زمانا ثم إن أباه استبطأ الولد ستة فدعاه وقال له
ليس يولد لك فقال ليس ذلك بيدى ولا كنهه بيد الله ثم إنه دعا امرأته وقال له
أنت امرأة شابة ولود وقد كنت ولدت عند غير ابني ولست تلدين عند ابنا
فقالت ما مسنى منذ صحبتته وكذلك المرأة الأولى فدعاها وسأها ؟ فقالت مثل ذلك
فدعا ابنه وعيره وعنفه ، ففرغ من أبيه ولم يأمن على نفسه منه فخرج من عنده
فهام على وجهه ولم يدر أحد من خلق الله تعالى أين توجه فندم أبوه على ما فعل
فأرسل فى طلبه مائة رجل من طرق شتى مختلفة فطلبوا فى طلبه فأدرك منهم
عشرة فى جزيرة من جزائر البحر فقال لهم إني أقول لكم شيئا واحداً فاكتموه
عنى فان كتمتموه صرف الله عنكم شر الدنيا وعذاب الآخرة وإن أبيتم ذلك
وأفشيتم سرى عذبتكم الله فى الدنيا وفى الآخرة قالوا له قل ما شئت قال هل بعث أبى
فى طلبى أحدا غيركم ؟ قالوا نعم ، فقال لهم إذا فاكتموا أمرى ولا تخبروا أبى
أنكم رأيتمونى وقولوا مثل قول نظائركم الذين لو أرسلهم فى طلبى فلم يرونى
لأنكم إن أخبرتموه بى وذهبتم بى إليهم قتلنى وصرتم أنتم مؤخذين بدمى
فدخلوا عنى وانصرفوا .

فلما دخلوا على أبيه قال تسعة منهم قد وجدناه وقال لنا كيت وكيت فخلينا
عنه وقال العاشر ما لنا به علم ومالى به خبر والتسعة قالوا بلى ظفرنا به وإن شئت
أتينا به فقال لهم ارجعوا فى طلبه وأنونى به وإن الخضر خاف أن يظفروا به
فانحاز من ذلك الموضع إلى موضع آخر فأنوا إليه فلم يجدوه فرجعوا وقالوا لم
نره فقتلهم أبوه .

قال وإن أباه دعا بالمرأة الشيب وقال لها أنت صنعت هذا يا ابني حتى هربت
فقتلها وسمعت المرأة الأولى بذلك فهربت مخافة القتل وقال العاشر الذي أنكر
رؤيا الخضر ما يؤمنني أن يقتلني كما قتل التسعة فهرب حتى أتى قرية فاذا المرأة
الهاربة أيضا في تلك القرية فكانت تحتطب ، فقالت يوما باسم الله فسمعها الرجل
الهارب فقال لها من أنت ؟ فأخبرته خبرها فقال يا هذه أنا العاشر خرجت خوفا
القتل فهل لك أن أتزوجك ونعبد الله حتى نموت . فقالت نعم ثم إنهما انطلقا حتى
أتيا قرية فيها بعض من الفراعنة فاتخذوا بيتاً من قصب ومكثا فيه ورزقا فيه ثلاثة
أولاد فقال لها الرجل إذا أنامت فادفني في هذا البيت وكذلك كل من مات
منكم فاني لا أحب أن تكون قبورنا مع هؤلاء فاذا كان آخرنا موتاً أو وصي ان يهدم
عليه البيت فمات الرجل فدفنته امرأته .

ثم أنه بلغ فرعون زمانهم أنهم يوحّدون الله ويعبدونه فجاء بالمرأة إلى
حضرتة فأمرت أن ترجع عن دينها فأبت فأمر بقدر من نحاس فملئت ماء وغلى
غلياناً شديداً وأمر بالمرأة وولدها ، فلما أحضروا قال لها إرجعي عن دينك وإلا
ألقيت أنت وأولادك في هذا القدر فأبت عليه فأمر بولدها الأكبر فألقى فيه
وكذلك الثاني وكان في خبثها ابن رضيع فأرادوا إلقاءه فرقت المرأة
ونازعتهم في رأيه فتكلم الغلام الرضيع وقال لها اصبري فإننا جميعاً في الجنة فلما
أرادوا أن يلقوها في القدر قالت لهم لي إليكم حاجة يسيرة قالوا وما هي . قالت
إذا رميتوني في القدر فادفنوها بما فيها من عظامنا في بيتنا واهدموه علينا
ففعّلوا ذلك فلما أسرى برسول الله ﷺ وجدوا رائحة طيبة فقال ما هذه يا جبريل
فأخبرهم بقصتهم وقال هذه رائحتهم .

ويروى ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ إن قوما من أهل تلك
المدينة ركبوا البحر في تجاراتهم فضربتهم الأمواج فتكسرت بهم سفينتهم فانفالت
منهم رجلان على لوح من الزاج فضربتهم الأمواج حتى اسندتهم إلى جزيرة من

جزائر البحر فتخرجنا يجرلان بالجزيرة فإذا هما بالخضر عليه السلام وعليه ثياب
بيض وهو قائم يصلي فجلسا حتى فرغ من صلاته فالتفت إليهما وقال لهما من أنتم؟
قالا نحن من مدينة كذا وكذا خرجنا في هذا البحر اطاب التجارة قال فانكسرت بنا
هذه السفينة ودفننا إلى هذه الجزيرة فقال اختارا إن شئنا أن تقيمنا في هذا الموضع
تعبدان الله تعالى وتأتيكم أرزاقكمما وإن شئنا أردكما إلى منزلكما قالا بل
تردنا إلى منازلنا فقال لهما علي أن تعطيانى عهد الله وميثاقه على أنكما لا تخبران
بشيء مما تريان فاعطياه العهد والميثاق على السكنان فنظر فإذا سحاب تمر فدعاهن
وسألهن فقالت كل واحدة منهن أريد بلك كذا وكذا فدعا التي تريد بلادها فقال
لها اجهلي هذين حتى تضعيهما فسقطت السحابة وانشقت لهما ثم رفعتهما وضعت حتى
وضعتهما على سطحيهما فوزم أحدهما على السكنان ونزل إلى منزله وعزم الآخر
على إذا عته فنزل من سطحه وخرج من بابه وانطلق إلى باب المدينة ونادى
النصيحة فأدخل على الملك فقال له ما نصيحتك؟ فقال رأيت ابنك في موضع كذا
وكذا وصنع بي كذا.

فقال له من يعلم ذلك فقال له فلان كان رفيقي فبعث إليه وسأله عما قال؟
فقال أما ركوب البحر فقد ركبنا جميعاً وقد انكسرت السفينة وصرنا على لوح
من الواحها فلم تزل الأمواج تغربنا حتى صرنا إلى الساحل فخرجنا من البحر فلم
تزل نعيش من الشجر ونبات الأرض والتمر ترفهنا الأرض وتضعنا أخرى حتى
الفتوبينا إلى منازلنا فقال له الغادر ابعت معي رسلك حتى أدفعه إليك وتعلم أن
هذا قد كذب فأمر بالرجل الكاتم فحبس وتوعده بالصلب إن وفي صاحبه بما
قال وأوعد الغادر بالصلب إن هو كذب ولم يأت به فبعث معه رسلاً فركبوا
البحر حتى انتهوا إلى الجزيرة فطلبوا الخضر فلم يجدوا شيئاً فرجعوا بالرجل إلى
الملك وقالوا هذا أ كذب نخلق الله ما رأينا مما قال شيئاً فصلبه ونخل عن الآخر.

ثم إن أهل تلك المدينة لم يزالوا يعملون المعاصي حتى غضب الله عليهم فقال
جبريل عليه السلام فبعثني الله تعالى إليهم فأدخلت جناحي تحتها واقتلعتهما فرفعتها

حتى سمع أهل السماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديوك ثم أمرني فقلبتهما فجاءت تهوى
بمن فيها حتى انتهيت إلى وجه الأرض فبقى الرجل الكاتم والمرأة الكاتمة من
جانب سالمين ثم انطبقت الأرض بمن فيها فلم ينج منهم غيرهما فجعل يدوران في
حدود المدينة فلا يلقي كل واحد منهما غير صاحبه فلما ان كثر ذلك قال الرجل
أيتها المرأة قد رأيت ما أصاب القوم ولأنه لم يفلت غيري وغيرك فبأى شيء نجونا
فأخبريني وأنا أخبرك فعاهد كل واحد منهما صاحبه على الكتمان فتصادقا فادبا
قصتهما واحدة وإنما نجاهما الكتمان ، فقال لها هل لك أن تزوجيني نفسك وتخرج
إلى مدينته من هذه المدائن فاكتمب عليك وتمكسبين علي حتى يقضى الله
من أمرنا ما يشاء ففعلت فذهبا إلى مدينة فرعون من الفراعنة فاتخذ لهما
بيتاً وولداً لهما أولاد وتلطفت المرأة لآل فرعون وصارت ماشطة لهم
فحظت عندهم .

فبينما هي ذات يوم قاعدة تسرح رأس بنت الملك إذ سقط المشط من يدها فقالت
باسم الله تعس من كفر بالله فقزعت الجارية من ذلك وقالت لها من الله؟ قالت ربي
فقالت لها إن لك ربا غير أبي؟ فقالت نعم هو ربي ورب أبيك ورب كل شيء فبهبط
الجارية ودخلت على أبيها وقالت تهلم أن فلانة تقول قولاً حجباً تقول كذا وكذا
فأرسل إليها فحضرت ، فقال لها ما هذا الذي بلغني عنك؟ فقالت ما بلغك قال فهل أحد
يقول بقولك؟ قالت نعم بعلي وصبيتي فبهت إليهم وامتنحنهم فاذا هم يقولون قولاً واحداً
فقال لهم إنا لانقركم على ما أنتم عليه حتى ترجعوا إلى ديننا فقالوا له اصنع ما أنت
صانع فأمر بقدر من نحاس عظيمة فلئت ماء ثم اشعل تحتها حتى اضطرب الماء ثم
دعا بالصبية فعرض عليهم واحداً ليكفروا فأبوا أن يكفروا فأخذهم وطرحهم
في القدر ثم إنه دعا بالزوج وعرض عليه الكفر فأبى فالقاه في القدر ثم دعا بالمرأة
وقال لها إن علينا حقاً فإن أنت رجعت إلى ديننا وإلا القيناك في القدر فقالت له
اصنع ما أنت صانع إنها قالت لي إليك حاجة : قال وما هي ، قالت إذا صنعت
مائة صنائع فمر ببيتنا ان يحفر فيه حفرة ، ثم تأمر بالقدر فتكمل بما فيه ثم

يأتون بها منزلنا فيسكب ما في القدر في الحفرة ثم يعاود علينا التراب ثم يهدم
علينا البيت ففعل ذلك .

وقد صح الخبر عن رسول الله ﷺ في حديث أبي كعب أن صاحب موسى
ابن عمران الذي أمر بطلبه وبالاقتباس منه هو الخضر عليه السلام ورسول الله
ﷺ أعام الخاق بالأهور الماضية والباقية وموسى بن عمران إنما نبي في عصر
منو شهر الملك وكان منو شهر الملك بعد جده أفريدون فدل هذا على خطأ من
قال أنه أرميا بن خلفيا لأن أرميا كان في أيام بختنصر وبين عهد موسى وبختنصر
من المدة ما لا يخفى على أهل العلم .

رجعنا إلى حديث موسى وفتاه - قالوا فانتبى موسى وفتناه إلى الخضر وهو
قائم يهلي على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو يتشبع بثوب أخضر فسلم عليه
موسى فقال الخضر وأنى بارضك السلام ؟ فقال أنا موسى بنى إسرائيل قال نعم قال
يا موسى لقد كان في بنى إسرائيل شغل قال موسى إن ربي أرساني إليك لأتبعك
وأتعلم من عندك ثم جلسا يتحدثان فجاءت خطافة وحملت بمنقارها من الماء فقال
الخضر يا موسى خطر بيالك أنك أعام أهل الأرض ما عندك وعلى وعلم جميع
الآواين والآخريين في جنب علم الله تعالى إلا أقل من الماء الذي حملته الخطافة
بمنقارها فذلك قوله تعالى (فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا) أي
تبره وحكمة (وعلمناه من لدنا علماً)

وقال ابن عباس كان الخضر يعلم عام الغيب فقال موسى (هل أتبعك على
أن تعلمن مما علمت رشداً قال إنك إن تستطيع همي صبراً) لأنى أعام علم الباطن
علم علمه الله تعالى (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً) يعنى على ما لم تعلمه (قال)
موسى (ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً قال فإن اتبعتنى فلا تسألنى
عن شيء) علمته مما تنكره (حتى أحدث لك منه ذكراً) وأبين لك شأنه (فانطلقا)
لتمسان سفينة يركبان فيها فرت بهما سفينة جديدة وثيقة فركبهما فقال أصحاب

السفينة هؤلاء اصوص وأمر وهم بالخروج منها فقال صاحب السفينة ما هؤلاء بلصوص وليكني أرى وجوههم وجوه أنبياء .

وقال أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ انطلقا يمشيان على ساحل البحر إذا مرت بهما سفينة فسلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نوال فلما دخلوا البحر أخذ الخضر عليه السلام فأسأ فخرق لوحا من السفينة قال موسى (أخرقتها لتفرق أهلها) وقد حملونا وأحسنوا إلينا فخرقت سفينتهم ما هذا جزاؤهم منا (لقد جئت شيئا لمرأ) أي عجبنا منكراً قال الخضر (لم أقل إنك إن تستطيع معي صبراً) قال موسى (لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً) يعني لا تكفني ولا تضيق على أمري .

ويدل على صحة هذا القول ما أخبرنا به عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن حنبل الله أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان أخبرنا يحيى أخبرنا قيس عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (كان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً) فقال الخضر لموسى (لم أقل لك إنك إن تستطيع معي صبراً قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً) أي في فراقه .

أخبرنا عبد الواحد بن حامد الوزان أخبرنا مكى بن عبدان أخبرنا عبد الرحمن ابن بشير أخبرنا حجاج بن محمد أخبرنا حمزة الزيات عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي كعب قال كان رسول الله ﷺ إذا ذكر أحداً بدعائه بدأ بنفسه فقال ذات يوم ، رحمة الله علينا وعلى أخى موسى لو لبثت مع صاحبه لأبصر العجب العجيب ولكنه قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً) فانطلقا يمشيان حتى أتيا أهل قرية

واختلفوا في القرية قال ابن عباس ، هي انطاكية وقال محمد بن سيرين هي ايلة وهي أبعد ارض الله من السماء وقيل هي قرية من قرى الروم يقال لها ناصرة وإليها

ينسب النصارى قالوا فوافياها قبل غروب الشمس ، فاستطاعها أهلها واستضافهم فأبوا ان يضيفوهما قالوا كانوا أهل قرية لثاما وقال قتادة في هذه الآيات شر القرى النى لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه قالوا فلم يجدوا تلك الليلة في تلك القرية قرى ولا ماء ولا مأوى وكانت ليلة باردة فالتجئوا إلى حائط على شارع الطريق (يريد أن ينقض) أى يكاد ينهدم ويسقط ولم يكن يربيه أهل القرية ولا غيرهم من الناس إلا خوف منه وكان قد بناه رجل صالح .

وقال ابن عباس هدمه وبناه ، وقال سعيد بن جبير مسح الجدار وسواه يده ومنكبيه فاستقام فقام له موسى (لو شئت لاتخذت عليه اجراً) ليكون لنا بقوتنا وبلغة على سفرنا إذ استضفناهم فلم يضيفونا ، فقال الخضر (هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) ثم أخذ يفسر له فقال (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) الآية .

ويروى عن عكرمة قال ، قلت لابن عباس في قوله (أما السفينة فكانت لمساكين) كانوا مساكين والسفينة تساوى ألف دينار ، فقال إن المسافر مسكين وإن كان معه ألف دينار ولهذا قيل إن المسافر وماله على قلة إلا ما وقى الله تعالى (فأردت أن أعيبها) قطعاً لطمع الظالمين فيها ودفناً لشرهم (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً) ووراءهم أى أمامهم قال الله تعالى (من وراءهم جهنم ومن وراءهم برزخ إلى يوم يبعثون) أى أمامهم وقيل خلفهم لأنه كان رجوعهم في طريقهم عليه ولم يكونوا يعلمون خبره فأعلم الله تعالى الخضر خبره وكان يأخذ كل سفينة صالحة غصباً ، وكذلك كان يقرأها ابن عباس فخرقتها وعبثها كيلاً يتعرض لها ذلك الملك .

واختلفوا في اسم ذلك الملك ، فقال أكثر العلماء إن اسمه جلندى وكان كافراً وقال ابن إسحق ، كان اسمه منواه بن جلندى الأردنى ، وقال شعيب الجبائى كان اسمه هدد بن بدد وقيل كان لهذا الملك ثلاثمائة وستون قصرأ في كل قصر امرأة ، قال فلما جاوز الملك سد الخضر خرق السفينة ورمها (وأما الغلام فكان

أبواه مؤمنين ، فخشينا) أي فعلنا (أن يرهقهما) يشاهما (طغيانا وكفراً)
فبهدلكمما وقيل خشى أن يدرك فيدعو أبويه إلى الكفر فيجيباه ويدخلا معه
في دينه لفرط محبتهم له .

وقيل خشيا على الغلام أن يعمل عمل الفساق فيتغافل أبواه فيدخلان النار
(فأردنا أن يهدلها ربهما خيراً منه زكاة) وصلاة (وأقرب رحماً)
(وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) واسمهما أصرم وصريم وكان
تحتة كنز لهما) .

واختلفوا في ذلك الكنز ما هو ؟ فقال ابن عباس وسعيد بن جبير كان
صحفاً مدفونة تحتها فيها علم ، وقال الحسن وجعفر بن محمد كان لوحاً من ذهب
مكتوب فيه (بسم الله الرحمن الرحيم عجباً لمن يؤمن بالقدس كيف يحزن ، وعجباً لمن
يوقن بالرزق كيف يتعب ، وعجباً لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجباً لمن يؤمن
بالحساب كيف يجمع وعجباً لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن إليها ، لا إله
إلا الله محمد رسول الله ﷺ)

وقال آخرون كان ذلك الكنز مما لا يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الخشادي المكي
أخبرنا أبو الحسن أحمد بن قيدوس الطرائفي أخبرنا عثمان بن سعيد أخبرنا صفوان
ابن صالح الدمشقي أخبرنا يزيد بن مسلم الصنعاني عن يزيد عن مكحول عن أبي
الدرداء قال قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى (وكان تحتها كنز لهما) قال كان
ذهباً وفضة وكان أبوهما إسمه كاشح وكان صالح تقياً أميناً يحفظاً لصالح أبيهما
ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الأب الذي حفظاً به سبعة آباء .

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد قال أخبرنا بشر بن موسى أخبرنا الحميدي
أخبرنا سفيان أخبرنا محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر قال (إن الله عز وجل
ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبقعة التي هو فيها والدويرات التي حوله
فما يزالوا في حفظ الله ، وستره)

وعن سعيد بن المسيب أنه كان إذا رأى إبنه قال : يا بني لا زيدن من صلاتي
من أجلك لعل أحفظ فيك ، ويتلو هذه الآية .

أخبرنا يحيى بن إسماعيل بن سلامة قال كانت لي أخت أسن مني فاختلفت وذهب
عقلها فتوحشت وكانت في غرفة في أقصى سطوحنا فلبثت كذلك بضع عشرة سنة
وكانت مع ذهاب عقلها تحرص على الصلاة والطهور فيبينما أنا نائم ذات ليلة إذا
أنا بباب بيتي يدق في نصف الليل فقلت من هذا ؟ فقالت بحة فقلت أختي ؟ قالت
أختك فقلت لبيك فقامت فتحت الباب فدخلت ولا عهد لها في البيت أكثر من
عشرين سنة ، فقلت : يا أختي خيراً فقالت خيراً يا أختي بت الليلة فأتاني آت في
منامي فقال لي السلام عليك يا بحة فقلت وعليك السلام ، فقال لي : إن الله قد حفظ
أباك إسماعيل بن سلامة بن كهيل بسلامة جدك وحفظك بأبيك إسماعيل فإن شئت
دعوت الله لك فيذهب ما بك وإن شئت صبرت ولك الجنة فإن أبا بكر وعمر
رضى الله عنهما قد تشفعا لك إلى الله تعالى لحب أبيك وجدك إياهما فقلت إن كان
ولا بد من اختياري أحدهما فأصبر على ما أنا فيه والجنة وإن الله لو اسع الفضل
لخلقه لا يتعاضده شيء في حكمه ولو شاء لجمعهما لي قالت فقيل لي قد جمعهما الله لك
ورضى عن أبيك وجدك بحبها أبا بكر وعمر فانزلي فإن الله أذهب ما كان بك .

ويحكى عن بعض العلوية أنه دخل على هارون الرشيد وتدم بهم بقتله فلما دخل
عليه أكرمه ونحلي سبيله فقيل له بم دعوت حتى نجاك الله .

قال قلت : يا من حفظ الكنز على الصديقين لصالح أبيهما احفظني منه لصالح
أبيهما احفظني منه لصالح آباءى (فأراد ربك أن يبلغنا أشدهما ويستخرجنا
كنزهما) المدفون تحت الجدار (وما فعلته عن أمرى) وإنما فعلته بأمر الله تعالى
(ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً) .

ويقال لما عاب موسى على الخضر خرق السفينة وقتله الغلام وإقامته الجدار
محتسباً مجازاً قال له يا موسى أنلو منى على خرق السفينة مخافة غرق أهلها ونسيت نفسك

حين أقتك أمك وأنت صغير في اليم ضعيف فحفظك الله وتلومني على قتل الغلام الكافر بلا أمر ونسيت نفسك حين قتلت القبطي بغير أمر؟ وتلومني على ترك أخذ الأجر في إقامة الجدار ونسيت نفسك حين سقيت غنم شبيب محتسباً لأجل الملك الجبار .

قال بعض أهل الأخبار هذا ما كان من قصة موسى وفتاه وقصدهما الخضر حيث كانوا في التيه فلما فارق موسى الخضر رجع إلى قومه وهم في التيه ، وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي ﷺ أنه قال (ألا أحدثكم عن الخضر ؟) قالوا بلى يا رسول الله قال : بينما الخضر يمشي في سوق من أسواق بني إسرائيل إذ لقيه مكاتب فقال له تصدق علي بارك الله لك ، فقال آمنت بالله وما يقضى من أمر سيكون ما معي شيء أعطيكه ، فقال له الرجل تصدق علي بارك الله عليك فإنني أرى الخير في وجهك فرجوت الخير من قبلك فقال له الخضر آمنت بالله وما يقضى الله من أمر سيكون ما معي شيء أعطيكه فقال له السائل أسألك بالله لما تصدقت علي ؟ فقال له الخضر آمنت بالله ما يقضى من أمر سيكون ما معي شيء أعطيكه إلا أن تأخذ بيدي وتدخني السوق فتبينني قال الرجل وهل يكون مثل هذا ؟ قال الحق أقول إنك سألتني بعظيم سألتني بوجه ربي وقد أجبته فخذ بيدي وأدخني السوق فبينني فأخذ بيد الخضر فأدخله السوق فباعه بأربعمائة درهم فلبث عند المبتاع أياماً لا يستعمله في شيء فقال له الخضر استعملني فقال إنك شيخ كبير وأكره أن أشق عليك قال لا يشق علي ذلك قال فقم فانقل هذه الحجارة من ههنا إلى هناك وكانت الحجارة لا ينقلها إلا ستة نفر في يوم تام فقام ونقلها في ساعة واحدة وأمره الله تعالى على نقلها بملك من الملائكة فتمجب الرجل منه وقال أحسنت ثم عرض للرجل سفر فقال للخضر إني أراك أميناً صالحاً ناصحاً فأخلفني في أهلي قال نعم إن شاء الله تعالى فاستعملني في شيء قال أكره أن أشق عليك قال لا يشق ذلك علي فقال اضرب لي لبناً أريده لقصر لي ووصفه له ثم نخرج لسفري فلما قضى حاجته ورجع من سفره إذا هو بالخضر عليه السلام قد شيد بنيانه علي ما أراد فازداد تعجباً منه وقال له من أنت ؟ قال أنا المملوك الذي كنت اشتريته فقال له

سألتك بوجه الله أن تخبرني من أنت ؟ فقال الخضر إن هذا القسم هو الذي أوقعتني في العبودية ، أما أنا فما أخرك أنا الخضر سألني سائل بوجه الله ربي أن أعطيه ولم يكن مني شيء أعطيه فأمكنته من نفسي حتى باعني وبلغني أن من سئل بوجه الله ورد سائله وهو يقدر على قضاء حاجته وقف يوم القيامة بين يدي ربه وليس عليه لحم ولا جلد إلا عظم يتققع . قال فبكى ذلك الرجل وانسكب عليه يقبله ويقول له بأبي أنت وأمي شفقت عليك ولم أعرفك فاحكم علي في مالي وأهلي وإن أحببت أن أخلي سبيلك فقلت قال نعم بل أحب أن تخلي سبيلي لأعبد ربي وكان الرجل كافراً فأسلم على يديه وأعطاه أربع مائة دينار وخلي سبيله فأوحى الله إليه قد نجيتك من الرق وأسلم الكافر على يديه وأعطاك مكان كل درهم ديناراً لتعلم أن لا يخسر أحد في معاملتي فهذه آخر قصة الخضر وموسى وقيادة والله أعلم .

(باب في ذكر قصة عاميل قتيل بني إسرائيل وقصة البقرة)

قال الله تعالى (وإذا قال موسى لقومه إن الله تعالى يأمركم أن تذبحوا بقرة) قال المفسرون : وجد قتيل في بني إسرائيل اسمه عاميل لم يدر من قتله واختلفوا في قتله وسبب قتله فقال عطاء والسدي : كان في بني إسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم مسكين ولا وارث غيره فلما طال عليه حياته قتله ليرثه . وقال بعضهم : كان تحت عاميل ابنة عم ما لها في بني إسرائيل مثل في الحسن والجمال فقتله ابن عم لها لينكحها فلما قتله حمله من قرية إلى قرية أخرى فألقاه هناك قال عكرمة : وكان لبني إسرائيل مسجد له اثنا عشر باباً لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط جر إلى باب سبط آخر فاختم فيه السبطان .

وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله ووضعته على باب رجل منهم ثم أصبح يطلب ثأره ودمه ويدعيه عليه وقيل ألقاه بين القريتين فاختم أهلها وجاء أولياؤه إلى موسى وأتوه بناس وادعوا عليهم القتل وسألوه القصص فسألهم موسى عن ذلك فحدوا ولم يكن لهم بيعة فاشتبه أمر القاتل على موسى ووقع بينهم قتال

واختلاف وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم أمر ذلك القتل فسأل موسى ربه فأمرهم بذبح البقرة فقال لهم موسى (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أنتخذنا هزواً) جئناك لنسألك عن القتل فتأمرنا بذبح بقرة وإنما قالوا ذلك لتباعد الأمرين والظاهر ولم يدروا وجه الحكمة فيه فقال موسى (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) أي من المستهزئين المؤمنين فلما علم القوم أن ذبح البقرة أمر من الله تعالى قد ألزمهم سألوه الوصف فقال (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم لكنهم شددوا الأمر على أنفسهم فشدد الله عليهم وإنما كان تشديدهم تقديراً من الله وحكمة وكان السبب فيه على ما ذكره السدي وغيره أن رجلاً في بني إسرائيل كان باراً بأبيه وبلغ من بره أن رجلاً أتاه بلواؤة فابتاعها بخمسين ألفاً وكان فيها فضل ورج فقال البائع اعطني ثمن اللواؤة فقال إن أبي نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فأمراني حتى يستيقظ وأعطيك الثمن فقال أيقظ أباك واعطني المال فقال ما كنت لأفعل وإنما أزيدك عشرة آلاف وانتظرنى حتى ينتبه أي فقال الرجل أنا أدفع عنك عشرة آلاف إن أيقظت أباك وعجبت النقد فقال أنا أزيدك عشرين ألفاً إن انتظرت انتباهه فقال قبلت فعمد ولم يوقظ أباه فلما استيقظ أبوه أخبره بذلك فدعا له وجزاه خيراً وقال له أحسنت يا بني وهذه البقرة لك بما صنعت وكانت بقيمة بقر كانت لهم وقال رسول الله ﷺ في هذه القصة انظروا ما صنع الله به لأجل البر .

وقال ابن عباس ووهب وغيرهما من أهل المكتب كان في بني إسرائيل رجل صالح وله ولد طفل وكان له عجلة فأتى بالعجلة إلى غيضة وقال اللهم إنى أستودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ثم مات الرجل وشبت العجلة والغيضة حتى صارت عواناً وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الإبن وكان باراً بوالده وكان يقسم الليل إلى ثلاثة أثلاث يصلي ثلثاً وينام ثلثاً ويجلس عند رأس أمه ثلثاً فإذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأت به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل بثلثه ويعطى والدته ثلثه .

قالت له أمه يوماً يا بنى إن أباك ورثك عجلة وذهب بها إلى غريضة كذا وكذا
واستودعها الله تعالى فانطلق إليها وعزم عليها بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحق أن
يردها عليك وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يتخيل لك أن شماعة الشمس يخرج
من جلدتها وكانت إسمها المذمبة لحسن خلقها وصداء لونها وصفرتها فأتى الغريضة
فراها وهي ترعى فصاح بها الفتى وقال لها أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل
وإسحق ويعقوب أن تردى على فأقبلت تسمى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها
وقادها فتكلمت البقرة بإذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بوالدته أركبني فإن
ذلك أهون لك فقال إن أمى لم تأمرنى بذلك وإنما قالت خذ بعنقها فقالت البقرة
والله بنى إسرائيل لو ركبتنى ما كنت تقدر على أبدأ فانطلق فإنك لو اشرت إلى
الجبيل أن ينقلع من أصله وينطلق لفعل لبرك بوالدتك فانطلق الفتى بها فاستقبله عدو
الله إبليس فى صورة راع فقال له أيها الفتى لنى راع من رعاة البقر اشتقت إلى أهلى
فأخذت ثوراً من ثيرانى وحمّلت عليه زادى ومتاعى حتى إذا بلغت شطر هذه
الطريق ذهبت لأقضى حاجتى ففدا وسط الجبل وما قدرت عليه ، وإنى لأخشى على
نفسى الهلكة فإن رأيت أن تحملنى على بقرتك هذه وتنجينى من الموت وأعطيك
بقرتين مثل بقرتك ، فلم يفعل الفتى وقال اذهب فتوكل على الله لو علم الله منك اليقين
لباغك بلا زاد ولا رحله فقال له إبليس لعنه الله إن شئت فبعنيتها بحكمك وإن شئت
فاحملنى عليها وأعطيك عشرة أمثالها فقال له الفتى إن أمى لم تأمرنى بهذا .

فبينما الفتى كذلك إذ طار طائر من بين يدى البقرة ، ففرت البقرة هاربة فى
الفلاة وغاب الراعى فدعاها الفتى وقال باسم الله إله إبراهيم فرجعت إليه البقرة
وقالت أيها الفتى البار بوالدته ألم تر إلى الطائر الذى طار فإنه إبليس عدو الله
اختلسنى أما أنه لو ركبنى لما قدرت على أبدأ فلما دعوت بإله إبراهيم جاءنى ملك
انزعنى من يد إبليس وردنى إليك لبرك بأبك وطاعتك لها .
فجاء بها الفتى إلى أمه فقالت له إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب
بالنهار والقيام بالليل فانطلق فباع هذه البقرة وخذ ثمنها فقال بكم أبيهما ؟ فقالت

بثلاثة دنانير ولا تبعها بغير رضاي ومشورتي ، وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت
ثلاثة دنانير فانطلق بها إلى السوق فبعث الله تعالى إلى الفتى ملكاً ليرى خلقه
وقدرته وليختبر الفتى كيف يره بوالدته وكان الله به خبيراً .

فقال له الملك : بكم تبيع هذه البقرة فقال بثلاثة دنانير واشترط عليه رضا
والدتي فقال له الملك أنا أعطيك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له الفتى لو أعطيتني
وزنها ذهباً لم أخذه إلا برضا أمي فردها إلى أمه فأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها
بستة دنانير على رضاي فانطلق الفتى بالبقرة إلى السوق فأتى الملك فقال له
استأمرت والدتك ؟ فقال الفتى نعم أمرني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن
استأمرها فقال له الملك إني أعطيتك اثنا عشر ديناراً على أن لا تستأمرها فأبى
الفتى ورجع إلى أمه فأخبرها بذلك فقالت إن ذلك الرجل الذي يأتيك هو ملك
من الملائكة يأتيك في صورة آدمي ليختبرك فإذا أنك نقل له أنا مني أن أبيع
هذه البقرة أم لا ففعل الفتى ذلك ، فقال له الملك اذهب إلى أمك وقل لها أمسكي
هذه البقرة فإن موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل في بني إسرائيل
ولا تبيعها إلا بملء مسكها دنانير .

فأمسكا البقرة وقدر الله على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة له على
يره بوالدته فضلاً منه ورحمةً فذلك قوله تعالى (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي)
وما سمعتها قال موسى أنه يعني الله يقول (إنها بقرة لا قارض ولا بكر) أي
لا كبيرة ولا صغيرة عوان بين ذلك نصف بين السنين (فافعلوا ما تؤمرون) من
ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها) قال إنه
يقول (إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) أيها وتمجيبهم من حسنها
وصفاتها لأن العين تسر وتولع بالنظر إلى الشيء الحسن .

وقال علي بن أبي طالب من لبس زعلاً صفراء قل همه لأن الله تعالى يقول :
صفراء فاقع لونها تسر الناظرين (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) أسائبة أم
عاملة (إن البقرة تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون) إلى وصفها .

قال رسول الله ﷺ (وأيم الله لو لم يستثنوا لما بينت منهم إلى آخر الأبد)
(قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول) مذلة بالعمل (تثير الأرض) تقلبها للزراعة
(ولا تسقى الحرث مسامة) بريئة من العيوب (لا شية فيها) قال عطاء لا عيب
فيها ، وقال قتادة لا بياض فيها أصلاً ، وقال محمد بن كعب لا لون فيها يخالف
معظم لونها .

قال فلما قال موسى هذا (قالوا الآن جهت بالحق) أي بالوصف الثابت التام
البين فطلبوها فلم يجدوها بكال وصفها إلا عند الفقى البار بأمه فاشتروها منه بملء
مسكها ذهباً ، وقال السدي اشتروها بوزنها عشر مرات ذهباً (قذبوها
وما كادوا يفعلون من غلو ثمنها) .

وقال القرطبي : وما كادوا يذبحونها باجتماع أوصافها ، وذلك قوله تعالى
(وإذا قتلتهم نفساً) يعني عاميل وهذه الآية أول القصة (فأدرأتم فيها) أي
فاختلفتم فيها (والله مخرج) أي مظهر (ما كنتم تكتمون) أي تخفون (فقلنا
اضربوه) يعني القتل (ببعضها) أي بعض البقرة واختلفوا في بعضها البعض ما هو .

قال ابن عباس ؛ ضربوه بالعظم الذي يلي المنضروف وهو المقتل .

قال الضحاك بلسانها قال حسين بن الفضل ، وهذا أولى الأقاويل لأن المراد من
أحياء القتل كلامه واللسان آلة وقال سعيد بن جبير بهجبت ذنبها .

قال غياث وهو أولى التأويلات بالصواب لأن عجب الذنب أساس البدن
الذي ركب عليه الخلق وأول ما يخلق الله وآخر ما يبلى .

(باب في ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة)
(وصفة النار التي كانت تأكل القربان وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك)

قال الله تعالى (الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا تؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) الآية .

أبانا محمد بن حمدويه بإسناده عن وهب بن منبه قال ؛ وأوحى الله إلى موسى أن يتخذ مسجداً لجماعتهم وبيتاً مقدساً للتوراة والتابوت والسكينة وقباباً للقربان وأن يجعل لذلك المسجد سرادقات باطنها وظاهرها من الجلود الملبسة عليها ، وأن تكون تلك الجلود جلود ذبائح القربان وحبالها التي تمد بها من أصواف تلك الذبائح وعهد إليه أن لا تزال تلك الحبال حاتض ولا يدمغ تلك الجلود جنب ن وأمره أن ينصب تلك السرادقات على عمد من نحاس طول كل عمود منها أربعون ذراعاً ويجعل فيها اثني عشر قسماً مسرجاً ؛ فإذا انقضى وصار اثني عشر جزءاً ، جعل على كل جزء بما فيه من العمود سبطاً من أسباط بني إسرائيل وأمره أن يجعل سعة تلك السرادقات ستمائة ذراع وأن ينصب فيه سبعة قباب ستة منها مشدبة بقضبان الذهب والفضة كل واحدة منها منصوبة على عمود من فضة طوله أربعون ذراعاً .

وأوحى الله إليه انى منزل عليكم من السماء ناراً لا دخان لها ولا تحرق شيئاً ولا تظفأ أبداً لتأكل القرابين المتقبلة وتسرج القناديل التي ببيت المقدس وهي من ذهب معلقة بسلاسل من الذهب منظومة من اليواقيت واللالي وأنواع الجواهر وأمره أن يضع في وسط البيت صخرة عظيمة من الرخام وينقر فيها نقرة لتكون كأنون تلك النار التي تنزل من السماء فدعا موسى أخاه هرون وقال له : ان الله قد اصطفانى بنار تنزل من السماء تأكل القرابين المتقبلة وتسرج منها القناديل وأوصانى بها ؛ وإني قد اصطفيتك بها وأوصيتك بها .

فدعا هرون لإبنيه وقال لهما ؛ إن الله تعالى قد اصطفى موسى بأمره وأوصاه به وإني قد اصطفانى له وأوصانى به وإني قد اصطفيتكما له وأوصيتكما به وكان أولاد

هرون هم الذين يلون سدنة هذا البيت وأمر القربان والنار فشرّبوا ذات ليلة حتى
ثملوا ثم دخلوا البيت وأسرجوا القناديل من هذه النار التي في الدنيا فغضب الله
عليهم وساط عليهم تلك النار فأحرقتهما وموسى بن هرون يدفعان عنهما النار فلم
يغنيا عنهما من أمر الله شيئاً فأوحى الله تعالى إلى موسى وهكذا أفعل من عصاني
من يعرفني فكيف أفعل بمن لا يعرفني من أعدائي وهذا آخر النصّة والله أعلم .

(باب في ذكر مسير بنى إسرائيل إلى الشام حين جاوز البصر)
(وصفة حرب الجبارين وقصة التيه وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى (وإذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ
جدل فيكم أنبياء وجعلكم ماركاً) الآيات اختلفت عبارات المفسرين في الأرض
المقدسة ما هي :

فقال مجاهد هو الطور وما حوله ؛ وقال مقاتل هي إيلياء وبيت المقدس ؛
وقال عبد الله بن عمر الحرم محرم بمقداره من السموات والأرض والبيت المقدس
مقدس بمقداره من السموات والأرض ؛ وقال عكرمة والسدي هي أريحا ؛
وقال السكبي هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن ؛ وقال الضحاك هي الرملة
والأردن وفلسطين ؛ وقال قتادة هي الشام كله .

(فصل في فضل الشام وأهله)

قال زيد بن ثابت بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ نواف القرآن من الرقاع
إذ قال (طوبى لأهل الشام) قيل يا رسول الله ولم ذلك قال (إن ملائكة
الرحمن باسطة أجنحتها عليهم) .

عن عبد الله بن خولة قال ؛ كنا عند النبي ﷺ فقال (والله لا يزال هذا
الامر فيكم حتى يفتح الله لكم أرض فارس والروم وأرض حمير حتى تسكنوا
اجناداً ثلاثة ؛ جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن ، فقلت يا رسول الله اخترتي

(
بينا
سى
بان
أن
لك
ن
أ
ع
بعل
بان
عأ
بينا
من
هر
ين
الله
يل
به
لو

إن أدركني ذلك ، فقال أختار لك الشام فإنها صفوة الله تعالى من بلاده وإليها
يجتبي صفوته من عباده يا أهل الإسلام عليكم بالشام فإن صفوة الله من الأرض
الشام وكان الله تعالى قد تكفل لي بالشام وأهله .

وقال عبد الله بن مسعود ، حدثنا رسول الله ﷺ قال (قسم الله الخير عشرة
أجزاء فجعل منه تسعة أجزاء في الشام وواحد في العراق) وقسم الله الشر عشرة
أجزاء فجعل منه تسعة في العراق وواحد بالشام .

ودخل الشام عشرة آلاف عين رأت النبي ﷺ ونزل حمص تسعمائة من
أصحاب النبي ﷺ فيهم سبعون يدوياً

وقال الكلبي صعد إبراهيم عليه السلام جبل لبنان وقيل له انظر فما أدركه
بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك من بعدك فذلك قوله تعالى (يا قوم
ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) يعني كتب الله في اللوح المحفوظ
أنها لكم الساكن ، وقال ابن إسحق وهبها الله لكم مساكن ، وقال السدي أمركم
أن تدخلوها

(ذكر قصة بلعام بن باعوراء)

قال الله تعالى (واذل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) الآية واختلموا
فيه فقال أكثر المفسرين هو بلعام بن باعوراء بن باعر بن أيد بن مارث بن لوط
وكان من الكنعانيين من مدينة بلقاء وهي مدينة الجبارين وسميت بلقاء لأن
ملكها رجل يقال له بالق بن صافوراء

وكانت قصة بلعام على ما ذكره ابن عباس وابن إسحق والسدي والكلبي
وغيرهم أن موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان
من أرض الشام أتى قوم بلعام إلى بلعام وكان عنده لاسم الله الأعظم فقالوا له إن
موسى رجل حديد ومعه جهود كثيرة وإنه قد جاء لينخرجنا من بلادنا ويقتلنا
ويحلبنا بنى إسرائيل وإنا قومك وبنو عمك وجيرانك وليس لنا منزل وأنت
رجل نجاب الدعرة فأقدم إلينا وأشر علينا في هذا الرجل العدو الذي قد أرقنا

فادع الله أن يرد عنا موسى وقومه فقال لهم بلعام ؛ ويلكم هذا نبي الله ومعه
الملائكة والمؤمنون كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم ولاني إن فعلت
ذلك ذهبت دنياي وآخرتي - فلم يزالوا حتى قال لهم اصبروا حتى أستأمر ربي ،
وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فتأمر في الدعاء عليهم في المنام فقبل
له لا تدع عليهم فقال لقومه ، لاني قد أمرت ربي في الدعاء عليهم فنهيت عن ذلك
فراجعوه فقال حتى أوامر ثانياً فتأمر فلم يجب فقال له أمرت فلم يجب لي شيئاً
فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما فعل في المرة الأولى فام يزالوا يرفقون
به ويناشدونه ويتضرعون إليه حتى فتنوه فافتن فقالوا لبعضهم اهدوا إليه فيقال
لهم اهدوا إليه هدية فقبلها

ويقال إن بلعام بن باعوراء لما أبى أن يدعو على موسى وقومه اجتمع آراء
قومه على أن يحملوا شيئاً إلى امرأته وقالوا إنها فقيرة وإنه يصفى إلى رأيا فانطلق
عشرة من عظماهم وحمل كل واحد منهم صحيفة من ذهب مملوءة ورقاً فأهدوها
له فأقبلت على صاحبها وألحت عليه حتى قالت له ارجع إلى ربك فاسأله أن يأذن
لك في موازرتهم والدعاء على عدوهم فلم تزل به حتى استجاب فلم يجب إليه بشيء
فقالت له إنه قد خيرك في الدعاء عليهم فلم يأذن لنهاك قالوا فركب أتانا له
متوجهاً إلى جبل يطعمه على عسكر بني إسرائيل يقال له حسان وكانت مراكب
العباد الأولين الآن ؛ فلما سار عليها غير بعيد ربضت به فنزل عنها وضربها حتى
أزلقها فقامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به ففعل بها مثل ذلك فقامت
فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم
تسر به كثيراً حتى ربضت به ففعل بها حتى أزلقها فأذن الله تعالى لها في الكلام
حجة عليه فقالت له ؛ ويحك يا بلعام أين تذهب ألا ترى أن الملائكة أمامي ترذني
عن وجهي هذا أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم ؟ فلما سمع ذلك خر
ساجداً فلم يزل باكياً متضرعاً حتى غابت عنه الملائكة

قال مقاتل ؛ إن ملك البلقاء قال لبلعام ادع الله على موسى وإلا قتلتك فقال
لأنه من أهل ديني ولا أدعو عليهم فجيء بخشبة ليصلبه فلما رأى ذلك خرج على

أتان له ليدعو عليه فلما عاين عسكرهم قامت به الاتان ووقفت فضر بها فقالت له
لم تضربني وأنا مأمورة فلا تظلمني وهذه نار أمامي قد منعني أن أمشي فرجع
فأخبر الملك فقال له لندعون عليه وإلا صلبتك فدعا على موسى بالإسم الأعظم أي
لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى وبنو إسرائيل في النيه بدعائه فقال
موسى يا رب بأي ذنب وقعنا في النيه؟ قال بدعاه بلعام فقال موسى يا رب كما
سمعت دعاه على فاسمع دعائي عليه أن تنزع منه الإسم الأعظم والإيمان فساخه الله
عما كان عليه ونزعت منه المعرفة فخرجت كحمامة بيضاء وأنزل الله تعالى هذه الآية
وقال عبد الله بن عمرو وزيد بن أسلم وأبو روق أنزلت هذه الآية في أمية
ابن أبي الصلت الثقفي كانت قصته أنه كان في ابتداء أمره قد قرأ الكتب السالفة
وعلم أن الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ذلك الرسول
فلما أرسل محمد ﷺ حسده وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مر بقتلى بدر
فسأل عنهم فقيل له قتلهم محمد؛ فقال لو كان نبياً ما قتل أقرباءه

فلما مات أمية أتت أخته فارعة رسول الله ﷺ فسألها عن وفاة أخيها فقالت
بينما هو راقد إذ أتاه رجلان فكشطا سقف البيت ونزلا فقدم أحدهما عند رجليه
والآخر عند رأسه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه أوعى؟ قال وعى،
قال أزكا؟ قال زكا، قالت فسألته عن ذلك فقال خير أريد بي؛ ثم قطرت عيناه،
ثم غشى عليه فلما أفاق قال:

كل عيش وإن تطاول دهرأ صائر أمره إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في تلال الجبال أرعى الوعولا
إن يوم الحساب يوم عظيم شاب فيه الصغير يوماً ثقيلاً
ثم قال لها رسول الله ﷺ ما أظيبي من شعر سألتك بالله أن تنشدني شعر
أخيك فأنشدته:

لك الحمد والنعاء والفضل ربنا فلا شيء أعلى منك جداً وأجود
ملكك على عرش السماء مهيمن لهزته تمنو الوجوه وتسجد

وهي قصيدة طويلة وأنشدته حتى أتت على آخرها ثم أنها أنشدته قصيدته التي يقول فيها :

عند ذى العرش يعرضون عليه يعلم الجهر والمكلام الخفيا
يوم تأتيه وهو رب رحيم إنه كان وعده ما أتيا
يوم تأتيه مثل ما قال فرداً لم ينذر فيه رشداً وغويأ
أسعيد سعادة أنا أرجو أم مهان بما كسبت شقيا
رب إن تعف فالمفااة ظني أو تعاقب فلم تعاقب برياً
إن أوأخذ بما اجترمت فإني سوف القى من العذاب قويا

فقال صلى الله عليه وآله (أمن شعره وكفر قلبه) فانزل الله تعالى فيه (واتل عليهم نبأ آتينا آياتنا) الآية .

قال سعيد بن المسيب نزلت في أبي عامر بن النعمان بن صيفي الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وآله الفاسق ؛ وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة ؛ فقال النبي صلى الله عليه وآله ما هذا الذي جئت به ؟ قال جئت بالحنيفية دين إبراهيم قال فانا عليها فقال النبي صلى الله عليه وآله لست عليها وليكنك ادخلت فيها ما ليس منها فقال أبو عامر اعات الله الكاذب منا في مناظرته طريداً فريداً فخرج إلى الشام وارسل إلى المنافقين أعدوا القوة والسلاح وابنوا لي مسجداً فإني ذاهب إلى قيصر وأتي بجند لتخرج محمداً وأصحابه من المدينة فذلك قوله تعالى (وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل) يعني انتظاراً لمجيئه فمات في الشام طريداً وحيداً فريداً ؛ ومنهم من قال إنها نزلت في اليمسوس ؛ وكان رجلاً قد اعطى ثلاث دعوات مستجابات ؛ وكان له امرأة وله منها ولد ، فقالت له اجعل لي منها واحدة ، فقال لك منها دعوة فما تريدن ؟ قالت ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل فدعا فجعلت أجمل امرأة في بني إسرائيل فلما علمت أن ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الرجل فدعا عليها فصارت كابة نباحه فذهب فيها دعوتان فجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار ولا صبر صارت آمنة كابة نباحه ؛ وان الناس يعيروننا بها فدع الله أن يردها إلى الحالة التي كانت عليها فدعا الله فصارت كما كانت فذهبت فيها الثلاث دعوات كلها .

(باب في ذكر النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومهم)
(حين بعثه إياهم إلى أرض كنعان جواسيس له ولقومه)

قال الله تعالى (ولقد اخذنا ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً)
الآية وذلك أن الله تعالى واعد موسى أن يورثه قومه الأرض المقدسة وهي الشام
وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون وهم العماقة من ولد عملاق بن لاوذ بن سام
ابن نوح ووعدده الله أن يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن لبني إسرائيل فلما
مرت ببني إسرائيل الدار أمرهم الله بالمسير إلى اريحاء من أرض الشام وهي
المقدسة فقال يا موسى إني قد كتبت لك داراً وقراراً فاخرج إليها
سلياً من العدو فإني ناصركم عليهم فنخذ من قومك اثنا عشر رجلاً من
أهل قبيلتك كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا به فاختر موسى من كل
سبيلاً وأمره عليهم وهذه أسماءهم من سبط روبيل شموع بن ذكور ومن
سبط شمعون شوقط بن حوري ومن سبط يهوذا كالب بن يوقنا ومن سبط جارد
ابن يوسف ومن سبط ريبون حدي بن سوري ومن سبط اشير شايون بن
مليكيك ومن سبط يمان حي بن وقسي ومن سبط دان حمل بن وكيل بن خمل
ومن سبط لاوي حولا بن مليكا ومن سبط يوسف افرايم ومن سبط افرايم
يوشع بن نون وهما سبطان لموسى ومن سبط مديان حي بن موسى ومن سبط
بنيامين ناظم بن زقون .

ثم إنه سار ببني إسرائيل قاصداً اريحاء فبعث إليها هؤلاء النقباء يتجسسون
الأخبار له ويعلمون حالها وحال أهلها فلقبهم رجل من الجبارين يقال له عوج
ابن عنق .

(فصل في ذكر أخبار جمل من أخبار عوج بن عنق وأحواله)

قال ابن عمر كان طول عوج ثلاثة وعشرون ألف ذراع والمائة والمائة
والمائة ذراعاً بالذراع الأول وكان عوج يحتجز السحاب ويشرب منه الماء ؛
ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بهين الشمس يرفعه إليها ثم يأكله

ويروى أنه أتى نوحاً في أيام الطوفان فقال له احملني معك في سفينةك فقال
له اذهب يا عدو الله فإنني لم أومر بك فطبق الماء الأرض من سهل ومن جبل ؛
وما جاوز ركبتيه وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يد موسى وكان
لموسى عسكر فرسخ في فرسخ فجاء عوج ونظر إليهم ثم جاء إلى الجبل وقدر منه
صخرة على قدر العسكر ثم حملها ليطبقتها عليهم فبعث الله عليه الهدد ومعه الطيور
فجعلت تنقر بمناقيرها حتى قورت الصخرة وانثقت فوقت في عنق عوج بن عنق
فطوقته وصرعته فاقبل موسى وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع
وقفز إلى فوق عشرة أذرع فما أصاب منه إلا كعبه وهو مصروع في الأرض
فقتله قالوا فاقبل جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهنوا حتى حزوا رأسه فلما قتل
وقع على نيل مصر فحسره سنة قالوا وكانت أمه عنق هي إحدى بنات آدم من
صلبه ويقال إنها كانت أول من بغى على وجه الأرض وكان كل أصبع من أصابعها
طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين كل أصبع ظفران حادان مثل المتجلين وكان
موضع مقعدها خربة من الأرض ولما بلغت بعث الله إليها أسوداً كالقيلة وذئاباً
وتموراً كالإبل ونسوراً كالحمر وسلطهم عليها فقتلوها وأكلوها

قال تعالى (قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين) الآية قال قتادة كان لهم
اجسام ونخلق عجيب ليس لغيرهم مثله (وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن
يخرجوا منها فإننا داخلون) قال موسى ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله
لكم فإن الله سيفتحها عليكم وإن الذي أنجاكم من آل فرعون وفلق لكم البحر

هو الذي يبلغكم ويظهركم عليهم فلم يقبلوا قوله ولم يفعلوا وردوا عليه أمرق وهموا بالانصراف إلى مصر فتخرج يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وهما اللذان أخبر عنهما بالتوفيق والعصمة في قوله تعالى (قال رجلان من الذين يخافون أنهم الله عليهم) بالتوفيق والعصمة (ادخلوا عليهم الباب) يعنى باب مدينة الجبارين فإذا دخلتموه فإنكم غالبون لأن الله منجز وعده فإننا رأيناهم وخبرناهم فكلمات جسومهم عظيمة قوية وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فأراد بنو إسرائيل أن يرموها بالحجارة وعصوها وقالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون وروى أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم الحديبية حين صد عن البيت إني ذاهب بالهدى فناحره عند البيت فاستشار أصحابه في ذلك

فقال المقداد بن الأسود السكندري إنا والله لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا لقاتلوننا وإنا معك مقاتلون والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك وبين يديك ولو خضت بحرا لخضناه ولو تسمنت جبلا لملوناه ولو ذهبت بنا إلى برك العماد يعنى مدينة بالحديثة لتبعناك فلما سمع أصحاب النبي ﷺ تابعوه على ذلك فاشرق لذلك وجه النبي ﷺ

قال ابن عباس لأن أكون صاحب هذا المشهد أحب إلى من الدنيا وما فيها قال فلما فعلت بنو إسرائيل ما فعلت من معصيتهم نبيهم ومخالفتهم أمر ربهم سوى يوشع وكالب غضب موسى فدعا عليهم وقال (رب إني لأملك إلا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) أى العصاة وكان عجلة عجلها موسى فظهر الغمام على باب فيه موسى واوحى الله تعالى إلى موسى (إلى متى يهيننى هذا الشعب وإلى متى لا يصدقون بيته الايات لأهلكهم جميعاً ولاجعل لك شعباً اقوى وأكبر منهم) فقال موسى ؛ إلهى لو انك قتلت هذا الشعب كلهم لرجل واحد لقات الأمام الذين سمعوا ذلك إنما قتلت هذا الشعب من أجل أنه لم

يستطع أن يدخلهم الأرض المقدسة فقلهم في البرية وإنك طويل صبرك كثيرة نعمتك وأنت تغفر الذنوب وتحفظ الآباء من الأبناء وأبناء الأبناء فاغفر لهم ولا توبتهم .

(استجاب الله لموسى وغفر لهم)

فقال الله تعالى لموسى (إني غفرت لهم بكلمتك ولكن بعد ما سميتهم فاسقين ودعوت عليهم ؛ حلفت بعزتي لأحر من عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبدى يوشع بن نون وكالب ولآتينهم في هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الأيام التي تحبسوا فيها سنة) وكانت أربعين يوماً وإياتينهم حتفهم في هذه القفار .

وأما بنوهم الذين لم يعصوني ولم يعملوا الخير ولا الشر فإنهم يدخلون الأرض المقدسة .

فذلك قوله تعالى (فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض) متعبرين (فلا تأس على القوم الفاسقين) .

فلما هلكوا وانقضت أربعون سنة ونشأت النواشء من ذريتهم ساروا إلى حرب الجبارين وفتح الله لهم .

(باب في ذكر النعمة التي أنعم الله بها على بني إسرائيل في التيه وخصمهم بذلك)
(ورفع عنهم الهلاك كرامة لنبيه وصفيه موسى عليه السلام)

قال الله تعالى (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) الآية كقوله
تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) والعد لا يقع على الواحد (التي أنعمت
عليكم) أي على أجدادكم وأسلافكم .

وذلك أن الله تعالى فلق لهم البحر وأنجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم
وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وأنزل عليهم النوراة فيها بيان كل شيء
يحتاجون إليه وأعطاهم ما أعطاهم في التيه وذلك أنهم قالوا لموسى أهلكتنا
وأخرجتنا من العمران والبنيان إلى مفازة لا ظل فيها ولا كون فأنزل الله تعالى
عليهم غمامة بيضاء رقيقة ليست بغمام المطر بل أرق وأطيب وأبرد منه فأظلمتهم
وكانت تسير بسيرهم إذا ساروا وتدور عليهم من فرقهم إذا تزلوا وذلك قوله
تعالى (وظلمنا عليهم الغمام) يعني في التيه يقيكم بحر الشمس ومنها أنه جعل لهم
عموداً من نور يضيء لهم بالليل إذا لم يكن ضوء القمر ، فقالوا هذا الظل والنور
قد حصل فأين الطعام ؟ فأنزل الله عليهم المن .

واختلفوا فيه فقال مجاهد هو شيء كالصمغ يقع على الأشجار وطعمه كالشهد
وقال الضحاك هو البر يختبر ، وقال وهب هو الخير الرقاق ، وقال السدي كان غسل
يقع على الشجر من الليل فياً كونه منه ، وقال عكرمة هو شيء أنزله الله عليهم مثل
الربو الغليظ ، وقال الزجاجي المن ما يمن الله به بما لا تصب فيه ولا نصب ،
وقال النبي ﷺ (الحكمة من المن وماؤها شفاء للعين) .

قالوا وكان الله ينزل هذا المن كل ليلة يقع على الأشجار مثل الثلج لكل إنسان
منهم صاع كل ليلة .

فقالوا يا موسى قتلنا هذا المنى بحلاوته فادع الله ربك لنا يطعمنا اللحم فدعا
موسى فأنزل الله عليهم السلوى .

واختلفوا فيه فقال ابن عباس وأكثر الناس هو طائر يشبه السمانى .

وقال أبو العالمة ومقاتل هو طير أحمر بعشه الله عليهم فأمطر به السماء في عرض
ميل وقدر ربح في السماء بعضها على بعض وكانت السماء تمطر عليهم ذلك ، وقيل
إنه كان طيراً مثل فراخ الحمام طيباً سميناً قد تمعظ ريشه وزغبه وكانت الريح تأتي
به إليهم فيصيحون وهو في معسكرهم .

وقيل إنه كان يأتينهم فيستمرسل إليهم فيأخذونه بأيديهم ، وقال عكرمة هو طير
يكون بالهند أكبر من المصفور ، وقال الماورخ هو العسل بلغة كستانة قال شاعرهم
وقاسمها بالله جهداً لأنتم ألد من السلوى إذا ما نشورها
فكان الله ينزل عليهم المن والسلوى ، وكان أحدهم يأخذ ما يكفيه يومه وليلته
فإذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد ما يكفيه ليومين لأنه لم يكن ينزل عليهم يوماً
السبت فذلك قوله تعالى (وأنزل عليكم المن والسلوى كلوا) أى قلنا لهم كلوا من
طيبات حلال ما رزقناكم ولا تدخروا لعدو نخبأوا لعدو فدود وفسد ما أدخروا
وقطع الله عنهم ذلك .

قال الله تعالى (وما ظلمونا) أى أضرونا بالمعصية ومخالفة الأمر (ولكن
كانوا أنفسهم يظلمون) باستصحابهم الغذاء وقطع عنهم مادة الرزق الذي كان ينزل
عليهم بلا مؤنة ولا مشقة في الدنيا ولا حساب ولا تبعث في العقبى .
أخبرنا شعيب بن محمد قال أخبرنا مكي بن عبدان قال أخبرنا محمد بن الأزهر قال
حدثنا روج بن عبادة قال حدثنا عون بن عبد الله عن جلاس بن عمر عن أبي هريرة
قال قال رسول الله ﷺ (لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم ولم يخبث الطعام ولولا
حواء لم تخن أنثى زوجها) ومنها أنهم عطشوا في الزبية فقال يا موسى من أين
نشرب ؟ فاستسقى لهم موسى فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك الحجر فقالوا

كيف بنا إذا مضينا إلى الرمل وإلى الأرض التي ليس فيها حجارة فأمر موسى أن يحمل معه حجراً فحينما نزل ألقاه .

وقال آخرون : كان حجراً مخصوصاً بعينه ، والدليل عليه قوله تعالى الحجر

فادخل الآلف واللام للتعريف والتخصيص كقوله : رأيت الرجل .

ثم اختلفوا في ذلك الحجر ما هو ؟ فقال ابن عباس كان حجراً خفيفاً مربعاً مثل رأس الرجل أمر أن يحمله فحمله فكان يضعه في مخلاته فإذا احتاجوا إلى الماء أخرجه وضربه بعصاه فیتفجر عيوناً كما ذكرنا فستقام .

وقال سعيد بن جبیر هو الحجر الذي وضع موسى عليه ثوبه ليغتسل ففر الحجر

بثوبه ، فلما وقف الحجر أتاه جبريل عليه السلام فقال يا موسى أن الله يقول

لك ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة وهو الذي ذكره الله تعالى في

قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله تعالى بما قالوا)

الآية وهو ما أخبرنا به الحسن بن أحمد الخلدی بإسناده عن أبي هريرة رضي الله

عنه عن النبي ﷺ أنه قال (كانت بنو إسرائيل يفتسلون عرأة ينظر بعضهم إلى

سواة بعض وكان موسى يفتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يفتسل معنا

إلا أنه أدر قال فذهب مرة يفتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمع

في أثره موسى يقول ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر حتى نظر بنو إسرائيل إلى سواة

موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس قال فقام الحجر بعد ما نظر إليه بنو إسرائيل

فأخذ ثوبه وطفق بالحجر ضرباً فقال أبو هريرة والله إن أثر ضرب موسى

بالحجر ستة أو سبعة .

قال عبد العزيز المكناني كان موسى ضرب الحجر اثنتي عشرة ضربة فكان

يظهر في كل موضع ضربة مثل ثدي المرأة ، ثم ينفجر بالأنهار المطرودة فذلك

وله تعالى « فانفجرت منه اثنتا عشر عينا » .

ومنها أنهم قالوا لموسى في التيه من أين لنا اللباس فخلد الله تعالى ثيابهم التي

عليهم حتى لا تزيد على الأيام ومرور الأعوام إلا جلدة وظرافة ولا تخلق ولا تبلى

وتنموا على صديانهم كما تنموا فكشوا على ذلك زماناً طويلاً والله أعلم .

(باب فتح أريحا ونزول بني إسرائيل الشام)

اختلف العلماء فيمن تولى حرب الجبارين وفيمن كان على يده الفتح فقال قوم
نما فتح أريحا موسى بن يوشع وكان يوشع على مقدمته فسار موسى إليهم بمن
نى من بني إسرائيل في التيه ولم يمت في التيه فدخلها بهم يوشع وقتل الجبارين
الذين كانوا بها فدخلها موسى ببني إسرائيل فقام فيها ما شاء الله أن يقيم ثم قبضه
ته تعالى ولم يعلم أحد قبره من الناس وهذا أولى الأقاويل بالصدق وأقربها إلى
الحق لإجماع العلماء بأخبار الأنبياء .

أن عوج بن عنق قتله موسى ، وقال آخرون : ما قاتل الجبارين إلا يوشع
بن نون ولم يسر إليهم بعد موت موسى وهلاك من كان أبي المسير إليها
قالوا مات موسى وهرون عليهما السلام في التيه .

(قصة وفاة هرون عليه السلام)

قال السدي أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام : إنى متوف
هرون فأت جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل وإذا هما
بشجرة لم ير مثلها وبيت مبني وفيه سريراً عليه فرش وإذا فيه ريح طيبة فلما نظر
هرون إلى ذلك أعجبه وقال يا موسى إنى أحب أن أنام على هذا السرير فقال نم
عليه فقال إنى أخاف أن يأتى رب هذا البيت فيغضب على فقال موسى لا تخف أنا
كفنيك رب هذا البيت فتم فقال يا موسى نم معى فإن جاء رب هذا البيت غضب
علينا جميعاً فنام موسى وأخذ هرون الموت .

وقال عمرو بن ميمون : مات موسى وهرون في التيه ومات هرون قبل موسى
وكان خرجا في التيه إلى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه وانصرف إلى بني إسرائيل
فقال أين هرون ؟ قال مات قالوا كذبت ولمكنك قتلته لحبنا إياه وكان محبباً في
بني إسرائيل فتضرع موسى إلى ربه وشكا إلى ربه ما لقي من بني إسرائيل .
فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى قبره فإنى باعته حتى يخبرهم أنه مات ولم
تقتله فانطلق بهم إلى قبر هرون فناداه يا هرون نخرج من قبره ينفض التراب عن
رأسه فقال له أنا قتلتك قال لا والله وليكنى مت فعاد وانصرفوا والله أعلم .

(ذكر وفاة موسى عليه السلام)

قال ابن إسحاق : كان موسى قد كره الموت واستعظمه فلما كرهه أراد أن يحبب إليه الموت ويكره إليه الحياة ، وكان يوشع بن نون يغدو إليه ويروح فيقول له موسى يا نبي الله ما أحدث الله إليك فيقول له يوشع يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله إليك حتى تكون أنت الذي تبتدىء به وتذكره ولا يذكر له شيئاً ، فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت .

قال الأستاذ بإسناده ؛ حدثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهباً يقول : وذكر من كرامة موسى عليه السلام أنه ضاق ببني إسرائيل ذرها لما كثروا عليه فبعث الله إليه ألف ملك يكتفون أعواناً له ، فلما مال الناس إليهم وجد موسى في نفسه خيرة فأماهم الله لكرامته في يوم واحد .

واختلفوا في صفة موت موسى عليه السلام .

حدثنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون بإسناده عن أبي عن رسول الله ﷺ قال : جاء ملك الموت إلى موسى فقال له أجب ربك فلقطم موسى عين ملك الموت ففقاها قال فرجع ملك الموت إلى الله عز وجل فقال يا رب إنك أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت وفقاً عيني فرد الله عينه وقال ارجع إلى عبدي وقل له الحياة تريد فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعر فأنك تعيش بعدد كل شجرة من ذلك سنة قال ثم ماذا ؟ قال ثم تموت ، قال فالآن من قريب قال يا رب فادنني من الأرض المقدسة رمية حجر .

قال رسول الله ﷺ . لو كنت عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند المشيب الأحمر .

قال سمعت أبا سعيد بن حمدون يقول : سمعت أبا حامد الشرقي يقول : سمعت
تد بن يحيى يقول قد صح هذا عن رسول الله ﷺ يعني قصة ملك الموت وموسى
عليه السلام لا يردّها إلا كل مبتدع ضال .

وفي حديث آخر : أن رسول الله ﷺ قال : أن ملك الموت كان يأتي الناس
ميتاً حتى أتى موسى ليقبضه فلطمه ففقا عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خيفة .
ويروى أن يوشع بن نون رآه بعد موته في المنام فقال : كيف وجدت الموت
يا نبي الله ؟ قال : كشاة تسليخ وهي في الحياة .
ويروى أن موسى لما مات قالت الملائكة بعضهم لبعض مات صفى الله موسى
ابن عمران فمن الذي يطمع في البقاء ، وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة عشرون
منها في ملك أفريدون ومائة سنة في ملك منو جهر .

قال الاستاذ : رجعنا إلى قصة حرب أريحا وخبر الفتح ، قال : فلما انقضت
أريحا سنة ومات موسى بعث الله يوشع بن نون نبياً فأخبرهم أنه نبي الله وأن
الله قد أمره بقتل الجبارين فصدقوه وبايعوه فتوجه بنى إسرائيل إلى أريحا
ومعه تابوت الميثاق فأحاط بمدينة أريحا ستة أشهر ،

فلما كان في الشهر السابع نفخوا في القرون وصاحوا صيحة واحدة فسقط
سور المدينة فدخلوها وقتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم وجعلوا يقتلونهم
فكانت العصاة من بنى إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها ولا يقطعونها

وكان القتال يوم الجمعة فبقى منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة
الأسبوت فخشى يوشع أن يعجزوه فقال : اللهم اردد الشمس علي ، أو أنه قال للشمس
إنك في طاعة الله وأنا في طاعة الله فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى
ينتقم من أعداء الله قبل غروب الشمس فردت له الشمس وزيد له في النهار ساعة
واحدة حتى قتلهم أجمعين .

أخبرنا أحمد بن عبد الله بن حامد الأصفهاني بإسناده عن عروة بن عبد الله قال : دخلت على فاطمة بنت علي رضوان الله عليهما فرأيت في عنقها خرزاً ، ورأيت في يدها مسكيتين غليظتين وهي عجوز كبيرة ، فقلت لها ما هذا ؟ فقالت إنه بكره للمرأة أن تتشبه بالرجل .

ثم حدثتني أن أسماء بنت عميس الخثعمية حدثتها أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان مع نبي الله وقد أوحى الله إليه فجعله بثوبه ولم يزل كذلك حتى أدبرت الشمس تقول غابت أو أرادت أن تغيب ثم إن نبي الله سرى عنه فقال : أصليت يا علي ؟ قال لا ، فقال النبي ﷺ اللهم اردد عليه الشمس ، فرجعت حتى بلغت نصف المسجد .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ غزا نبي من الأنبياء فقال القوم : لا يتبعني رجل كان قد ملك بضع أمرة وهو يريد أن يبني بها ولا آخر قد بنى له بيتاً ولم يرفع سقفه ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر أولادها قال فدنا من القوم صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقالت الشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها على ساعة فحبست له ساعة حتى فتح الله عليه .

قال ثم وضعت الغنيمة فجاءت النار فلم تأكلها فقال إن فيكم غولاً فليبايعني من كل قبيلة منكم رجل فبايعوه فالتصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغول أنتم غلاتم .

قالت : فأخرجوا مثل رأس البقره من ذهب فألقوه في الغنيمة وهي بالصميف فجاءت النار فأكلتها .

قال النبي ﷺ (لم تحمل الغنائم لأحد قبلنا ، وذلك أن الله تعالى رأى عجزنا وضعفنا فوهبها لنا) .

قالوا ثم أمرهم الله أن يدخلوا أريحا متواضعين مستغفرين خائفين رهوسهم
وذلك قوله تعالى (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا
وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة) وكان لهم سبعة أبواب سجداً أى منجيين
متواضعين وقولوا حطة أى حط عنا خطايانا .

قال وهب : إنهم أذنبوا بأبائهم وكان توبتهم إذا أذنبوا دخلوا أريحا
فما فصلوا من التيبه أحب الله أن يستغفروهم من الخطيئة .

قال ابن عباس حطة قول لا إله إلا الله سميت بذلك لأنها تحط الذنوب
(ففطر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين إحساناً . فبدل الذين ظلموا قولا غير
الذي قيل لهم : وذلك أنهم دخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حطاً سمعاً أى
حطه حرام استخفافاً بأمر الله تعالى : فأزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء)
أى عذاباً من السماء بما كانوا يفسقون .

وذلك أن الله تعالى أرسل عليهم طاعوناً وظلماً فهلك منهم سبعون ألفاً في ساعة
واحدة ثم رفعه الله عنهم ورحمهم :

قالوا فلما استقرت بنو إسرائيل بالشام وصفت لهم توفى الله نبيه يوشع
وودفن في جبل افرايم وكان عمره مائة وعشرين سنة وتديره أمم بنو إسرائيل
بعد موت موسى سبعمائة وعشرين سنة .

(مجلس في ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بأمر بني إسرائيل)
(بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام)

قالت العلماء بأخبار الماضين وأمر الأمم السالفة لما حضرت الوفاة
يوشع بن نون استخاف على بني إسرائيل كالب بن يوقنا .

قال الله تعالى (قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما) فأحسن الخلقة
حتى قبضه الله عز وجل واستخلف على بني إسرائيل لابنه يوساقوس .
وكان فيما ذكر يشبه يوسف عليه السلام في الحسن والجمال والبهاء
وكانوا يفتنون به ؛ وكانوا من شغفهم به يأتونه وينظرون إليه ويقولون له :
أيها العبد الصالح جئنا لنسلم عليك وهو يستحي أن يردهم فلما أكثروا خاف
الفتنة فسأل الله أن يغير صورته مع سلامة حواسه وجوارحه فأصابه الجدرى
فصار مجدوراً ملوجاً فلبث فيهم مائة وأربعين سنة ثم قبضه الله إليه والله أعلم .

(ذكر خبر حزقيل عليه السلام)

قالت العلماء بأخبار الانبياء عليهم السلام لما قبض الله كالب وابنه بعث
الله تعالى حزقيل إلى بني إسرائيل نبياً ؛ وهو حزقيل بن بوري ؛ ويلقب بابن
العجوز ؛ وإنما لقب بابن العجوز لأن أمه سألت الله تعالى الولد وهي عجوز ؛
وقد كبرت وعقمت عن الولد فوهبه الله تعالى لها ؛ وهو الذي أحيا الله تعالى به
القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فأحياهم الله تعالى بهم
موتهم بدعوته في قوله تعالى (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف
حذر الموت) الآية .

قال أكبر المفسرين : كانت قرية يقال لها (داوردان) قرية قبل واسط
وقع بها الطاعون فخرج منها طائفة هاربين من الطاعون ؛ وبقيت طائفة فهلك

أكثر من بقى في القرية وسلم الذين خرجوا ؛ فلما رجع الطاعون رجعوا
سالمين ، فقال الذين بقوا : إن أصحابنا كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا
لبقينا ولئن وقع بها الطاعون ثانية لنخرجن إلى الأرض التي لا وباء فيها فوقع
الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا وادياً أفيح فلما نزلوا
المكان الذي يبتغون فيه النجاة والحياة إذا هم بملك من أسفل الوادي وآخر من
أعلاه يناديهم كل واحد منهما أن موتوا فماتوا جميعاً .

وروى عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إذا سمعتم
بالوباء في بلدة فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه .

وقال الضحاك ومقاتل والكلبي : إنما فر هؤلاء من الجهاد ؛ وذلك أن
ملكاً من ملوك بني إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوهم فخرجوا
فمسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت واعتلوا وقالوا لملكهم : إن في الأرض
التي نأتينا الوباء فلا نأتينا حتى ينقطع الوباء عنها ؛ فأرسل الله عليهم الموت ؛
فلما رأوا الموت قد كثرت فيهم خرجوا من ديارهم فراراً من الموت ،
فلما رأى الملك ذلك قال : اللهم رب يعقوب وإله موسى ؛ قد ترى معصية
عبادك ؛ فأرهم آية في أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار من حكمك
وقضائك .

فلما خرجوا قال الله لهم موتوا فماتوا جميعاً وماتت دوابهم كموتهم مواته
فجعل واحد فما أتى عليهم إلا ثلاثة أيام حتى انفجروا وأروحو وأروحت أجسادهم
فخرج إليهم الناس فمجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع
وتركوهم فيها واختلفوا في مبلغ هدمهم .

فقال عطاء الخراساني : كانوا ثلاثة آلاف ، وقال ابن عباس ووهب
كانوا أربعة آلاف .

وقال مقاتل والكلبي : ثمانية آلاف .

وقال أبو روق : عشرة آلاف .

وقال أبو مالك . ثلاثين ألفاً .

وقال السدي : بضعا وثلاثين ألفاً .

وقال ابن جريج : أربعين ألفاً .

وقال عطاء بن أبي رباح : سبعين ألفاً .

وقال فأنى على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت
أوصالهم فمر عليهم حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام فوقف متفكراً متعجباً
فأوحى الله تعالى إليه يا حزقيل تريد أن أريك كيف أحي الموتى ؟ قال نعم
يارب فأحياهم الله جميعاً .

وروى منصور بن المقتمر عن مجاهد أنهم قالوا حين أحبوا سبحانه اللهم
ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت فرجهم إلى قومهم وتناسوا بعد ما أحياهم الله
وعاشوا دهرآ لا يعرفون أنهم كانوا موتى سخنة الموت على وجوههم لا يلبسون
وبأ إلا عادوا رميا مثل السكين حتى ماتوا لأجلهم التي كتب الله لهم .

قال ابن عباس : فإنه لا يوجد في ذلك السبط من اليهود تلك الرياح .

قال قتادة : مقتهم الله على فرارهم من الموت وتقصيرهم في الجهاد فأماتهم الله عقوبة لهم بعشهم لبقية آجالهم ليوفوها ولو كانت آجال القوم جاءت ما بعثوا بعد موتهم فلما أحياهم الله تعالى أمرهم بالجهاد وقال (وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم) .

(باب في قصة إلياس عليه السلام)

قال الله تعالى (وإن إلياس لمن المرسلين) إلى آخر القصة .
قال ابن إسحق والعلماء من أصحاب الأخبار : لما قبض الله تعالى حزقيل عليه السلام عظمت الأحداث في بني إسرائيل وظهر فيهم الفساد ونسوا عهد الله إليهم في التوراة حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله إليهم نبياً وهو إلياس بن يس بن فنحاص بن عيزار بن هرون بن عمران وإنما كانت الأنبياء بعد موسى يبشرون إليهم بتجديد ما نسوا وضيئوا من أحكام التوراة وبني إسرائيل يومئذ متفرقون في أرض الشام وفيهم ملوك كثيرة وكان سبب ذلك أن يوشع بن نون لما فتح أرض الشام وملكها بوأها بني إسرائيل وقسمها بينهم فأخذ سبط منهم بعلمك ونواحيها هم سبط إلياس فبعث الله تعالى إليهم نبياً وعليهم يومئذ ملك يقال له لاجب قد ضل وأضل قومه وجبرهم على عبادة الأصنام وكان هو وقومه يعبدون صنماً يقال له بعل وكان طولها عشرين ذراعاً وكان له أربعة وجوه

وقال ابن إسحق قد سمعت بعض أهل العلم يقولون ما كان البعل إلا امرأة كانوا يعبدونها من دون الله تعالى فذلك قوله تعالى (إذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين)

قال فجعل إلياس يدعوهم إلى الله ولا يطيعونه ولا يجيبونه إلى ذلك إلا ما كان من أمر لاجب الملك الذي كان بعلمك فإنه آمن به وصدقه : وكان إلياس يقوم أمره ويسدده ويرشده ، وكان لاجب امرأة يقال لها أرييل

وكان يستخلفها على رعيته إذا غاب عنهم في غزاة أو غيرها فكانت تبرز بين الناس كما يبرز زوجها وتركب كما يركب وتجلس كما يجلس في مجلس القضاء ، وتقضى بين الناس وكانت قتالة للأنبياء وكان لها كاتب رجل حكيم يكتب لإيمانه وكان قد خلص من بين يديها ثلثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم إذا بهت سوى الذين قتلتهم وكانت في نفسها غير محصنة ولم يكن على وجه الأرض أفحش منها وهي مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من بني إسرائيل وقتلتهم كلهم بالاغتيال وكانت معمرة ويقال إنها ولدت سبعين ولداً

قال وكان لا يجب هذا جار من بني إسرائيل رجل صالح يقال له مزدكى وكانت له جنية يعيش منها ويقبل على عمارتها ويزينها وكانت الجنية إلى جانب قصر الملك وامرأته وكان يشرفان على تلك الجنية ويتزهران فيها ويأكلان ويشربان ويقبلان فيها حيناً وكان لا يجب مع ذلك يحسن جوار صاحبها مزدكى وامرأته أربيل تحسده على ذلك لأجل تلك الجنية وتحتال على غصوها لما سمعت الناس يذكرون الجنية من حسنها ويقولون ما أحرى أن تكون هذه الجنية لأهل القصر ويتعجبون من أمر الملك وامرأته كيف لم يغضبها فلم تزل امرأة الملك تحتال على العبد الصالح مزدكى في أن تقتله وتأخذ جنيته والملك ينهاها عن ذلك فلا تجد إليه سبيلاً ثم إنه اتفق خروج الملك إلى سفر بعيد فلما طال غيبته اغتتمت امرأته أربيل أن تتم لها الحيلة على العبد الصالح مزدكى في أن تقتله وتأخذ جنيته وهو غافل عما تريد مقبل على عبادة ربه وإصلاح معيشته فجمعت أربيل جمعاً من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على مزدكى بالزور أنه يسب الملك لا يجب فأجابوها إلى ما سألتهم من الشهادة بالزور

وكان حكمهم في ذلك الزمان على من يسب الملك القتل إن قامت البيضة فأحضرت مزدكى وقالت له بلقنا أنك شتمت الملك واغتبطته فأمر مزدكى ذلك فأقامت البيضة فشهدوا بالزور عليه بحضرة الناس فأمرت بقتله فقتل وأخذت جنيته غضباً فغضب الله عليهم بقتل العبد الصالح

فلما قدم الملك من السفر أخبرته الخبر فقال لها ما أصبت ولا وفقت ولا أرى
أنا نفلح بعدها أبداً وأنا كنا على جنينته لا غنياء وقد كنا نتنزه فيها وقد جاورنا
وتحرم بنا منذ زمن طويل فأحسننا جوارره وكففنا عنه الأذى لوجوب حقه علينا
فقبحت بنا الجوار وما حملك على اجترائك عليه إلا سفهك وسوء رأيك وقلة
تفكيرك في العواقب

فقالت إنما غضبت لك وحكمت بحكمك فقال لها ما كان يسع حلمك وعظيم
خطرك العفو عن رجل واحد فتحفظين جوارره فقال قد كان ما كان
فبعث الله تعالى إلياس عليه السلام إلى لاجب وقومه وأمره أن يخبرهم أن الله
تعالى قد غضب عليه لولايه حين قتلوه بين أظهرهم ظالماً

وقد آل على نفسه أنهما لم يتوبا من صنعهما ويرد الجنينة على ورثة مزدكي
والإيهاكهما يعني لاجب وامرأته في جوف الجنينة أشراً ما يكون يسفك دمهما ثم
يدعهما جيفتين ملقأتين حتى تتعري عظامهما عن لحومهما ولا يتمتعا إلا قليلاً

قال فجاء إلياس وأخبر الملك بما أوحى إليه في أمره وأمر امرأته والجنينة
فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه ثم قال له يا إلياس والله ما أرى ما تدعونا
إليه إلا باطلاً والله ما أرى فلاناً وفلاناً وسمى ملوكاً عنهم عبدوا الأوثان
إلا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويشربون ويتمتعون بملكين ما ينتص من
دنياهم ولا من أمرهم الذي تزعم أنه باطل شيء وما ترى لكم علينا من فضل
قال ثم هم يتعذب إلياس وقتله قال فلما سمع إلياس ذلك وأحس بالشر رفضه
ونخرج عنه فالحق بشواهد الجبال وعاد الملك إلى عبادة بعل فأوثق إلياس إلى
أصعب جبل وأشدخه فدخل مغاراً فيقال إنه بقي فيه سبع سنين شريداً وحيداً
فريداً خائفاً يأوي إلى الشعاب والكهوف ويأكل من نبات الأرض وثمار الشجر
وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العيون يتوقعون أخباره ويحتمدون في أخذه والله
تعالى يستره ويحفظه ويدفع عنه الأيلاء

فلما تم له سبع سنين أذن الله تعالى في إظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم
فأمرض الله تعالى ابن الملك لاجب وكان أحب أولاده إليه وأعزهم عليه
وأشبههم به فأدنف حتى يئس منه فدعا صنمه بهلا وكانوا قد فتنوا بهل فعظموه
حتى إنهم سموا مدينتهم به فقالوا لها بهليك وجعلوا له أربعمائة سادن فوكلوهم
به وجعلوهم أمناء وجعل الشيطان يدخل في جوف الصنم ويكلمهم بأنواع
الكلام والأربعمائة يصغون بأذانهم إلى ما يقول الشيطان ويوسوس لهم شريعة
من الضلال فيكسبونها للناس ويعملون بها ويسمونهم الأنبياء فلما اشتد مرض
ابن الملك طالب الملك أن يشفعوا له إلى بهل ويطلبوا منه لابنه الشفاء والعافية
فدعوه له فلم يجيبهم ومنع الله تعالى بقدرته الشيطان عن صنمهم فلم يمكنه
الولوج في جوفه ولا الكلام وهم يحتشدون في التضرع إليه والمريض لا يزداد
بذلك إلا ألماً وجهداً

فلما طال عليهم ذلك قالوا للاجب أيها الملك إن في ناحية الشام آلهة أخرى
وهي في العظم مثل إلهك فابعث إليها الأنبياء يشفون لك إليها فاعلمها أن تشفع
لك إلى بهل فإنه غضبان عليك ولولا غضبه عليك لكان قد أجابك وشفى
مرض ابنك فقال لاجب لآى شيء غضب على وأنا أطيعه وأطلب رضاه ولم
أسخطه ساعة قط

قالوا من أجل أنك تقتل إلياس وفرطت فيه حتى نجا سالماً وهو كافر
بإلهك يعبد غيره فذلك الذى أغضبه عليك

قال لاجب وكيف لي أن أقتله في يومى هذا وأنا مشغول عن طلبه بوجع
ابنى وليس لإلياس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصد فلو عوفي ابنى تفرغت
لطلبه ولم يكن لي هم ولا شغل غيره حتى آخذه وأقتله وأريح إلهى منه وأرضيه
قال ثم إنه بعث لأربعمائة نبي إلى الآلهة التى بالشام يسألونها أن تشفع لصنم
الملك ليشفى ابنه فأنطلقوا إلى الأصنام فيكلموها فمنع الله عز وجل الشيطان من

الولوج في الأصنام ولم تكلمهم فرجعوا إلى الملك وأخبروه بذلك . فقال الملك وكيف لي أن أقتل إلياس في هذا اليوم . قال فخرج أربعمائة حتى إذا كانوا بجبال الجبل الذي فيه إلياس أوحى الله إليه أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويستوقفهم ويكلمهم وقال له لا تخف فإني سأصرف عنك شرهم وألقى الرعب في قلوبهم فنزل إلياس من الجبل فلما لقيهم استوقفهم فلما وقفوا قال لهم إن الله أرسلني إليكم وإني من وراءكم فاسمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوها أصحابكم ارجعوا إليه وقولوا له إن الله تعالى يقول لك أنت تعلم يا لاجب إنني أنا الله لا إله إلا أنا إله بني إسرائيل الذي خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم فلا يحملنك جهلك وقلة عقلك على أن تشرك بي وتطلب الشفاء لإبنك من غيري ممن لا يملكون لأنفسهم شيئاً إلا ما شئت وإن آليت باسمي لأغيظنك في إبنك ولأميته من فوره هذا حتى تعلم أن أحداً لا يملك لهم شيئاً دوني .

فلما قال لهم ذلك رجعوا وقد ملئوا منه رعباً فلما صاروا إلى الملك ووصلوا إليه قالوا له ما قال لهم إلياس وأخبروه بأن إلياس انحط عليهم من الجبل وهو رجل نحيف طويل وقد قشف وقحل وتمط شعره ويديس جلده وعليه جبة من شعر وعباءة قد خللها على صدره بخلال قاستوقفنا . فلما وقفنا صار معنا قذف له في قلوبنا الرعب والهيبة وتقطعت ألسنتنا ونحن في هذا العدد الكثير . وهو واحد فلم نقدر أن نكلمه ونراجعه وملاً أهيئنا منه حتى رجعنا إليك .

ثم إنهم قصوا عليه كلام إلياس فقال لاجب لا أنتفع بالحياة مادام إلياس حياً ما الذي منعكم أن تبطشوا به حين لقيتموه وتوثقوه وتأتونى به . وأنتم تعلمون أنه طلبني وعدوى ؟ وقالوا قد أخبرناك بالذي منعنا عنه ومن كلامه هو البطش به .

فقال لاجب إذا ما نطبق إلياس إلا بالمكر والخديعة فقبض له خمسين رجلاً من قومه من ذوى القوة والبأس وعهد إليهم عهده وأمرهم بالأحتيال عليه وأن يطعموه بأنهم قد آمنوا به ومن وراءهم ايطمنن إليهم ويفتر بهم ويمكنهم من نفسه فيأتون به ملكهم فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذى فيه إلياس عليه السلام ثم أنهم تفرقوا فيه وهم ينادون بأعلى أصواتهم ويقولون يا نبي الله ابرز لنا وأشرف علينا بنفسك فإننا قد آمننا بك وصدقناك وملكنا لاجب وكذلك جميع قومنا مقرون بذلك ويقرءون عليك السلام ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ما قلت وآمننا بك وأجبناك إلى ما دعوتنا إليه فلم إلينا فأنت نبينا ورسول ربنا فأقم بين أظهرنا وأحكم بيننا فإننا نثقك إلى ما تأمرنا وننتهى عما نهيتنا وليس يسمعك أن تتخلف عنا بعد إيماننا بك وطاعتنا لك فتداركنا وارجع إلينا وكل هذا مكر منهم وخديعة .

فلما سمع إلياس مقاتلتهم وقع في قلبه إيمانهم وخاف الله وأشفق من سخطه إن هو لم يظهر إليهم يجيبهم بعد الذى سمع منهم فلما صمم على البروز إليهم رجع إلى نفسه وقال لو إنى دعوت الله تعالى فسألته أن يعلفى ما فى نفوسهم ويطلعنى على حقيقة أمرهم .

وكان ذلك إلهاماً من الله تعالى وتوفيقاً له فقال اللهم إن كانوا صادقين فما يقولون فأذن لي فى البروز إليهم وإن كانوا كاذبين فأكفينهم وأرهم بنار تحرقهم جميعاً فما استقم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم فأحرقوا جميعاً .

قال وبلغ لاجب وقومه الخبر فلم يرتد عن ضمير السوء واحتمال ثانياً فى أمر إلياس فقبض له فئة أخرى مثل عدد أولئك وأقوى منهم وأمكن فى الحيلة والرأى فأقبلوا حتى وافوا ذلك الجبل وارتقوه متفرقين وجعلوا ينادون يا نبي الله إنه نعوذ بالله وبك من غضب الله وسطوته إنا لسنا كالذين أتوك قبلنا أولئك فرقة بافقوا وخالفوا .

فصاروا إليك ليمكروا بك من غير رأينا ولو علمنا بهم لقتلناهم والآن قد
كفناك الله أمرهم وأهلكهم بسوء نياتهم وانتقم لنا ولك منهم .

فلما سمع إيلياس مقاتلتهم دعا الله بدعوته الأولى فأمطر الله عليهم نارا
فأحرقوا جميعاً عن آخرهم كل ذلك وابن الملك في البلاء الشديد من
وجهه كما وعده الله تعالى على لسان نبيه إيلياس لا يقضى عليه فيموت ولا يخف
عنه من عذابه .

فلما سمع الملك بهلاك أصحابه ثانياً ازداد غيظاً إلى غيظه وأراد ان يخرج في
طلب اليباس بنفسه إلا أنه شغله عن ذلك مرض ابنه فوجه نحو اليباس الكاتب
الذي هو كاتب امرأته رجاء أن يأنس إليه فينزل معه وأظهر الكاتب أنه
لا يريد باليباس سوءاً ولا مكرها وإنما أظهر له ذلك لما طلع عليه من إيمانه .

وكان الملك مع اطلاعه على إيمانه مفضنباً عنه لما هو عليه من الكفاية والأمانة
والحكمة وسداد الرأي والبصيرة بالأمور .

فأوحى الله تعالى إلى اليباس أن كل ما جاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك
وأن لا يجب إن أخبرته رسلك إنك لقيت هذا الرجل ولم يأت بك إليه فإنه
يتهمه ويعرف أنه قد داهن في أمرك ولم يأمن أن يقتله فانطلق معه فإن الطلاق
معه عذرة وبراءته عند لا يجب وإني سأشغله عنك وأضعف على ابنه البلاء حتى
لا يكون له هم غيره ثم أميته على شر حال فإذا مات هو فارجع أنت ولا تقم عنده
قال فانطلق إيلياس معهم حتى قدموا على لا يجب فلما دخلوا عليه شدد الله على ابنه
بالوجع وأخذ الموت بكظمه فشغل الله بذلك لا يجب وأصحابه عن اليباس ورجع
إلياس سالماً إلى مكانه .

فلما مات ابن لاجب وفرغوا من أمره قد جزعه انثبه لإلياس وسأل عنه
المكاتب المؤمن الذي جاء فقال له ليس لي به علم وذلك أنه قد شغلني عنه موت
ابنك والجزع عليه ولم أكن أحسبك إلا قد استوثقت منه فأطرق عنه لاجب
وترد لما كان به من الحزن على ابنه .

فلما طال الأمر على إلياس من المسكث في الجبل والمقام به واشتاق إلى
العمران والناس فنزل من الجبل والطلاق حتى نزل بأمرأة من بني إسرائيل وهي
أم يونس بن متى ذى النون فاستخفي عندها ستة أشهر ويونس ابنها يومئذ مولود
رضيع وكانت م يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها ولا تدخر عنه
كرامة تقدر عليها .

قال ثم إن إلياس عليه السلام سم ضيق البيوت بعد قعوده في الجبال وأوحشها
فأحب اللحوق في الجبال فعاد إلى مكانه في الجبال فجزعت أم يونس لفراقه وأوحشها
فقدته ثم لم يلبث إلا قليلا حتى مات ابنها يونس حين فطمته فعظمت مصيبتها
فخرجت في طلب إلياس فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه ووجدته
فسلمت عليه وقالت له إنى فجعت بعدك بموت ابنى وعظمت به مصيبتى واشتد
لفقدته بلائى وليس لي ولد غيره فأرحمى وادع ربك تعالى أن يحيى لي ابنى ويحبر
مصيبتى فإنى قد تركته مسجى لم أدفنه وقد خفيت مكانه .

فقال لها إلياس عليه السلام ليس هذا بما أمرت به وإنما أنا عهد مأمور أعمل
بما أمرنى ربي به ولم يأمرنى بهذا فجزعت المرأة وتضرعت فمظف الله قلب إلياس
عليها فقال لها ومتى مات ابنك ؟ فقالت منذ سبعة أيام .

فانطلق إلياس عليه السلام معها وسار سبعة أيام حتى أتى إلى منزلها فوجد
ابنها يونس ميتاً منذ أربعة عشر يوماً فتوضأ إلياس وصلى ودعا فأحيا الله يونس
ابن متى فلما عاش وجلس وثب إلياس وانصرف وتركه وعاد إلى موضعه

قال ، فلما طال عصيان قومه ضاق إلياس بذلك ذرعاً وأجهد به البلاء فأوحى الله
إليه بعد سبع سنين وهو خائف مذعور بجمود يا إلياس ما هذا الحزن والجزع
الذي أنت فيه ألسنت أميني علي وحيي وحجتي في أرضي وصفوتي من خلقي فاسألني
أعظك فإني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم .

قال إلياس عليه السلام : تميتني وتلحقني بأبائي فإني قد مللت بني إسرائيل
وملوني وأبغضتهم فيك وأبغضوني ، فأوحى الله إليه يا إلياس ما هذا اليوم الذي
عري منك الأرض وأهلها وإنما قوامها وصلاحها بك وأشباهك ولكن سألني
أعظك قال إلياس : فإن لم تمتني يا إلهي فأعطني ثأري من بني إسرائيل .

فأوحى الله تعالى إليه فأى شيء تريد أن أعطيك يا إلياس قال تميتني من
خزائن السماء سبع سنين فلا تنشق عليهم سحابة إلا بدعوتي ولا تمطر عليهم سبع
سنين قطرة إلا بشفاعتي فإنهم لا يذلم إلا ذلك قال الله تعالى يا إلياس أنا أرحم
بعبادي من ذلك وإن كانوا ظالمين قال فست سنين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك
وإن كانوا ظالمين قال فخمس سنين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك وإن كانوا ظالمين
قال فأربع سنين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك وإن كانوا ظالمين وأكن أعطيك
ثأرك منهم ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك ولا أنشر عليهم سحابة إلا بدعوتك
ولا أنزل عليهم قطرة إلا بشفاعتك قال إلياس فأى شيء أعيدش ؟

قال أسخر لك جيشاً من الطير تنقل إليك طعامك وشرابك من الريف والأرض
التي لم تقحط قال إلياس قد رضيت فأمسك الله المطر عنهم ثلاث سنين حتى هلكت
المواشى والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهداً شديداً وإلياس على حاله
مختلف من قومه بموضع يذساق له فيه الرزق ويأنيه حيثما كان وقد عرفه بذلك
قومه ؟ فمكانوا إذا وجدوا ريح الخبز في بيت قالوا لقد دخل إلياس هذا المكان
فيطلبونه ويلقى منهم أهل ذلك المكان شراً .

قال ابن عباس ، أصاب بني إسرائيل القحط ثلاث سنين متواليات فرأى إيلياس
يبسجوز فقال لها هل عندك طعام فقالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل فجاءته
شيء من الدقيق والزيت فدعا فيهما بالبركة ومسهما فبارك الله في ذلك حتى ملأت
جراهما دقيقاً وملأت خوابيها زيتاً فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عندما قالوا لها
من أين لك هذا ؟ قالت مرني رجل من حالة كذا وكذا ووصفته بهصفته فمر فوه
وقالوا لها ذلك إيلياس ثم إنهم طلبوه فوجدوه فهرب منهم إلى الجبال والله أعلم .

(قصة اليسع عليه السلام)

ويروى إن إيلياس أتى إلى بيت امرأة من بني إسرائيل لها ابن يسمى اليسع
ابن أخطوب وكان به ضر فمآرتة وأخفت أسرته فدعا له فعوفي من الضر الذي كان
به واتبع اليسع إيلياس وآمن به وصدقته ولزمه فكان يذهب معه حيثما ذهب .

وكان إيلياس قد أسن وكبر وكان اليسع غلاماً شاباً ثم إن الله تعالى أوحى إلى
إيلياس عليه السلام إنك أهلك كثير من الخلق ممن لم يهتدون سوى بني
إسرائيل من البهائم والدواب والحوام والشجر والنبات بحبس المطر عن بني
إسرائيل فيزعمون والله أعلم أن إيلياس قال يارب دعني أكون الذي أدعو لهم
وأتبهم بالفرج بما هم فيه من البلاء الذي أصابهم لعلمهم يرجعون عما هم عليه من
عبادة غيرك فتقبل له نعم فجاء إيلياس إلى بني إسرائيل وقال لهم ويلكم إنكم قد
هلكتم جوعاً وجهداً وهلكت البهائم والدواب والطيور والشجر والنبات بحبس
المطر عنكم بخطاياكم ولأنكم على باطل وغرور فإن كنتم تحبون أن تعلموا أن
أصنامكم التي تدعونها من دون الله لن تنفي عنكم شيئاً فاخرجوا بأصنامكم هذه فإن
الاستجابات لكم فذلك كما تقولون وإن هي لم تفعل علمتم إنكم على باطل وغرور فزعم
عنها ودعوت الله تعالى أن يفرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء قالوا أنصفت فخرجوا
ومعهم أوثانهم فدعوها فلم تستجب لهم ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء .

فقالوا يا الياس إنا هلكنا فادع الله لنا فدعا الله الياس ووجه اليسع عليهم السلام بالفرج مما هم فيه وأن يسقوا فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون إليها فأقبلت نحوهم وطبقت عليهم الأفق ثم أرسل الله عليهم المطر فأغاثتهم وأحيت بلادهم .

قالوا فشكروا إلى الياس هدم الجدران وعدم البذر ، وقالوا ليست لنا حبوب . فوحى الله تعالى إليه أن يأمرهم بأن يبذروا الرمل فأنت الله لهم منه الدخن فلما كشف الله تعالى عنهم الخمر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم ولم يقلعوا عن ضلالهم وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه .

فلما رأى الياس ذلك دعا ربه أن يزيحه منهم فقبل له انتظار يوم كذا وكذا فخرج لي موضع كذا كذا فإذا جاءك شيء فاركبه ولا تبهه فخرج الياس ووجه اليسع بن أخطوب حتى إذا كان بالموضع الذي أمر بالخروج إليه أقبل فرس من فارس حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرني به فقدف إليه كساءه من الجو الأعلى فكان ذلك علامة على استخلاف إياه على بني إسرائيل وذهب الياس وكان ذلك آخر العهد به .

ونبأ الله تعالى بفضله اليسع عليه السلام وبعثه نبياً ورسولاً إلى بني إسرائيل وكانوا يعظمونه وينتفون إلى رأيه وأمره وحكم الله تعالى فيهم قائم إلى أن فارقم اليسع .

أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن محمد الحافظ عن عبد العزيز بن أبي داود قال إن الخضر والياس عليهما السلام يصومان شهر رمضان ببیت المقدس ويوافقان الموسم في كل عام .

وأخبرني ابن فتحويه عن رجل من أهل عسقلان أنه كان يمشى بالأردن عند نصف النهار فرأى رجلاً فقال يا عبد الله من أنت ؟ فقال أنا إلياس قال فوقعت

على رعدة شديدة فقلت له ادع الله أن يرفع عنى ما أجد حتى أفهم حديثك وأعقل
عنك قال قد دعا لي بثمان دعوات وهن : يا بر يا رحيم يا منان يا حنان يا حي
يا قيوم ودعوتين بالسرانية لم أفهما - وقيل هما باهيا شراهما فرفع الله عنى
عما كنت أجد ووضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين يدي فقلت له أيوحى
إليك اليوم ؟ فقال منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولا فإنه لا يوحى إلى ، قال فقلت له كم
من الأنبياء اليوم أحياء ؟ قال أربعة إثنان في الأرض وإثنان في السماء أما اللذان
في السماء فعيسى وإدريس عليهما السلام - وأما اللذان في الأرض فإنتاس والخضر
عليهما السلام .

قلت كم الأبدال ؟ قال ستون رجلا خمسون منهم من لدن عرش مهصر إلى
شاطيء الفرات ورجلان بالصبيصة ورجلان بمسقلان وسبعة في سائر البلدان كلما
أذهب الله واحدا منهم جاء بآخر مكانه وبهم يدفع الله عن الناس البلاد وبهم يطرون
قلت فالخضر اين يكون ؟ قال في جزائر البحر فقلت هل تلقاه قال نعم قلت أين
قال بالموسم قلت فما يكون حديثك ؟ قال يأخذ من شعري وأخذ من شعره .

قال وكان ذلك حين جرى بين مروان بن الحكم وبين أهل الشام القتال قلت
فما تقول في مروان ابن الحكم ؟ قال رجل جبار عات على الله تعالى والقاتل والمقتول
والشاهد في النار قلت : فإنى قد شهدت ولم أظن برح ولا رحمت بسهم ولم أضرب
بسيف وأنا أستغفر الله من ذلك المقام أنت أدعو إلى مثله أبدأ قال أحسنت
فهمكذا تكون .

قال فبينما أنا وإياه قاعدان إذا وضع بين يديه رغيمان أشد بياضا من الثلج
فأكلت أنا وهو رغيفا وبعض الآخر ثم رفعت رأسي وقد رفح باقي الرغيف الآخر
فأريت أحدا وضعه ورأيت أحدا رفعه ، قال وله ناقة ترعى في وادي الأردن
تأخذ رأسه إليها فلما دعاها جاءت ويركت بين يديه فركبها فقلت له إنى أريد أن

أصبحك قال وإنك لا تقدر على صحبتي قال فقلت له إني نخلو لازوجتي ولا عيال
قال تزوج وإياك والنساء الأربع الناضرة والمختلعة والملاعنة والبرزة وتزوج
مابدا لك من النساء قال فقلت إني أحب أن ألك قال فإذا رأيتني فقد لقيتني إني
أعتكف في بيت المقدس في شهر رمضان ثم حالت بيني وبينه شجرة فوالله ما أدري
كيف ذهب وهذه آخر القصة .

(مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام)

قال الله تعالى (وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين) قال بجاهد
لما كبر اليسع قال : لو إني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى
أنظر كيف يعمل فجمع الناس ثم قال من يقكفل لي بثلاث استخلفته يصوم النهار
ويقوم الليل ولا يفضب ، فقام إليه رجل شاب تزدرية العميون فقال أنا فرده
ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الثاني فسكت الناس فقام ذلك الرجل وقال : أنا
أعمل ذلك فاستخلفه .

قال فلما رأى إبليس ذلك جعل يقول للشياطين عليكم بنلان فأعيامهم فقال
دعوني وإياه فأتاه في صورة شيخ كبير فقير حين أخذ مضجعه للقائه وكان لا ينام
بالليل والنهار إلا تلك النومة فدق إبليس الباب فقال من هذا ؟ فقال شيخ كبير
مظلوم ففتح الباب فجعل يقص عليه القصة ويقول أنا بيني وبين قومي خصومة
وإنهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى حضر وقت الرواح وذهب
للقائلة فقال له إذا رحمت فأني آخذ لك بحقك فانطلق وراح إلى مجلسه فلما جلس
جعل ينظر ليرى الشيخ فلم يره وقام يتبعه .

فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينظره فلم يره فلما رجع إلى القائلة وأخذ
مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا ؟ فقال أنا الشيخ المظلوم ففتح له ؛ وقال
لم أقل لك إذا قعدت فأنتي فقال إنهم أخبرك قوم إذا عرفوا إنك قاعد يقولون
نحن نعطيك حقتك وإذا قمت جهدونى قال فانطلق فإذا رحمت فأنتي وفانتة القائلة

فراح وأقبل وجعل ينظره فلا يراه فشق عليه الناس فقال ابهض أهله لا تدعى أحداً يقرب هذا الباب حتى أقوم فإنه قد شق على عدم النوم .

فلما كانت الساعة جاء فلم يأذن له أحد فلما أعياه نظر فإذا كوة في البيت فتسور منها فإذا هو في البيت وإذا به يدق الباب من الداخل فاستيقظ الرجل وقال يا فلان ألم أمرك أن لا تأذن لأحد على فقال أما من قبلي فما أتى فالنظر من قبيل من أتى ، فقام إلى الباب فإذا هو مغلق كما أغلقه وإذا الشيخ معه في البيت فقال له ؛ أتنام والخصوم يبالبك فمر فله فقال له يا عدو الله ما ألباك إلى هذه الأفعال؟ فقال له إنك أعييتني في كل شيء أردت بك ففعلت بك ما ترى لا غضبك فعمصك الله مني فسمى ذا الكففل لأنه تكففل بأمر فوفى به .

أخبرنا ابن فتحويه ، قال حدثنا عمر بن المفضل عن أبي هاشم أخبرنا ابن الفضل قال أخبرنا الأعمش عن عبد الله بن عبد الله الداري عن سعيد عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يحدث حديثاً لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين لم أحدث . سمعته منه أكثر من سبع مرات يقول (كان في بني إسرائيل رجل يقال له ذا الكففل لا يزرع عن ذنب عمله فاتبع امرأة فأعطاهما ستين ديناراً على أن تعطيه نفسها فلما وقعت منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت وبكت فقال لها ما يبكيك فقالت من هذا الفعل فإني ما فعلته قط ، فقال لها أكرهتك ؟ قالت لا ولا سكني حملتني عليه الحاجة فقال لها اذهبي فمى لك) .

ثم إنه قال والله لا أعصى الله بعد ها قط أبداً فمات من ليلته فقيل مات ذوالكففل فوجدوا بباب داره مكتوباً (إن الله تعالى قد غفر لذي الكففل)

وقال أبو موسى الأشعري : إن ذا الكففل لم يكن نبياً وإنما كان عبداً صالحاً تسكفل بعمل رجل صالح وكان يصلي لله تعالى في كل يوم مائة صلاة فأحسن الله عليه الثناء ، وقيل هو إلياس ؛ وقيل هو زكريا والله اعلم بالصواب .

(مجلس في قصة عيلى وشمويل وهو إسماعيل بالبرانية وقصة التابوت)
وخبر طالوت وجالوت وهذه قصة كبيرة تشتمل على أبواب كثيرة ؛

قال الله تعالى (ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل) الآية

(فصل في سياق ومقدمة القصة) قال وهب بن منبه ؛ لما نبأ الله تعالى اليسع بعد الياس عليهما السلام واستخلفه على بنى إسرائيل وكان فيهم ما شاء الله أن يكون ثم قبضه الله تعالى إليه وخلف فيهم الخلوف وعظمت فيهم الخطايا ؛ وكان عندهم التابوت يتوارثونه كبراً عن كبر ، فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون وكانوا لا يلقاهم عدو فيقدموا التابوت ويزحفون به معهم إلا هزم الله تعالى ذلك العدو وكان الله تعالى قد بارك لهم في أرزاقهم فمكان أحدهم فيما يذكرون يجمع التراب على صخرة ثم يذر فيه الحبوب فيخرج الله ما يأكل منه هو وعباله ويكون لأحدهم الزيتون فيعصر منها ما يأكل هو وعباله سنة

فلما كثرت أحداثهم وعظمت ذنوبهم وتركوا ما عبد الله اليهم ساط الله عليهم العمالة وهم قوم كانوا يسكنون غزة وعسقلان وساحل البحر ما بين مصر وفلسطين وكان جالوت الملك فيهم فظفروا على بنى إسرائيل وغلبوهم على كثير من أراضيهم وسبوا كثيراً من ذريتهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربع مائة وأربعين غلاماً وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توارثهم وبقوا على اضطراب من أمرهم واختلاف من حالهم يتجادون أحياناً في غيبتهم وضلالهم فسلب الله تعالى عليهم من ينتقم له منهم ليرجعوا إلى التوبة أحياناً ويكفيهم الله شر من بنى عليهم حتى بعث الله فيهم طالوت ملكاً ورد عليهم توارثهم فانتظم أمرهم واستوثق ملكهم وكان مدة ما بين وفاة يوشع بن نون التي آل أمر بنى إسرائيل في بلال السماء المبرومة منهم وفي بعضهم

إلى غيرهم من يقرهم ويتملك عليهم إلى أن ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة اليهم
بشمويل النبي عليه السلام أربعاً وستين سنة وكان آخر من ملكهم في هذه المدة
رجل يقال له إيلاف وكان يدبر أمرهم في ملكه شيخ كبير يقال له عيلي الكاهن
كان حبرهم وصاحب قربانهم وكان ينتهون إلى رأيه فلما مضى مضى من وقت قيام
بأمرهم مدة بعث الله شمويل نبياً .

(القول في بدء أمر شمويل وصفة نبوته صلى الله على نبيتنا وعليه وسلم)

قال وهب بن منبه - كان لآني شمويل امرأتان إحداهما عجوز عاقرة لم تلد له
ولداً وهي أم شمويل ؛ والآخرى قد ولدت له عشرة أولاد

قال وكان لبني إسرائيل عيد من أعيادهم أقاموا فيه شرائطه وقربوا القرابين
فحضر أبو شمويل وامرأتان وأولاده العشرة ذلك العيد .

فلما قربوا قربانهم أخذ كل واحد منهم نصيباً وكان لأم الأولاد عشرة أنصباء
وللعجوز نصيب واحد ؛ فعمل الشيطان بينهما ما يعمل بين الضرائر من الحسد
والبغى ، فقالت أم الأولاد للعجوز الحمد لله الذي كثرتي بولدي وقلبك فرجت
العجوز وجوماً شديداً ، فلما كان عند السحر عمدت إلى متعبدتها فقالت ؛ اللهم
بعلمك وسمك كانت مقالة صاحبتى واستطالتمها على بنعمك التي أنعمتها عليهما وأنت
ابتدأتها بالنعمة والإحسان فارحم ضعفي وارزقني ولداً تقياً راضياً واجعله لي
ولك ذخراً في مسجد من مساجدك يعبدك ولا يكفرك ويطيعك ولا يجهدك فإذا
رحمت ضعفي ومسكني وأجبت دعوتي فاجعل لي علامة أعرف بها قبول دعائي
فلما أصبحت حاضت وكان قبل ذلك يئست من الحيض فجعله الله علامة لها
صألته فألم بها زوجهما فحملت وكنمت أمرها ولقي بنو إسرائيل في ذلك الوقت
من عدوهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم فكانوا يسألون الله تعالى أن
يبعث لهم نبياً يشير عليهم ويجاهدو عدوهم معه وكان سبب النبوة قد هلك ولم

يعيق منه إلا تلك المرأة الحبلى ، فلما علموا بحبلها تعجبوا من أمرها ، وقالوا
حملت إلا نبي ؛ لأن اليائسات لا يحملن إلا الأنبياء كسارة امرأة ابراهيم عليه
السلام حملت بإسحاق وإشعاع امرأة زكريا حملت ييحيى عليه السلام فأخذوها
وحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبذلها بغلام لما ترى من رغبة بنى إسرائيل
في ولدها فجعلت المرأة تدعو الله تعالى أن يرزقها ولداً ذكراً فولدت غلاماً
وسمته شمويل تقول سمح الله دعائي فلما شب الغلام أسلمته ليتعلم التوراة فكماله الشيخ
عيلي وتبناه .

فلما بلغ الغلام الوقت الذي يبعثه الله فيه نبياً أتاه جبريل عليه السلام وهو
تائب إلى جانب الشيخ عيلي السكاهن وكان لم يأمن عليه أحدا فدعاه جبريل فقال
الشيخ يا شمويل فقال الغلام مرعوباً إلى الشيخ وقال يا أبتاه ادعوتني فكره
الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام ، فقال يا بني أرجع فتم فرجع الغلام فنام ثم دعاه
جبريل ثانياً فانتبه الغلام وقال ادعوتني يا أبتاه فقال الشيخ ما شأنك ؟ قال أما
ادعوتني ؟ قال لا فقال شمويل فإني سمعت صوتاً في البيت وليس فيه غيرنا فقال
الشيخ أرجع فتوضأ وصل فإنك أن دعيت بإسمك فأجب وقل لبيك أنا طوعك
فأمرني بما شئت أفعل ما تأمرني به ففعل ذلك الغلام فنودي ثالثة ، فقال لبيك
أنا طوعك فأمرني بأمر أفعل ما تأمرني به فظهر له جبريل عليه السلام ؛ فقال
له اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك فإن الله سبحانه عز وجل قد بعثك فيهم
نبياً وإن الله قد ذرأك يوم ذرأك للنبوة ورحم وحدة أمك ذلك اليوم الذي
تباهت عليها ضررتها فيه فلا أحد اليوم أشد منها عنصداً ولا ملاذاً فانطلق إلى الشيخ
عيلي فقل له إنك كنت خليفة الله على عبادته ودينه فقمتم زماناً بأمره كما بكتابه
محافظاً على حدوده .

فلما امتدت مدتك وودق عظمك وذهبت قوتك وفنى عمرك وقرب أجلك
وصرت أفقر ما يكون إلى الله تعالى ولم تزل فقيراً إليه عطلت الحدود ووجرت بين

لخصوم وعملت بالرشا والمصانعات وأضعفت حكم الحق عن الباطل وأمله
وذل الحق وحزبه وظهر المنكر وخفى المعروف وفشا الكذب وقل الصدق
وما كان الله حامداً في هذا ولا عليه استخلك فبئسما ختمت به عملك ؛ والله
لا يحب الخائنين .

قال وهب بن منبه - بعث الله شمويل نبياً فلبثوا أربعين سنة في أحسن حال
كان من أمر جالوت والعمالة ما كان فتمألوا شمويل عليه السلام أن يبعث لهم
ملكاً فذلك قوله تعالى (ألم تر إلى الملائكة من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا
لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله) يعنى شمويل وهو بالعبيرية اسماعيل
ابن إلهي بن علقمة بن ماجد بن عموصا بن النهر بن صنون بن علقمة صاحب عموصا
ابن عروبيا وقال مجاهد هو شمويل بن هلفافا ولم ينسبه أكثر من ذلك .

وقال مقاتل - هو من نسل هرون عليه السلام فقال لهم نبيهم - هل عسى يتم
ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا فأجابوا بما قص الله في كتابه (قالوا وما لنا
ألا نقاتل في سبيل الله وقد خرجنا من ديارنا) الآية فلما أخذ شمويل عليهم
الميثاق على الطاعة والجماعة والجهاد سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكاً .

(ذكر قصة الملك طالوت واثبات التابوت وحرب جالوت وما يتعلق به)

قال الله تعالى (وقال لهم نبيهم أن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً) الآية .

قال المفسرون - أن شمويل لما قالوا له ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله
سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكاً فأتى بعصا وقرن فيه دهن القوس وقيل له إن
صاحبكم الذي يكون ملكاً طولاً له طول هذه العصا وانظر إلى القرن الذي فيه الدهن
فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملك بنى إسرائيل فادهن
به رأسه وملكه عليهم ثم انهم قاموا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلها وكان طالوت

وطولها واسمها بالسريانية سادل وبالعبرانية شاول بن قيس بن أفيل بن صارون بن
نحورت بن أفيج بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل
عليه السلام وكان رجلاً دباغاً يعمل الأدم .

قال وهب بن منبه (كان يدبغ الجلود) وهكرمة والسدي يقولان كان سقاء
يستقى على حمار له من الثيل فضل حماره فخرج في طلبه .

قال وهب بن منبه : بل ضاعت حمر لابن طالوت فأرسله وغلاماً له يطلبانها
فرا بيت شمويل عليه السلام فقال الغلام لطلوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه
يرشدنا ويدعو لنا فيها بخير فقال له نعم فدخلا عليه .

فبينما هما عنده يذكران له خبر الحمر إذ نشأ الدهن في القرن فقام شمويل وقاس
طالوت بالعصا فكانت على طولها فقال له شمويل قرب رأسك إلى فدهنه بدهن القدس
ثم قال له . أنت ملك بني إسرائيل وقد أمرني ربي أن أمسكك عليهم فقال طالوت
أنا فقال نعم قال أو ما علمت أن سبطي أدنى أسباط بني إسرائيل قال بل قال أو
ما علمت أن بيتي أدنى بيت في بني إسرائيل قال بلى قال فبأي آية قال بآية أنك ترجع
وقد وجد أبوك الحمر فكان كذلك ثم أن شمويل قال لبني إسرائيل، أن الله قد بعث
لكم طالوت ملكاً .

قال مجاهد أميراً على الجيش (فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك
منه ولم يؤت سعة من المال) وإنما قالوا ذلك لأنه كان في بني إسرائيل سبطان
سبط نبوة وسبط ملكة وكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنهم موسى
وهرون وسبط الملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنهم داود وسليمان عليهما السلام
ولم يكن طالوت من سبط النبوة ولا من سبط الملكة وإنما كان من سبط بنيامين
ابن يعقوب وكانوا عملوا ذنباً عظيماً كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهاراً
فغضب الله عليهم ونزع النبوة والملك منهم .

قال ابن كيسان وكان طالوت أجمل رجل في بني إسرائيل وأعلمهم (والله
يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم) قالوا فما آية ذلك قال لهم نبيهم إن آية
ملكه أن ياتيكم التابوت الآية

(قصة التابوت وصفته وابتداء أمره إلى انتهائه)

قال أهل التفسير وأصحاب الأخبار - إن الله تعالى أهبط تابوتاً على آدم عليه
السلام من الجنة حين أهبط إلى الأرض فيه صور الأنبياء من أولاده وفيه بيوت
بعدد الرسل منهم وآخر البيوت بيت محمد ﷺ من ياقوتة حمراء وإذا هو قائم
يصلى وعن يمينه الكهل المطيع مكتوب على جبينه هذا أول من يتبعه من أمته
أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعن يساره الفاروق وعلى جبينه مكتوب قرن من
حديد لا تأخذه في الله لومة لائم ، ومن ورائه ذو النورين آخذه بحجرته مكتوب
على جبينه بار من البررة ومن بين يديه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه شاهر
سيفه على عاتقه ومكتوب على جبينه هذا أخوه وابن عمه المؤيد بالنصر من عند
الله وحوله عمومته والخلفاء والنقباء والكهبة الخضراء أنصار وأنصار رسوله
نور حوافر دوابهم يوم القيامة مثل نور الشمس في دار الدنيا

وكان التابوت نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين وكان من عود الشمشاذ الذي
يتخذ منه الأمشاط مملوءة بالذهب وكان عند آدم عليه السلام إلى أن مات ثم عند
شيث إلى أن مات ثم توارثه أولاد آدم إلى أن بلغ إلى إبراهيم عليه السلام فلما
مات كان عند إسماعيل لأنه أكبر ولده فلما مات إسماعيل كان عنده ولده قيناز
فنازعه فيه ولد إسحق وقالوا له إن النبوة صرفت عنكم وليس لكم إلا هذا النور
الواحد يعني نور محمد ﷺ فاعطنا التابوت فكان يتمتع عليهم ويقول أنه وصية أبي
ولا أعطيه لأحد من العالمين

قال فذهب ذات يوم ليفتح ذلك التابوت فمسر عليه فتحة فناداه مناد من السماء مهلاً يا قيذار فليس لك إلى فتح هذا التابوت سبيل أنه وصية نبي ولا يفتحه إلا نبي فادفعه إلى ابن عمك يعقوب إسرائيل الله فحمل قيذار التابوت على عنقه وخرج يريد أرض كنعان وكان بها يعقوب عليه السلام قال فلما قرب قيذار صر التابوت صرة سمها يعقوب عليه السلام فقال لبنيه أقسم بالله لقد جاءكم قيذار بالتابوت فتقوموا نحوه فقام يعقوب وأولاده جميعاً فلما نظر يعقوب إلى قيذار سعى إليه باكياً وقال يا قيذار مالي أرى لولني متغيراً وقوتك ضعيفة أرهقك عدو أم أتيت بمعصية بعد أبيك إسماعيل؟ قال ما أرهقني عدو ولا أتيت بمعصية واسكن أثقل ظهري نور محمد ﷺ فلذلك تغير لوني وضعف ركني .

قال يعقوب أفي بنات إسحق؟ قال لا واسكن في العربية الجرهمية وهي العامرية فقال يعقوب بنح شرفاً لمحمد ﷺ لم يكن الله لينخرجه إلا في العربيات الطاهرات يا قيذار وأنا مبشرك ببشارة قال وما هي؟ قال اعلم أن العامرية ولدت لك البارحة غلاماً قال قيذار وما عليك يا ابن عمي وأنت بأرض الشام وهي بأرض الحرم؟ قال يعقوب قد علمت ذلك لأنني رأيت أبواب السماء قد فتحت ورأيت نورا كالقمر المدور بين السماء والأرض ورأيت الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة فعلمت أن ذلك من أجل محمد ﷺ ثم أن قيذار دفع التابوت إلى ابن عمه يعقوب ورجع إلى أهله فوجدها قد ولدت غلاماً فسماه حملاً وفيه نور محمد ﷺ .

قالوا كان التابوت في بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى وكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعاً من متاعه وكان عنده إلى أن مات ، ثم تداولته أنبياء من إسرائيل إلى وقت شمويل عليه السلام فوصل إلى شمويل وقد تكامل أمر التابوت بما فيه وكان فيه ما ذكر الله في كتابه (فيه سكينته من ربكم)

(م ١٩ - قصص الأنبياء)

واختلفوا في السكينة ما هي فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ؛ السكينة ريح يخرج هفاقة لها رأسان ووجهان كوجه الإنسان .

وقال مجاهد لها رأس كراس الهرة وذنب وجناحان .

وقال محمد بن إسحاق بن وهب بن منبه عن بعض علماء بني إسرائيل في السكينة رأس هرة وكانت إذا صرخت في التابوت صرخة أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح .

وروى السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال ؛ هي طست من ذهب الجنة يفصل فيه قلوب الأنبياء .

وكانت قصة ذلك التابوت أن القوم الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها أردن وجعلوه في بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الأعظم فأصبحوا من الغد وإذا الصنم تحته فأخذوه وجعلوه فوقه وسمروا قدمي الصنم على التابوت فأصبحوا من الغد وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه وأصبح ملقى تحت التابوت فأصبحت الأصنام كلها منكسة فأخرجوه من بيت الأصنام ووضعوه في مكان قريب بقرية في ناحية من مدينتهم فأخذ أهل تلك الناحية وجمع في أعناقهم حتى ملك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم أن هذا التابوت لا يقوم له شيء فأخرجوه من مدينتكم قال فأخرجوا إلى قرية أخرى فبعث الله على أهل تلك القرية فأرا بيت الرجل صحيحاً فيقرضه الفار فيصبح ميتاً وقد أكلت ما في جوفه فأخرجوه منها إلى الصحراء ودفنوه في بحري لهم فكان كل من تبرز هناك أخذ الباسور والقولنج فأخرجوه ووضعوه في بيت فكث فيهم عشرين سنين وسبعة أشهر لا يدنو أحد منه إلا احترق وأصابهم في المدينة الآفات والعايات وفي مواضعهم الموت وفي نساءهم الطاعون فتحيروا وكانت عندهم امرأة من بني إسرائيل من أولاد الأنبياء فقالت إنكم لاتزالون ترون ماتكرهون مادام هذا التابوت فيكم فأخرجوه عنكم فاتوا بهجلة بإشارة تلك المرأة فحملوا عليها التابوت ثم علقوها

على ثورين و ضربوا جنوبيهما فأقبل الثوران يسيران و وكل بها أربعة من الملائكة
يسرفونها فلم يمر التابوت بأرض إلا كانت مقدسة فأقبلوا حتى وقفوا على أرض فيها
حصاد ابني إسرائيل فكسر برئتتهما و قطع حبالهما و وضع التابوت فيها و رجع
الثوران إلى أرضهما فلم تدر بنو إسرائيل إلا و التابوت عندهم فكبروا و حمدوا
الله تعالى و اجتمعوا على طالوت فذلك قوله تعالى (تحمله الملائكة) أي نسوقه الملائكة.

وقال ابن عباس : جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم
ينظرون إليه حتى وضعت في دار طالوت فأقروا بملكه قال الله تعالى (إن في ذلك
آية لکم إن كنتم مؤمنين) قال ابن عباس : أن التابوت وعصا موسى في بحيرة
طيرية وأنها يخرجان قبل القيامة والله أعلم .

(باب في قصة شمويل حين أوحى إليه أن يأمر طالوت بالمسير إلى قتال جالوت)
(مع بني إسرائيل و صفة نهر الابتلاء)

قال الله تعالى (فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر) الآية .

قال فلما أوحى الله إلى شمويل عليه السلام أن يأمر طالوت بالمسير إلى جالوت
من بيت المقدس بالجنود لم يتخلف عنه إلا كبير طهرمه أو مريض لمرضه أو ضرير
لضره أو معذور لعذره ، وذلك إنهم لما رأوا التابوت قالوا قد أتانا التابوت
وهو نصر لاشك فيه ، فسارعوا إلى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لي فيما أرى
لا يخرج معي رجل بني بناء لم يفرغ منه ؛ ولا صاحب تجارة مشتغل بها ولا رجل
عليه دين ولا رجل تزوج بامرأة ولم يدخل بها ولا يتبعني إلا الشباب النشط الفارغ
فاجتمع ثمانون ألفا على شرطه فخرج بهم وكان في حر شديد فشكوا قلة المياه بينهم
وبين عدوهم ، وقالوا أن المياه لا تحملنا فادع الله تعالى أن يجري لنا نورا ، فقال لهم
طالوت بأمر شمويل عليه السلام « أن الله مبتليكم بنهر ، مخترجا ليري طاعتكم وهو
أهل بكم وهو نهر بين الأردن وبين فلسطين عذب يقال له آدمي » فمن شرب منه فليس

منى ، أى من أهل دينى وطاعتى ، ومن لم يطعمه ، لم يشربه ، فإنه منى ، ثم استثنى فقال : إلا من اغترف بيده ، وهو ملء الكف ومن فتح الغين أراد المرة الواحدة فشربوا منه إلا قليلا منهم .

قال السدى : كانوا أربعة آلاف وقال غيره كانوا ثلاثمائة وبضع عشر رجلا

وهو الصحيح يدل عليه حديث البراء بن عازب قال : قال لى رسول الله ﷺ يوم بدر : أنتم اليوم على عدة أصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاوز معه إلا مؤمن ، قال وكانوا يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فن اغترف بيده كما أمر الله تعالى قوى قلبه وصح ورجع لإيمانه وعبر النهر سالماً وكشفنه ذلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه ، والذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى أسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شاطئ النهر وجبنوا على لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح .

فلما جاوز النهر مع طالوت القليل الذين ثبتوا معه قالوا يعنى الذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت وقال الذين يظنون أى يعلمون ويوقنون أنهم ملاقوا الله وهم القليل الذين ثبتوا مع طالوت (لم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله) الآية ومسروا قاصدين الجهاد

(باب فى ذكر أمر داود عليه السلام ونخبر جالوت وصفة قتله)

قال الله تعالى (ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا) إلى قوله تعالى (وقتل داود جالوت) قال المفسرون والنخبرون بالفاظ مختلفة وممان متفقة عبر النهر مع طالوت فيمن عبر إيشا أبو داود ومعه ثلاثة عشر ابنأ له وكان داود أصغرهم وأحقرهم فأنى ذات يوم أباه فقال يا أبته ما قدفت تقلاعى هذه شيئاً إلا أصابته وصرعته فقال ابشر يا بنى فإن الله قد جعل رزقك فى قذافتك يعنى فى مقلعك ثم تاه يوماً آخر فقال : يا أبته لقد دخلت بين الجبال فرأيت سداً رابضاً فركبته

وقبضت بأذنيه فلم يهمني فقبضت على كفيه ففطرتهما برأسه وعنقه إلى ليته يدي
من غير مسكين ولا ضرب بحديد وتراه هناك مقتولا فقال له أبوه : أبشر يا
إني هذا خيرا أعطاك الله .

ثم أتاه يوماً آخر وقال يا ابتاه : إني لا أمشي بين الجبال فأصبح فما يبقى جبل إلا
صباح مهي ، قال أبشر يا بني فإن هذا خيرا أعطاك الله وسيكون لك شأن عظيم .
قال فلما وصلت غزاة بني إسرائيل مع طالوت إلى عسكر جالوت أرسل
جالوت إلى طالوت ان ابرز إلى أو ابرز إلى من يقاتلني ؛ فإن قتلني فلكم ملكي
وإن قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت فنأدى في عسكره من قتل جالوت
زوجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس قتال جالوت فلم يجبه أحد .

فسأل طالوت نبيهم شمويل عليه السلام فدعا الله تعالى في ذلك فأتى بقرن فيه
دهن المقدس ويشبه تنور من حديد وقيل له أن الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع
هذا القرن على رأسه فيغلي الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل
يكون عن رأسه كهيئة الإكليل ويدخل في هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا
طالوت أشداه بني إسرائيل وأفوياهم فخرجهم فلم يوافقهم منهم أحد .

فأوحى الله إلى شمويل عليه السلام إن في ولد إيشا من يقتل جالوت وإني أريد
أن أجعله خليفة في الأرض من بعدك أعلمه فصل الخطاب وهو راعي الغنم فقل
إيشا يعرض عليك بنيه واحداً واحداً فدعا إيشا وقال له اعرض علي بنيك فخرج
له اثنا عشر ولداً أمثال السوارع وفيهم رجل بارع فجعل يعرضهم على القرن
والتنور فلا يرى شيئاً فقاول لذلك الجسم ارجع فيردده على التنور فأوحى الله
تعالى إليه أنا لا تأخذ الرجال على صورهم ولاكننا نأخذهم على صلاحهم وقلوبهم
فقال لإيشا : بل بقي لك ولد غيرهم ؟ قال لا ، قال شمويل : رب قد زعم أنه له
ولد غيرهم فقال كذب ، فقال شمويل يا إيشا إن ربي كذبك قال صدق الله يا نبي
الله إن لي ابناً صغيراً يقال له داود استحييت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته

وخلفته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكذا ، وكان داود عليه السلام قصيراً
سقيماً مصفراً أزرق العينين فدعاه طالوت ويقال خرج إليه فوجد الوادي قد حال
بالماء بينه وبين الزريبة التي كان يتروح اليها فوجده يحمل الغنم شاتين شاتين يهبر
بهما السيل ولا يخوض بهما الماء .

فلما رآه شمويل قال ، هذا هو لاشك فيه هذا يرحم البهائم فهو أرحم بالناس
فدعاه فوضع القرن على رأسه ففاض وأجلسه في التور فلاه .

فلما رأى طالوت ذلك قال له هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأجري
حكمتك في مملكتي قال نعم ، قال فهل لقيت من نفسك شيئاً تتقوى به على قتله
قال نعم أنا راعي الغنم فيجىء الأسد والنر والذئب ليأخذ شيئاً فأقوم إليه وأقبضه
وأفتح لحبيه عنها واحرفهما إلى قفاه ؛ فلما سمع طالوت منه ذلك رده إلى مسكره
فمر داود عليه السلام في الطريق بحجر فناداه يا داود احملني فإني حجر هارون الذي
قتل به ملك كذا وكذا فحمله في مخلاته . ب

ثم مر بحجر آخر فناداه يا داود احملني فإني حجر موسى عليه السلام الذي
قتل به ملك كذا وكذا فحمله في مخلاته .

ثم مر بحجر آخر فقال احملني فإني حجر الذي تقتل به جالوت وقد نخبأني
الله لك فوضته في مخلاته ؛ فلما تصافوا للقتال برز جالوت وسأل المبارزة فانتدب له
داود وكان طالوت أعطاه فرساً ودرعاً وسلاحاً فرس ولبس السلاح وسار
قليلاً فوجد في نفسه زهواً فأنصرف وعاد سريعاً إلى الملك فقال من حوله جبر الغلام
فجاء حتى وقف على الملك فقال له ما شأنك ؟ فقال له داود أن الله تعالى لم ينصرني
فما يغني عنى هذا السلاح شيئاً فدعني أقاتل كما أريد ؛ فقال طالوت أفعل ما تريد

فأخذ داود عليه السلام مخلاته فتقلدها وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت
وكان جالوت من أشد الناس وأقوامهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضا
وزنها ثمانمائة رطل حديد وكان له فرس أبلق مثله في الشدة والقوة وعظم الخناق .

فلما برز جالوت إلى داود ألقى الله تعالى في قلبه الرعب فقال له أنت تبرز إلى ، قال نعم وكان جالوت راكباً على فرس أبلق وعليه السلاح التام فقال له يا بني تأتيني بالحجر بالمقلاع كما يؤتى السكب بالحجر؛ قال نعم أنت أشرم من السكب قال لا جرم لأفسمن لحمك بين سباع الأرض وطير السماء فقال داود باسم الله ويقسم الله لحمك بين السباع وطير السماء وأخذ حجراً منها وقال باسم إله إبراهيم ووضعته في مقلاعه ثم أخرج ثانياً وقال باسم الله إله إسحق ووضعته في مقلاعه ثم أخرج ثالثاً وقال باسم الله إله يعقوب ووضعته في مقلاعه .

قال فصارت الأحجار الثلاثة كلها حجراً واحداً وأدار المقلاع ورمى به فمسخر الله الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة فخالط دماغه وخرج من قفاه أو قتل من ورائه ثلاثين رجلاً .

ويقال إنه من بعد ما خرج من قفاه تكسر وتفتت بإذن الله تعالى حتى هم جميع جنود جالوت فلم يبق منهم أحد إلا وقد أصابته منه قطعة ومثل ذلك صاد كرامة للنبي ﷺ يوم بدر حين حثا الحثوة من التراب فانهمزم الجيش وخر جالوت قتيلاً وأسرع داود عليه السلام إليه فحز رأسه وانتزع من يده خاتمه وأقبل برأسه يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح المسلمون فرحاً شديداً وانصرفوا إلى مدينتهم سالمين غانمين بحمد الله رب العالمين .

(ذكر بقية قصة طالوت وما كان من داود عليه السلام بعد قتل جالوت)

قالوا لما قتل داود جالوت ذكر الناس داود وعظم في أنفسهم ؛ فجاء داود إلى طالوت وقال له : انجز إلى ما وعدتني واعطني امرأتى فقال له طالوت : أتريد ابنة الملك بغير صداق عجل صداق ابنتي وشانك بها . فقال داود اطالوت . ما شرطت على صداقاً وليس لي شيء فتحكّم في الصداق بما تريد وأقرضني مهرها وعلى الأداء والوفاء لك به ؛ فقال طالوت أصدقها نصيبك من الملك فقال له بنو إسرائيل لا تظلمه وأنجز ما وعدته ، فلما رأى طالوت ميل بني إسرائيل إلى داود أحسن ثناءه عليه وقال : لا حاجة لابنتي في المال ولا أكفك ما لا تطيق

انت رجل جرى وفي جبالنا أعداء من المشركين فانطلق فجاهدهم فاذا قتلت منهم
ماتى رجل وجئتني براءوسهم زوجتك ابنتى .

فاتاهم داود عليه السلام وجعل كلما اقترب منه رجلا احتز رأسه ونظمه في
خيط حتى نظم رموسهم ثم جاء بهم إلى طالوت وأقام بين يديه وقال له ادفعلى
امرأتى فزوجه امرأته وأجرى خاتمه فى ماسكه فقال الناس إلى داود عليه السلام وأحبه
بنو إسرائيل وأكثروا من ذكره فوجد طالوت من ذلك فى نفسه فأراد قتله .

قال وهب بن منبه : كان الأنبياء والملوك بومئذ يتوكؤن على العصى
ويغرزون فى أطراف العصى أزجة من حديد وكان داود عليه السلام جالسا فى
فاحية البيت فدخل طالوت فرماه بالعصى بغتة ليقنله فلما أحس داود بذلك حاد
عن رميته وأمال نفسه من غير أن يبرج مكانه فارتكزت مكازة فى الجدار فقال
له داود ؛ أردت قتلى قال له طالوت لا بل أردت أن أتف على إيمانك عند الطمازور يبط
جأشك للأقران ، فقال له داود عليه السلام أفلقيته على ما قدرته فى ؟ قال نعم وليك
ملك فزعت ، قال معاذ الله أن أخاف إلا الله ولا أجا إلا إليه لا يدفع الشر إلا هو

ثم أن داود انتزعها من الجدر وهزها هزة النكرة ؛ وقال له اثبت لى كما ثبت
لك فأيقن طالوت بالهلاك فقال له ، أنشدك بالله وبحرمة البصاهرة التى بينى وبينك
ولا كان هذا القول من داود عن قصد قتل طالوت وليكن كان مقال تخويف
وتحذير ؛ فقال داود لطالوت : إن الله قد كتب فى التوراة جزاء السيئة سيئة مثلها
واحدة والبادى أظلم .

قال طالوت : أفلا تقول قولها بيل (لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباطل يدى
إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين) فقال داود قد عفوت عنك لوجه الله تعالى .

فلبت طالوت زمانا يريد قتل داود عليه السلام فعزم على أن يأتيه ويقتله فى داره
فأخبرت بذلك بنت طالوت زوجة داود أخبرها رجل يقال ذو العينين فقالت

داود إنك المقتول الليلة قال ومن يقناني ؟ قالت أبي قال وهل أجمت جرماً ؟
قالت حدثني من لا يكذب ولا عليك بأس أن تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك
فقال إن كان أراد ذلك لا يستطيع خروجاً ولكن إن بقي بزق من خمر فأنته به
فوضعت في مضجعه على السرير وسجاه ودخل تحت السرير ؟

قال فدخل طالوت نصف الليل وأراد أن يقتل داود فلم يجده فقال لابنته أين
بعلك ؟ فقالت هو نائم على السرير فضربه بالسيف فسال الحجر فلما وجد ربح الحجر قال
رحم الله داود ما كان أكيث شربه للخمر وخروج فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيئاً
فقال إن رجلاً طلبت منه ما طلبت الخلق أن لا يدعي حتى يدرك ثأره مني ؛ ثم
أنه استتر بحجابه وحراسه وأغلق دونه الأبواب .

قال فأتى داود ذات ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله عنه الحجاب وفتح الله
له الأبواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهماً عند رأسه وسهماً عند
رجليه وسهماً عن يمينه وسهماً عن شماله ثم خرج .

فلما استيقظ طالوت وجد السهام فعرّفها فقال ؛ رحم الله داود هو خير مني
ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عنى لو شاء لوضع هذا السهم في حلقى
وما أنا بالذي آمنه

ووضع الله في قلب طالوت النور فندم على ما فعل ، فأقبل على البكاء حتى رحمه
الناس وكان كل ليلة يخرج إلى القبور فيبكي وينادي أشهد الله عبداً يعلم لي توبة
إلا أخبرني بها فلما كثر عليهم بكاء ناداه مناد من القبور يا طالوت أما ترضى
إنك قتلتنا أحياء حتى تؤذينا أمواتاً فازداد حزناً وبكاء فرحمه الحياض وقال له
مالك أيها الملك ، فقال له هل تعلم في الأرض طالماً أسأله هل لي من توبة فقال له
الحياض أيها الملك هل تدري ما مثلك ؟ قال لا ، قال ما مثلك إلا كمثل ملك نزل
قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه ؛ فقال لا تركوا في هذه القرية ديكاً إلا ذبحتموه
فلما أراد أن ينام قال لأصحابه إذا صاح الديك فأيقظونا حتى ندب فقيل له وهل
تركت ديكاً يسمع صوته ؛ وأنت هل تركت طالماً في الأرض فازداد حزناً وبكاء

فلما رأى الخباز ذلك ، قال أرأيت إن دلتك على عالم لملك تقتله قال لا فتوثق منه الخباز بالإيمان فأخبره أن المرأة العاملة عنده ، فقال له انطلق بنا اليها اسألها هل لي من توبة وكانت تعلم الاسم الأعظم وكان إنما يعلم هذا الاسم أهل بيت لها فنيت رجالهم وعلمت نساؤهم فلما بلغ طالوت الباب ، قال له الخباز إنها إن رأيتك فزعت منك ثم جعله خلفه ودخل عليها الخباز فقال : لست أعظم الناس عليك منه أجببتك من القتل وأوثقتك عندي ؟ قالت بل ، قال لي اليك حاجة هذا طالوت يسأل هل له من توبة ؟ فلما سمعت بذلك عشى عليها من الفرق فلما أفاقت قال لها إنه لا يريد قتلك ولكن يسألك هل من توبة ؟ قالت لا والله ماله من توبة .

ولكن هل تعلمون قبر سمويل عليه السلام ، قالوا نعم قالت فانطلقوا بنا إلى قبره ، فلما وصلوا اليه وصلت عنده ركعتين ثم إنها نادى يا صاحب القبر . فخرج سمويل عليه السلام من القبر ينفض التراب عن راسه فلما نظر إلى الثلاثة المرأة والخباز والملك ، فقال لهم ، أقامت القيامة قالوا لا ولكن هذا طالوت يسألك هل من توبة ؟ فقال له سمويل ما فعلت يا طالوت بعدى ؟ قال لم أذع شيئاً من الشر إلا فعلته ، وقد جئت أطلب التوبة .

قال كم لك من ولد قال عشرة رجال قال ما أعلم لك من توبة إلا أن تتخل عن ملكك وتخرج أمت وولدك تجاهد في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ؛ ثم إنك تقاتل حتى تقتل آخرهم ثم يرجع سمويل عليه السلام إلى القبر فسقط ميتاً ورجع طالوت أحزن ما يكون وخاف أن لا يتابعه ولده فبكى حتى ذهب أشجار عينيه ونحل جسمه فدخل عليه أولاده فقال لهم أرأيتم لو دفعت إلى النار أكنتم تنقدوني قالوا نعم فنقدك بما قدرنا عليه قال فإنها النار إن لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا فأعرض علينا مقالك فذكر لهم القصة فقالوا إنك لمقنول بعدنا ؛ قال نعم قالوا لاخير لنا في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذي سألت فتجز بأولاده إلى الغزو وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد بهم فقاتل حتى قتل فجاء قاتله إلى داود يبشره بقوله قد قتلت عدوك فقال داود ما كنت بالذي أتجيبا بعده فضرب عنقه .

(مجلس في خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها)

قال الله تعالى (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) الآية : قالت العلماء بأخبار الأنبياء لما استشهد طالوت أتى بنو إسرائيل أي داود فاعطوه خزانة طالوت وما سكوه على أنفسهم وذلك بعد قتل داود جالوت بسبع سنين ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد بعد يوشع بن نون إلا على داود عليه السلام فذلك قوله عز وجل (وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة) الآية .

(باب في ذكر نسبه)

هو داود بن ايشا بن عوفيند بن بو عز بن سلون بن يخسون بن عمينو ذب بن رم بن حصروم بن بارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين .

(باب في ذكر صفته وحليته)

أخبرني الحسن بن محمد الدينوري بإسناده عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ (زرقه للعينين يمن) وكان داود عليه السلام أزرق العينين أحمر الوجه دقيق الساقين سبط الشعر أبيض الجسم طويل اللحية فيها جمودة حسن الصوت والخلق طاهر القلب نقيه .

(باب في ذكر ما خص الله تعالى به داود عليه السلام من الفضل)

(والكرامة حين أعطاه الله النبوة والملك)

فمنها أنه أنزل عليه الزبور بالبرانية مائة وخمسون سورة ؛ في خمسين منها ذكر ما يكون من يختصر وأهل بابل وفي خمسين منها ذكر ما يلقون من الروم من أهل إيران ، وفي خمسين منها موعظة وحكمة ولم يكن فيها حلال ولا حرام فذلك قوله تعالى (وآتينا داود زبوراً) ومنها الصوت الطيب والنفحة الطيبة اللذيذة والترجيح والألحان ولم يعط الله أحداً من خلقه مثل صوته وكان يقرأ الزبور بسبعين

لحناً بحيث يعرق المحموم ويفيق المنمى عليه ؛ وكان إذا قرأ الزبور برز إلى البرية فيقوم وتقوم معه علماء بني إسرائيل خلفه وتقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس وتقوم الشياطين خلف الجن وتدنو الوحوش والسباع ويؤخذ بأعناقها وتظله الطيور مضحية ويركد الماء الجاري ويسكن الريح وما صنعت المزامير والأراغيل والصنوج إلا على صوته ، وذلك أن إبليس لعنه الله حسده واشتد عليه فقال لعفاريته ألا ترون مادها كم ؟ فقالوا له مرنا بما شئت فقال إنه لا يصرف الناس عن داود إلا ما يضاد ويحاده في مثل حاله . فهيئوا المزامير والبيدات والأوتار والملاهي على أجناس أصوات داود فسمعها سفهاء الناس فالوا إليها واغثروا بها .

ويقال إن داود عليه السلام كان إذا قرأ الزبور بعد ما عارف الذنب لا يقف له الماء ولا تصغي له الوحوش ولا البهائم ولا الطيور كما كانت ونقصت نعمته فقال إلهي ما هذا ؟

فأوحى الله تعالى إليه ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود إن المعصية هي التي غيرت صوتك وحالك ، فقال إلهي أو ليس قد غفرت لها لي قال بلى وليكن ارتفعت الحالة التي بينك من الود والقرب فلن تدركها أبداً .

أخبرنا أبو سعيد بن أحمد بن حمدون عن وهب بن منبه ، قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال تخفف الله على داود القرآن فكان يأمر بدأوبه أن تسرج فكان يقرأ القرآن قبل أن تسرج دابته وكان لا يأكل إلا من عمل يده . قال الأستاذ الإمام أراد بالقرآن الزبور .

وبالإسناد أخبرنا أبو بكر الجوزقي عن أبي موسى الأشعري قال : قال لي رسول الله ﷺ (لقد أعطيت مزامراً من مزامير آل داود فقلت أما والله يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً) .

وأخبرنا أبو بكر قال أخبرنا أبو العباس باسناد عن البراء بن عازب قال : (سمع النبي ﷺ صوت أبي موسى فقال كان صوت هذا من صوت آل داود)

ومنها تسخير الجبال والطير له يسبحون معه إذا سمح كما قال الله تعالى (ولقد آتينا داود منه فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد) وقوله تعالى (إنا سنخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق)

ويقال إن داود عليه السلام كان إذا تخلل الجبال فسبح الله تعالى جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح ثم قال في نفسه ليله من الليالي لأعبدن الله تعالى عبادة لم يعبده أحد بمثلمها ، فصعد الجبل فلما كان جوف الليل داخلته وحشة فأوحى الله تعالى إلى الجبال أن أنسى داود فاصططكت الجبال بالتسبيح والتقديس والتهليل فقال داود في نفسه كيف يسمع صوتي مع هذه الأصوات ، فهبط عليه جبريل عليه السلام وأخذ بعضده حتى انتهى به إلى البحر فوكز برجله فانفلق له البحر فأنتهى به إلى الأرض فوكزها برجله فانفجرت له الأرض فأنتهى به إلى الحوت فوكزه برجله فأنتهى به إلى الصخرة فوكز الصخرة برجله فانفلق فخرج منها دودة نذش فقال له جبريل إن ربك يسمع أشيش هذه الدودة في هذا الموضع قوله تعالى (يسبحون بالعشى والإشراق) قال المفسرون يعنى صلاة الضحى وصلاة الأوابين بين العشاءين .

قال ابن عباس : وكان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر والمدر .

ومنها أنه أكرمه الله تعالى بالحكمة وفصل الخطاب فالحكمة هي الإصانة في الأمور وأما فصل الخطاب فاختلفوا فيه فقال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن المعنى على الحكيم والنظر في القضا. كان لا يتتبع في القضاء بين الناس وقال علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه هو البيعة على من ادعى واليمين على من أنكر

قال بلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما جاء يستردها أنكرها فتمحا كما إلى السلسلة فعلم الرجل الذي كانت عنده الجوهرة أن يده لا تنال السلسلة فحمد إلى عكازه فنقرها ثم ضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر معه غريمه عند السلسلة فقال صاحب الجوهرة لمن لي عندك وديعة فقال خصمه ما أعرف

لك وديعة فإن كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده : ثم قيل للمنكر قم أنت أيضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة الزم أنت عكازتي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فأخذها وقام الرجل وقال اللهم إن كنت تعلم أن هذه الوديعة التي يدعيها قد وصلت إليه فقرب مني السلسلة فله يده فتناولها فتعجب القوم وتفكروا فيها فأصبحوا وقد رفع الله تلك السلسلة .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا اشتبه عليه الأمر بين الخصمين اللذين يتحاكما إليه يقول : ما أحو جكما إلى سلسلة بنى إسرائيل كانت تأخذ بعنق الظالم فتجره إلى الحق جراً .

ومنها القوة في العبادة وشدة الاجتهاد كما قال الله تعالى (واذكر عبدنا داود ذا الأيد) يعنى القوة في العبادة إنه أواب يعنى تواب مسبح مطيع وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً يصوم النهار ويقوم الليل وما أمرت به ساعة من الليل إلا وفيها من آل داود قائم يصلى ولا يوم من الأيام إلا وفيها منهم صائم ومنها قوة الملكة كما قال الله تعالى (وشددنا ملكك) أى قويناه وقرأ الحسن وشددنا ملكك بالتشديد ،

وقال ابن عباس ؛ كان أشد ملوك الأرض سلطاناً وكان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل وقال السدى كان يحرسه كل ليلة أربعة آلاف رجل . أخبرنا عبد الله بن حامد عن عكرمة عن ابن عباس : أن رجلاً من بنى إسرائيل

تعدى على رجل من عظمائهم فاجتمعا على داود عليه السلام فقال له تعدى إن هذا قد غصبني بقرتي فسأل داود الرجل عن ذلك فجهد وسأل الآخر البيئته فلم يكن له بيئته فقال لهما داود قوما حتى أنظر في أمركما فقاما من عنده فأوحى الله تعالى إليه فى منامه أن يقتل الرجل الذى تعدى فقال هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتبين فأوحى الله تعالى إليه مرة أخرى أن يقتله فقال هذه رؤيا فأوحى الله تعالى إليه مرة ثالثة أن يقتله فأرسل داود إلى الرجل فقال له إن الله تعالى قد أوحى إلى أن اقتلك فقال له الرجل تقتلني بغير ذنب ولا بيئته فقال داود : نعم والله لا نفذن أمر الله

فيك فلما عرف الرجل أنه قاتله قال لا تمجل علي حتى أخبرك إني والله ما أخذت بهذا الذنب والسكنى كنت اغتلت ولقد هذا فقتلته فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبته بنى إسرائيل عند ذلك لداود واشتد له ملكه فذلك قوله تعالى (وشددنا ملكه) ويقال كان داود إذا جلس للحكم كان على يمينه ألف رجل من الأنبياء وعلى يساره ألف رجل من الأجناد .

ومنها شدة البطش فيروى أنه ما فر ولا انجاز من عدو له قط ومنها إلازة الحديد له وكان سبب ذلك ما روى في الأخبار : أن داود عليه السلام لما ملك بنى إسرائيل كان من عادته أن يخرج إلى الناس متنكراً فإذا رأى رجلاً لا يعرفه تقدم إليه فيسأله عن داود فيقول له ما تقول في داود واليكم هذا أي الرجل هو فيثني عليه ويقول خيراً فبينما هو كذلك يوماً من الأيام إذ قبض الله له ملكان في صورة الأدميين فلما رآه تقدم داود على حادته فسأله فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه قراع داود فقال ما هي يا عبد الله ؛ قال أن داود يأكل ويطعم عياله من بيت المال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سبباً يستغنى به عن بيت المال فينفق ويطعم عياله فالان له الحديد فصار في يده مثل الشمع والعجين والطين المبلول وكان يصرفه بيده كيف يشاء من غير إدخال نار ولا ضرب بحديد وعله الله تعالى صنعة الدروع فكان يتخذ الدروع وهو أرل من عملها وكانت قبل ذلك صفائح فيقال انه كان يبيع كل درع منها بأربعة آلاف درهم فبدأ كل ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين فذلك قوله تعالى (وعلماها صنعة لبوس لكم) وقوله تعالى (وألنا له الحديد أن يعمل سبائح) أي دروعاً كوامل واسعات (وقدر في السرد) أي لا يجعل المسامير دقاً فيعلق ولا غلاظاً فتكسر الحلق فكان يفعل ذلك حتى أعتد من ذلك مالا .

وروى أن لقمان الحكيم رأى داود عليه السلام وهو يعمل درعاً فتهجى من ذلك ولم يدر ما هو فأراد أن يسأله فسكت حتى فرغ داود من نسج الدروع فقام ولبسه وقال نعم القميص هذا للرجل المحارب فعمل لقمان ما يراد به فقال .
الصمت حكمة وقليل فاعله

(باب في قصة داود عليه السلام حين ابتلى بالخطيئة وما يتصل بذلك)

قال الله تعالى (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم) الآيات

اختلف العلماء بأخبار الأنبياء في سبب امتحان الله تعالى نبيه داود عليه السلام بما امتحنه الله من الخطيئة ، فقال قوم ؛ كان سبب ذلك أنه تمنى يوماً من الأيام على ربه تعالى منزلة آباءه إبراهيم وإسحق ويعقوب وسأله أن يتمنحه بمثل الذي كان يتمنحهم ويعطيه من الفضل مثل الذي أعطاهم فروى السدي والسكبي ومقاتل عن أشياءهم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا : كان داود عليه السلام قد قسم الدهر ثلاثة أيام : يوماً يقضى فيه بين الناس ويوماً يخلو فيه بنفسه ، ويوماً لعبادة ربه وقرأة الكتب ، وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام فيقول يارب أرى الخير قد ذهب به آباءى الذين كانوا قبلى فأوحى الله تعالى اليه أنهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها أحد فصبروا عليها ؛ ابتلى إبراهيم عليه السلام بنار التروذ وبذبح ولده ؛ وابتلى إسحق بالذبح ؛ وابتلى يعقوب بالحزن وقهاب بصره على يوسف وإنك لم تبتلى بشيء من ذلك

فقال داود عليه السلام يارب فابتلني كما ابتليتهم واعطني كما أعطيتهم فأوحى الله تعالى إنك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس على الصبر ؛ فلما كان اليوم الذي وعده الله دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك إذ جاء الشيطان وتمثل في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن فوقعت بين يديه ليأخذها .

وفي بعض الروايات ليدهها إلى ابن له صغير فلما أهوى إليها طارت غير بعيد من غير أن تمسكته من نفسها فامتد إليها ليأخذها ففتحت فتبعها فطارت فوقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فبيعت إليها من يصيدها فنظر إلى امرأة في بستان على شط بركة تغتسل هذا قول السكبي

وقال السدي : رآها تغتسل على سطح لها فرآها من أحسن الناس خلقاً فتعجب
داود من حسنها وحانت منها النفاتة فأبصرت ظل داود عليه السلام فذشرت
شعرها فغطى بدنها كله فزاد بذلك إعجاباً بها فسأل عنها فقيل له هي سابع بنت
شائع امرأة أوريا بن حنان وزوجها في غزاة البلقاء مع أيوب بن صوريا بن
أخت داود فكتب داود إلى ابن أخته أيوب صاحب بعثة يلفاء أن ابنت أوريا
إلى موضع كذا وكذا وقدمه على التابوت وكان المقدم على التابوت لا يحل له أن
يرجع إلى ورائه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد ففتح له فكتب إلى داود
بذلك فكتب إليه داود أيضاً أن ابنته إلى غزوة كذا وكان رئيسها أشد منه بأساً
فبعثه فقتل في المرة الثانية فلما انقضت عدتها تزوجها داود فهي أم سليمان عليه السلام
وقال آخرون : إنما سبب امتحانه أن نفسه حدثته أن يطيق قطع يوم بغير
مفارقة سيئة .

وعن الحسن أخبرنا شعيب بن محمد قال إن داود عليه السلام جزأ الدهر
أربعة أجزاء : يوماً لنفسائه ويوماً لعبادة ربه ويوماً لقضاء حوائج المسلمين
ويوماً لبني إسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه ويسألهم ويسألونه .

فلما كان يوم بني إسرائيل ذكروا ، فقالوا هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب
فيه ذنباً فأخبر داود في نفسه أنه سيطبق ذلك فلما كان يوم عبادة ربه أغلق أبوابه
وأمر أن لا يدخل عليه أحد وانكب على التوراة فبينما هو يقرأ إذ هو بحمامة من
ذهب فيها كل شيء . حسن قد وقفت بين يديه فأهوى إليها ليأخذها فطارت فوقعت
غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل
فأعجبه خلقها وحسنها فلما رأت ظله في الأرض جمالت جسدها بشعرها فزاده ذلك
إعجاباً بها وكان قد بعث زوجها في بعض جيوشه فكتب إليه أن سر في مكان
كذا وكذا مكاناً إذا وصل إليه قتل ولم يرجع ففعل فأصيب فخطبها داود وتزوجها
وقال بعضهم في سبب ذلك كما أخبرنا قتادة عن الحسن بن محمد إن داود عليه
السلام قال لبني إسرائيل حين ملك والله لأعدان فيكم ولم يستثن قاتلي .

وقال أبو بكر محمد بن عمر الوراق : كان سبب ذلك أن داود عليه السلام كان كثير العبادة فأعجب بعمله فقال هل في الأرض أحد يعمل عملي فأناه جبريل عليه السلام فقال إن الله تعالى يقول : أعجبت بعبادتك والمعجب يأكل العبادة فإن أعجبت ثانياً وكنك إلى نفسك فقال داود يا رب كنى إلى نفسي سنة فقال إنها لكثيرة قال فشرأ قال فإنه لكثير قال فأسبوعاً فقال إنه لكثير قال فيوماً قال إنه لكثير قال فساعة قال فشأنك بها قال فوكل الحراس ولبس الصوف ودخل المحراب ووضع الزهور بين يديه فبينما هو في نسكة وعبادته إذ وقع الطائر بين يديه وكان من أمر المرأة ما كان قالوا فلما دخل داود بامرأة أوريا لم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله تعالى ملكين في صورة رجلين فطلبوا أن يدخلوا عليه فوجداه في يوم عبادة فنهما الحراس أن يدخلوا عليه فقتلوا المحراب وهو يصلي فما شعر إلا وهما بين يديه جالسان فذلك قوله تعالى (هل أتاك نبي الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم) حين هجما عليه في محرابه بغير إذنه (قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أي لا تجر ولا تفرط (واهدنا إلى سواء الصراط) أرشدنا إلى وسط الطريق المستقيم (إن هذا أخى له تسع وتسعون نعمة ولي نعمة واحدة) وهذا من أحسن التعريض حيث كنى بالنعاج والنساء والعرب تفعل ذلك كثيراً توري عن النساء وتمكني عنها بالقباب كالظباء والنعاج والبقر وهو كثير فاش في أشعارهم فقال اكفنيها وعزني في الخطاب .

قال الضحاك اعطينيها وتحول لي عنها واجعلها كفلي أي نصيبي وعزني في الخطاب قال الضحاك يقول إن تسكلم كان أفصح مني وإن حارب كان أبطش مني فقال داود ر لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه .

قال السدي بإسناده : إن أحدهما لما قال هذا أخى له تسع وتسعون نعمة قال داود للآخر ما تقول ؟ قال إن لي تسعاً وتسعين نعمة وله نعمة واحدة فأريد أن أخذها منه وأكمل نعاجي مائة قال وهو كاره قال نعم ، قال إذا لا ندعك وإن رمت ذلك ضربتنا منك هذا وهذا يعني طرف الأنف وأصل الجبهة فقال

الرجل يا داود أنت أحق بضرب هذا مني حيث كان لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لأورياه إلا امرأة واحدة فلم تعرضه للقتال حتى قتل وتزوجت امرأته فهذا وجه الآية إلا أن داود حكم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر .

قالوا ثم أن داود نظر فلم ير أحداً فعرف ما قد وقع فيه وذلك قوله تعالى (وظن داود إنما فتنناه) أي ابتليناه وقال سعيد بن جبير: إنما كانت فتنة داود بالنظر وقال القائلون بتنزيه المرسلين في هذه القصة: أن لا ذنب إنما كان تمنى أن تكون له امرأة أورياه حلالاً وحدث نفسه بذلك فاتفق له غزوة فأرسل أورياه فقدمه أمام الحرب فاستشهد فلما بلغه قتله لم يجزع عليه ولم يتوجع عليه كما كان يجزع على غيره من جنده إذا هلك ووافق قتله مراده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت فهي عظيمة عند الله .

وقال بعضهم: كان ذنب داود أن أورياه قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب في غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك أورياه غمًا شديدًا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لمخاطبتها الأول .
وقد كان عنده تسع وتسعون امرأة ولذلك قال النبي ﷺ لا يبيع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه ، وما يصدق ما ذكرناه ما قيل عن المفسرين والمقدمين ما أخبرنا به عقيل بن محمد الفقيه المغافري عن ذكرى عن أنس أن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن داود عليه السلام حين نظر إلى المرأة قطع على بني إسرائيل بعثاً وأوصى صاحب البلاغ إذا حضر العدو فقدم فلاناً بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يديه لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم الجيش عنه فقتل زوج المرأة ونزل الملائكة ليقصا عليه قصته ففطن داود وسجد فمكث أربعين ليلة ساجداً يبكي حتى نبت الزرع من دموعه حول رأسه وأكلت الأرض من جبينه وهو يقول في سجوده ذل داود ذلة هي أبعد مما بين المشرق والمغرب رب إن لم ترحم ضعف داود وتغفر له ذنبه وجعلت ذنبه حديثاً في الخلائق من بعده .

جاء جبريل عليه السلام بعد أربعين ليلة فقال يا داود إن الله تعالى قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود قد علمت أن الله قادر على أن يغفر الهم .

وإذا جاء أورياه يوم القيامة فقال يارب دمي الذي عند داود ؟ قال جبريل ما سألت هممت به فكيف بفلان يعني ربك عن ذلك وإن شئت لأفعلن قال نعم ؟ فرجع جبريل عليه السلام وسجد داود فبكى ما شاء الله ثم نزل فقال قد سألت يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال الله تعالى قل لداود إن الله يجمعك يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب فأقول أن لك في الجنة ما شئت وما اشتيت عوضاً عن دمك .

أخبرنا ابن فتحويه بإسناده عن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه قالوا جميعاً إن داود عليه السلام لما دخل عليه الملكان وقضى على نفسه تحولا في صورتها فمرجا وهما يقولان قضى للرجل على نفسه وعلم داود أننا فتناه فخر ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا للحاجة لا بد منها أو صلاة مكتوبة ثم يعود فيسجد تمام أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو يتنادى ربه تعالى ويسأله التوبة .

وكان يقول في سجوده : سبحان الملك الأعظم الذي يتلى الخلائق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب إلهي خطيت بيني وبين عدوي إلهي فلم أنتبه لفتنته إذ زل بي قدمي ، سبحان خالق النور إلهي تبكي الشكلى على ولدها إذا فقدته ويبكي داود على خطيئته ، سبحان خالق النور يغسل الثوب فيذهب دونه ووسخه والخطيئة لازمة لي لا تذهب عني ، سبحان خالق النور إلهي لم أنعظ بما وعظت به غيري ، سبحان خالق النور إلهي أمرتني أن أكون لليتم كالأب الرحيم والأرملة كالزوج العطوف فنسيت عهدك ، فسبحان خالق النور إلهي خلقتني وفي سابق عليك كان ما أنا صائر إليه سبحان خالق النور إلهي الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطيء ، سبحان خالق النور إلهي بأي قدم أقوم أمامك يوم تزل أقدام الخاطئين يوم القيامة من سوء الحساب سبحان

خالق النور إلهي مضت النجوم وكنت أعرفها بأسمائها فتؤنسني فتركتني والخطيئة
لازمة لي سبحانه خالق النور إلهي أمطت السماء ولم تمطر حولي وأعشبت
الأرض ولم تعشب حولي بخطيئتي سبحانه خالق النور إلهي أنا الذي لا أطيق حر
شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحانه خالق النور إلهي أنا الذي لا أطيق
صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحانه خالق النور إلهي كنت تستر
الخطيئين بخطاياهم وأنت شاهد حيث كانوا سبحانه خالق النور إلهي رق القلب
وجهدت العيان من مخافة الحريق على جسدي سبحانه خالق النور إلهي الطير تسبح
لك وأنا العابد الخطيء الضعيف الذي لم أرفع وصيتك .

سبحان خالق النور إلهي الويل لدارد من الذنب العظيم الذي أصاب ولا علم
له بذلك سبحانه خالق النور إلهي أنا المستغيث وأنت المغيث فمن يدعو المستغيث
إلا المغيث سبحانه خالق النور إلهي أنا أسألك بإبراهيم وإسماعيل وإسحق
ويعقوب أن تعطيني سؤلي سبحانه خالق النور . اللهم برحمتك اغفر لي ذنوبي
ولا تباعدني من رحمتك لهواني فإنك أرحم الراحمين

سبحان خالق النور إلهي إني أعوذ بك من دعوة لا تستجاب وعبادة لا تقبل
وذنوب لا يغفر وعذاب لا يفتر سبحانه خالق النور إلهي إني أعوذ بنور وجهك
الكريم من ذنوبي التي أوبقتني سبحانه خالق النور إلهي فررت إليك من ذنوبي
واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القاطنين ولا تحزنني يوم يبعثون .

سبحان خالق النور إلهي فإغ الحنين وفرغت الدموع وتناثر الدود من
ركبتي وخطيئتي ألزم لي من جلدي سبحانه خالق النور .

قالوا فأتاه النداء : أجاجع أنت فتطعم أو ظمان أنت فتسقي أو مظلوم أنت
فتنصر ولم يجبه في ذكر خطيئته بشيء . فصاح صيحة فهاج منها ما حواه ثم نادى
يا رب الذنب الذي أصبته فنودي يا داود ارفع رأسك قد عفرت لك فلم يرفع
رأسه حتى أتاه جبريل عليه السلام هرفعه .

قال وهب بن منبه أن داود عليه السلام أتاه نداء إنى قد غفرت لك فقال يا رب
ناعف وأنت لا تظلم أحداً فقال اذهب إلى قبر أورياء فناده وأنا أسمعه نداءك فتحال
منه قال فانطلق داود عليه السلام حتى أتى قبره وقد لبس المسوح فجلس عند قبره ثم
ناداه يا أورياء فقال لبيك من هذا الذى قطع على لذتى وأيقظنى قال أنا داود فقال
ما جاء بك يا نبي الله قال جئت أنحلل بما كان منى لإليك ، قال وما كان منك إلى ؟
قال عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة وأنت فى حل فأوحى الله تعالى إلى داود عليه
السلام ألم تعلم أنى حكم عدل لا أفضى إلا بالحق ألا أعلمته أنك تزوجت امرأته ؟
قال فانطلق داود إليه فناده يا أورياء فأجابه فقال من هذا الذى قطع على لذتى ؟
فقال أنا داود فقال يا نبي الله ما حاجتك أليس قد عفوت عنك ؟ قال نعم لستكن
أنا ما فعلت بك ذلك إلا لما كان امرأتك وأنى قد تزوجتها .

قال فسكت أورياء ولم يجبه فدعاه ولم يجبه فقام عند قبره وحشا التراب على
رأسه ثم نادى الويل ثم الويل لداود سبحانه خالق النور الويل لدارد ثم الويل
الطويل لداود سبحانه خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له إذا نصبت
الموازن القسط ليوم القيامة سبحانه خالق النور الويل لداود ثم الويل الدائم له
حين يؤخذ برقبته ثم يدفع إلى المظلوم .

سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه
مع الخاطئين إلى النار سبحانه خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين
تقربه الزبانية مع الظالمين إلى النار .

سبحان خالق النور قال فأتاه النداء من السماء : يا داود قد غفرت ذنبك
ورحمتك ورتبتك لطول مكانك واستجبت دعائك وأقلت عثرتك قال يا رب كيف
لى أن تعفو عني وصاحبي لم يعفو عني قال يا داود وأن يعفو أو لم يعفو فأنا أعطيه
يوم القيامة ما لم تر عيناه ولم تسمع أذناه فأقول له قد رضيت عبيدى فيقول يا رب
من أين هذا ولم يبلغه عمل فأقول هذا عوض من أجل عبيدى داود فأستوهبك منه
فيبك لى فقال داود يا رب الآن قد عرفت أنك قد غفرت لى فذلك قوله عز وجل
(فاستغفر ربه وستره وأكفأ وأنا ب فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب)

قال وهب بن منبه : أن داود عليه السلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة ولا ترفاً له دموعه ليلاً ولا نهاراً .

وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة وقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أقسام يعني أربعة أيام فجعل يوم للقضاء بين الناس ويوماً لسنائه ويوماً يسبح في القياض والجبال والقفار والسواحل ويوماً يخوف في داره فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع إليه الرهبان فينوح بعضهم على بعض ويساعدون على ذلك .

فإذا كان يوم سياحته يخرج إلى القياض فيرفع صوته كالمزامير ويبكى فيبكي معه الشجر والمدر والطير ولوحش حتى تسبل دموعه مثل الأنهار . ثم يهجر إلى الجبال فيرفع صوته كالمزامير فيبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والدواب والطير حتى تسيل الأودية من بكائهم .

ثم يهجر إلى الساحل فيرفع صوته كالمزامير فيبكي وتبكي معه الحيتان ودواب البحر والطير والماء والسباع فإذا أمسى رجع فإذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه أن اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده قال فيدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط له ثلاث فرش من مسوح حشوها الليف ليجلس عليها وتجيء الرهبان أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وعليهم المسوح وفي أيديهم العصي ثم يجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع صوته بالبكاء فيرفع الرهبان معه أصواتهم .

فلا يزال يبكي حتى يفرق الفرش دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ وهو يضطرب فيجىء له ابنه سليمان عليه السلام فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكى ثم يمسح وجهه ويقول يا رب اغفر لي ما ترى فلو عدل بكاء داود ودموعه بكاء أهل الأرض ودموعهم لعد لها .

أخبرنا ابن فتحويه عن عثمان بن أبي هاتكة أنه قال : كان من دعاء داود عليه السلام : سبحانك إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الأرض برحبتها وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلي روحى إلهي أتيت أطباء عبادك ليداووني فمكلمهم عليك دلونى .

وقال عليه السلام : د خد الدمع في وجه داود مثل خد الماء في الأرض . .

وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان الناس يهودون داود عليه السلام فيظنون أنه مريض وما به إلا الحياء والخوف من الله تعالى . .

قال وهب بن منبه : لما تاب الله على داود كان يهدأ إذا دعا فيستغفر للخاطئين قبل نفسه فيقول : اللهم اغفر للخاطئين فمساك أن تغفر لداود معهم .
وعن قتادة عن الحسن قال : كان داود بعد الخطيئة لا يجالس إلا الخاطئين ثم يقول تعالوا إلهي داود الخاطيء ولا يشرب شراباً إلا وهو مزوج بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعته ولا يزال يبكي حتى يبتل بدموعه وكان يدر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين .

قال وكان داود عليه السلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله .

أخبرنا عبد الله بن حامد عن ثابت قال : كان داود عليه السلام إذا ذكر عقاب الله تعالى تخلمت أوصاله ولا يشدها إلا الاتين ، فإذا ذكر رحمة الله تعالى تراجعت .

وعن أبي عبد الله البجلي قال ما رفع داود بعد الخطيئة رأسه إلى السماء قط حتى مات وصلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

(باب في ذكر خروج ابن داود علي أبيه وما كان من أمرهما)

قال وهب وغيره من أهل الكتاب أن داود عليه السلام لم يزل قائماً بالملك بعد طالوت إلى أن كان من أمره وأمر امرأة أوريا ما كان فلما واقع الخطيئة واشتغل بالتوبة منها استخفت به بنو إسرائيل واستضعفوه واجتمع أهل الزيب من بني إسرائيل وذهبوا إلى ابن داود من إبنه طالوت يقال له شالون وقيل إيشا وقالوا له قد كبر أبوك واشتغل بخطيئته وتوبته وضاعت حقوق الناس وضعف أمر الملك فلم يزالوا به حتى بايعوه وخلعوا داود وعدلوا عنه ودعا هذا الإبن إلى نفسه ، فلما رأى ذلك داود خرج من بين أظهرهم مع ابن أخ له يقال له ثواب وتوغل في الجبال فأشار قومه على إبنه أن يقتل أباه فلما بلغ ذلك داود أرسل إليه رفيقه وقال له هل سمعت بإبن قتل أباه قال له الإبن وهل سمعت أنت بنى أذنب فلم تقبل توبته فقال له الرسول إن كان الله تعالى قد أذن لك في هلاكه فلا تبشره أنت فإنه لا يجهل في الآخرة حدوده منك فقبل منه ذلك فكشف عن قتل أبيه وبقي إبنه ملكاً سنتين .

فلما تاب الله على داود صارت الناس تأتيه فحارب إبنه فمزمه ووجه في طلبه قائداً من قواده وأوصاه أن يتوقى حتفه ويتلطف في أسره فطلبه القائد وهو منهزم فاضطره إلى شجرة فربض بها وكان الغلام ذا جمة فتعلق غصن من أغصانها بشعره فحبسه ولحقه القائد فقتله مخالفاً لأمر داود عليه السلام فحزن عليه داود حزناً شديداً وتنكر للقائد وكان له بأس شديد في ملافاة العدو فكبره داود أن يقتله فتركه لأجل مجاهدة العدو .

فلما حضر داود الموت أوصى ولده سليمان عليهما السلام يقتل القائد فقتله حين فرغ من دفن أبيه وكانت مدة داود من يوم خرج من ملكه وانقطع عنه الوحي إلى أن قبل الله توبته ورد عليه ملكه ورجع إلى قومه سنتين .

(باب في قصة أصحاب السبت)

قال الله تعالى (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت) الآية .

قال ابن عباس ووهب بن منبه : أن قوماً من بني إسرائيل سكنوا قرية على شاطئ البحر بين مصر ومدين يقال لها أيلة حرم الله عليهم صيد الحيتان وسائر العمل يوم السبت وأمرهم أن يتفرغوا لعبادته ذلك اليوم وذلك في زمان داود عليه السلام فكان إذا خلا يوم السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك ويخرجن من الماء خراطيمهن حتى لا يرى الماء من كثرتهم حتى إذا مضى السبت تفرقن ولزبن مقر البحر لا يرى منهن إلا القليل فذلك قوله تعالى (إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبثون لا تأتيهم كذلك فبلوهم) الآية

سمعت أبا القاسم ، قال سمعت أبي يقول : سئل الحسن بن الفضيل هل تجده في كتاب الله الحلال لا يأتيك إلا فوتاً ، والحرام يأتيك جزافاً ؟ قال نعم في قصة داود عليه السلام وأهل أيلة إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبثون لا تأتيهم قال فعمد رجال منهم فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا إليها من الأنهار فإذا كانت عشية الجمعة فتحووا تلك الأنهار فيقبل الموج بالحيتان إلى الحياض فلا تطيق الخروج منها لعمقها وقلة الماء فإذا كان يوم الأحد أخذوها وقيل إنهم كانوا ينصبون الحبال والشيوخ يوم الجمعة ويخرجونها يوم الأحد .

قال وكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كثيراً وفي غير يوم السبت لا تأتيهم حوت واحد

فأخذ رجل منهم حوتاً وربط في ذنبه خيطاً ثم ربطه إلى خشبة في الساحل ثم تركه في الماء إلى يوم الأحد فأخذه فسواه فوجد جار له ريح الحوت فقال له يا فلان إنني أجد في بيتك ريح الحوت فأذكره فأطلع الجار في تنوره فإذا هو في

بيته فقال له إني أرى الله صيعد بك ، فلما رأى العذاب لم يأخذه أخذ في السبوت
الآخر هو تين فلما رأوا العذاب لا ينزل عليهم أخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا
فأثروا وكثرت أموالهم ولم تنزل عليهم عقوبة فقصت قلوبهم وتجزؤوا وتجرؤوا
على الذنب وقالوا ما نرى السبوت إلا قد أحل لنا ، وإنما حرم ذلك على آبائنا
لأنهم قتلوا أنبياءهم

فلما فعلوا ذلك صار أهل تلك القرية وكانوا نحواً من سبعين ألفاً ثلاثة
أصناف صنّف أمسك ونهى وصنّف أمسك ولم ينفه وصنّف انتهكوا الحرمة ،
فكان الذين نهوا إثني عشر ألفاً فلما أبى المجرمون قبول النصيحة ، قال الناهون
للمسكون : والله لنخرجن من هذه القرية ولا نساكنكم في قرية واحدة
ثم قسموا القرية بينهم بحدار ومكشوا على ذلك سنين فلعنهم الله على لسان داود
عليه السلام وغضب عليهم لإصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من
بابهم والمجرمون لم يفتحوها بابهم ولا خرج منهم أحد فلما أبطأوا تسوروا عليهم
الحائط فإذا هم جميعهم قد مسخروا قردة فذلك قوله تعالى (فلما نسوا ما ذكروا
به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس) أي شديد
بما كانوا يفسقون ، فلما غتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة نحاسين أي
صاغرين نظيره قوله تعالى (لمن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود)

وروى أبو نصر عن ابن سعيد الخدري قال ؛ قال رسول الله ﷺ :
« ما أهلك الله قوماً ولا قرناً ولا أمة بعذاب من السماء بعد ما أنزل الله التوراة
على وجه الأرض غير أهل القرية التي كانت حاضرة البحر الذين مسخروا قردة
ألم تسمع قول الله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب بعدما أهلكنا القرون
الأولى) الآية

(باب في قصة داود وسليمان عليهما السلام في الحرث)

قال الله تعالى (وداود وسليمان إذ يحكمان إذ نفشت فيه غنم القوم
وكننا لحكمهم شاهدين)

قال ابن عباس وقتادة : كان الحرث زرعاً ، وقال ابن مسعود وشريح :
كان الحرث كرماً قد تداك عناقيده إذ نفشت فيه غنم القوم رعيته ليلاً فأفسدته
والنفش بالليل والهمل النهار وهو جميعاً الرعي بلا راعي وكننا لحكمهم شاهدين
ولا يخفى علينا منه شيء .

قال ابن عباس وقتادة ، إن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب غنم
والآخر صاحب حرث فقال صاحب الحرث إن هذا انفلتت غنمه ليلاً فوقعت في
حرثي فلم تبق منه شيئاً قال له داود ذهب فإن الغنم لك فأعطاه رقاب الغنم بالحرث
فمرا على سليمان فقال لها كيف قضى بينكما ؟ فأخبراه فقال سليمان لو رأيت أمر كما
لقضيت بغير هذا فأخبره بذلك داود فدعاه فقال له كيف كنت تصنع في القضاء
بينهما ؟ قال كنت أدفع الغنم إلى صاحب الحرث سنة فيسكون له نساها وصورها
ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم فإذا كان العام المقبل
وصار الحرث كهيئته يوم أكل فيدفع إلى أهله ويأخذ صاحب الغنم غنمه

وقال ابن مسعود وشريح ؛ إن راعياً نزل ذات ليلة بجنب كرم فدخلت
الأغنام الكرم وهو لا يشعر فأكلت القضبان وأفسدت الكرم فصار صاحب
الكرم من الغد إلى داود فقضى بالأغنام لصاحب الكرم لأنه لم يكن يرى من الأغنام
وثن الكرم تفاوت قال فمرا بسليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة فقال لها ما قضى
بينكما داود فقضا عليه القصة فقال سليمان غير هذا أرفق بالفريقين فعادا إلى داود
فأخبراه بذلك فدعا سليمان وقال له بحق النبوة والأبوة إلا ما أخبرتني بالذي هو
أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الأغنام إلى صاحب الكرم ليقتفع بنسائها وصورها
ومنافعها ويعمل الراعي في إصلاح الكرم إلى أن يعود كهيئته ثم يتسلمه صاحبه وترد
الأغنام إلى صاحبها فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فذلك قوله تعالى
(ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً) قال الحسن كان الحكيم ما قضى به سليمان
ولم يعنف الله داود في حكمه قال الأستاذ وهذا يدل على أن لكل مجتمع نصيب

(باب في قصة استخلاف داود ابنه سليمان عليهما السلام وذكر بدء الخاتم)
قال أبو هريرة رضي الله عنه : أنزل الله تعالى كتاباً من السماء على داود عليه
السلام مختوماً بخاتم من ذهب فيه ثلاث عشرة مسألة فأوحى الله تعالى إليه أن سل
عنها لابنك سليمان فإن هو أخرجها فهو الخليفة من بعدك قال فدعا داود عليه السلام
صبيين قساً وتبهيين حبراً وأجلس سليمان بين أيديهم وقال : يا بني الله إن الله تعالى
أنزل على كتاب من السماء فيه مسائل وأمروني أن أسألك عنها فإن أخرجتها فأنت
الخليفة من بعدى فقال سليمان : ليسألني نبي الله عما بدا له وما توفيقي إلا بالله .
قال داود يا بني ما أقرب الأشياء وما أبعدها ؟ وما آنس الأشياء وما أوحشها ؟
وما أحسن الأشياء وما أقبحها ، وما أقل الأشياء وما أكثرها ، وما القائنان وما
الساعيان ، وما المشتركان وما المتباغضان ، وما الأمر الذي إذا ركبته الرجل حمد
آخره ، وما الأمر الذي إذا ركبته الرجل ذم آخره ، فقال سليمان عليه السلام أما
أقرب الأشياء فالآخرة ، وأما أبعد الأشياء فما فاتك من الدنيا ، وأما آنس الأشياء
فجسد فيه روح ، وأما أوحش الأشياء فجسد لا روح فيه ، وأما أحسن الأشياء
فالإيمان بعد الكفر ، وأما أقبح الأشياء فالكفر بعد الإيمان ، وأما أقل الأشياء
فالمؤمنين ، وأما أكثر الأشياء فالشك ، وأما القائنان فالسما والارض ، وأما الساعيان
فالشمس والقمر ، وأما المشتركان فالليل والنهار وأما المتباغضان فالموت والحياة
وأما الأمر الذي إذا ركبته الرجل حمد آخره فالحلم عند الغضب وأما الأمر الذي
إذا ركبته الرجل ذم آخره فالعقد عند الغضب .

قال ففكروا الخاتم فإذا جواب المسائل سواء على ما نزل من السماء فقال
القسيسون والرهمان لا نرضى حتى نسأله عن مسألة فإن أخرجها فهو الخليفة من
بعدك فقال سليمان به السلام سلوني وما توفيقي إلا بالله فقالوا له ما الشيء الذي
إذا صلح صلحنا ، ومن الإنسان وإذا فسد فسد كل شيء من الإنسان فقال هو
القلب فقام داود بسعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال ، إن الله تعالى أمرني
أن استخلف عليكم سليمان قال فضجت بنو إسرائيل وقالوا فلام حديث يستخلف
علينا وفيما من هو أفضل منه وأعلم فبلغ ذلك داود عليه السلام فدعا رؤساء أسباط
بنو إسرائيل وقال لهم ، إنه قد بلغني مقاتلكم فاروني عصيكم فأى عصا أثمرت فإن

صاحبها ولي هذا الامر بعدى ، قالوا قد رضينا فجاهوا بعصيتهم فقال داود ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه فكتبوا ، ثم جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثم ادخلت بيتاً واغلق عليها الباب وسد بالاقفال وحر سهرة وس اسباط بني اسرائيل فلما اصبح صلي الغداة ثم اقبل ففتح الباب فاخرج عصيتهم كما هي واما عصا سليمان فقد اورقت واثمرت قالوا فسلموا الامر في ذلك لداود عليه السلام فلما رأى ذلك داود حمد الله وحمل سليمان خلفه ثم سار به في بني اسرائيل فقال إن هذا خليفتي عليكم من بعدى ، قال وهب بن منبه لما استخلف داود لابنه سليمان عليهما السلام وعظه فقال ، يا بني إياك والهزال فإن نفعه قليل ويهيج العداوة بين الإخوان وإياك والغضب فإن الغضب يستخف بصاحبه وعليك بتقوى الله وطاعته فإنهما يغلبان كل شيء وإياك وكثرة الغيرة على أهلك من غير شيء فإن ذلك يورث سوء الظن بالناس وإن كانوا برآء قطع طمعك عن الناس فإن ذلك هو الغنى وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر وإياك وما يتعذر منه القول والفعل وعود نفسك واسانك الصدق والزم الإحسان فإن استظمت ان يكون يومك خيراً من أمسك فافعل وصل صلاة مودع ولا تجالس السفهاء ولا ترد على عالم ولا تماره في الدين وإذا غضبت فاصق نفسك بالارض وتحول من مكانك وارج رحمة الله فإنها وسعت كل شيء

قالوا ثم ان سليمان بعد ان استخلف اخفى أمره وتزوج بامرأة واستتر عن الناس وأقبل على العلم والعبادة ثم ان امرأته قالت له ذات يوم يا بني انت وامى ما أكمل خصالك واطيب رائحتك ولا اعلم خصلة اكرها إلا أنك في مؤنة أى قلوب دخلت السوق فتمرضت لرزق الله ارجوت أن لا يخيبك الله فقال سليمان إنى ما عملت عملا قط ولا أحسنه ثم أنه دخل السوق صبيحة يوم ذلك فلم يقدر على شيء فرجع فانخرها فقالت غدا يكون إن شاء الله فلما كان اليوم الثاني مضى حتى انتهى إلى ساحل البحر فإذا هو بصياد فقال له هل لك ان أعينك وتعطينى شيئاً قال نعم قال فاعانه فلما فرغ اعطاه الصياد سمكتين فاخذهما وحمد الله تعالى ثم أنه شق بطن أحدهما فاذا هو بخاتم في بطنها فاخذه وصره في ثوبه وحمد الله عز وجل واخذ السمكتين وجاء بهما إلى منزله ففرحت امرأته بذلك فاخرج الخاتم ولبسه في إصبعه فحكف عليه الطير والريح ووقع عليه بهاء الملك ثم لم يلبث أبواه أن ماتت حمل المرأة واباها إلى اصطخر والله اعلم

(باب في ذكر وفاة داود عليه السلام)

قال الشيخ أبو زيد ، سمعت الشيخ أبا عمر والفارسي يروى أن داود عليه السلام كانت له وصيفة تفتق الأبواب كل ليلة تأتيه بالمفاتيح ثم تنام ويقبل داود على ورده في العبادة ، فاغلت ذات ليلة الأبواب وجاءت بالمفاتيح ثم ذهبت لتنام فرأت رجلاً قائماً وسط الدار فقالت له ما أدخلك هذه الدار فإن صاحبها رجل غيور خذ حذرك ، فقال لها أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير إذنهم

قال فلما سمع داود ذلك وكان في المحراب واقفاً يصلي فزع واضطرب وقال لها على به فقال له داود ما أدخلك هذه الدار في هذا الوقت بغير إذن ، فقال أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير إذن ، فقال له إذا فانت ملك الموت قال نعم قال أفجئت داعياً أم ناعياً ، فقال ناعياً ، فقال داود عليه السلام ، فهلا أرسلت إلي قبل ذلك وأذنتني لاستعداد للموت ، فقال كم أرسلت إليك فلم تنتبه

قال ومن كانت رسلك التي أرسلت إلي ، فقال يا داود أين أبوك إيشاء وأين أمك وأين أخوك ، وأين جارك ، وأين قهار منك ، وأين فلان وفلان ، فقال ما توأ كلهم فقال أما علمت أنهم رسلي إليك وأن التوبة تبلغك

قال الأستاذ رضي الله عنه وفي هذا المعنى قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لا يزال المرأ ينهى أخاه حتى يكونه وقد يرجو الرجا فيحول الموت دونه وقد نظمه بعض الشعراء فقال :

وإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم بانك معها محمول
وإذا وليت أمور قوم مدة فاعلم بانك عنهم معزول

قال أهل التاريخ كان عمر داود عليه السلام مائة سنة وكانت مدة ملكه أربعين سنة ، وقد مضى في قصة آدم وما وهب لداود من عمره عليهما السلام

﴿﴾ مجلس في قصة سليمان عليه السلام وما يتعلق به ﴿﴾

قال الله تعالى د وورث سليمان داود ، يعني نبوته وحكمه وعلمه وملئكه دون
سائر أولاده وكان لداود عليه السلام تسعة عشر ابناً .

وقال مقاتل ، كان سليمان عليه السلام أعظم ملكاً من أبيه داود وأقضى
منه وكان داود عليه السلام أشد تعبداً من ابنه سليمان ، وكان سليمان حين أتاه
الله الملك والحكمة ابن ثلاث عشرة سنة وكان ملكاً ما بين الشام إلى اصطخر وقيل
إنه ملك الأرض كلها

وروى مجاهد عن ابن عباس ، قال ملك الأرض بعد أربعة . مؤمنان وكافران ،
فأما المؤمنان ، فسليمان عليه السلام وذو القرنين ، وأما الكافران فالنمرود
ابن كنعان وبختنصر

(باب في صفة جليلة عليه السلام)

قال وهب بن منبه وكعب الأحبار ، كان سليمان أبيض جسيماً وضيئاً
جميلاً كثير الشعر يلبس من الثياب البيض ، وكان خاشعاً متواضعاً يخالط
المساكين ويجالسهم ويقول مسكين يجالس مسكيناً ، وكان أبوه في أيام ملكه
يشاوره في كثير من أموره مع صغر سنه ووفور عقله وعلمه ؛ صلى الله على
سليمان وعليه وسلم .

(باب فيما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه)

(من أنواع المناقب والمواهب وغير ذلك)

قال الله تعالى (وقد آتينا داود وسليمان علماً وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) وقال الله تعالى لإخباراً عنه (رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي أنك أنت الوهاب) فأجاب الله دعاءه وأكرمه بخصائص لم يكرم بها أحداً من خلقه قبله ولا بعده فمنها تسخير الله له الريح كما قال عز وجل (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب) أي أراد بالغة حمير .

قال محمد بن إسحق وغيره من أصحاب الأخبار ، كان سليمان عليه السلام رجلاً غزاه لا يكاد يقعد عن الغزو وكان لا يسمع بملك في ناحية من الأرض إلا أتاه حتى يذله ويقهره وكان إذا أراد الغزو أمر بعسكره فيضرب له خشب ثم ينصب له على الخشب سرير ثم يحمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها حتى إذا حمل معه ما يريد أمر العاصف على الريح فيدخل تحت تلك الخشب فتحملها حتى إذا أقلتها أمر الرخاء فمرت به شهراً في غدوته وروحته إلى حيث أراد كما قال الله تعالى (وسليمان الريح غدوها شهراً ورواحها شهراً) .

وقال ابن إسحق ذكر لي أن رجلاً نزل منزلاً من ناحية الدجلة فوجد فيه كتاباً مكتوباً كتبه بعض أصحاب سليمان إما من الجن أو من الإنس نحن نزلنا وما بنيناه ومبنيها وجدناه غدونا من إصطخر فقلنا ونحن رائحون إن شاء الله تعالى فأتونا الشام قال وكان فيما بلغني تمر بعسكر الريح الرخاء تهوى به إلى حيث أراد لأنها تمر بالمزرعة فلا تحركها .

وأخبرنا الحسن بن محمد بن فتحويه بإسناده عن وهب بن منبه عن أبيه قال أن سليمان عليه السلام ركب الريح يوماً فمرت بحراث فنظر إليها الحراث وقال لقد أوتى آل داود ملكاً عظيماً فحملت الريح كلامه وألقته في أذن سليمان عليه السلام فنزل حتى أتى الحراث وقال له لقد سمعت قولك وإنما نزلت إليك لتلاثنى

(م ٢١ - - قصص الأنبياء)

ما لا تقدر عليه أن تسبيحة واحدة يقبلها الله منك خير مما أوتى آل داود فقال له
الحراث أذهب الله همك كما أذهبت همي .

وقال مقاتل ؛ نسجت الشياطين لسلیمان عليه السلام بساطاً فرسخاً في فرسخ
ذهباً في إبريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله
ثلاث آلاف كرسي من الذهب والفضة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء
على كراسي الفضة وحوطهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلمهم الطير
بأجنحتها لئلا تقع عليهم الشمس وترفع ربح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح
إلى الرواح ومسيرة شهر من الرواح إلى الصباح .

أخبرنا ابن فتحويه بإسناده عن محمد بن كعب القرظي قال : بلغني أن عسكر
سلیمان عليه السلام كان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها الإانس وخمسة وعشرون
منها للجن وخمسة وعشرون منها للوحوش وخمسة وعشرون منها للطيور وكان له
لف بيت من القوارير على الخشب فيها ثلثمائة سرير وسبعمائة امرأة فيأمر الريح
العاصفة فتحمله ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله تعالى إليه وهو سائر بين السماء
والأرض إني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت
به الريح إليك فأخبرتك به .

ومنها تعليم الله له كلام الطير حق النمل كما قال الله تعالى (يا أيها الناس علمنا
منطق الطير) الآية .

قال ابن فتحويه بإسناده عن كعب الأحبار قال : صاح رشان عند سليمان فقال
أتدرون ما يقول ؟ قالوا لا فقال إنه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاح
فاخته عند سليمان فقال أتدرون ما تقول ؟ قالوا لا قال إنها تقول ليت ذا الخلق لم
يخلقوا وصاح طاووس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول كما تدن تدان
وصاح هدهد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول من لا يرحم لا يرحم
وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول استغفروا الله يامذنبون
فمن ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتله قال صاح الطيطوي فقال أتدرون ما يقول ؟

قالوا لا قال إنه يقول كل حي ميت وكل جديد بال ، قال وصاح خطاف فقال :
أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول قدموا خيرا تجدوه ، فمن ثم نهى رسول الله
ﷺ عن قتله وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال إنها تقول سبحان رب
الأعلى ملء سمائه وملء أرضه ، وصاح قمرى فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه
يلعن المشارين ، والهدأة تقول كل شيء هالك إلا وجهه ، والقطا تقول من سكت
سلم ، والعنقاء تقول ويل لمن الدنيا همه ، والبازي يقول سبحان ربى الأعلى وبحمده
والضفدع يقول سبحان رب القدوس والصفور يقول سبحان المذكور بكل مكان .
وأخبرنا ابن ميمون بإسناده عن مكحول قال : صاح دارج عند سليمان عليه
السلام فقال أتدرون ما يقول ؟ قالوا لا قال إنه يقول الرحمن على العرش استوى
وإسناده عن صالح المروى عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ : إذا صاح
يقول اذكروا الله يا غافلون .

وروى عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي عليهم
السلام أنه قال إذا صاح النسر يقول - يا ابن آدم عش ما شئت فإن آخرك الموت
وإذا صاح العقاب قال في البعد عن الناس أنس ، وإذا صاح القنبر قال اللهم العن مبعض
آل محمد وإذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين ويمد الأضالين كما يمدها القارىء .
وقال فرقد السنجى من سليمان ببلبل فوق شجرة وهو يحرك رأسه ويميل ذنبه
فقال لأصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال إنه
يقول أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العناء .

قال وم من سليمان بموكبه على نملة فقالت النملة سبحان الله العظيم ما أعظم ما أوتى
آل داود فتبسم سليمان من قولها وفسر قولها لجنوده ، ثم قال ألا أنبئكم بخبر هو
أعجب من هذه النملة ؛ قالوا بلى قال تقول اتقوا الله فى السر والعلانية والقصد فى
الغنى والفقر والعدل فى الغضب والرضا .

وروى أن سليمان عليه السلام خرج يوماً يستسقى ومعه الإنس والجن فر
بنملة عرجاء ناشرة جناحيها رافعة يديها وهى تقول اللهم إنا خلقنا من خلقك لاغنى

لنا عن رزقك فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا ؛ فقال سليمان لمن معه ارجعوا
فقد سقيتم بدعوة غيركم .

وحكى أن نملة دبت على سليمان فحملها ورمى بها فوقعت النملة فقالت ما هذه
الصولة وما هذا البطش أما علمت إني أمة من أنت عبده فغشى على سليمان فلما آفاق
قال اتوني بها فسألها فقالت له جلدى رقيق وبدنى ضعيف وأخذتني ورميتني فقال
لها سليمان اجعليني في حل فإنني لم أقصد ذلك فقالت بشرط أن لا تنظر إلى الدنيا
بهن الشهوة ولا تستغرق في شهواتك وضحكك ولا يستعين أحد بجاهك إلا بذلته
له قال قد فعلت ذلك قالت فأنت في حل .

ومنها قصة وادى النمل قال الله تعالى (وحشر لسليمان جنوداً من الجن والإنس والطير
فهم يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم (حتى إذا أتوا على وادى النمل) الآية .

قال الشعبي وكعب وغيرهما من أهل الكتيب : إن سليمان عليه السلام كان
إذا ركب حمل أهله وحشمه وخدمه وكتابه في موكبه الذى هي له وقد اتخذ فيه
مطابخ ومخابز يحمل فيها تنانير الحديد وقدوراً عظيماً يسمع كل قدر عشرة من
الجزر وقد اتخذ ميادين للدواب أمامه فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وتجرى
الدواب بين يديه بين السماء والأرض والريح تهوى بهم فسار من لصطنخر إلى اليمن
وتوغل في البادية فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبي
يبعث في آخر الزمان طوبى لمن آمن به واتبعه ، ثم أتى أرض الحرم فرأى حول
البيت أصناماً تعبد من دون الله فجاوز البيت فلما جاوز سليمان بكى البيت فأوحى
الله تعالى إلى البيت ما يبكيك ؟ فقال يارب هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك
مروا على فلم يهبطوا بي ولم يصلوا عندي ولم يذكروك بحضرتي وهذه الأصنام
تعبد حولي من دونك قال فأوحى الله تعالى إليه : لا تبك فإنى سوف أملاك
وجوهاً سجدوا لي وأنزل فيك قرآناً جديداً وأبعث منك في آخر الزمان نبياً هو
حب الأنبياء إلى واجمل فيك عباداً من خلقي يعبدونى وأعرض في عبادى فريرة
يتفون بها إلى البيت زفا مثل زقيف النسور إلى أوكارها ويحنون إليك حنين الناقة

إلى ولدها والحمامة إلى بيضها وأطهرك من الأوثان وعبدة الشيطان ، ثم أمر
الله سليمان عليه السلام أن يزل عليه ويصلي فيه ويقرب عنده قرباناً ففعل ذلك قال
فذهب عند الكعبة خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال
لمن حضر من أشرف قومه إن هذا المكان يخرج منه نبي عربي ويعطى النصر على
جميع من زاواه ويكون السيف على رقبة من خالفه وتبلغ هيبتة مسيرة شهر القريب
والبعيد عنده سواء لا تأخذه في الله لومة لأثم فطوبى لمن أدركه وصدقه قالوا فكم
بيننا وبين خروجه يا نبي الله ؟ قال قريب من ألف عام قال ثم إن سليمان مضى حتى
أتى على وادى السدير واد من الطائف فأتى على وادى النمل فقامت نملة تمشي وكانت
عرجاء تتكارس وكانت مثل الدب العظيم ، وقال الشعبي كانت ذات جناحين ،

واختلفوا في اسمها ، فأخبرني ابن ميمونة بإسناده عن الضحاك قال - كان إسم
نملة سليمان طاخية وقيل خرمة فنادت لما رأت سليمان في موكبه (يا أيها النمل
أدخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) وكان لا يتكلم
خلق إلا حملته الريح وألقته في مسامع سليمان ، قال مقاتل فسمع سليمان كلامها من
ثلاثة أميال فتبسم ضاحكاً من قولها وقال (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي
أنعمت علي وعلى والدي) الآية .

وفي بعض الأخبار ، أن سليمان لما سمع قولها نزل عليها وقال اتوني بها فاتوه
بها ، فقال لها لم حذرت النمل هل سمعت لاني ظالم ؟ أما علمت لاني نبي عدل فلم قلت
لا يحطمنكم سليمان وجنوده ؟ قالت النملة يا نبي الله أما سمعت قولي وهم لا يشعرون
مع إن ما أردت حطم النعوس وإنما أردت حطم القلوب خشيت أن يتمنين
بالعظيمة فيفتنن ويشغلن بال نظر إليك عن التسبيح فقال لها عظيمي فقالت له النملة
هل علمت لم سمى أبوك داود ؟ قال لا . قالت لأنه داوى جراحه قلبه ثم قالت
وهل تدري لم سميت سليمان ؟ قال لأنك لا تأكل اللحم وكنت إلى ما أوتيت بسلامة
هذورك وحنك أن تلعن أبوك داود ، ثم قالت أن تدري لم سخر الله تعالى لك الريح ؟

قال لا ، قالت ليخبرك أن الدنيا كلها ربح . فتبسم ضاحكاً من قولها ، متعجباً وقال
(رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي) الآية .

أخبرني ابن ميمون بإسناده عن ابن عباس قال نهى رسول الله ﷺ عن قتل
أربعة من الدواب : المدهمة والصرده والنحلة والنملة .

ومنها قصة العنقاء في إثبات القضاء والقدر ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد
بإسناده عن محمد بن جعفر الأصم قال . عاتب سليمان الظير في بعض عتابه فقال
لها إنك لتأتين كذا وتفعلين كذا فقالت والله رب السماء والأرضي إنا لنحرص على
الهدى ولكن قضاء الله يأتي إلى منتهى علمه وقدره ، قال صدقت لأحيلة في القضاء
فقلت العنقاء لست أومن بهذا فقال لها سليمان ألا أخبرك بأعجب العجب قالت بلى
قال إنه ولد الليلة غلام بالمغرب وجارية بالمشرق هذا ولد ملك كبير وهذه ابنة ملك
والجارية والولد يجتمعان في أمتع المواضع بقدره الله تعالى وأهوالها على سفاح في
جزيرة في وسط البحر فقالت العنقاء يا بني الله أوقد ولدهذان الولدان المذكوران
قال نعم الليلة قالت فهل أخبرت بهما من هما وما اسمهما واسم أبيهما قال بلى اسمهما
كذا وكذا واسم أبيهما كذا وكذا فقالت العنقاء يا بني الله أنا أبطل القدر وأفرق
بينهما فقال لها سليمان إنك لا تقدرين علي .

فأشهد سليمان عليها الطير وكفالت . برمة فرت العنقاء وكانت في كبر الجبل عظماً
ووجهها وجه إنسان ويدها يد إنسان وئديها ئدي امرأة وأصابعها كذلك فحملت
في الهواء حتى أشرفت على الدنيا فأبصرت كل دابة وما فيها وكل إنسان وأبصرت
الجارية وهي في مهدها وقد أجلسوها فاختلفت الجارية من المهد وطار بها حتى
انتهت إلى جبل شاهق في السماء في جوف البحر وسط جزيرة وفي الجزيرة شجرة
عالية لا ينالها طائر إلا بجهد طيرانه ولها أغصان عظيمة تزيد على ألف غصن كل
غصن كأعظم ما يكون من شجرة الأرض كثيرة الورق فاتخذت لها وكرآني وسط
الشجرة عجيباً واسعاً مضيئاً وطيباً وأرضعتها وحصنت الجارية تحت جناحها
وصارت تأتيها بأنواع الطعام والشراب وتحفظها من البرد والحر وتؤنسها بالليل
لا تخبر أحداً بشأنها كي يتم أمرها وهي تغدو إلى سليمان وتروح إلى وكرها ففهم

صالحان بذلك ولم يبدئه لها فبلغ الغلام مبلغ الرجال وصار ملكاً من ملوك الدنيا
وكان يلهو بالصيد ويحبه ويطلبه فصار لا يقرأ ليل ولا نهاراً وكان أبوه ملكاً عظيماً.
فلما رأى الملك ولده لا هياً بالصيد ولم يزجره عنه حتى نال منه مالا طويلاً
وأمر عظيماً فقال يوماً لأصحابه كل صيد البر وفلواته ومفازته قد تلت منه فقد
ركبت البحر فأنال من صيده فإنه كثير الصيد وكثير العجائب فقال له المشيرون
من وزرائه نعم ما رأيت وهو أكثر من خلق الله مبدءاً وعجائب فأمر الغلمان
بتجهيز ما يحتاجون إليه وهياً السفن وجعل يأخذ من كل شيء يملكه ويأخذ من
الوزراء والمشيرين والغلمان والجواري والطباخين والخبازين والدواب والبزاة
والصقور وكلاب الماء وجميع ما يحتاجون إليه مما يريد ويشتهي من الملاهي
وركب السفن ومن في البحر كذلك يتصيد ويتلذذ بالفرح ولا يعرف شيئاً من
غير ذلك حتى سار مسيرة شهر فأرسل الله تعالى على سفينته ريحاً خفيفة فضربتها
وساقها حتى قربت من العنقاء والجارية وهي مسيرة خمسين ليلة كل ليلة مسيرة سنة
ثم ركبت سفينته بإذن الله تعالى وأصبح الغلام فرأى سفينته راكدة فأخرج رأسه
من ناحية ونظر فإذا هو بجبل شاهق في وسط جزيرة في البحر في لون الزعفران
طويلة لا يدري أين منتهاها ولا عرضها وإذا هو بشجرة خضراء في رأس الجبل
ملتفة كثيرة الأغصان والأوراق ورقها في عرض أذن الفيلة تفوح برح الأفعوان
وليس لها تمر بيضاء الساق فقال لأصحابه إنى أرى عجبا أرى جبلا شاهقاً في وسط
جزيرة لم أر مثله ولا مثل طولها ولا عرضها وأرى شجرة فيها كل حسن قد أعجبنى
منظرها ثم أنه حرك سفينته وجاء بها إلى الجزيرة التي فيها الجبل وأرساها عندها .
وقال لأصحابه - أقيموا ههنا حتى أمضى وأبصر هذه الجزيرة وهذا الجبل الذي
في وسطها هل عمارة أو أثر آدمي في تلك الجزيرة وآتيكم بخبرها ثم إنه نزل من
السفينة ورفقته وداروا في الجزيرة فلم يروا فيها أثر عمارة ولا عبر بها آدمي
قبيلة ثم إنه صعد إلى رأس الجبل فرأى أصل الشجرة وكانت الجارية قد نظرت إلى
السفينة وهي جارية فلم تعرف ما هي لأنها أخذت صغيرة ولم تدر ما السفن فبقت
متعجبة وليس عندها أحد تسأله عن ذلك .

فبينما هي متفكرة في أمر السفينة إذا حس حديث الأدميين فأخرجت رأسها
من الوكر فنظرت يمينا وشمالا فلم تر أحدا فنظرت في أصل الشجرة فإذا بالغلام
ورفته فتمجبت منهم لما رأت من حسنهم وجمالهم وكيف وصلوا إلى ذلك الموضع
وأن الغلام لما بلغ أصل الشجرة نظر يمينا وشمالا متعجباً من عظم تلك الشجرة
ورفعها إلى السماء وصار ينظر إلى أغصانها وكانت الجارية قد أخرجت رأسها تنظر
إلى السفينة فخانت منه التفاته إلى أصل الشجرة فوقت عينها في عين الغلام فرأى
الغلام صورتها ورأى عجباً من عظم جمالها وكثرة شعرها وذوائبها فقال لها الغلام
بلسان فصيح أجنبية أنت أم إنسية قالت لا والله أنا من خيار الإنس فن أنت
فأفهمها لغته فقالت لا أدري ما تقول وما أنت إلا أنى أرى وجهك كوجهي
وكلامك ككلامي وإنى لا أعرف شيئاً غير العنقاء وهي أمى القى ربنتى وحضنتى
وهى تأتىنى كل ليلة وتسميني بنتها فقال لها الغلام وأين العنقاء فقالت هى فى نوبتها
فقال الغلام وما نوبتها قالت تغدو كل يوم إلى ملككم سليمان فتسلم عليه وتقيم
عنده إلى الليل ثم تجيئنى وتحدثنى بكل ما يحكم به سليمان وإنه ملك عظيم على
ما تصفه أمى العنقاء عن ملكه وإنها تخبرنى إنه أحسن الناس وجهاً وأتم خلقاً منى
قال فارتعد الغلام ثم قال عرفته وهو الذى قتل أبى وسمى دولته وإنى لمن طلاقته
ومن يؤدى إليه الخراج وقد سخر الله الطير والرياح ثم بكى الغلام ساعة فقالت
له الجارية وما يبكيك؟ قال وجدتك فى مثل هذا الموضع الذى لا إنس فيه ولا أحد
وان مثلك فى الدنيا عدد الشجر والدر كلهم فى مقاصير الذهب والفضة والعيش
الهنىء والرغد واللذة الحسنة مع الأزواج يتعانقون ويتعممون ويتوالدون
والأولاد مثل خلقك وخلقى أرأيت إن هاجت الريح فأزعجتك من وكرك ومن
يمنك ان تقعى فى البحر وإن وقعت فى البحر فمن ذا الذى يخرجك قال ففزعته
الجارية من قوله وقالت وكيف يكون معى إنسى مثلك يحدثنى بمثل حديثك
ويحفظنى مما ذكرت فقال لها الغلام او لا تعلمين ان الله اتخذ سليمان نبياً وسخر له
الريح والطير وهو الذى رحمنى وساقنى إليك لا كونه لك إيفاً وصاحباً وإنسى
وإنى لمن أولاد الملوك فقالت له الجارية وكيف تصير لى وأصير إليك وإن العنقاء

هذه تروح وتجي وتعضدني إلى صدرها بين جناحيها فقال لها الغلام تكثيرين جزعك
ووحشتك وبكائك على العنقاء ليلتك هذه فإذا جاءت إليك وقالت ماتحين
وما تريدن وما شأنك فأخبريها يوحدتك في نهارك ثم انظري ما يكون من ردها
عليك فأخبرني بذلك ففعلت وإن العنقاء رجعت إليها فوجدتها باكية حزينة ،
فقال لها يا بنية مالك - فقالت الوحدة والوحشة قتلتني وإني لمن عجة على نفسي
من ذلك ، فقالت لها يا بنية لا تخافي ولا تحزني فإني استأمر سليمان عليه السلام أن
آتيه يوماً ويوماً لا آتيه فيكون ذلك أسأ

فلما أصبحت أخبرت الغلام بجوابها . فقال لها أو تصبرين على ذلك لا واسكني
سأنحر دوابي هذا فرساً وأبقر بطنه وأخرج ما فيه وأطيبه بطيب معي وأدخل
أنا في جوفه وألقيه على رأس سفينتي هذه فإذا جاءتك العنقاء تقولين لها أرى
عجيباً أرى خلقة ملقاة على كوشل هذه السفينة فلو اخطفتها وحملتها إلى فيكانت
معي في وكري فانظر إليها وآنس بها كان أحب إلي من كونك عندي نهاراً
وإمساكك من إخبار سليمان وإخبار المسلمين .

فإذا رجعت العنقاء وجدتها على حالتها وكان سليمان قد شغل عنها فلم تصل
إليه في استئذنانها إياه في المقام يوماً والغدو يوماً ، فقالت لها يا بنية أن نبي الله قد
اشتغل عنى اليوم بالحكم بين الآدميين فلم أصل إليه قالت لها إني لا أريد أن
تتخلفني عنه نهاراً لمكان إخبار سليمان وإخبار المسلمين ، وإني أرى عجيباً في البحر
أرى بشيئاً مرتفعاً فما هو ؟ قالت له العنقاء هذه سفينة قوم سيارقرا كمين في البحر
قالت فما الذي أراه ملقى على رأس هذه السفينة قالت دابة ميتة القوها قالت
فاحتملها إلى لاستأنس بها وانظر إليها فانقضت العنقاء فاخطففت الفرس وكان
الغلام في بطنها فحملتها إلى عشها فقالت الجارية يا أماه ما أحسنه وضحكت ففرحت
العنقاء بذلك وقالت يا بنية لو علمت لكنت أتيتك بمثل هذا منذ حين .

ثم إنهما طارت إلى نوبتها عند سليمان فخرج الغلام من بطن الفرس فلاعبها
ولامسها وافتضحها وأحبلها من ساعتها وفرح كل واحد منهما بصاحبه واستأنس به

وكانت سليمان عليه السلام قد جاءه الخبر باجتماعهما من قبل الريح وأن العنقاء واحدة
 وكان مجلس سليمان يومئذ بمجلس الطير وحكمهم فجلس سليمان عليه السلام للطير في
 مرتبته ودعا بعرفاء الطير وأمرها أن لا تدع طيراً إلا حشرتة إليه فحشرت إليه
 جميع الطيور ثم أمر عرفاء الجن أن يحشروا قبائل الجن من سكان البحار وسكان
 الجزائر والهواء والمغارات والقفلات والأمصاف فحشروا إليه وأمر الشياطين
 فأحضرت كذلك ، وكذلك الإنس كهيئتهم ثم كل دابة تدب على وجه الأرض
 فاشتد الخوف وقالوا في أنفسهم نشهد بالله أن نبي الله قد أمه أمر عظيم فأولسهم
 قد خرج في تقديم الطير سهم الحداة وكانت الطير لا تقدم إلا بالسهم وكذلك
 الجن والشياطين فتقدمت الحداة تدهى على زوجها وكان قد جحد ولدها فقالت
 يا نبي الله إنه سفدني حتى احتضنت بيضى وأخرجت ولدى جحدنيه فقال سليمان
 للذكر ما تقول فقال يا نبي الله إنها لا تمنع من الطير وهي تحوم البرارى فلا أدري
 هل هو منى أو من غيرى .

قال - فأمر سليمان بولدها فجىء به فوجد الشبهه فألحقه بالذكر ثم قال لها
 لا تمكنيه من السفاد حتى تشهدى عليه بذلك الطير بالصراخ فإنه لا يجحدك بهدوى
 ابدأ إلى يوم القيامة فهى إذ سفدها ذكرها صاحت وقالت يا طيور سفدنى اشهدوا
 معاشر الطيور اشهدوا .

ثم يخرج سهم العنقاء فتقدمت إليه فقال سليمان ما قولك فى القدر فقالت
 يا نبي الله لى من القوة والاستطاعة ما أذفع الشر وأفعل الخير فقال لها سليمان
 فأين الشرط الذى بينى وبينك زعمت أنك تفرقين بقوتك واستطاعتك بين الجارية
 والخلام فقالت قد فعلت قال سليمان الله أكبر فائتنى بها الساعة والخلق شهود لأعلم
 صدق قولك ثم أمر عريف الطير أن يكون معها لا يفارقها حتى تاتى بها فمرت
 العنقاء حتى قربت من الجارية وكانت الجارية إذا قربت منها العنقاء تسمع خفيف
 أجنحتها فيبادر للخلام ويدخل جوف الفرس .

فلما رأتها البنت قالت لها كالفزعة أن لك شأننا إن رجعت من ساعتك قالت لها
 اى لعمري أن لى شأننا هذا سليمان قد أمر بإحضارك الساعة لأمر كان بينى وبينه

في أمرك وإني لأرجو نصرتي اليوم فيك قالت كيف تحمليني قالت علي ظهري
قالت وهل أستقر على ظهرك وإني أرى أهوال البحر فلا آمن أن أزال فأسقط
وأهلك قالت في منقاري قالت فكيف أصير في منقارك قالت لها وكيف أصنع ولا بد
لي من إحضارك عند سليمان وهذا عريف الطير معي وقد دعا بكفيلتي البومة .

فقال لها ادخلي في جوف هذا الفرخ ثم ترفعيه على ظهرك أو في منقارك فلا أرى
شيئاً ولا أسقط ولا أفزع من شيء قالت أصبت قال فدخلت في جوف الفرس
واجتمعت مع الغلام ، وحملت العنقاء الفرس في منقارها وطارت حتى وضعت
الفرس بين يدي سليمان عليه السلام .

فقالت - يا نبي الله الآن في جوف الفرس فأين الغلام ؟ فتبسم سليمان طويلاً
ثم قال لها أتؤمنين بقضاء الله وقدره وأنه لا حيلة لأحد في دفع قضائه وقدره
وعليه السابق الكائن من خير وشر فقالت أو من بالله وأقول إن المشيئة إلى العباد
والقوة فمن شاء فليفعل خيراً أو شراً قال سليمان كذبت ما جعل الله من المشيئة
للعباد شيئاً ، ولكن من شاء الله أن يكون سعيداً كان سعيداً ومن شاء الله أن
يكون كافراً كان كافراً ولا يقدر أحد أن يدفع قضاء الله وقدره بحيلة لا يفعل
ولا يعلم أن الغلام الذي قد ولد بالمغرب مع الجارية التي ولدت بالمشرق وقد
اجتمعا الآن في مكان واحد على سفاح ، وقد حملت الجارية من الغلام بولد فقالت
العنقاء لا تقل يا نبي الله هذا فان الجارية معي في جوف هذا الفرس فقال سليمان
الله أكبر أين البومة التي تكلمت بالعنقاء ؟ قالت ها أنا يا نبي الله ، قال سليمان أنت
على مثل قول العنقاء قالت نعم فقال سليمان قدر الله السابق قبل الخلق أخرجهما
على قضائه ومشيئته قال فأمر البومة ففتحت جوف الفرس وأخرجتهما جميعاً من
جوف الفرس ، فأما العنقاء ففزعت وطارت وأمنت بالقضاء والقدر ، وهذا
ما كان من شأن العنقاء والبومة في القضاء والقدر والله أعلم بالغيب .

ويروى أن سليمان سار من أرض العراق غادياً فقام بمدينة مرو وصلى العصر
بمدينة بلخ تحمله الريح وانظله الطير بخيله وجنوده ثم سار من مدينة بلخ متخللاً

بلاد الترك ثم جاوزها إلى أرض الصين ثم عطف يمينه على مطلع الشمس على ساحل
البحر حتى أتى أرض الهند ثم خرج منها إلى مكران كرمان ثم جاوزهما حتى أتى
أرض فارس فنزلها أياما ثم غدا منها فقام بكسركر ثم رجع إلى الشام وكان مستقره
مدينة تدمر وكان قد أمر الشياطين قبل خروجه من الشام إلى العراق أن يبنيوا له
تدمر فبنوها بالصفائح والعمد والرخام الأبيض والأصفر وفي ذلك يقول الشاعر

واذكر سليمان إذ قال المليك له قم في البرية فاحدها عن الفند
وجيش الجيش إنى قد أبحت لهم بناء تدمر بالأحجار والعمد

قال ووجدت هذه الأبيات منقورة في صخرة بأرض كسركر أنشأها بعض
صحاب سليمان بن داود عليهما السلام :

ونحت ولا حول سوى حول ربنا تروح إلى الأوطان من أرض تدمر
إذا نحن رحنا كان أمر رواحنا مسيرة شهر والفدو لآخر
أناس سر واول الله طوع نفوسهم لنصرة دين النبي المطهر
لهم في معاني الدين فضل وزأفة وإن نسبوا يوما فن خير معشر
من ركبوا الريح المطيعة أسرعت مبادرة عن شهرها ولم تقصر
تظلمهم طير صفوفا عليهم متى رفرفت من فوقهم لم تفر

(رجعنا إلى القصة) وقال قوم من العلماء - معنى قوله تعالى - فطفق مسجدا
بالسوق والأعناق - حبسها في سبيل الله وكوى سوقها بميسم الصدقة وقال الزهري
مسح سوقها وأعناقها من الغبار .

وقال وهي رواية الواقدي عن ابن عباس قال - وقال علي بن أبي طالب كرم
الله وجهه ثم إن الله أمر الملائكة الموكلين بالشمس حق ردها على سليمان وصلى
المصر في وقتها .

ومنها تسخير الله تعالى له الجن والإنس والطير والوحوش والشياطين
يعملون له ما يشاء كما قال الله تعالى (ومن الجن ومن يعمل بين يديه بإذن ربه
ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه عذاب السعير) وذلك أن الله تعالى وكل لهم ملكاً
بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان ضرب به ضربة أحرقتة ، فما عملت له
الشياطين بأمره وأحدثوا له الحمامات والطواحين والقوارير والصابون وأشياء
كثيرة واحترفوا له نهر الملك والقوا ترابه بين خانقين وقصر شيرين وما عملوا له
الغياصة كما قال الله تعالى (ومن الشياطين من يغوصون له) الآية وقال تعالى
(والشياطين كل بناء وغواص) وكانوا يغوصون في البحار ويستخرجون أنواع
اللؤلؤ والدر وسائر الجواهر البحرية . وكانوا يستخرجون له اليواقيت والزمرد
وأنواع الجواهر الثمينة من المادان وهم أول من فعل ذلك .

(حديث القبة)

قال وهب بن منبه - بينما سليمان عليه السلام على ساحل البحر والرياح من تحته
والإنس عن يمينه والجن عن شماله والطير تظله إذ نظر إلى أعظم أمواج البحر
فدعته نفسه أن يعلم ما في قعر البحر فأمر الريح فسكنت من تحته ، ثم قعد على
كرسي ملكه ثم دعا رأس الغواصين فقال له اختر لي من أصحابك مائة رجل فاختر
له مائة رجل فقال له اختر لي من المائة ثلاثين فاختر له ثلاثين فقال اختر لي من
الثلاثين عشرة فاختر له عشرة فقال اختر لي من العشرة ثلاثة فاختر له ثلاثة فقال
لو احد منهم غص حتى تنظر إلى قاع البحر وأنا تبنى بالخبر فقال له سمعاً وطاعة لك
يا نبي الله فغاص في البحر وأبعد ثم خرج فقال له سليمان ما الذي رأيت ؟

قال : يا نبي الله ما رأيت إلا أمواجاً وحيتانا غير أني رأيت ملكاً عظيماً
فقال لي أين تريد ؟ فقلت له إن نبي الله سليمان أرسلني أنظر له قعر هذا البحر
فقال ارجع إليه فاقرأ عليه مني السلام وقل له إن قومنا ركبوا هذا البحر منذ

أربعين عاماً فغاب عليهم مركبهم فخرجوا يصلحونه فسقط من أحدهم قدوم فهو
يتجلى في البحر ولم يبلغ قعره بعد فرجع إليه وأخبره بالخبر فتهبب نبي الله
سليمان عليه السلام من ذلك ولها عما كان قصد .

قال - فبينما هو على الشاطئ إذ رأى قبة من زجاج تضرها الأمواج في
لجة البحر فعارضها وقال للغواصين غوصوا في أثرها فغاصوا فأخرجوها فلما
وضعت القبة على ساحل البحر انفتح له بابان بمصرعين وخرج من القبة شاب
عليه ثياب أبيض من اللبن وكان رأسه تقطر ماء فجاء حتى وقف بين يدي سليمان
فقال له سليمان يا فتى من الجن أنت أم من الإنس ، قال بل من الإنس قال فتهبب
سليمان منه ومن زيه ثم قال له ما بلغ بك ما أرى فقال يا نبي الله كانت لي والدة
وكننت من أبر الناس بها أطعمها وأسقيها بيدي ولا أترك شيئاً من صنائع البر
إلا صنعتها بها فلما حضرتها الوفاة سألتها أن تدعوني فرفعت رأسها إلى السماء
وقالت - يارب قد عرفت بر وادي بي فارقته العبادة في موضع لا يكون
لإبليس وجنوده عليه سبيل ثم ماتت فدفتها فخرجت يوماً إلى ساحل البحر فإذا
أنا بهذه القبة فدعنتي نفسي أن أدخلها فلما دخلتها انطبقت على أبوابها وقضت
الأمواج وكان آخر عهدى يا نبي الله

فقال له سليمان فمن أين مطعمك ومشربك ؟ فقال يا نبي الله إذا كان الليل
جاءني طائر أبيض في منقاره شيء أبيض فيدفعه إلي فأأكله فهو يقينني من الطعام
والشراب فقال له سليمان - فمن أين تعرف الليل والنهار وأنت في ظلمة هذا البحر
قال يا نبي الله في القبة خيطان خيط أبيض وخيط أسود فإذا رأيت الخيط الأبيض
زائداً علمت أنه النهار وإذا رأيت الخيط الأسود زائداً علمت أنه الليل .

فقال له سليمان هل لك في صحبتنا رغبة ؟ قال لا يا نبي الله إن تشاء أذن لي
أن أعود إلى قبتي فأذن له فأنطلق ودخلها وانطبق عليه بابها وتضرت به الأمواج
فكان آخر العهد به

(قصة مدينة سليمان عليه السلام التي كان يسافر بها في الهواء)

وعما عملوا له مدينة من قوارير عشرة آلاف ذراع في عشرة آلاف ذراع
فيها ألف سقف مابين كل سقفين عشرة أذرع في كل سقف جميع ما يحتاج إليه
من المساكين والقباب والمرافق أسفلها أغاظ من الحديد وأعلاها أرق من الماء
يرى من داخلها ما وراء خارجها من صفاته ونقائه وأشدهس بالنهار والقمر بالليل
وعلى السقف الأعلى قبة بيضاء عليها علم أبيض يستضيء به في الليل الداجي المسكر
كله يتلألأ شعاعه مد البصر وبها من الأركان ألف ركن على مناكب الشياطين
تحت كل ركن منها عشرة من الشياطين تسع سليمان وجنوده وحشمه وأولياءه
علواً وسفلاً تحملها الريح إلى حيث يشاء وكانت تلك المدينة له مستقرأ يأكل
ويشرب وينام ويتمتع بها وفي أسفلها مرابط واصطبلات وأواري وأواخي
لحيلة ودوابه وعما عملوا له كرسى ملكه .

(صفة كرسى سليمان عليه السلام)

قال الله تعالى (وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) يروي أن نبي الله سليمان
عليه السلام أمر الشياطين بإتخاذ كرسى يقعد عليه للفضاء وأمر أن يعمل بديماً
مهملاً بحيث لو رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وبهت فعملوا له كرسياً من أنياب
الفيلة وفصصوه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر وحفوه بأربع
نخلات من الذهب شماريخها الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر على رأس نخلتين
منها طاوسان من ذهب وعلى رأس الأخيرتين نسران من ذهب بعضها مقابل
بعض وجعلوا من جانب الكرسى أسدين من ذهب على رأس كل واحد منهما
عمود من الزمرد الأخضر وقد عقدوا على النخلات أشجار الكرم من الذهب الأحمر
واتخذوا عناقيد من الياقوت الأحمر بحيث يظل عريش الكروم والنخل الكرسى
قالوا وكان سليمان إذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير
الكرسى ورجله فيها ويدور دوران الرحى المسرعة وتشر تلك النور

والطراويس أجنحتها ويبسطن الأسدان أيديهما ويضربان الأرض
وكذلك يفعل في كل درجة يصعد بها سليمان فإذا استوى بأعلاه أخذ
اللذان على النخلتين المسك والعنبر يفتتاها عليه ثم تناول حمامة من ذهب
على عمود من جواهر من أعمدة الكرسي التوراة ففتحها لسليمان فيقرؤها
ويدهوهم إلى فصل القضاء؛ قال وتجلس عظامه بنى إسرائيل على كرسي
والفضة المنصصة بالجواهر وهي ألف كرسي على يمينه وتجيء عظامه
يجلسون على كرسي الفضة عن يساره وهي ألف كرسي حافين به جميعاً
الطير وتقدم الناس إليه للقضاء فإذا دعا بالبينات وتقدمت الشهود لإقامة الآثام
دار الكرسي بجميع ما فيه وما حوله دون الرحي المسرعة

قال معاوية لوهب بن منبه ما الذي كان يدير ذلك الكرسي؟ قال بليلا
ذهب وذلك الكرسي مما عمله صنخر الجنى قالوا فإذا دار الكرسي بسط
أيديهما ويضربان الأرض باذناهما وينشر الذسران والطاوسان أجنحتهما
منه الشهود ويدخلهم من رعب شديد فلا يشهدون إلا بالحق، فهذا شأن
سليمان عليه السلام وعجائب ما كان فيه

فلما توفي سليمان عليه السلام بعث بختنصر فأخذ ذلك الكرسي وحم
أنطاكية فأراد أن يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا بأحواله
وضم قدميه على الدرجة السفلى رفع الأسد يده اليمنى فضرب ساقيه ضرباً
دقها ورماه فحمل بختنصر فلم يزل يعرج ويتوجع منها حتى مات وبقي
يانطاكية حتى غزاها ملك من الملوك يسمى كداس بن سداس فهزم خليفة
وزد الكرسي إلى بيت المقدس فلم يستطع أحد من الملوك الجلوس
ولا الاستمتاع فوضع تحت الصخرة فغاب ولم يعرف خبره ولا يدري أي
والله أعلم، ومنها بيت المقدس.

(صفة بنيانه وبده أمره)

قال الله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) الآية وقال تعالى (ونجيناه ولو طأ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين)
قيل بالمياه والأشجار والثمار وقيل إن كل ماء عذب يخرج من تحت أصل للصخرة
التي ببית المقدس يهبط من السماء إليهما ثم يتفرق في الأرض وذلك قوله تعالى (باركنا
فيها للعالمين) .

وروى خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ :
« صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة وتلك النخلة على نهر من أنهار الجنة
وعلى ذلك النهر آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران رضي الله عنهما ينظمان حلى
أهل الجنة إلى القيامة » .

وأما بده بناء بيت المقدس ، وصفة بنيانه على ما ذكره أهل البصيرة بالسيرة هو
أن الله تعالى بارك في نسل إبراهيم حتى جعلهم في السكثرة غاية لا يحصون .
فلما كان زمان داود عليه السلام لبث فيهم مدة مديدة بأرض فلسطين وهم
يزدادون كل يوم كثرة فأعجب داود بكثرتهم وأراد أن يعلم عدد بني إسرائيل كم
هم فأمر بعدهم وبعث بذلك عرفاء ونقاء وأمرهم أن يرفعوا إليه ما يبلغ من عددهم
فكانوا يعدون زماناً من الدهر حتى عجزوا فبعث الله جبريل عليه السلام وأوحى
إليه يا داود قد علمت إني وعدت أباك إبراهيم يوم أمرته بذبح ولده فصبر وأتم
أمرى بأن أبارك له في ذريته حتى يصيروا بعدد نجوم السماء وأجعلهم بحيث لا يحصى
عددهم فأردت أن تعلم عددهم إنه لا يحصى عددهم غيري وإني قد أفسمت لا بتلبيهم
ببليّة يقل منها عددهم ويذهب عنك إعجابك بهم وبكثرتهم فاخترتوا
إما أن ابتليتكم بالجوع والقحط ثلاث سنين أو أسلط عليكم عدوكم ثلاثة أشهر أو
الموت ثلاثة أيام فجمع داود بني إسرائيل وأخبرهم بما أوحى الله تعالى وخبرهم
فيه فقالوا أنت أعلم بما هو أيسر لنا وأنت نبينا فانظر لنا غير أن الجوع لا صبر
(م ٢٢ - - قصص الأنبياء)

لنا عليه وتسليط العدو أمر فاضح فإن كان ولا بد فاموت لأنه بيده لا بيد غيره
فأمرهم داود أن يتجهزوا للموت فاغتسلوا وتحنطوا ولبسوا الأكفان وبرزوا إلى
صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد بالذراري والأهلين وأمرهم أن يضجوا إلى
الله تعالى ويتضرعون إليه لعله أن يرحمهم فأرسل إليهم الطاعون فأهلك منهم في
يوم وليلة ألفاً كثيرة لا يدرى عددهم ولم يفرغوا من دفنهم إلا بعد موتهم بشهر
فلما أصبحوا في اليوم الثاني خر داود عليه السلام ساجداً لله تعالى يبتهل إلى
الله تعالى ويقول يا رب أنا آكل الخبز الحامض وبنو إسرائيل يضرسون يعني
اذنبت وبنو إسرائيل يعاقبون فما كان من شيء أوفى أنزله واعف عن بني إسرائيل
فاستجاب الله دعاءه وكشف عنهم الطاعون ورفع عنهم الموت فرأى داود عليه
السلام الملائكة سائين سيوفهم فعمدوها وارتقوا في سلم من ذهب في صخرة بيت
المقدس إلى السماء فقال داود لبني إسرائيل إن الله تعالى قد من عليكم ورحمكم فسجدوا
له شكراً وقالوا كيف تأمرنا قال أمركم أن تتخذوا في هذا الصعيد الذي رحمكم فيه
مسجداً لا يزال فيه منكم ومن بعدكم ذا كر لله تعالى فأخذ داود في بنائه .

فلما أرادوا أن يبتدئوا بالبناء جاء رجل صالح فتير يختبرهم ليعلم كيف إخلاصهم
في بنائهم فقال لبني إسرائيل إن لي فيه موضعاً أنا محتاج إليه ولا يحل لكم أن
تجيبوني عن حقي فقالوا يا هذا ما من أحد من بني إسرائيل إلا وله في هذا الصعيد
حق مثل حقك فلا تسكن أبخل الناس ولا تضايقنا فيه فقال أنا أعرف حقي وأنتم
لا تعرفون حقي فقالوا له أما ترضى وتطيب نفسك إلا أخذناه منك كرها فقال
لهم أتجدون هذا في حكم الله وحكم داود ، قال فرجع خبره إلى داود عليه السلام
فقال أرضوه فقالوا بكم نأخذه منه يابى الله قال خذوه بمائة فقال الرجل زدني يابى
الله قال داود خذوه بمائة بقرة قال زدني قال بمائة بعير قال زدني يابى الله فأنما
نشتريه لله تعالى والله كريم لا يبخل فقال داود حيث قلت هذا فاحتكم أعطيك قال
تشتريه بحائط مثله زيتوناً ونخلاً وغنماً قال نعم فقال أنت تشتريه لله تعالى فلا تبخل
قال سل ما شئت قال أكرم على الله مني ولسكن ابن لي حوله جداراً مشرفاً ثم تملوه
ذهباً وإن شئت ورعاً قال داود هذا هين فالتفت الرجل إلى بني إسرائيل وقال لهم

هذا هو التائب المخلص ثم قال لداود يا نبي الله لأن يغفر الله لي ذنباً واحداً أحب
إلي من كل شيء وهبت لي وليكن كنت اخترتكم فجدوا في بناء بيت المقدس ،
وكان ذلك فيما قيل لإحدى عشر سنة مضت من ملك داود ينقل الحجارة على ظهره
وكذلك أنخبار بني إسرائيل حتى رفعوه قائمة وعجزوا فأوحى الله تعالى إليه أن
هذا بيت مقدس وأنت رجل سفاك للدماء ولست بهائيه وليكن ابن لك أملاكه
بهذا اسمه سليمان أسلمه من سفك الدماء ، وأفضى إتمامه على يديه ويكون صيته
وأجره لك باقياً فصلوا فيه زماناً إلى أن توفي داود عليه السلام واستخلفه سليمان
فأمره الله تعالى بإتمام بيت المقدس فجمع سليمان الجن والإنس والشياطين وقام
عليهم الأعمال وخص كل طائفة بعمل يصلح لها وأرسل الجن والشياطين في تحصيل
عمل الرخام والبللور الأبيض الصافي من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح
وجعلها اثني عشر ربضاً لكل ربض منها سبط من الأسباط وكانوا اثني عشر سبطاً

فلما فرغ من بناء المدينة ابتداء في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فريق منها
ليستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنه وفريق يغوصون في البحر
ويستخرجون أنواع اللؤلؤ وفريق يقطعون أنواع الرخام وفريق يغوصون على
الجواهر وفريق يأتون المسك والعنبر وأنواع الطيب من أما كتبها فأتى بشيء من
ذلك لا يخصه إلا الله تعالى ، ثم أنه أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الحجارة
وتنظيفها وإصلاح تلك الجواهر ونقشها فكانوا بها الجونها فتصوت صوتاً شديداً
بالصلايتها ففكره سليمان تلك الأصوات فدعا الجن وقال لهم هل عندكم حيلة في نحت
هذه الجواهر من غير تصدق فقالوا يا نبي الله ليس في الجن أكثر تجارب ولا أكثر
علماً من صخر الفخاريت فأرسل إليه من يأتيك به فطبع سليمان بخاتمه طابعا وكان
يطبع للشياطين بالنحاس والسناء الجن بالحديد وكان إذا طبع بخاتمه لمع ذلك
كالبرق الخاطف فكان لا يراه أحد من جن ولا شيطان إلا انقاد إليه بإذن الله
تعالى فأرسل الطابع مع عشرة من الجن فأنوه به وهو في بعض جزائر البحر
فأرؤه الطابع فلما نظر إليه كاد أن يصعق خوفاً فأقبل مسرعاً مع الرسل حتى

دخل على سليمان فسأل سليمان رساله عما أحدث العفريت في طريقه فقالوا يا نبي الله
إنه كان يضحك بعض الأحيين من الناس فقال سليمان ما رضيت بتمردك على
وترك الحجى إلى طاعى صرت تسخر من الناس .

فقال يا نبي الله إنى لست أسخر منهم غير أن ضحكى كان تعجباً بما كنت أسمع
وأرى في طريقى فقال له سليمان وما ذاك ، قال مررت على شط نهر فوجدت رجلاً
ومعه بغلة يريد أن يستقيها وحره يريد أن يستقى بها فسقى البغلة وملاً الجرة ثم
أراد أن يقضى حاجته فشدد البغلة بأذن الجرة فنفرت البغلة وكسرت الجرة فضحكت
من حق الرجل حيث توهم أن الجرة تحبس البغلة ، ومررت برجل آخر وهو جالس
عند إسكاف يستعمله فى إصلاح خفله فسمعتة يشترط عليه أن يصلحه بحيث يبقى
معه أربع سنين ونسى نزول ملك الموت من قبله فضحكت من قلة عقله وجمله .

ومررت بناس قد جالسوا يبتهلون إلى الله ويسألونه الرحمة والمخفرة فل منهم
قوم فقاموا وجاء آخرون فجاسوا فرأيت الرحمة قد نزلت عليهم وأخطأت الذين
كانوا من قبل وغشيت الذين جاءوا فضحكت تعجباً للقضاء والقدر فقال له سليمان
هل علمت من كثرة تجاربك وجولاتك فى البحار شيئاً ينحت لى هذه الجواهر
قتلين ويسهل نحتها وثقبها بلا صوت ؟ قال نعم يا نبي الله أعرف حجراً أبيض كاللبن
يقال له الساموار غير لى لا أعرف معدنه الذى هو فيه ، وليس فى الطير شيء أحيل
ولا أهدى من العقاب فأمر بفراخه أن تجعل فى صندوق من تلك الجواهر فإنه يأت
بذلك الحجر فيضرب به الصندوق حتى يثقبه ليصل إلى أولاده قال فأمر سليمان
بفراخ العقاب أن تضم فى صندوق من حجر منها يوماً وليلة فحجب عن أفراخه
فمر مسرعاً وجاء بالحجر بعد يوم وليلة فثقب به الصندوق حتى وصل إلى أفراخه
فوجه سليمان مع العقاب نفرأ من الجن حتى أتوه منه بقدر ما علم أن فيه الكفاية
واستعمل ذلك فى أدوات الصناعات فسهل عليهم نحتها من غير صوت وهو حجر
يستعمل فى نقش الخواتيم وثقب الجواهر إلى اليوم وهو ثمين عزيز قالوا فبنى

سليمان المسجد بالرخام الأبيض والأصفر وعمده من المياح الصافي وسقفه بالواح
الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه باللالى والياقوت وأنواع الجواهر وبسط
أرضه بالواح الفيروز فلم يكن يوجد يومئذ في الأرض أبهى ولا أنور من ذلك
المسجد وكان يضيء في الليل كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع إليه أحبار بني إسرائيل
وأعلمهم أنه بناء لله تعالى وكل شيء منه خالص لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي
فرغ منه عيداً لم يتخذ في الأرض قط أعظم عيد ذلك اليوم ولا أطعمه أكثر منه
فذبح فيه من الجزر ألف جزور من البقر خمسة وعشرين ألفاً معلوفة ومن الغنم
أربعمائة ألف شاة قالوا ومن عجائب ما اتخذ سليمان بيت المقدس أنه بنى بيتاً وطين
حائطه بالجص وصقله ، فكان إذا دخله الباراستبان خياله في ذلك الحائط الأبيض
وإذا دخله الفاجر استبان خياله في ذلك الحائط أسود فازدع من ذلك كثير من
الناس عن الفجور والخيانة ونصب في زاوية من زوايا المسجد عصا ابنوس فكان
من مسها من أولاد الأنبياء لم يضره منها شيء ومن مسها من غيرهم احترقت يده.

فلما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس قرب قرباناً على الصخرة ثم قال اللهم
أنت وهبت لي هذا الملك مناً منك على وجهي خليفتك في أرضك وأكرمتني به
من قبل أن أكون شيئاً فلك الحمد ، اللهم إني أسألك لمن دخل هذا المسجد خصالاً
أن لا يدخله أحد يصلي فيه ركعتين مخلصاً فيهما إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته
أمه ، ولا يدخله مذنب إلا ثبت عليه ولا خائف إلا أمنت به ولا سقيماً إلا شففته
ولا مجذب إلا أخصبته وأغنيته ، وإذا أجبته دعوتي وأعطيتني طلبتي فاجعل لي
غلامته أن تتقبل قرباني ، قال فتزلت نار من السماء فسدت ما بين الخافقين ثم امتد
منها عنق فاحتمل القربان وصعد به إلى السماء .

وكان بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه السلام إلى أن غزا بختنصر بنو إسرائيل
فخرّب بيت المقدس وألقى فيه الجيف وكبسه بالتراب ونقل جميع ما فيه من الذهب
والفضة والجواهر والآنية إلى أرض بابل ، وكان يدب المقدس خراباً إلى أن بناه
المسلمون في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأمره والله أعلم .

(باب في قصة بلقيس ملكة سبأ والهدهد وما يتصل به)

قال الله تعالى (وتفقد للطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين)
الآية ، قالت العلماء بأخبار القدماء : إن نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام
لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى الحرم فتجهز للمسير واصطهب
معه من الناس والجن والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ عسكرة مائة فرسخ
وأمر الريح الرخاء فحملتهم فلما وافوا الحرم أقام به ما شاء الله أن يقيم وقرب
القرايين وقضى المناسك وبشر أهله بخروج نبينا محمد ﷺ وأخبرهم أنه سيد
الأنبياء وخاتم النبيين وإن ذلك مثبت في زبورهم .

ثم أحب أن يسير إلى أرض اليمن فخرج من مكة صباحاً وسار نحو اليمن يوم
تجم سهيل فوفا صنفاً وقت الزوال ، وذلك مسيرة شهر فرأى أرضاً بيضاء حسنة
تزهو بخضرتها فأحب النزول بها ليصلي ويتغذى فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان الهدهد
دليله وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى أحدكم كأسه بيده فينقر الأرض
فيعرف موضع الماء وعمقه ، ثم تجيء الشياطين فيسأخونه كما يسأخ الإهاب
فيستخرجون الماء .

قال سعيد بن جبير : لما ذكر ابن عباس هذا الحديث قال له نافع بن الأزرق
كيف يبصر الماء من تحت الأرض ، ولا يبصر الفخ إذا غطى بقدر أصبع من
التراب ؟ قال ويحك إذا جاء القدر عمى البصر .

وروى قتادة عن انس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ إنها كم عن قتل
الهدهد فإنه كان دليل سليمان على الماء ، فطلب سليمان الهدهد فلم يجده فتوعدته
ثم إن الهدهد لما جا قال ووجهك من سبأ نبياً يقين لاني وجدت امرأة تملككم
الآية ، وذلك أنه لما نزل سليمان قال الهدهد في نفسه إن سليمان قد اشتغل بالنزول
رتفع إلى نحو السماء ونظر إلى طول الدنيا وعرضها ونظر يميناً وشمالاً فرأى
صفتان بلقيس فإلى الخضره فوقع فيها فإذا هو بهدهد اليمن فهبط عليه وكان اسم

هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من أين أقيمت ؟
وإلى أين تريد ؟ قال لأقيمت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود عليه السلام ،
فقال له الهدهد : ومن سليمان بن داود ؟ قال مالك الجن والإنس والشياطين
والوحوش والرياح ، فمن أين أنت ؟ قال أنا من هذه البلاد ، قال ومن ملكها ؟
قال امرأة ، قال فما اسمها ؟ قال يقال لها بلقيس ، وإن لصاحبكم سليمان ملكاً
عظيماً ، وإيكن ليس ملك بلقيس دونه فإنها ملكة اليمن كله وتحت يدها اثنا عشر
ألف قيل مع كل قيل مائة ألف مقاتل . والقبيل هو القائد بلغة أهل اليمن فهل أنت
مطلق معي حتى تنظر إلى ملكها ؟ قال فإني أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت
الصلاة إذا احتاج إلى الماء فقال الهدهد اليمني إن صاحبك ليسره أن تأتيه بخبر
هذه الملكة فانطلق معه حتى أتى بلقيس ونظر ما نكها ، وما رجع إلى سليمان
إلا وقت صلاة العصر ، قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت صلاة العصر طلب
الهدهد ، وذلك أنه نزل على غير ماء فسأل الإنس عن الماء فقالوا لا نعلمه ،
فسأل الجن والشياطين فقالوا لا نعلم فتفقد عند ذلك الهدهد فلم يجده فتوعدده .
وروى عن عكرمة عن ابن عباس قال : كل سلطان في القرآن حجة ، قال
دعا العقاب سيد الطيور فقال علي بالهدهد الساعة ، فرفع العقاب نفسه دون السماء
حتى التصق بالهواء فنظر إلى الدنيا كالقصة بين يدي أحدكم فنظر يمينا وشمالا
فإذا بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريد .
فلما رأى الهدهد أن العقاب يريد بسوء فاشده وقال بحق الذي قواك وأقدرك
على إلا رحمتي ولا تتعرض لي بسوء ، قال فولى العقاب عنه وقال له ويلك إن نبي
الله سليمان حلف أن يعذبك أو يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتميا
إلى المعسكر تلقاهم الذسر والظير كله وقالوا له أين غبت في يومك هذا فقد توعدك
نبي الله سليمان وأخبروه بما قال ، فقاوا الهدهد وما استثنى نبي الله قالوا بل إنه قال
أو ليأتيني بسيلطان مبین ، فطار الهدهد والعقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعداً على
كرسيه ، فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله ، فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه
وألقي ذنبه وجناحيه حتى يجرهما على الأرض تواضعا لسليمان فمد سليمان يده

إلى رأسه فجذبها ، وقال أين كنت ؟ لا عذبتك عذاباً شديداً فقال الهدهد : يا نبي الله أذكر وقوفك بين يدي الله ، فلما سمع ذلك سليمان ارتعد وعنا عنه .

أخبر الحسين بن محمد الثقفي بإسناده عن عكرمة فقال : إنما صرف سليمان عن ذبيح الهدهد به بوالديه ثم سأله ما الذي أبطأك عنى قال الهدهد ما أخبر الله به ، أحطت بما لم يحط به ، أي علمت ما لم تعلم به ، وجشك من سبأ بنياً يقين لى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ، وإسمها بلقيس بنت البشرخ وهو الهذهاذ ، وقيل هي باهمة بنت شراحيل بن ذى جدن بن البشرخ بن الحارث بن قيس بن صنعاء بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وكان أبو بلقيس الذي يسمى البشرخ ويلقب بالهذهاذ ملكاً عظيماً الشأن وكان ملك أرض اليمن كلها : وكان يقول لملوك الأطراف ليس أحداً منكم كفواً لى وأن أن يتزوج منهم فزوجوه بامرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت الشكر ، وكانت الإنس إذ ذاك ترى الجن وتخالطهم فولدت له باهمة وهي بلقيس ولم يكن له ولد غيرها ، وتصديق ذلك ما أخبر به ابن ميمونة بإسناده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (كان أحد أبوي بلقيس جنياً) قالوا فلما مات أبو بلقيس ولم يخلف بولداً غيرها طلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعوها وتمت لها بركة .

وروى ابن ميمونة بإسناده عن الحسن بن علي عن أبي بكر ، قال ذكرت بلقيس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) قالوا فلما ملكت بلقيس اتخذت قصرأ وعرشاً .

(صفة القصر الذي بنته بلقيس)

قال الشعبي : روى أن بلقيس لما ملكت أمرت ببناء قصر فحمل إليها خمسمائة أسطوانة من رخام طول كل أسطوانة خمسون ذراعاً فأمرت بها فنصب على تل قريب من مدينة صنعاء وجعلت بين كل أسطوانتين عشرة أذرع ، ثم جعلت فيها سقف منظرمة بالواج الرخام واللحم بعضها إلى بعض بالرصاص حتى صارت كأنها

لوح واحد ، ثم بنت فوق ذلك قصراً مربعاً من آجر وجص في كل زاوية من زواياه قبة من ذهب مشرفة في الهواء ، وفيما بين ذلك مجالس حيطها من ذهب وفضة مرصعة بالوان الجواهر المربعة ، وجمعت فيه أي في باب ذلك القصر مما يلي المدينة برجاً من الرخام الأبيض والأخضر والأحمر ، وفي جوانبه حجر الجبابرة ونوابها وحراسها وخدمها وحشمها على قدر مراتبهم .

(صفة هرشما)

كان مقدمه من ذهب مفصص بالياواقيت الحمر والزمرد الأخضر ومؤخره من فضة مكل بالوان الجواهر ، وله أربع قوائم ؛ قائمة من ياقوت أخضر ، وقائمة من زمرد أخضر ، وقائمة من درأصفر وصفائح السيرير من الذهب وعليه سبعون بيتاً وعلى كل بيت باب مفلق ، وكان طوله ثمانين ذراعاً في الهواء فذلك قوله عن وجل : وأوتيت من كل شيء ، مما يحتاج إليه في الملك من الأدلة والعدة ، ولها عرش عظيم ، أي سرير ضخم حسن ، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وذلك أنها قالت لوزرائها ما كان يعبد آباؤي الماضون ؛ قالوا كانوا يعبدون إله السماء ، قالت وأين هو ؟ قالوا في السماء وعلمه في الأرض ، قالت فكيف أعينه وأنا لا أراه ولست أعرف شيئاً أشد من نور الشمس فهي أولى بما ينبغي لنا عبادته فعبدت الشمس من دون الله تعالى وحملت قومها على عبادتها وكانوا يسجدون لها إذا طلعت وإذا غربت .

قال : فلما قال ذلك الهدهد لسليمان قال له سليمان ؛ سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ؛ ثم أن الهدهد دهم على الماء فاحتفروا في الزكاياء وهي الآبار القلم تطو ببطن كل واد فروى الناس والدواب وكانوا قد عطشوا ثم كتب سليمان كتاباً ؛ من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ ؛
(بسم الله الرحمن الرحيم ؛ السلام على من اتبع الهدى . أما بعد : أن لا تعالوا على واثوني مسلمين) .

قال ابن جريج وغيره ولم يزد سليمان على ما قص الله تعالى في كتابه شيئاً
وكان أبلغ الناس في كتابه وأقله إملأه ، وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
كانوا يكتبون جملاً ولا يطيلون كتاباً ولا يكتبون ، قالوا فلما كتب الكتاب
طبعه بالمسك وختمه بخاتمه ، وقال للهدد ؛ اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم
تقول عنهم وكن قريباً منهم ؛ فانظر ماذا يرجعون ، أى يردون من الجواب فاخذ
الهدد الكتاب وأتى به إلى بلقيس وكانت بارض يقال لها مأرب من صنعاء على
جلائة أيام فوافها في قصرها ؛ وقد غلقت الأبواب ، وكانت إذا رقدت غلقت
الأبواب وأخذت الممانيح فوضعتها تحت رأسها ومضت إلى فراشها فأناها الهدد
وهي نائمة مستلقية على ظهرها فالتقى الكتاب على نحرها هذا قول قتادة .

وقال وعب بن منبه ؛ كانت الإلكوة . يعنى طاقة مستقبلة للشمس تقع الشمس
فيها حين تطلع فإذا نظرت إليها سجدت لها فجاء الهدد إلى تلك الكوة فسدها
بجناحيه فارتعدت الشمس ولم تعلم فاستبطأت الشمس فقامت تنظرها فرمى الصحيفة
في وجهها قالوا فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة كتابه عربية من أصل تبع
ابن شراحيل الحميري ، فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان
في خاتمه وعرفت أن الذى أرسل هذا الكتاب هو أعظم ملكاً منها ، وقالت أن
ملكاً تكون رساله الطير لملك عظيم فقرأت الكتاب وتأخر الهدد غير بعيد ،
ثم أمها جاءت حتى قدمت على سرير ملكها وجمعت الملائ من قومها وهم اثنا عشر
ثقل تحت يد كل قيل منهم مائة مقاتل وكانت تكلمهم من وراء الحجاب فإذا حز
بها أمر أسفرت عن وجهها ، فلما جاءوا وأخذوا بحالهم قالت لهم بلقيس ؛
إلنى ألقى إلى كتب كريم ، أى شريف لشرف صاحبه .

وقال الضحاك ؛ سمته كريماً لأنه كان مخنوماً يدل عليه ما أخبرني به أبو حامد
الوراقى بإسناده عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال (كرم الكتاب ختمه) وقيل ؛
سمته كريماً لأنه مصدر بدم الله الرحمن الرحيم ، فذلك قوله تعالى (إنه من سليمان
ولأنه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلموا على واثتوني مسلمين) ثم قالت : يا أيها

الملا أفتوني في أمرى ، وأشيروا على فيما عرض لى ، ما كنت قاطعة ، في بحر كذا
تشهدون أى تحضرون ، فقالوا بجهين لها ، نحن أولوا قوة وأولوا بأس ساعده
عند الحرب والامر إليك فانظري ماذا تأمرين ؛ تجدينا لامرك طائمين ، فقالت
لهم بلقيس حين عرضوا أنفسهم للحرب (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها
وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أى أهانوا أشرافها وكبراءها لكي يستقيم لهم الامر ،
فصدق الله قولها فقال (وكذلك يفعلون) أنشدنى أبو القاسم الجنيد في هذا المعنى
قال أنشدنى أبى فى معناه ؛

إن الملوك بلاء حيثما حلوا فلا يكن لك فى أكنافهم ظل
ماذا تأمل من قوم إذا غضبوا جاروا عليك وإن أرضيتهم ملوا
وإن مدحتهم خالوك تخدعهم واستشقلوك كما يستشقل السكل
فاستن بالله عن أبوابهم كرمأ أن الوقوف على أبوابهم ذل

قال الله تعالى مخبراً عنها (ولانى رسالة إليهم بهدية) وذلك أن بلقيس كانت
امراً لبديية عاتلة قد سامت الملا عن قومها وجربت الامر وسامته ، ولانى رسالة
إليهم إلى سليمان وقومه بهدية أصانعه عن ملكى وأخبره بها أملك أم فى فإن
يك ملكاً قبل الهدية والصرف ، وإن يك نبياً لم يقبل الهدية ولم يرض منا إلا أن
نتبعه على نيزه ، ثم أمدت إليه ووصفاء ووصائف ، قال ابن عباس ؛ ألبستهم لباساً
واحداً حتى لا يكون يعرف الذكر من الأنثى ؛ وقال ؛ ألبست الغلمان
لباس الجوارى ، وألبست الجوارى لباس الغلمان ؛ واختلفوا فى عددهم ؛ فقال
الملكى عشرة جوار وعشر غلمان ، وقال مقاتل مائة وصيف ومائة وصيفة ، وقال
مجاهد مائتا غلام ومائتا جارية . وقال وهب خمسمائة غلام وخمسمائة جارية
وأرسلت إليه أيضاً بصفائح الذهب واختلفوا فى عددها .

أخبرنى ابن ميمونة أيضاً بإسناده عن ثابت بن أنى فى قوله تعالى (ولانى
رسالة إليهم بهدية) قالت أهدت له صفائح من الذهب فى أوعية الديباج ، فلما
بلغ ذلك سايمان أمر الجن فوهوا له الأجر بالذهب ثم أمر به فالقى فى كل مكان .

فلما جاءوا رأوه ملقى في الطريق في كل مكان ، قالوا قد جئنا نحمل شيئا نراه
ههنا ملقى لا يلتفت إليه فصرخ في أعينهم ما جاءوا به ، وقيل كانت أربع لبنات
من ذهب .

وقال وهب بن منبه وغيره من أهل الكتاب عمدت بلقيس إلى خمسمائة
جارية وخمسمائة غلام فالبتت الجوارى لباس الغلمان والأقبية والمناطق ،
وألبتت الغلمان لباس الجوارى ؛ وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب وفي
أعناقهم أطواقا من ذهب وفي آذانهم أقراطا وشنوقا مرصعات بأنواع الجواهر
وجعلت الجوارى على خمسمائة فرس والغلمان في خمسمائة برذون على كل فرس
سرج من ذهب مرصع بالجواهر نحواشيها من الديباج الملون وبعثت إليه أيضا
خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت
المرتفع وأرسلت إليه أيضا بالمسك والعنبر والعود والألنجوج وعمدت إلى حقة
فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزع خرزة مثقوبة موجهة الثقب ودعت
رجالا من أشرف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمنت إليه رجالا من قومها
أصحاب الرأس والعقل وكتبت معهم كتابا بنسخة الهدية وقالت في المكتاب ؛ إن
كنت نبييا فينبين بين الوصائف والوصفاء واخبرنا بما في الحقة قبل ان تفتحها وثقب
الدرة ثقباً مستويا وادخل نخيطا في الخرزة ثم امرت بلقيس الغلمان فقالت لهم ؛
إذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تانيث وتخيث يشبهه كلام النساء وامرت
الجوارى ان يكلموه بكلام فيه غلظة يشبهه كلام الرجال ثم لأنها قالت للرسول ؛
انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه فإن نظر إليك نظرة غضب فاعلم انه ملك فلا
يبهوانك منظره فأنا اعز منه ؛ وإن راينته رجلا بشاشا لطيفا فاعلم انه نبي مرسل
فتفهم كلامه ورد الجواب فانطلق للرسول بالهدايا .

فأما رأى الهدى ذلك اقبل مسرعا إلى سليمان واخبره بالخبر كله فأمر سليمان
الجن ان يهينوا له لبنا من الذهب والفضة ففعلوا ذلك ، ثم امرهم ان يبسطوا له
من موضعه الذي هو فيه إلى تسع فراسخ ميدانا واحداً بابنات الذهب والفضة
وان يجعلوا حول الميدان حيطانا مشرفة من الذهب والفضة ففعلوا ذلك فقال لهم

فان الدواب احسن مما رأيتم في البر والبحر فقالوا ؛ يا نبي الله إنا رأينا في بحر كذا
دواب مختلفة ألوانها لها اجنحة واعراف ونواص فقال سايمان ؛ على بها الساعة
فأتوه بها ؛ فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره عن لبنات الذهب والفضة
والقوا لها علوفة فيها ، ثم قال للجن على بأرلادكم فاجتمع خاق كثير فأقامهم فيها
عن يمين الميدان وعن يساره . ثم قعد سايمان في مجاسه على سريره ووضع أربعة
آلاف كرسي عن يمينه ومشاها عن يساره ، وأمر الشياطين ان يصطفوا صفوفاً
ففراسخ ، وأمر الإنس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحوش والسباع والهوام والطيور
فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره ، فأما اقبل القوم ودنوا من الميدان
ونظروا إلى ملك سايمان ورأوا الدواب التي لم تر أعينهم مشاهة تروث على ابن
الذهب والفضة تقاصرت إليهم انفسهم ورموا بما معهم من الهدايا .

ثم رد سايمان الهدية كلها وقال (اتمدون بما آتاني الله خير مما آتاكم بل
انتم بهديتكم تفرحون) لأنكم اهل المفاخر والمكاثرة في الدنيا ولا تعرفون غير
ذلك وايدست الدنيا من حاجتي لأن الله تعالى قد مكنتني منها واعطاني ما لم يعط
أحداً من العالمين فيها ومع ذلك فإن الله سبحانه وتعالى اكرمني بالنبوة والحكمة
ثم انه قال للمنذر بن عمرو أمير القوم (ارجع إليهم بالهدية فليأخذونها بجنود
لا قبل لهم وانخرج جنهم منها أفلاة وهم صاغرون إن لم يأتوني مسلمين) قالوا فأما
رجعت رسل بلقيس إليها من عند سايمان واخبروها قالت ؛ والله ما هذا بملك
وما لنا به من طاقة ، فبعثت إلى سايمان عاينه السلام لأنى قادمة بملوك قومي حتى
انظر ما امرك وما تدعون إليه من دينك ثم ان بلقيس امرت بعرشها فجعل في
سبعة ابيات بعضها داخل بعض في آخر قصر من قصورها ثم اغاقت دونه الأبواب
ووكلت به حراساً يحفظونه ثم انها قالت لمن خافت على سلطانها احتفظ بما قبلك
وسرير ما سكتي فلا تخاص إليه أحداً ولا يراه حتى آتيك ؛ ثم انها امرت منادياً
ينادي في ارض مما سكتها ليؤذنها بالرحيل ، ثم شخصت إلى سايمان في اثني عشر
ألف قيل من ملوك اليمن ؛ تحت يد كل قيل مائة الف مقاتل ، قال ابن عباس وكان
سايمان هاهنا السلام رجلاً مهيباً لا يبتدىء بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه ؛

على سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا
الله قال : أو قد نزلت منا بهذا المكان ؟ قالوا نعم .

باس ؛ وكان ما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فأقبل سايمان على
بال (أيكم يأتيني بهر شها قبل أن يأتوني مسامين) أي طائنين خاضعين .
اختلف العلماء في السبب الذي لأجله أمر سليمان بإحضار العرش ، فقال
رهم لأن سايمان علم أنها إذا اسلمت حرم عايه ما لها فأراد أن يأخذ سريرها
أن يحرم عايه أخذه بإسلامها .

وقال قتادة : لأنه أعجبه صمته لما وصفه الهدد فأراد أن يراه قبل أن يراها وقيل
ليربها قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها (قال عقريت من الجن)
وهو المارد القوي (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) من أي مجلسك الذي
تقضى فيه ؛ قال ابن عباس كان له غداة كل يوم يجلس يقضى فيه إلى نصف النهار
واختافوا في اسمه فقال وهب ؛ إنه كودي ، وقال شعيب ؛ إنه كردان
(ولاني عليه لقوى) أي قوى على حملة (أمين) على ما فيه من الجواهر ؛ فقال
سليمان أريد اسرع من هذا (فقال الذي عنده علم الكتاب) واختلفوا فيه فقالت
بعضهم هو جبريل عايه السلام وقال آخرون ، مالك من الملائكة أيد الله به زنا
عايه السلام . وقال آخرون . بل كان رجلا من بنى آدم . ثم اختلفوا فيه
أكثر المفسرين هو آصف بن برخيا بن شمعيان بن ماسكيا وكان صديقا يعلم اسم
الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى .

واختلف العلماء في الدعاء الذي دعا به آصف بن برخيا عند الإتيان بالعرش
فروى عن عائشة رضی الله عنها وعن أبيها أن الإسم الأعظم الذي دعا به آصف
ابن برخيا . يا حي يا قيوم . وروى عن الزهري قال . دعا الذي عنده علم من
... بيا إلهنا وإله كل شيء إلهنا واحدا لا إله إلا أنت ائتمني بهر شها .
وقال مجاهد إذا اجلال والإكرام .

فأما رأى سايمان العرش مستقرا عنده محمولا إليه من مارب إلى الشام في قدر
ارتداد الطرف وهو مدة يسيرة (قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر

ومن شكر فإنما يشكر لنفسه) أي لم ينفع بذلك إلا نفسه حيث استوجب شكره
التمام النعمة ودوامها لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة (ومن
كفر فإن ربي غني) عن شكره (كريم) الأفاضال عمن يكفر نعمته فقال سليمان
عليه السلام (نكروا لها عرشها) أي زيدوا وأنقصوا منه وجعلوا أعلاه أسفله ،
وأسفله أعلاه (تنظر أتمتدي إلى عرشها فتعرفه ، أم تكون من الجاهلين) الذين
لا يهتمدون إليه أراد أن يختبر عقلمها ، وأن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان
ويستولدها فتعشى إليه أسرار الجن فلا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من
بعده فأرادوا أن يزهده فيها فأساءوا الشئاء عليها وقالوا إن في عقلمها شيئاً وإن
رجليها كحافر الحمار فأراد سليمان أن يختبر عقلمها بتكبير عرشها وينظر إلى قدميها
ببناء الصرح فلما جاءت بلقيس (قيل لها هكذا عرشك قالت كأنه هو) فشبهته بها
وكانت قد تركته خلفها فلم تقر بذلك ولم تنكر فعلم سليمان كمال عقلمها .

قال الحسين بن الفضل فشبهوا عليها فشبهت عليهم وأجابتهم على حسب سؤالهم
ولو قالوا لها هذا عرشك فقالت لهم نعم فقال سليمان وأوتينا العلم بالتلائم ومجيئها
طائفة من قبلها ، أي من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين خاصين بها هذا
قول مجاهد وغيره ، وقال بعضهم هو قول بلقيس لما رأت عرشها عند سليمان قالت
قد عرفت هذا وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان عليه السلام بالآيات المتقدمة من
قبلها أي من قبل هذه الآية ، وكنا مسلمين أي متقادين لك مطيعين لأمرك من قبل
أن جئناك ، وذلك أن سليمان لما أقبلت بلقيس تريده أمر الشياطين فبنوا لها صرحاً
أي قصرأ من زجاج كأنه الماء بياضاً وجروا من تحته الماء وألقى فيه السمك ثم
وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكفت الطير والجن والإنس .

وإنما أمر ببناء الصرح لأن الشياطين قال بعضهم لبعض قد سخر الله لسليمان
ما سخر وبلقيس ما سخر سبأ ينكحها فتلد غلاماً فلا تنفك من العبودية والسخره
أبدأ فأرادوا أن يزهده فيها فقالوا إن رجليها رجل حمار وأنها شعراء الساقين
لأن أمها كانت جنية فأراد سليمان أن يعلم حقيقة ذلك وينظر قدميها وساقها فأمر
ببناء الصرح .

وقال وهب بن منبه : إنما بنى الصرح ليختبر عقولها وفهمها يواجها بذلك كما فعلت هي بتوجيهها إليه الوصائف والوصفاء ليز بين الذكر والأنثى فلما جاءت بلقيس قيل لها ادخلي الصرح فلما رآته حسبنه لجة وهي معظم الماء فكشفت عن ساقها لتخوضه إلى سليمان فنظر سليمان عليه السلام فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدماً إلا أنها كانت شعراً الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها ونادها إنه صرح ممدد من قوارير وليس بماء فلما جلست قالت له يا سليمان إنى أريد أن أسألك عن شيء قال سلى ، قالت أسألك عن ماء ليس من الأرض ولا من السماء وكان سليمان إذا جاء شيء لا يعلمه سأل عنه الإنس فإن كان عندهم علم ذلك وإلا سأل الجن فإن علموا وإلا سأل الشياطين فسأل الشياطين عن ذلك فقالوا ما أهون ذلك أوامر بالخيل أن تجرى ثم أملاً الآنية من عرقها فقال لها سليمان عرق الخيل ثم قالت اخبرني عن كون ربك فرثب سليمان عن سريره وخر ساجداً أو صدق فقامت عنه وتفرقت جنوده فجاءه جبريل عليه السلام وقال له يا سليمان يقول لك ربك ما شأنك ؟ قال يا جبريل ربي أعلم بما قالت ، قال فإن الله يأمرك أن ترجع إلى سريرك فترسل إليها وإلى من حضرها من جنودك وجنودها فتسألها وتسألهم عما سألتك عنه ففعل ذلك سليمان فلما دخلوا عليه واستقروا قال عن ماذا سألتيني ؟ قالت سألتك عن ماء ليس من أرض ولا من سماء فأجبت قال أى شيء سألتيني أيضاً قالت ما سألتك عن شيء إلا هذا فسأل الجنود فقالوا مثل قولها وأنساهم الله تعالى ذلك وكفى الله سليمان الجواب ، ثم إن سليمان دعاها إلى الإسلام وكانت قد رأت حال الهدد والهدية والرسل والعرش والصرح فأجابت وقالت رب إنى ظلمت نفسي بالكفر وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين .

واختلف العلماء في أمرها بعد الإسلام فقال أكثرهم لما أسلمت بلقيس أراد سليمان أن يتزوجها فلما هم بذلك كره لما رأى من شدة كثرة شعر ساقها فسأل الإنس والجن والشياطين ؟ فقالوا لا ندري فلما ألح عليهم قالوا نحن نحتال لك عليه حتى يكون كالفضة البيضاء فاتخذوا لها النورة والحمام .

قال ابن عباس : إنه أول يوم رؤيت فيها النورة فاستنسكها سليمان عليه السلام
أخبرني ابن ميمونة بسنده عن أبي موسى يبلغ به النبي ﷺ قال : أول من اتخذ
الحمامات سليمان عليه السلام ، فلما التصق ظهره بالجدار ، قال أوامه من عذاب الله
تعالى ، قالوا فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً وأقرها على ملكها وأمر الجن
فبنوا لها بأرض اليمن ثلاث حصون لم ير الناس مثلهما ارتفاعاً وحسنأوهى : سلحين
وعمدان وبنيون ثم إن سليمان كان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها إلى
ملكها ويقم عندها ثلاثة أيام ثم يبكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام .

وروى محمد بن إسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه ، قال سليمان لبلقيس .
لما أسلمت وفرغ من أمرها اختاري رجلاً من قومك حق أزواجك إياه قالت ومثلي
ينسكح الرجال يا نبي الله وقد كان لي في ملكي وقومي من السلطان ما كان قال نعم
إنه لا يكون في الإسلام إلا ذاك ، ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحل الله لك قالت
زوجني إن كان ولا بد من تبع إلا كبر ملك همدان فزوجه إياها ثم ردها إلى اليمن
وجعل زوجها ذا تبع على اليمن ودعا سليمان زوبعة أمير جن اليمن وقال له أعمل
لذي تبع ما استعملك فيه قال فصنع لذي تبع المصانع باليمن ثم لم يزل بها ملكاً يعمل
فيها ما أراد حتى مات سليمان عليه السلام . قال فلما حال الحول وبلغ الجن موت
سليمان عليه السلام أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى إذا كان في جوف اليمن صرخ
بأعلى صوته يا معشر الجن أن سليمان نبي الله قد مات فارتفعوا أيديكم قال فعمدت
الشياطين إلى حجرتين عظيمين فكتبوا فيهما كتاباً بالمسند يعني نخط الحيرية نحن
بنينا سلحين وبنيين وبنينا صرواح ومرواح وفتقون وهندة وهنيدة ودلوم وهذه
الحصون كانت باليمن عملتها الشياطين لذي تبع ولولا صارخ بتهامة لما رفعوا أيديهم
فانطلقوا وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان عليه
السلام والله أعلم .

(باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام وأبا زوجته الجرادة)
(ونخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه)

قال الله تعالى (وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) وروى محمد بن إسحق عن بعض العلماء أن سليمان أخبر أن في جزيرة من جزائر البحر رجلاً يقال له صيدون ملك عظيم الشأن لم يكن للناس إليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد أتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر فخرج إلى تلك المدينة فحملته الرياح على ظهرها حتى نزل عليها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وسي ما فيها فأصاب فيما أصاب بذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلاً حسناً وجمالاً فاصطفاها لنفسه ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على يده في الظاهر على خيفة منه وقلة ثقة فأحبها حباً شديداً لم يحبه أحداً من نساؤه وكانت منزلتها عنده منزلة عظيمة وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرفأ دمعا فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرفأ ، فقالت إني أذكر أبي وأذكر ملكي وسلطانته وما كان فيه فيحزني ذلك ، فقال لها سليمان قد أبدلك الله ملكاً هو أعظم من سلطانه وهداك الله إلى الإسلام وهو خير لك من ذلك كله فقالت :

إن ذلك حقاً ولست أرى ما ترى من الحزن ، فلوأنتك أمرت الشياطين يصورون لي صورته في داري التي أنا فيها أراه بكرة وعشيرة لرجوت أن يذهب ذلك حزني ويسلمني عن بعض ما أجد في نفسي ، فأمر سليمان الشياطين أن يمثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئاً فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه إلا أنه لا روح فيه فعمدت إليه حين صنعوه فأزرتة وقصته وعمته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبسها ثم أنها كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدوا إليه في ولائها فانسجد له ويسجدن له معه كما كانت تصنع معه في ملكه وتروح إليه كل عشية تفعل معه مثل ذلك وسليمان لا يعلم بذلك أربعين صباحاً فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن باب سليمان في أي ساعة أراد

دخول بيته دخل حاضراً أم غائباً فاتاه ، فقال يا نبي الله كبر سفي وددق عظمي ونفذ
عمرى وقد حان الذهاب منى وقد أحببت أن أقوم مقاماً قبل الموت أذكر فيه من
مضى من أنبياء الله تعالى وأئني عليهم بعلى فيه وأعلم الناس بعض ما يحملون من
كثير من أمورهم فقال افعل فجمع سليمان الناس فقام فيهم خطيباً فذكر من مضى
من أنبياء الله تعالى وأئني على كل نبي بما فيه وذكر ما فضلهم الله به حتى انتهى إلى
سليمان فقال له ما كان أحكمك في صغرك وأروعك في صغرك وأفضلك في صغرك
وأحكم أمرك في صغرك وأبعدك من كل ما يكره في صغرك ثم انصرف فوجد
سليمان في نفسه من ذلك حتى امتلأ غيظاً فلما دخل سليمان داره أرسل إليه فلما
أتاه قال له : يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى فأئنت عليهم خيراً في
كل أزمانهم وعلى كل حال من أمورهم فما ذكرتني أئنت على بخير في صغري وسكت
عما سوى ذلك من أمرى في كبرى فما الذى أحدثت في آخر عمرى؟ فقال له أن غير
الله يعبد في دارك أربعين صباحاً في هوى امرأة ، فقال سليمان في دارى قال نعم في
دارك فقال إنا لله وإنا إليه راجعون لقد علمت أنك ما فعلت إلا عن شوق بلغك .

ثم إن سليمان رجع إلى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولادها .

ثم إنه أمر بثياب الطمر فأتى بها وهي ثياب لا يفرها إلا الأبقار ولا تمسها
امرأة ذات دم ، فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده وأمر برماد ففرش
ثم أقبل تائباً إلى الله تعالى حتى تماس على ذلك الرماد وتمسك فيه بثيابه تذلل الله
تعالى وتضرعاً إليه يبكى ويدعو ويستغفر بما كان في داره ويقول فيما يقول :

رب ما كان ينبغي لآل داود أن يعبدوا غيرك وأن يقرؤا في دورهم وأهاليهم
عبادة غيرك فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ثم رجع إلى داره .

وكانت له وليدة يقال لها أمينة كان إذا دخل مذهبها أو أراد قضاء حاجة أو
أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه

إلا وهو متطهر لأن خاتمه كان من ياقوتة خضراء أتاه بها جبريل عليه السلام مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوماً من الأيام عندها كما كان يرضعه عند دخول مذهبه فأتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وكان اسمه صخرًا فظننته سليمان لأنها لم تنكر منه شيئاً فقال يا أمينة خاتمي فناولته إياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان فكفت عليه الطير والجن والإنس والشياطين .

فخرج سليمان فأتى إلى أمينة وقد تغير من حاله ونفسه ما كان معهوداً منه عند كل من رآه .

فقال يا أمينة خاتمي فقالت ومن أنت ؟ قال سليمان بن داود فقالت كذبت لست سليمان فقد جاء سليمان وأخذ خاتمه وها هو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن الخطيئة قد أدركته فخرج سليمان وجعل يقف على الدار فيقول أنا سليمان بن داود فيحشون عليه التراب ويسبونونه ويقولون انظروا إلى هذا المجنون وأي شيء يزعم يقول إنه سليمان .

فلما رأى سليمان ذلك خرج متوجهاً إلى البحر فكان ينقل الخيتان لأصحاب البحر من البحر إلى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فإذا أمسى باع إحدى السمكتين بأربعة وشوى الأخرى فباعها فبكت كذلك أربعين صباحاً عدة ما كان ذلك الوثن يعبد في داره .

فأنكر آصف بن برخيا وعلباء بنى إسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الأربعين يوماً ، فقال آصف يا معشر بنى إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان ما رأيتم ؟ قالوا نعم فقال أمهلوني حتى أدخل على نساءه فاسألن هل أنكرن منه في خاصة أمره ما أنكرناه من عامة أمر الناس وعلايته فدخل على نساءه فقال لهن ويحك هل أنكرتن من أمر سليمان بن داود ما أنكرناه فقلن

أشد ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة فقال آصف إنا لله وإنا إليه راجعون إن هذا هو البلاء المبين .

ثم إنه خرج إلى بني إسرائيل فقال ما في الخاصة أعظم مما في العامة ، فله حضرت أربعون صباحا زال الشيطان عن مجلسه ، ثم مر في البحر فقذف الخاتم فتها فابتلته سمكة فاصطادها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى إذا كان العشاء أعطاه السمكتين وكان من جملتهما السمكة التي ابتلته الخاتم فحمل سليمان سمكتيه فباع التي ليس في بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد إلى السمكة الأخرى فشمها ليشويها فوجد خاتمه في جوفها فأخذه فجعله في يده ووقع ساجدا فمكث عليه الطير والجن والإنس والشياطين وأقبل على الناس .

وعلم أن الذي دخل عليه لما أحدث في داره من عبادة الوثن فرجع إلى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه . ثم أمر الشياطين وقال اتوني بصخر المارد فطلبته الشياطين حتى أتت به وفتحت له صخرة فأدخله فيها ثم سد عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف في البحر ، فهذا حديث وهب بن منبه .

قال وأقبل سليمان على حالته التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من الصيادين وهو جائع وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم ، وقال إني سليمان بن داود فقام إليه بعضهم فضربه بعصاه فشجوه فسأل دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه وقالوا له بئسما صنعت حيث ضربته ، فقال إن دعوى آفة سليمان بن داود فاعطوه سمكتين من ضرب عندهم فلم يشغله ما كان فيه من ألم الضرب حتى قام إلى شاطئ البحر فشق بطنهما وجعل يغسلهما فوجد خاتمه في بطن إحدىهما فأخذه ولبيد فرد الله عليه ملكه وبهائه وجاءت الطير حتى حامت عليه فحرفه القوم فجاءوا يمتدرون إليه بما صنعوا ، فقال ما أوأخذكم على عدوانكم ولا أوأمكم على ما كان منكم هذا ما كان لا بد منه ثم جاء حتى أتى ملكه وأمر أن

أتوا بالشيطان الذي أخذ خاتمه فألقى به فجعله في صندوق من حديد ثم أطبقه
أقفل عليه بقل وسختمه بخاتمه ثم أمر به فألقى في البحر وهو فيه كذلك .
لى الساعة .

وفي بعض الروايات : أن سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده
وكان فيه ملكه فأخذه سليمان وأعاد عليه فسقط من يده فلما رآه سليمان لا يثبت
في يده أيقن بالفتنة ؛ فقال آصف لسليمان إنك مفتون بذنبك والخاتم لا يماسك
أربعة عشر يوماً ففر إلى الله تائباً من ذنبك وأنا أقوم مقامك وأسير في عمالك
وأهل بيوتك بسيرك إلى أن يتوب الله عليك ويردك إلى ملكك ففر سليمان هارباً
إلى ربه وأخذ آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت وأن الجسد الذي قال الله تعالى
(وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) هو آصف كاتب سليمان : وكان عنده علم
من الكتاب فأقام آصف في ملك سليمان وعالمه يسير بسيرته ويعمل بعمله أربعة
عشر يوماً إلى أن رجع سليمان إلى منزله تائباً إلى الله تعالى ورد الله عليه ملكه
فأقام آصف من مجلسه وجلس سليمان على كرسيه وأعاد الخاتم في يده فثبت .

وقال الشعبي في سبب زوال ذلك ولد سليمان ابن فاجتمعت الشياطين فقال
بعضهم لبعض أن عاش له ولد لم تنتهي مما نحن فيه من البلاء والسنخرة فسيبنا إن
نقتل ولده أو أن نخبله فعلم سليمان ذلك فأمر السحاب أن تأخذ إبنه وأمر الريح
فحملته وغدا إبنه في السحاب فأمن مضره الشياطين فعاتبه الله لتخوفه من الشياطين
ومات الولد فألقى على كرسيه وهو الجسد الذي قصه الله علينا بقوله (وألقينا على
كرسيه جسداً له ثم أناب) والله تعالى أعلم .

(باب في ذكر وفاة سليمان عليه السلام)

قال الله تعالى (فلما قضينا عليه الموت) الآية ، قال أهل التاريخ : لبث سليمان في ملكه بعد أن رده الله تعالى عليه تعمل له الجن والشياطين ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجراب وقدور راسيات وغير ذلك ويعذب من الشياطين من يشاء ويطلق من يشاء ويأمرهم بحمل الحجارة الثقيلة ونقلها إلى حيث أحب .

قال فتزيا لهم إبليس وهم دائبون في العمل فقال كيف أنتم ؟ قالوا ما لنا طاقة لنا نحن فيه فقال إبليس تذهبون تحملون الحجارة وترجعون فراغاً لا تحملون شيئاً قالوا نعم ، قال فأنتم في راحة قال فابلغت الريح ذلك سليمان فأمرهم أن يحملوا ذاهبين وراجهين فجاءهم إبليس فقال كيف أنتم ؟ فشكروا إليه واخبروه أنهم يحملون ذاهبين وراجهين فقال لهم إبليس أنامون بالليل ؟ قالوا نعم قال فأنتم في راحة .

قال فابلغت الريح ذلك سليمان فأمرهم أن يعملوا بالليل والنهار فتزيا لهم إبليس فشكروا إليه أنهم يعملون بالليل والنهار وإنهم دائبون في العمل فقال كيف أنتم : قالوا لا طاقة لنا فيما نحن فيه فقال لهم إبليس وما يشاء فعله قالوا نعم فتوقعوا الفرج وقد بلغ الأمر منتهاه فلم يلبثوا إلا قليلاً وقد مات سليمان عليه السلام .

قال ابن عباس وغيره : كان سليمان عليه السلام يحتجب في بيت المقدس السنة والستين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه بطعامه وشرا به فدخله في المرة التي مات فيها وكان بدء أمره في ذلك أنه لم يكن يوماً يصبح فيه إلا تذببت له في بيت المقدس شجرة فيسألها سليمان ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فيقول لأي شيء أنت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فإن كانت تذببت الغرس كتب عليها غرسها في مكان كذا وكذا وإن كانت لدواء كتب عليها لكذا وكذا .

فبينما هو يصلي يوماً إذا رأى شجرة نابتة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخرفوبة قال ولأى شيء تبتك؟ قالت لخراب هذا المسجد .

فقال سليمان بن داود ما كان الله تعالى ليخربه وأنا حي أنت التي علي وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وخرسها في حائط له .

ثم قال اللهم عم عن الجن موتي حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب ؛ وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء وانهم يعلمون ما يكون في غد .

ثم إن سليمان دخل المحراب فقام يصلي متكئاً على عصاه فمات ثم بقي على تلك الحالة ولم يعلم بذلك من الشياطين أحد وهم مع ذلك يعملون ويخافون أن يخرج فيعاقبهم .

وقال عبد الرحمن بن زيد : قال سليمان لملك الموت إذا أمرتني فأعلمني ؛ قال فأتاه فقال يا سليمان قد أمرت بك وقد بقي لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا صرحاً من قوارير ليس له باب فقام يصلي واتكأ على عصاه فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه .

وفي رواية أخرى أن سليمان عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه - إن الله تعالى آتاني من الملك ماترون وما مر علي يوم في ملكي صاف من الكدر ؛ وقد أحببت أن يكون لي يوم واحد يصفوني إلى الليل ؛ ولا أغتم فيه ولا أكن ذلك اليوم غداً فلما كان من الغد دخل قصر له وأمر بإغلاق أبوابه ومنع الناس من الدخول عليه ومنع من رفع الأخبار إليه لئلا يسمع شيئاً يسوؤه ثم أخذ العصا بيده ووضعها فوق خصره واتكأ عليها ينظر إلى مالهيكه إذ نظر شاباً حسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب القصر فقال السلام عليك يا سليمان فقال وعليك السلام فكيف دخلت علي هذا القصر بغير إذني ، وقد منعت من دخوله أمامك البواب والحجاب ؛ أما هبتني حين دخلت قصرى بغير إذني ، فقال أنا الذي لا يجيبني حاجب ولا يدفعني البواب ولا أخاف الملوك ولا أقبل منهم الرضا وما كنت لأدخل هذه

القصر بغير إذن ، فقال سليمان فمن أذن لك في دخوله فقال له ربي ، قال فارتعد سليمان
وعلم أنه ملك الموت ، فقال له أنا ملك الموت ؛ قال نعم قال فميت جئت قال لا قبض
روحك قال يا ملك الموت هذا يوم أردت أن يصنولي ولا أسمع فيه ما يغمي .

قال يا سليمان إنك أردت يوماً يصنوك فيه عيشك حتى لا ينفعك فيه شيء
وذلك يوم لم يخلق في الدنيا فرض بقضاء ربك فإنه لا مرد له ، قال فاقبض كما
أمرت فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه أقالوا وكانت الشياطين
تجتمع حوله وحول محرابه ومصلاه أينما كان ، وكان للمحراب بابان باب بين
يديه وباب خلفه .

فقال بعض الشياطين لصاحبه إن كنت جليداً فادخل من الباب الذي بين يديه
واخرج من الباب الذي خلفه فدخل ذلك البعض ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان
في المحراب إلا احترق فمر ذلك الشيطان فلم يسمع صوته ، ثم رجع فلم يسمع فوقه
بالبيت فلم يحترق فنظر إلى سليمان وقد سقط ميتاً فخرج فأخبر الناس أن سليمان
قد مات ففتحوا عليه فأخرجوه ووجدوا منسأة وهي العصا بلغة الحبشة قد أكلتها
الأرضة فلم يعلموا منذ كم مات فوضعوها الأرضة على العصا فأكلت منها يوماً وليلة
ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة ، وكانوا يعملون بين يديه
وينظرون إليه ويحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس
الطول صلواته قبل ذلك .

وفي رواية ابن مسعود ، فسكثوا يدانون له بعد موته حولا كاملا فأيقن
الناس أن الجن كانوا يكذبون في ادعائهم علم الغيب فلو أنهم علموا الغيب لعلموا
موت سليمان ولم يلبثوا في العناء والعذاب سنة يعملون له .

ثم إن الشياطين قالوا الأرضة لو كنت تأكلين الطعام لا نبتناك بأطيب الطعام
ولو كنت تشربين الماء لسقيناك أعذب الشراب ولسكننا نقتل إليك الماء والطين

فشكر آلك فالذي يكون في جوف الخشب فهو ما تأنيها به الشياطين تسكن إليها
فذلك قوله تعالى (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض ،
تأكل منسأته) الآية .

قال أهل التاريخ : كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثاً وخمسين سنة ومدة ملكه
منها أربعون سنة وذلك أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت
المقدس لأربع سنين مضي من ملكه ثم ملك من بعد سليمان ابن له يقال له رحبعام
وكان قد استخلفه فنبأه الله وكان نبياً ولم يكن رسولاً ، ثم قبض وكان ملكه
ثلاثاً وستين سنة ، ثم ملك بعد ابنه أساين آفيا وكان رجلاً صالحاً ، وكان أعرج
يعتريه عرق النساء فطمع فيه الملوك لضعفه وافتقرت ملوك بني إسرائيل فغزاهم ملك
من ملوك الهند يقال له روح الهند في جمع كثير وقبيلة كبيرة فبعث الله عليهم الملائكة
فهمزمتهم فقصدوا البحر حتى إذا ركبوا جميعاً بعث الله عليهم الرياح والأمواج
فضربت سفنهم بعضها في بعض فتسكسرت وغرق روح الهند ومن كان معه
واضطربت الأمواج حتى ألقوا أبقالهم وأموالهم وسلبهم إلى حلة بني إسرائيل
ونودوا أن نخذوا ما غنمكم الله تعالى وكونوا من الشاكرين ثم لم تزل تغزوهم
الملوك بعد ملك من ملوك العراق وغيرهم فيهم الله تعالى إلى أن ظهر فيهم
الظلم والفساد وفشت فيهم المعاصي وعبد بعض ملوك بني إسرائيل الأصنام من
دون الله تعالى فغضب الله عليهم بكفرهم ومهصيتهم وسلط عليهم بختنصر .

(مجلس في قصة بختنصر وما يتصل به)

وخبر شعيب وأرميا وعزير

عليهم وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام

قال الله تعالى (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) إلى قوله عز وجل
(وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) .

(قصة شعيب عليه السلام)

قال محمد بن إسحق وغيره من أهل السير والأخبار: كان فيما أنزل الله تعالى على موسى خبر بني إسرائيل من أحداثهم وما هم فاعلمون بعده كما قال الله تعالى (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علواً كبيراً) إلى قوله (حصيراً) فكانت بنو إسرائيل يركبون الأحداث والذنوب وكان الله تعالى يتجاوز عنهم تعظفاً وإحساناً إليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم من تلك الوقائع كما أخبر الله تعالى على لسان موسى عليه السلام بأن ملكاً منهم كان يدعى حديق وكان الله تعالى إذا ملك ملكاً من ملوك بهت الله له نديباً يسدده ويرشده ويكون واسطة فيما بينه وبين الله تعالى فيما يحدث من أمورهم ولا ينزل عليهم كتاباً وإنما يأمرهم أن يأمروا بأحكام التوراة والنهي عن المعاصي والمنكرات والدعاء إلى ما تركوا من الطاعات.

فلما مات ذلك الملك بهت الله تعالى شعيباً بن أمضياء وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى وشعيباً هو الذي بشر بيت المقدس حين شكوا إليه الخراب فقال لأبشر فإنه يأتيك ركب الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زماناً.

فلما انقضى ملكه فيهم عظمت الأحداث الرديئة وشعيباً فيهم فبعث الله عليهم مستجاريب ملك بابل فنزل هو وجنوده في ستمائة ألف راية فأقبل سائرراً حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض في ساقه قرحة شديدة فجاء إليهم شعيباً فقال يا ملك بني إسرائيل إن سنجانيب ملك بابل قد نزل هو وجنوده في ستمائة ألف راية وأقبل حائرراً حتى نزل بيت المقدس وقد هابهم الناس وتفرقوا عنهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبي الله هل أتاك وحى من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبمدونا سنجانيب وجنوده فقال للنبي لم يأت وحى فيبينناهم كذلك إلا أوحى الله تعالى إلى شعيباً عليه السلام أن أت ملك بني إسرائيل فأمره ن

يوصي بوصيته ويستخلف على مملكته من يشاء من أهل بيته وعترته فأتى شعيباً
صديق فقال إن ربك قد أوحى إلي أن أمرك أن توصي بوصيتك وتستخلف من
شئت على مملكك من أهل بيتك فإنك ميت ، فلما قال ذلك شعيباً لصديق أقبل
على الله تعالى وصلى ودعا وبكى وقال في دعائه وهو يبكي ويتضرع إلى الله تعالى
بقاب مخلص وظن صادق .

اللهم رب الأرباب وإله الآلهة القدوس المقدس يا رحمن يا رحيم يا رءوف
يا من لا تأخذه سنة ولا نوم أذكرني بنيتي وفعلي وحسن قضائي في بني إسرائيل
وذلك كله كان منك وأنت أعلم به مني وسري وعلايتي لك .

ثم إن الله تعالى استجاب دعاه ورحمه وكان عبداً صالحاً ، فأمر الله تعالى
إلى شعيباً وأمره أن يخبر صديق الملك أن ربه قد استجاب له ورحمه وقبل منه
وقد أخرج له خمس عشرة سنة ، وانجاه الله تعالى من عدوه سنجاريب ملك بابل
وجنوده فأتى شعيباً وأخبره بذلك ، فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجد وانقطع
عنه الهزال وخر ساجداً لله تعالى .

يا إلهي وإله آبائي لك سجدت وكبرت وسبحت وعظمت أنت الذي تعطى
الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب
والشهادة أنت الأول والآخِر والظاهر والباطن ، وأنت ترحم وتستجيب دعوة
المضطرين أنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي .

فلما رفع رأسه أوحى الله تعالى إلى شعيباً ، أن قل للملك صديق أن يأمر
عبداً من عبيده فيأنيبه بما أذن فيجعله على قرحتة فيشفي ففعل ذلك فبرأ فقال الملك
لشعيباً ، سل ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانع بعدونا هذا فقال الله لشعيباً
قل له إني كفيتك عدوك هذا وأنجيتك منه وأنهم سيصيحون موتي كلهم
إلا سنجاريب وخمسة نفر من كبرائه وكتابه فلما أصبحوا جاءهم صارخ يصرخ

على باب المدينة يا ملك بني إسرائيل قد كفناك الله عدوك فاخرج فإن سنجاريب
ومن معه هلكوا فلما خرج التمس سنجاريب فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في
طلبه فأدركه الطالب هو ومن معه في خمسة نفر من كبرائه في مغارة أحدهم يختصر
فجعلوهم في الجوامع ثم أتوا بهم ملك بني إسرائيل فلما رأهم خر ساجداً لله تعالى
من حين طلعت الشمس إلى العصر ثم قال يا سنجاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم
يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال له سنجاريب قد أناني خبر ربكم
ونصرته إياكم من قبل أن أخرج من بلادي فلا أطلع مرشداً ولم يلقي في الشقوة
إلا قلة عاقلي فلو سمعت وعقلت ما غزوتكم ولكن الشقوة غلبت على وعلى من معي
قال : فقال صديق الحمد لله رب العالمين الذي كفانا كما يشاء إن ربنا لم يبقك ومن
معك لكرامتك عليه ولكن لتزدادوا شقاوة في الدنيا وعذاباً في الآخرة .

ثم أن بني إسرائيل تنافسوا في الملك حتى قتل بعضهم بعضاً وظهر فيهم البغي
والعساد ونبيهم شيعاء فيهم لا يرجعون إليه ولا يقبلون قوله فلما فعلوا ذلك قال
الله تعالى لشيعاء عليه السلام : قم في قومك يوحى على لسانك ؛ فلما قام النبي أطلق
الله لسانه بالوحي فقال .

يا سماء اسمعي ويا أرض انصتي فإن الله أراد أن يقضى شأن بني إسرائيل
الذين رباهم بنعمته وأصطفاهم لأنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده واستقبلهم
بالكرامة وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها فأوى شاردتها وجمع ضالها وجبر
كسيرها وداوى مريضها وأسمن هزيلها وحفظ سميتها فلما فعل ذلك بطرت
فتناطحت كباشها فقتل بعضهم بعضاً حتى لم يبق منهم عظيم صحيح يجبر إليه كسير
فويل لهذه الأمة الخاطئة الذين لا يدرون أجاهام الخير أم الشر وإن البعير يذكر
وطنه فينتابه وأن الحمار يذكر الآري الذي يشبع عليه فيراجمه وأن الثور يذكر
المسرح الذي يسرح فيه فينتابه وأن هؤلاء القوم لا يدرون من أين جاءهم الخير
وهم أولوا الأبواب والعقول ليسوا ببقر ولا حير أنى ضارب لهم مثلاً فليسمعوه

قل لهم كيف ترون في أرض كانت خراباً مواتاً فبقيت خراباً زماناً طويلاً بلا
عمران فيها وكان لها رب حكيم قوي فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه
فحاط عليها جداراً وشيد فيها قصرأ وأجرى نهرأ وأنبت عليها غرساً من الزيتون
والرمان والنخيل والأعناب وأنواع الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه إذا رأى
حفيظاً قوياً أميناً فانتظرها فلما أطلعت جاء طلوعها خرنوباً فقال بئس الأرض هذه
ترى أن يهدم جدرانها وقصرها ويفيض ماء نهرها ويحرق غرسها حتى تصير كما
كانت خراباً أول مرة مواتاً لا عمران فيها فقال الله تعالى قل لهم أن الجدار ذمتي
وأن القصر شريعتي وأن النهر كتابي وأن القيم نبيي والغراس هم وإن الخرنوب
الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة وأنا قضيت عليهم لمضاهم على أنفسهم وأنه
مثل ضربه الله لهم فمرهم يتقربوا بذبح البقر والغنم ليس ينالني اللحم ولا آكله
لكن يتقربون لي بالتقوى والكف عن ذبح النفس التي حرمتها فأيديهم مخضوبة
منها وبناتها مزملة بدمها ، ويشهدون إلى البيوت والمساجد ويظهرون أجوافها
وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها فأى حاجة لي إلى تشييد البيوت ولست
أسكنها وأى حاجة لي إلى تزويق المساجد ولست أدخلها وإنما أمرت برفعها
لأذكر فيها وأسبح ولتكن معلماً لمن أراد أن يصلح فيها ويقولون لو كان الله يقدر
على أن يجمع ألفتنا لجمعها ، ولو كان الله يقدر أن يفقه قلوبنا لفقهها فاعمدوا إلى
عودين يابسين ثم ابنيهما وهم في أجمع ما يكون فقل للعودين إن الله يأمر كما أن
تكونا عوداً واحداً فلما قال لهما ذلك اختلطاً بعضهم في بعض فصارا عوداً
واحداً فقال الله تعالى إني على كل شيء قدير وأنا الذي صورتهم يقولون ضمنا فلم
يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور قلوبنا وتصد فلم ترك صدقاتنا وإن دعونا بمثل
حنين الجمال وبكينا بمثل عواء الذئاب متذللين كل ذلك لا يسمع ولا يستجاب لنا
قال الله تعالى فسلمهم ما الذي يمنعني أن استجيب لهم ألسنت أسمع السامعين وأنظر
الناظرين وأقرب المجريين وأرحم الراحمين وأن رحمتي وسعت كل شيء إنما يترحم
المترحمون بفضلي ، أو لست أكرم إلا كريم .

وأنا مفتاح بالخيرات ألت أجود من اعطى وأكرم من سئل ولو أن هؤلاء القوم نظروا لأنفسهم بالحكمة التي تورث في قلوبهم فندبروها ولم يشترها بها الدنيا لأبصروا وتيقنوا أن أنفسهم هي أعدى الأعداء لهم؛ فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بالزور ويقوون عليه بطعمه الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم طاغية تركز إلى من يحاربني وينتهك محارمي أم كيف تزكو عني صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم وإنما أجزى عليها أهلها المفضولين

أم كيف استجيب لهم دعاءهم وإنما هو قول بالسنتهم والعقل من ذلك بعيد إنما استجيب قول المستعف المسكين وإن من علامة رضاي رضا المسكين ولورحموا المساكين وقربوا الضعفاء وأنصفوا المظلوم ونصروا المعضوب وعالوا الغائب وأدوا إلى الفقير واليتيم والأرملة والمسكين حقه .

ولو كان ينبغي أن أكلم البشر إذا تكلمتهم وكففت أذانهم وكنت نوراً أبصارهم وسمع أذانهم ومعقول قلوبهم وأعمرت أركانهم وكنت قوة أيديهم وأرجلهم وكنت السنتهم إلا أنهم يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي أنها أقاويل منقولة وأحاديث متواترة وتأليف فيها يؤلف السجرة والسكينة وزعموا أن لو يشاءوا أن يأتوا بحديث مثله لفعلوا وإن يطلعوا على الغيب بما توحى إليهم الشياطين إذا طلعتوا وهم يعلمون أني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما يبذون وما يكتبون وإني قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء بينته على نفسي وجعلت له أجلاً مؤجلاً لا بد أنه واقع فإن صدقوا فيما يذبحون من علم الغيب فليخبروكم متى أنفذه وفي أي زمان يكون وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاءون فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها أقضى فإني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاءون فليأتوا بمثل هذه الحكمة التي أدبرها أمر ذلك القضاء إن كانوا صادقين فإني قضيت يوم خلقت السموات والأرض بأن أجعل

النبوة في الاحرار واجعل الملك في الرعاء واجعل العز في الاذلاء والقوة في الضعفاء
والغنى في الفقراء والثروة في الاقلاء والمدائن في الفلوات والاجام في المفاوز والثرى
في الغيطان والعلم في الجهلة والحكمة في الاميين فسلمهم من هذا ومن المقيم بهذا وعلى
يد من أشسته ومن أعوان هذا الامر وأنصاره فإني باعث لذلك نبياً أمياً لا أعشى
من العميان ولا ضالا من الضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا بصخب في الأسواق
ومترى بالفحش ولا قولاً بالخنا أسدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم اجعل
السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوقار
طبيعته والعفو والمعروف خلقه والمعدل سيرته والحق شريعته والهدى إمامه
والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به
الجمالة واشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد الفقر واجمع به بعد
الفرقة وأولف به قلوباً مختلفة وأهواء مشتتة وأما متفرقة واجعل أمته خير أمة
أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بآياتي وتوحيدي يصلون
قياماً وقعوداً وركوعاً وسجوداً ويقفون في سبيل الله صنفوا وزحوا ويخرجون
من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله ألهمهم التكبير والتهليل والتسبيح والتمجيد
والتوحيد في مسيرهم وبجاسمهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومشواهم يكبرون ويهللون
ويقدسون على رؤوس الاشراف ويظفرون لى الوجوه والاطراف ويعقدون
الشياب في الانصاف قربانهم دماؤهم وقرآنهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث
بالنهار وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فلما فرغ شعيباً من مقالته غدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فليقته شجرة
فانفلقت له فدخلها ، فأدركه الشيطان ، فأخذ بهذبة من ثوبه فأراهم إياها
فوضعوا المشار في وسطها فذسروها ، حتى قطعوها وقطعوه وهو في وسطها

(قصة أرميا عليه السلام)

فاستخلف الله على بني إسرائيل بعد قتلهم شعياء رجلاً يقال له فاشمئة بن أموس
وبعث الله إليهم الخضر نبياً ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى وإمام الخضر
أرميا بن خليفاء .

وكان من سبط هرون بن عمران وإنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء
فلقام عنها وهي تزهو فخره قال الله تعالى لأرميا حين بعثه إلى بني إسرائيل
يا أرميا من قبل أن أخلقك اخترتك من قبل أن أصورك في بطن أمك قدستك
ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ، ومن قبل أن تبلغ السمي نبأتك
ولامر عظيم اجتديتك فذكر قومك نعمي وعرفهم أحداً منهم وادعهم إلى . فقال
أرميا إني ضعيف إن لم تقوتني عاجزاً إن لم تنصرتني ، فقال الله تعالى أنا أهلك
فلقام أرميا فيهم خطيباً ولم يدر ما يقول ؛ فألممه الله تعالى في الوقت خطبةً بليغة
طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعذاب المعصية ؛ وقال لهم في آخرها إن الله قال :
«فإني أحلف بعزتي وجلالي إن لم ينتهوا لافيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولا سلطان
عليهم جباراً قاسياً ألبسه الهيبة وأنزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم .

ثم أوحى الله تعالى إلى أرميا عليه السلام إني مهلك بني إسرائيل يافث
ويافث هم أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح ؛ فلما سمع أرميا بكى وصاح وشق
ثيابه وحشا الرماد على رأسه ؛ فلما سمع الله تضرع أرميا وبكاه ناداه يا أرميا
نأشق عليك ما أوحيت إليك قال نعم يارب أهلكني قبل أن أرى في بني إسرائيل
عالملاً أسريه . فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أهلك أحداً من بني إسرائيل حتى
يكون الأمر في ذلك من قبلك ؛ ففرح أرميا بذلك وظابت نفسه وقال والذي
بعث موسى بالحق لا أَرْضِي بِهَلَاكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ثُمَّ أَتَى الْمَلِكَ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ وَكَانَ مَلْسَكاً
صَالِحاً ففرح واستبشر وقال ، إن يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة وإن يرحمنا فبرحمته

ثم إنهم لبشوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا فيها إلا معصية وتمادياً في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم وفي الوحي ودعاهم الملك إلى التوبة فلم يفعلوا فسلط عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس .

فلم يصل بختنصر سائراً إلى الملك وقد أتى الملك الخبر فقال الملك لأرمياة أنت زعمت أن الله أوحى إليك ، فقال أرمياة إن الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الأجل وأراد هلاكهم بعث إلى أرمياة ملكاً قد تمثل له في صورة رجل من بني إسرائيل ؛ فقال له يانبي الله إنى استفتيك في أهل رحى وصلت أرحامهم ولم أزل إليهم محسناً ولا يزيد إكرامى إياهم إلا استخفافاً بي فافتنى فيهم فقال له أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فما مكث إلا أياماً ثم أقبل عليه في صورة ذلك الرجل فقعده بين يديه فقال له أرمياة أو ما ظهرت أخلاقهم بعد ، قال يانبي الله والذي بعثك بالحق نبياً ما أعلم كرامته يأتيها احد من الناس إلا أهل رحمة إلا قدمتها إليهم وأفضل .

قال أرمياة عليه السلام ارجع إلى أهلك فأحسن إليهم وسل الله الذى يصلح عباده الصالحين أو يصلحهم فقام الملك فمكث أياماً وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر من الجراد ففزع منهم بنو إسرائيل وشق عليهم فقال ملكهم لأرمياة يانبي الله أين ما وعدك الله به ؟ قال إن ربى لو ائق ثم أقبل الملك على أرمياة وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذى وعد فقعده بين يديه وقال له انا الذى اتيتك فى شأن أهلى مرتين فقال له أرمياة عليه السلام ألم يأن لهم ان ينتهوا من الذى هم فيه فقال له يانبي الله كل شئ كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه واليوم رأيتهم فى عمل لا يرضى الله تعالى فقال أرمياة عليه السلام على اى عمل رأيتهم : قال على عمل عظيم من سخط الله تعالى فغضبت لذلك وأتيتك لأخبرك ، وإنى أسألك بالله الذى بعثك بالحق نبياً إلا مادعوت الله تعالى عليهم ليهلكهم ، فقال أرمياة ياملك السموات والارض إن كانوا على حق وصواب فابقهم وإن كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلكهم .

قال فما خرجت الحكمة من فم ارمياة تماماً حتى أرسل الله صاعقة من السماء
في بيت المقدس فالتهب مكان العربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابه فلما رأى
ذلك ارمياة صاح وبكى وشق ثيابه وجثا الرمال على رأسه وقال : يا ملك السموات
والارض أين ميعادك الذي وعدتني ؟ فنودي أنه لم يصيبهم الذي أصابهم
إلا بفتياك ودعائك فاستيقن ارمياة عليه السلام أنها فتياه وأن ذلك السائل كان
رسول ربه فسار ارمياة حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت
المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً ثم يلقه في بيت
المقدس فلقوا فيه التراب حتى ملأوه ثم انصرفوا إلى بابل واحتمل معه سبايا
بنى اسرائيل وأمرهم أن يجمعوا ما كان في بيت المقدس فجمعوا كل صغير وكبير
من بنى اسرائيل فاختر منهم سبعين ألف صبي فلما أراد أن يقسم الغنائم في جنده
قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها وأقسم بيننا هؤلاء
الصبيان الذين اخترتهم من بنى اسرائيل ففعل ذلك فأصاب كل واحد منهم أربعة
غلمان وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنايا وعزازيا وميشايل وسبعة آلاف
من أهل بيت داود وأحد عشر ألفاً من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين
وثمانية آلاف من سبط يساخر بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن
يعقوب وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى لابنى يعقوب ومن بقى من
بنى اسرائيل جعلهم بختنصر ثلاث فرق فثلثاً أقره بالشام وثلثاً سبي وثلثاً قتل
وذهب بأواني بيت المقدس حتى أقدمها بابل وذهب بالغلن السبعين ألفاً وسائر
السبايا حتى قدمهم بابل وكانت تلك الواقعة الأولى التي أنزلها الله على بنى اسرائيل
بإحداشهم وظلمهم وذلك قوله تعالى (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا
أولى بأس شديد) يعني بختنصر وجنوده ،

وكان بدء أمر بختنصر على ما روى حجاج عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم
عن سعيد بن جبير كان رجل من بنى اسرائيل يقرأ التوراة حتى إذا بلغ (بعثنا
عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد) بكى وفاضت عيناه وأطلق المصحف ثم انطلق

إلى المسجد وقال يارب أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني إسرائيل على يدي
فأرى في المنام أنه مسكين ببابل يقال له بختنصر فانطلق بمال وعبد له وكان رجلاً
موسراً ، فقيل له أين تريد ؟ قال أريد التجارة .

ثم ذهب حتى نزل داراً ببابل فاستكراها ليس فيها أحد غيره ، فجعل يدعو
المساكين ويتلطف بهم حتى لا يأبىه أحد مسكين إلا أعطاه ، فقال هل من مساكين
غيركم قالوا نعم مسكين بفتح آل فرعون مريض يقال له بختنصر ، فقال اغلبانه
انطلقوا وانطلق معهم حتى أتاه .

فقال له ما اسمك ؟ قال بختنصر فقال اغلبانه احموه فنقلوه إليه ومرضه حتى
برى فـكساه وأعطاه نفقة .

ثم أذن الإسرائيلي في الرحيل فبكى بختنصر ، فقال الإسرائيلي ما يبكيك ؟
فقال أبكي لأنك فعلت معي ما فعلت ولا أجد شيئاً أجازيك به ، فقال جزائي
شأن يسير قال وما هو ؟ قال له إن صرت ملكاً وملكك بيت المقدس أعطيني
ما أطلبه فجعل يتبعه ويقول له أتستعزيء بي ولا يمنعه أن يعطيه ما سأله .

قال : فبكى الإسرائيلي وقال قد علمت ما يمنعك أن تعطيني ما سألتك إلا الله
تعالى يريد أن ينفذ قضاءه فـكـتـب له كتاباً و ضرب الدهر ضرباً فقال يوماً
سيحون وهو ملك بابل لو أنا أرسلنا طليعة إلى الشام قالوا ما ضرك لو فعلت
قال فمن ترون قالوا فلاناً فبعث رجلاً وأعطاه مائة ألف فخرج بختنصر في مطبخه
لم يخرج إلا لياً كل في مطبخه .

فلما قدم إلى الشام رأى صاحب الطليعة أكثر أهل الأرض فرساناً ورجلاً
جلداً فـكـبـر ذلك في عينه فلم يصل ولم يسألهم عن شيء .

وكان بختنصر دخل الشام ولم يزل يجلس مجلس أهل الشام ويسألهم ويقول لهم
ما منعكم أن تغزوا ببابل فلو غزوتموها لنلتم منها شيئاً كثيراً فقالوا إنا لا نحسن

القتال ولا تقاتل حتى تنفقد مجالس أهل الشام وتعرف سرائرهم ثم إن الطليعة رجعوا فأخبرهم ملكهم بما رأوا وكان يختصر رجع معهم فجعل يقول لفراس الملك لو دعاني الملك لأخبرته غير الذي أخبره فلان وفلان فرفع ذلك إلى الملك فدعاه فأخبره الخبر ، وقال إن فلاناً لما رأى أكثر أهل الأرض كراماً ورجالاً جلدأ كبر ذلك في عينه ولم يسألهم عن شيء لأنى لم أدع مجلساً بالشام إلا جلست فيه أسأل أهله فقلت لهم كذا وكذا وقالوا كذا وكذا .

قال سعيد بن جبير : قال صاحب الطليعة لاختصر لك مبلغ مائة ألف دينار وترجع عما قلت . فقال لو أعطيتني بيت مال بابل مارجعت عما قلت ثم ضرب الدهر ضرباته ؟ فقال الملك لو بعثنا جريدة خيل إلى الشام فإن وجدوا مسافراً ساغوا ولا أمسكوا ما قدروا عليه ؟ فقالوا ما ضرك لو فعلت ذلك قال فن ترون قالوا فلاناً قال بل الرجل الذي أخبرني بما أخبرني فدعى يختصر فبعثه ثم انتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم فالطلقوا فجاثوا خلال الديار فسبوا ما شاء الله تعالى ولم يخربوا ولم يقتلوا ومات مسيحون الملك فقالوا استخلفوا ملكاً قالوا على رسلكم حتى تأتي أصحابكم فإنهم فرسانكم فأملوا حتى جاء يختصر بابل ورواه فقسمه بين الناس ، فقالوا ما رأينا أحق بالملك منه فهذه القصة التي رواها علي أنفسهم .

وقال السدي بإسناده أن رجلاً من بني إسرائيل رأى في المنام أن خراب بيت المقدس وهلاك بني إسرائيل على يد غلام يتيم بن أربعة من أهل بابل يدعى يختصر وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم فأقبل يسأل عنه حتى نزل في بيت أمه وكان قد ذهب يحتطب فجهاء وعلى رأسه حزمة حطب فألقاهم ثم قعد في جانب البيت فحكاهم ثم أعطاه ثلاثة دراهم وقال له اشتر بها طعاماً وشرباً فأشترى بدرهم لحماً وبدرهم خبزا وبدرهم خمراً وجاء به فأكلوا وشربوا حتى إذا كان اليوم الثاني فعل به مثل ذلك وفي اليوم الثالث فعل كذاك ثم قال له الإسرائيلي لاني أحب أن تكتب لي أمناً إذا أنت ملكت يوماً من الدهر .

فقال بختنصر آتسخر منى قال لا أسخر منك واسكن ما عليك أن يجعل عندي لك
بيدا فكلمته أمه فقالت : ما عليك إن كان وإلا لم ينقصك شيئاً فكتب له أماناً .

فقال أرأيت إن جئتك والناس حولك قد حالوا بيني وبينك فاجعل لي علامة
تعرّفني بها قال ترفع صحيفةك على قصبته فأعرفك بها فكتب له أماناً وأعطاه إياه
ثم إن ملك بني إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا عليه السلام ويدني مجلسه
ويستشيره في أمره ولا يقطع امرأ دونه وإن الملك هو أن يتزوج بنت امرأة له هذا
قول السدي .

وقيل كانت بنت أخته لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : بعث
عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهم السلام في إثني عشر من الخواريين يعلمون
الناس وكان فيما نهام عنه نكاح بنت الأخت .

قال وكان لملكهم ابنة أخت تعجبه ويريد أن يتزوجها وكان لها في كل يوم
حاجة يقضيها وذكر الحديث في مقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام .

رجعنا إلى حديث السدي فسأل يحيى عن نكاحها فقال لست أرضاها لك
فبأنع ذلك أمها فحدثت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها فعمدت حين جلس
الملك على شرابه فألبست ابنتها ثياباً حمراً راقاً فاخرة وطيبتها وألبستها من الحلى
شيئاً لا قيمة له من غايته وألبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها إلى الملك
وأمرتها أن تسقيه الخمر وإن تعرض له فإن راودها عن نفسها أبت عليه حتى
يهظيها ما سأله ويكون الذي تسأله أن يأتي برأس يحيى بن زكريا في طشت ففعلت
ذلك وجاءت تسقيه الخمر وتعرض له فلما أخذ من يدها الشراب راودها عن
نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال وما تسأليني ؟ قالت أسألك أن
تبعث إلى يحيى بن زكريا فتأنيدي برأسه فقال ويحك سليني غير هذا قالت ما أريد
غير هذا فلما أبت عليه بعث إلى يحيى فأبى برأسه فعمدت الرأس تكلم حتى وضعت

بين يديه وهي تقول إنها لا تحمل لك ، فلما أصبح الملك وإذا دم يحيى يغلي فأمر
بالتراب فألقى عليه فرقى الدم فوق التراب يغلي فألقى عليه أيضاً وارفع الدم
فوقه فلم يزل يلقى عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلي فبلغ
سنتجاريب ملك بابل ذلك فنادى في الناس وأراد أن يبعث لهم جيشاً ويؤمر عليهم
رجالاً فأناه بختنصر و كلمه وقال إن الذي أرسلت تملك المرة ضعيف وإني قد دخلت
المدينة وسمعت كلام أهلها فابشئني فبعث ... حتى إذا بلغوا ذلك المكان ورآهم
أهله تحصنوا في مدائنهم فلم يطقهم .

فلما اشتد عليهم المقام وجاع أصحابه وأرادوا الرجوع فخرجت إليهم عجوز
من عجايز بنى إسرائيل وقالت أين أمير الجند فأتى به إليهما فقالت : لقد بلغني
إنك تريد الرجوع بجنودك قبل أن تفتح هذه المدينة قال نعم قد طال مقامى وجاع
أصحابى فلست أستطيع المقام فوق الذى كان تمنى أرايتك إن دللتك على فتح المدينة
تعطينى ما أسألك وتقتل من أمرك بقتله وتسكف عن أمرك بالكف عنه .
قال لها نعم قالت إذا أصبحت فأقسم جندك أربعة أقسام ثم أقسم على كل زاوية
ربما ثم ارفعوا أيديكم إلى السماء ونادوا ياربنا دلنا على من قتل يحيى بن زكريا
عليهما السلام فإنهم إذا فعلوا تساقط سور المدينة ففعلوا ذلك فتساقط سور
المدينة ودخلوا من جوانبها فأنطلقت به إلى دم يحيى بن زكريا عليهما السلام وقالت
له اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفاً حتى سكن فلما سكن
الدم قالت له كف يدك فإن الله تعالى إذا قتل نبي لا يرضى حتى يقتل من قتله ومن
رضى بقتله .

وأناه صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته وخرب بيت
المقدس وأمر أن تطرح فيه الجيف ، وقال من طرح عليه جيفة فله جزية في تملك
السنة وأمانه على خرابة الروم من أجل أن بنى إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا
فلما خربه بختنصر ذهب بوجوه بنى إسرائيل وسراياهم .

(قصة دانيال عليه الصلاة والسلام)

وذهب دانيال وقوم من أولاد الأنبياء وذهب معه برأس جالوت .
فلما قدم بختنصر أرض بابل وجد سنجاريب قد مات فملك مكانه واستقام له
الأمور وثبت على ذلك مدة .

ثم إن بختنصر رأى رؤيا عجيبة فأفرغته فسأل عنها السحرة والكهنة فمجزوا
عن تفسيرها فبلغ ذلك دانيال وكان في السجن مع أصحابه وقد أحبه صاحب السجن
وأعجب به لما رأى من حسن سمته وهدايته ، فقال دانيال لصاحب السجن إنك قد
أحسنيت إلى وان صاحبكم قد رأى رؤيا فدله على لا عبرها له فجاء السجنان وأخبر
بختنصر بقصة دانيال فقال على به ، وكان لا يقف بين يديه أحد إلا سجد له فأتوا
به فقام بين يديه ولم يسجد له فقال له ما الذي منعك من السجود لي فقال له إن لي
رباً آتاني العلم والحكمة وأمرني ان لا أسجد إلا له فخشيت إن سجدت لغيره أن
ينزع مني العلم الذي آتاني ويهلكني فأعجب به وقال نعم ما فعلت وقد أحسنيت
حيث وفيت بعهده وأجملت علمه .

ثم قال هل عندك علم بهذه الرؤية وهل لك في تعبیرها قال نعم قال
فأخبره برؤياه التي رآها قبل ان يخبره بها سم عبرها وكانت الرؤيا ما أخبرنا
عبد الله بن حامد بإسناده عن وهب بن منبه يقول : إن بختنصر رأى في منامه صنماً
رأسه من ذهب وصدوره من فضة وبطنه من نحاس وفتحه من حديد وساقه من
الفضة ثم رأى حجراً من السماء قد وقع عليه قدميه .

ثم ربا الحجر حتى ملاً ما بين المشرق والمغرب ، ورأى شجرة أصلها في الأرض
وفروعها في السماء ثم رأى رجلاً بيده فأس وسمع منادياً ينادى اضرب جذعها
ليفرق الطير من فروعها وتفرق اللذائب والسباع من تحتها وأترك أصلها قائماً
فصبرها له دانيال عليه السلام .

أما الصنم الذي رأيت رأسه من الذهب فأنت الرأس الذهب وأنت فضل الملوك
وأما الصدر الذي رأيت من فضة فهو إبنك يملك من بعدك .

وأما البطن الذي رأيت من نحاس فملك يكون بعد إبنك .

وأما ما رأيت من الفخز الذي من حديد فتتفرق فرقتان في فارس تكون أشد الملوك .

وأما الفخار فآخر ملوكهم يكون الحديد .

وأما الحجر الذي رأيت قد وقع من السماء وربا حتى ملاً ما بين المشرق
والمغرب فنبى بيعة الله في آخر الزمان فيفترق ملكهم كله ويربو حتى يملأ ما بين
المشرق والمغرب .

وأما الشجرة التي رأيت والطير الذي عليها والسباع والدواب التي تحتها
وما أمر بقطعها فيذهب ملكك ويردك الله طامراً نسرأ عظيماً فتملك الطيور ثم
يردك الله ثوراً فتملك الدواب ثم يردك الله أسداً فتملك السباع والوحوش
وتكون منذ مسخك الله على ما ذكرنا سبع صين في ذلك كله وقلبك قلب إنسان
حتى تعلم ان الله له ملك السموات والأرض وهو يقدر على الأرض ومن عليها .

وأما ما رأيت من ان اصلها قائم فإن ملكك قائم ، فسئل وهب بن منبه أكان
مؤمناً أم لا ، فقال وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا في ذلك فمنهم من قال مات
مؤمناً ، ومنهم من قال مات كافراً لأنه حرق بيت المقدس والكتبة التي فيه
وقتل الأنبياء وغضب الله عليه غضباً شديداً فلم يقبل منه يومئذ توبه .

قالوا فلما عبر دانيال لبختنصر رؤياه وأخبره بها أكرمه وأكرم أصحابه
وجعل يقبل عليه ويستشير في أموره حتى كان أكرم الناس عليه وأحبهم إليه
فسدده المجوس على ذلك فوشوا به وقصدوا إلى لبختنصر فقالوا له إن دانيال
وأصحابه ما يعبدون إلهك ولا يأكلون ذبيحتك فدعاهم وسألهم فقالوا أجل إن
لنا رباً نعبده واسئنا نأكل من ذبيحتكم فأمر بأخذود فعد لهم وأقوافيه وهم ستة
وألقى معهم سبع ضارياً كلهم ثم انطلقوا لنا كل واحد شرب فذهبوا وأكلوا وشربوا

ثم لانهم رجعوا فوجدوهم جلوساً والسبع مفترش ذراعيه بينهم ولم يخذش منهم
أحداً ولم ينالهم بشئ. ووجدوا معهم رجلاً رائداً فعبدوهم فوجدوهم سبعة فقالوا :
ما بال هذا السابع وإنما كانوا ستة فخرج إليهم السابع وكان ملكاً من الملائكة
فأطعم بختنصر لظمة فصار في الوحوش والسباع ومسحه الله سبع سنين . ثم رد
إلى صورته ورد عليه ملكه .

قال السدي : فلما رد الله عليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه
فسددهم الجوس أيضاً وشوا بهم ثانية وقالوا لبختنصر إن دانيال إذا شرب الخمر
لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم حاراً فجعل لهم بختنصر طعاماً وشراياً
فأكلوا وشربوا منه ثم قال للبواب انظر أول من يخرج عليك ليبول فأضربه
بالطبرزان فإن قال أنا بختنصر فقل له كذبت إن بختنصر أمرني فحبس الله عن
دانيال وأصحابه البول فكان أول من قام من القوم يريد البول بختنصر فقام مدلاه
وكان ذلك ليلاً فقام يسحب ثيابه فلما رآه البواب شد عليه فقال أنال بختنصر فقال
كذبت إن بختنصر أمرني أن أقتل كل من يخرج أولاً ثم ضربه فقتله .

وأما محمد بن إسحق فإنه قال في هلاك بختنصر غير ما قال السدي وذلك أنه قال
بإسناده : لما أراد الله هلاك بختنصر قال لمن كان في يده من بنى إسرائيل أرايتم
هذا البيت الذي خربت وهؤلاء الناس الذين قتلت من هم وما هذا البيت ؟ فقالوا
هذا بيت الله تعالى ومسجد من مساجده وهؤلاء أهله كانوا من ذراري الأنبياء
فظلموا وتعذبوا وعصوا فسلط الله عليهم عدوهم بذنوبهم .

قال فإخبروني ما الذي يطالع بي إلى السماء وأطلع عليها وأقتل من فيها وأتخذ
ملكاً فإني قد فرغت من الأرض وما فيها قالوا ما يقدر عليها أحد من الخلق فقال
لنفعمان أو لاقتلنكم عن آخركم فشكروا إلى الله تعالى وتضرعوا فبعث الله تعالى عليه
بقدرته ليرثه ضعفه وهو أنه بموضحة دخلت في منخره ثم ساخت فيه حتى عضت
بنيام دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يضرب على أم دماغه .

فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله . إذا أنا مت فشقوا رأسي وانظروا
ما الذي قتلني ، فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة حاضة بأمر دماغه يرى الله
العباد قدرته وسلطانه ونجى الله تعالى من كان بقي في يده من بنى إسرائيل ورحمهم
وردهم إلى إيلياء والشام فبنوا فيها وربوا وكثروا حتى كانوا على أحسن
ما كانوا عليه فيزعمون ان الله أحيا المؤمنين الذين قتلوا ولحقوا بهم ثم إنهم لما
رجعوا إلى الشام وجدوا يختصر قد أحرق التوراة وليس معهم عهد من الله
فجدد الله توراتهم وردّها إليهم على لسان عزيز وسند كر القصة فيه إن شاء
الله تعالى .

وكان عمر يختصر أيام مسنخه نيفاً وخمسمائة عام وخمسين يوماً - فلما مات يختصر
استخلف ابنه فلسطين وكانت آنية المقدس التي حملها يختصر إلى بابل عنده
وكان نجسها بلوم الخنازير وشرب فيها الخمر وأقصى دانيال فلم يقبل منه
فاعتدل دانيال .

فبينما فلسطين قاعد ذات يوم إذ بدت له كف معاقبة بغير ساعد فكاتب
ثلاثة احرف بمشده ثم غاب فعجب من ذلك وتحير ولم يدرك ما هي فدعا دانيال
عليه السلام واعتذر إليه وسأله ان يقرأ له ذلك الكتاب ويخبره بتأويله
فقال دانيال .

بسم الله الرحمن الرحيم - وزن نحف ووعد فأنجز وجمع ففرق فقال أما قوله
وزن نحف - أي وزن عمالك في الميزان فنحف - ووعد فأنجز - أي وعد ملكك
بالخراب فأنجز اليوم وجمع ففرق ، أي جمع لك ولوالدك من قبلك ما عظيم
ثم فرق اليوم فلا يجمع إلى يوم القيامة فلم يلبث إلا قليلاً حتى أهلك الله تعالى
وضعف ملكهم وبقي دانيال عليه السلام بأرض بابل إلى ان مات بالسوس
والله أعلم .

(خبر وفاة دانيال عليه السلام)

قال أهل الاخبار ؛ لما فتح الله السوس على يد أنى موسى الأشعري في خلافة
عمر بن الخطاب رضى الله عنه قتل أبو موسى ملكها سابور واحتوى على المدينة
فختم ما فيها وأخذ أموال سابور وملكها وجعل يدور في الخزانة فيأخذ ما فيها
حتى انتهى إلى خزانة مغلفة وقد ختم قفلها بالرصاص فقال أبو موسى الأشعري
لأهل السوس ما في هذه الخزانة فإني أراها محتومة بالرصاص - فقالوا له أيها
الأمير ليس فيها شيء من حاجتك - فقال لا بد لي أن أعلم ما فيها فافتحوا بابها
حتى انظر ما فيها فكسروا القفل وفتحوا الباب فدخل أبو موسى الخزانة فنظر
فإذا هو بحجر طويل مخنور على مثال الحوض وفيه رجل ميت وقد كفن بأكفان
منسوجة بالذهب ورأسه مكشوفة . قال فتعجب أبو موسى من طول لهو كل من كان معه
ثم لأنهم شربوا أنفه فإذا هو يزيد على شهر فقال أبو موسى لأهل السوس ويحكم
عن هذا الرجل ؟ قالوا إن هذا الرجل كان بالعراق وكان أهل العراق إذا حبس
عنهم المطر استسقوا به فيستقون فأصابنا من قحط المطر ما كان يصيب أهل العراق
فأرسلنا إليهم وسألناهم ان يدفعوه إلينا حتى تستسقى به فأبوا علينا فأرسلنا إليهم
خمسين رجلا وحملناه إلى بلدنا هذا ثم استسقيناه به فاستسقيناه فرأينا من الرأي أن
لا نرده إليهم فلم يزل مقيماً عندنا إلى ان أدركه الموت فمات فهذه قصته وحاله .

قال فأقام أبو موسى الأشعري بالسوس وكتب إلى عمر بن الخطاب رضى
الله عنه يخبره بما فتح الله عليهم من مدينة السوس وما والاها وكتب في كتابه أمر
ذلك الرجل الميت فلما وصل الكتاب وقرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه دعاً كبير
أصحاب رسول الله ﷺ فسألهم عن ذلك فما وجد عند واحد منهم علمه فقال على
ابن أبي طالب رضى الله عنه . إن هذا الرجل دانيال الحكيم وهو نبي غير مرسل
كان في قديم الزمان مع بختنصر ومن كان بعده من الملوك .

وجعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحدث عمر بن الخطاب رضي الله عنه
عن قصة دانيال من أولها إلى آخرها إلى وقت وفاته ثم قال اكتب إلى صاحبك
وأمره أن يصلي عليه ويدفنه في موضع لا يقدر عليه أهل السوس فيكتب عمر
إلى أبي موسى بذلك .

فلما قرأ أبو موسى كتابه عمر أمر أهل السوس أن يكفوا نهرهم إلى موضع آخر
ثم أمر دانيال فكفن بأكتاف غير التي كانت عليه ثم صلى عليه هو وجميع من كان
معهم من المسلمين ثم أمر بقبر فحفر له وسط النهر ثم دفنه وأجرى عليه النهر فيقال
إن دانيال عليه السلام في نهر السوس والماء يجري عليه إلى يومنا هذا والله أعلم .

قال الأستاذ رضي الله عنه - فهذا الذي ذكرت جميع أمر بنتنصر الذي جاء في
التفسير إلى أن رواية من يروي أن بنتنصر هو الذي غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى
غير صحيح عند أهل السير والأخبار والعلماء بأمر الماضين من أهل الكتاب والمسلمين
وذلك أنهم مجمعون على أن بنتنصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم نبيهم شعيب
وفي عهد أرمياء عليه السلام وهي الواقعة الأولى التي قال الله تعالى فيها (فإذا جاء
وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديداً فجانسوا خلال الديار) الآية
يعني بنتنصر وجنوده قالوا من عهد أرمياء وتخریب بنتنصر بيت المقدس إلى مولد
يحيى بن زكريا أربعمائة وإحدى وستون سنة وذلك أنهم يعدون من لدن تخریب
بنتنصر بيت المقدس إلى آخر عمر ابنه في عهد كور بن جرمو بن شير بن أصهيل بابل
من قبل بين اسفنديار بن يستاسف سبعين سنة ثم من بعد عمر أنه إلى ظهور الإسكندر
على بيت المقدس وإحضار ملكها وضمها إلى ملكه ثمان وثمانون سنة ثم من
بعد ملكه إلى بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا ثمانمائة وثلاثون سنة - وإنما
الصحيح في ذلك ما ذكره محمد بن إسحق بن يسار

قال عمرت بنو إسرائيل بيت المقدس بعد ما عمرت الشام وعاد إليها ملكها
بعد خراب بنتنصر إياها وسببهم منها فجهلوا يحدثون الأحداث بعد ملك عزيز

عليه السلام فبعث الله فيهم الانبياء ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون حتى كان آخر
من بعث إليهم من انبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من آل
داود عليه السلام .

فمات زكريا وقتل يحيى بسبب نهيها للملك عن نسكاح المرأة فلما رفع الله عيسى من
بين ظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا عليهم السلام بعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل
يقال له (كردوس) فسار إليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما دخل عليهم أمر
رئيساً من رموس جنوده يقال له (بنورازادان) صاحب القتل فقال له إنني قد حلفت
بألهم لئن أنا ظهرت وظفرت على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم
في وسط عسكري إلا ان لا أجد أحداً أقتله فأمره ان يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم .
ثم إن بنورازادان دخل بيت المقدس فأقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها
قربانهم فوجد فيهم دماً يغلي فسأهم عنه فقالوا - هذا دم قربان قربناه فلم يقبل
مما قدمك هو يغلي كما تراه

ثم قال - يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك
وماقتل منهم من أجلك فاهداً بإذن الله تعالى قبل ان لا أبقى أحداً من قومك
فهذا دم يحيى بن زكريا بإذن الله تعالى ورفع بنو رازادان عنهم القتل

وهي الواقعة الأخيرة التي أنزل الله تعالى فيها قوله تعالى (وقضينا إلى بني إسرائيل في
الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين) الآيات فكانت الواقعة الأولى لبختنصر وجنوده
ثم رد الله لهم الكرة وكانت لهم الديانة والرياسة وكانت الواقعة الأخيرة لسكر دوس
وجنوده فلم تقم لهم بعد ذلك قائمة ولا راية وانتقل عن الشام ونواحيها إلى الروم
واليونانية إلى ان تناسل بنو إسرائيل وكثروا وانتشروا بعد ذلك وأحدثوا الأحداث
واستحلوا المحارم وضيعوا الحدود فسلط عليهم بطوس بن اسنا بوس فخرّب
بلادهم وطردهم عنها ونزع الله تعالى منهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة فليسوا في
أمة من الأمم إلا وعاليم الصغار والذلة والجزية والمملك في غيرهم وبقى بيده المقدس خراباً
إلى أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعمره المسلمون بأمره والله أعلم .

(باب في ذكر الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها)

قال الله تعالى (أو كما الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها) الآية واختلفوا في ذلك المار من كان فقال عكرمة وقتادة والربيع بن أنس والضحاك والسدي - هو عزيز بن شرحبيل وقال وهب بن منبه وعبد الله بن حميد وعبيد بن عمير هو أرميا بن خلفاء وكان من سبط هرون بن عمران وهو الخضر واختلفوا في القرية التي مر عليها . فقال عكرمة ووهب وقتادة والربيع هي بيت المقدس وقال الضحاك هي الأرض المقدسة وقال السدي هي سلما باد وقال السكبي هي دير ساير أباد وقيل دير هرقل وقيل هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس وكان السبب في ذلك ما روى محمد بن إسحاق بن يسار عن وهب بن محمد أن بختنصر لما وطىء النساء وخرب بيت المقدس وقتل بنى إسرائيل وسباهم طار أرميا حتى خالط الوحوش فلما ولي بختنصر عنهم راجعاً إلى بابل ومعه سبانيا بنى إسرائيل قبل أرميا على حمار له ومعه عصير عنب في ركوة وسلة تين حتى غشى إيليا فلما وقف عليها وعان خرابها قال (أن يحيى هذه الله بدموتها) ثم ربط أرميا حماره بهبل جديد وألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام ومات حماره وعصيره وتينه عنده وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحى ومنع الله السباع والطيور عن لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله ملكاً إلى ملك من ملوك فارس عظيم يقال له د يوشك ، فقال له إن الله يأمرك أن تنفر بقومك وتعمر بيت المقدس وإيليا وأرضها حتى يعودوا أعمر مما كانوا فانتهب الملك ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف (١) عامل وجعلوا يعمرونها وأهلك الله تعالى بختنصر ببعضته دخلت في دماغه ونجى الله تعالى من بقى من بنى إسرائيل ولم يمت منهم جميعاً أحد ببابل وردهم الله تعالى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى كانوا كأحسن ما كانوا عليه .

(١) قوم مع كل قهرمان مائة ثلثمائة الف الخ كذا بالأصل وهو ما لا يمكن عادة

كما لا يخفى اه مصححه .

فلما مضت المائة عام على عزير أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا جسده وهو ينظر ثم نظر إلى حماره فإذا عظامه متفرقة بيض تلوح وسمع صوتاً من السماء ايتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمع بعضها إلى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نادى ثانية إن الله يأمرك أن تسكتي للحما وجلداً فكان كذلك ، ثم نادى إن الله يأمرك أن تحيا فقام حماره ينهض بإذن الله تعالى وعمر الله أرميا فهو الذي يوجد في الفلوات .

أخبرني ابن فتحويه الحافظ بإسناده عن وهب قال : ليس في الجنة كلب ولا حمار إلا كلب أهل الكهف وحمار أرميا الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه وقال الذين قالوا إن المار كان عزيراً إن يختصر لما خرب بيت المقدس قتل أربعين الف رجل من قراءة التوراة والعلماء بها وقتل فيهم أبا عزير وجسده وكان عزير يومئذ غلاماً قد قرأ التوراة وتقدم في العلم فأقدمه مع سبع سبانيا بنى إسرائيل إلى أرض بابل وهو من ولد هرون وكان معه سبعة آلاف من أهل بيت داود فلما جاء عزير من بابل ارتحل عن حماره حتى نزل على دير هرقل على شاطئ دجلة فطاف في القرية فلم ير فيها أحداً وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال (أنى يحيى هذه القرية بعد موتها) لم يشك في البعث ولكن قالها تعجباً ثم ربط حماره بحبل جديد ونام (فأماته الله مائة عام ثم بعثه) فأتاه جبريل عليه السلام فقال له كم لبثت (قال لبثت يوماً أو بعض يوم) وذلك أن الله تعالى أماته ضحى وأحياه آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوماً وهو يرى أن الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية الشمس فقال أو بعض يوم فقال له جبريل عليه السلام - بل لبثت مائة عام (فانظر إلى طعامك) يعني التين وشرابك يعني عصير العنب لم يتسنه يعني لم يتغير وانظر إلى حمارك - قال قوم وذلك أن الله تعالى لم يميت حماره فأحيا له الله تعالى رأسه وسائر جسده ميت ثم قال له انظر إلى حمارك فرأى حماره قائماً كهيئته يوم ربطه حيالما يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر إلى الرسن في عنقه جديداً لم يتغير وهذا قول الضحاك وقادة وتقدير الآية على هذا القول وانظر إلى حمارك

وانظر إلى عظامك كيف نشرها وقال آخرون أراد به عظام حماره كما قدمنا ذكره
فذلك قوله تعالى (وانجعل آية للناس) أى عبرة ودلالة على البعث بعد الموت ،
وقال الضحاك : هو أنه عاد إلى قريته وأولاد أولاده فوجدهم شيوخاً وعجائز ،
وهو أسود الرأس واللحية .

(باب فى ذكر تمام قصة عزيز عليه السلام وحاله بعد ما رجع إلى قومه)

قال الله تعالى (وقالت اليهود عزيز ابن الله) وروى عطية العوفى عن ابن
عباس قال : كان عزيز من أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم فعملوا بها ما شاء
الله أن يعملوا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم .

فلما رأى الله تعالى أنهم قد أضاعوها وعملوا بالأهواء رفع الله عنهم التابوت
وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فأرسل الله عليهم مرضاً فاستطلقت بطونهم
حتى كان الرجل يمس كبده حتى نسوا التوراة وفيهم عزيز فكشوا ما شاء الله أن
يكتشوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم ، وكان عزيز قد أمر علماءهم أن
يدعوا الله تعالى فدعا الله هو وإياهم وابتهل أن يرد إليه ما نسخ من صدره .

فبينما هو يصلى مبتهلاً إلى الله إذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فعاد إليه
الذى كان ذهب من صدره من التوراة فأذن فى قومه وقال : يا قوم قد آتاني الله
التوراة وردها إلى فطلق يعلمهم فكشوا ما شاء الله أن يكتشوا وهو يعلمهم التوراة
ثم إن التابوت نزل بعد ذلك بعد ذهابه منهم ، فلما رأوا التابوت عرضوا
ما كان فيه على الذى كان يعلمهم عزيز فوجدوه مثله ، فقالوا والله ما أوتى عزيز
هذا إلا لأنه ابن الله .

قال السدى وابن عباس فى رواية عمار : إنما قالت اليهود هذا لأن العاقبة
ظهروا عليهم فقتلوهم وأخذوا التوراة وهرب علماءهم الذين بقوا ودفنوا التوراة
فى الجبال وغيرها ولحق عزيز بالجبال والوحوش وجعل يتعبد فى رءوس الجبال
(م ٢٥ - قصص الأنبياء)

ولا يخالط الناس ولا ينزل إلا يوم عيد ، وجعل يبكى ويقول يا رب تركت
بني إسرائيل بغير عالم وجعل يبكى حتى سقطت أشجار عيذه فنزل مرة إلى العيد
فلما رجع فإذا هو بامرأة قد تمثلت له عند قر من تلك القبور وهي تبكى وتقول
يا مطعماه يا مكسيهاه فقال لها عزيز يا هذه اتقى الله واصبري واحتمسي أما علمت
أن الموت سبيل الناس .

ثم قال ويحك من كان بطعمك ويستيقك ويكسوك قبل هذا الرجل يعني زوجها
الذي كانت تنده ؟ فقالت الله تعالى ، قال فإن الله عز وجل حي لا يموت أبداً .

قلت يا عزيز فمن كان يعلم العلماء قبل بني إسرائيل ؟ قال الله تعالى ، قالت فلم
تبكى عليهم وقد علمت أن الموت حق وأن الله حي لا يموت فلما علم عزيز أنه قد
خصم ولي مديراً ، فقالت له يا عزيز إنني لست امرأة وليكني الدنيا ، أما إنه
سيذبح لك في مصلاك عين وتنبت شجرة فيكل من تلك الشجرة واشرب من ماء
ذلك واغتسل وصلى ركعتين فإنه سيأتيك شيخ ويعطيك شيئاً فما أعطاك فخذ منه .

فلما أصبح نبتت العين في مصلاه ونبتت شجرة ففعل ما أمر به فجاء شيخ وقال
له افتح فاك ففتح فاه فالقى فيه شيئاً كهيئة القوارير ثلاث مرات ثم قال له ادخل
هذه العين فامش فيها حتى تبلغ أمملك ، قال فدخل وجعل لا يرفع قدمه إلا زيد في
علمه فرجع وهو من أعلم الناس بالتوراة .

ثم إن رجلاً قال : إن أبي حدثني عن جدي أن التوراة جعلت في خابية دفنت
في كرم فلان في موضع كذا فانطلقوا معي حتى احتفروا وأخرجوا الخابية
والتوراة فيها فأخذوها وقابلوها بما كتب لهم عزيز فلم يجدوه غادر منها آية
ولا حرفاً فعجبوا وقالوا إن الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب رجل واحد منا
بعد ما ذهب من قلوبنا إنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزيز ابن الله .

(مجلس في ذكر غزوة بختنصر العرب وقصة يوحنا وخراب حضور)
قال الله تعالى (وكم قضمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين)
إلى قوله (حصيداً حامدين) قال هشام بن محمد بن الكلبى وغيره كان بدء نزول العرب
أرض العراق واتخاذهم الحيرة والأنبار منزلاً إن الله تعالى أوحى إلى يوحنا بن
برخيا بن رزيابيل بن سنسبل وسنسبل هذا هو أول من اتخذ الطفيليشل كان من
ولد يهوذا بن يعقوب أن أت بختنصر وأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق
لبيوتهم ولا أبواب ويطأ بلادهم ويقتل مقاتلتهم ويستبيح أموالهم ليكفرهم بى
واتخاذ الآلهة دونى وتكذيبهم أنبيائى ورسلى وذلك بعد قتل أهل حضور وهى
بلدة باليمن بعث الله فيهم نبياً فاقبل يوحنا حتى قدم على بختنصر يبابل فأخبره بما
أوحى الله تعالى إليه وقص عليه ما أمره به وذلك فى زمن معد بن عدنان فأوحى
الله تعالى إلى يوحنا إنى قد سلطت بختنصر على أهل قرية عربية لا تتقم منها فإليك بمعد
ابن عدنان الذى من ولده النبى محمد ^{صلى الله عليه وسلم} الذى أخرجه فى آخر الزمان وأختم به
النبوة وارفع به من أطاعه فخرج تطوى له الأرض حتى سبق بختنصر فلقى عدنان
وقد تلقاه فنظر إلى معد ولعد يومئذ اثنتا عشرة سنة فحمله يوحنا على البراق
وأردفه خلفه فانتهيا إلى أرض نجران من ساعتها قالوا ووثب بختنصر على من
كان فى بلاده من تجار العرب وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والامتياز فجمع من
ظفر به منهم فبنى لهم ديراً على نجف وحصنه ثم ضمهم فيه فقيدوا ووكل بهم حرساً
وحفظاً ثم نادى فى الناس بالغزو فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من
العرب فخرجت إليه الطوائف منهم مسالين مستأنسين فاستشار بختنصر فيهم
يوحنا فقال إن خروجى إليك من بلادهم قبل نهوضك إليهم رجوع منهم عما
كانوا عليه فأقبل منهم وأحسن إليهم .

قال فأنزل بختنصر السواد على شاطئ الفرات والتقى بختنصر مع العرب
فهزمهم وأثنى فيهم بالقتل والأسر وسار حتى بلغ الحجاز والتقى عدنان فى قومه
من العرب وبختنصر بذات عرق فهزمهم ونادى مناد من جوف السماء بالثارات

الانبياء فأخذتهم السيوف من خلفهم ومن بين أيديهم فندموا على ذنوبهم ونادوا
بالويل فذلك قوله تعالى (فلما أحسوا بأسنا إذا هم منا يركضون) أى يسرعون
هاربين فأخذتهم السيوف وقالت لهم الملائكة (لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم
فيه ومساكنكم) الآية ، فلما عرفوا أنه واقع بهم أقروا بالذنوب (قالوا ياربنا
إننا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم) فما زالوا يدعون بها حتى هلكوا فذلك قوله
تعالى (فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين) ثم رجس
بختنصر إلى بابل بما جمع من سبايا العرب فألقاهم في الأنهار فقبل أنبار العرب
وانضم إليهم المستأمنون من العرب وخلي بختنصر أهل الدير بعد فراغه من غزو
العرب وابتدوا لأنفسهم بلدين فسموا إحداهما الأنبار والأخرى الحيرة وخالطهم
بعد ذلك النبط ومات عدنان وبقيت بلاد العرب خراباً في حياة بختنصر فلما
مات بختنصر رجع ممد بن عدنان ومعه أنبياء بنى إسرائيل حتى أتى مكة فأقام
أعلامها وحج الأنبياء .

(مجلس في ذكر لقمان الحكيم عليه السلام)

(وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه)

قال الله تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة) يعنى العقل والعلم والعمل به
والإصابة فى الأمور واختلفوا فى نسبه فقال محمد بن يسار هو لقمان بن باعوراء بن
فاحور بن تارخ وهو آزر أبو إبراهيم عليه السلام ، وقال وهب كان ابن أخت
أيوب عليه السلام ، وقال مقاتل كان ابن خالة أيوب ، وقال الواقدي كان قاضى
بنى إسرائيل ، وقال آخرون كان عبداً ، وقال مجاهد كان لقمان عبداً أسود عظيم
الشفقتين مشفق القدمين .

وروى الأوزاعى عن عبد الرحمن بن حرمة قال جاء أسود إلى سعيد بن
المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب لا تحزن من أجل أنك أسود فإنه قد كان
من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله
عنه ولقمان الحكيم كان أسود نوبياً من السودان مصر ذا مشافر .

حدثنا الإمام أبو منصور الخنشاري لفظاً بإسناده عن سعيد بن المسيب أن
لقمان عليه السلام كان عبداً حبشياً نجاراً .

وأخبرني ابن فتحويه بإسناده عن سعيد بن المسيب أن لقمان عليه السلام كان
خبياطاً ، واتفق العلماء أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً إلا عكرمة فإنه يقول :
إن لقمان كان نبياً تفرد بهذا القول .

وروى نافع عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (حقاً لم
يكن لقمان نبياً ولكن كان عبداً عصمه الله تعالى كثير التفكير حسن اليقين
أحب الله فأحبه الله فن عليه بالحكمة) .

وذلك أنه كان قائماً نصف النهار فجاءه النداء : يا لقمان هل لك أن يجعلك الله
خليفة في الأرض تحمكم بين الناس بالحق ، فأجاب الصوت فقال : إن خيرني ربي
قبلت العاقبة ولم أقبل البلوى وإن عزم على فسمعاً وطاعة فإنني أعلم إنه إن فعل
بي أعانني وعصمني فقالت الملائكة لم يا لقمان ؟ قال لأن الحاكم بأشد المنازل
وأكدرها يفسد الظلم من كل مكان إن أصاب فأرجو أن ينجو وإن أخطأ
أخطأ طريق الجنة ، ومن يكن في الدنيا ذليلاً خيراً من أن يكون شريفاً ، ومن
تخير الدنيا على الآخرة نفته الدنيا ولا تبقى له الآخرة فتمجبت الملائكة من
حسن منطوقه فنام نومة فأعطى الحكمة فأنذبه بها .

ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط بها ما اشترط لقمان فهم بالخطيئة غير
مسة كل ذلك ويعفو الله عنه ، وكان لقمان يوازه بحكمته فقال له داود طوبى لك
يا لقمان أعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء ، وأعطى داود الخلافة وابتلى
بالبلية والفتنة .

(باب في ذكر بعض ما روى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة في القرآن)

قال الله تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة) وقال أيضاً (وإذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) الآيات .
أخبرنا أبو عبد الله الحسين الدينوري عن عكرمة قال كان لقمان من أهون مملوك على سيده ، قال فبعثه مولاه مع رفقة له إلى بستان له ليأتوه بشيء من ثمره فوجاءوا وليس معهم شيء وقد أكلوا الثمرة وأحالوا على لقمان ، فقال لمولاه إن ذا الوجهين لا يكون عند الله أميناً فاستقي وإياهم جميعاً ماء ثم أرسلنا لنقدقه ففعل فجعلوا يتقايثون الفا كبة وجعل لقمان يتقايث ماء نقياً فمرف صدقه من كذبهم .

قال فأول ما روى من حكمته أنه بينما هو مع مولاه إذ دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان إن طول الجلوس على الخلاء يتجمع منه السكبد ويورث الباسور وتصعد الحرارة إلى الرأس فاجلس هوينا وقم قال فخرج وكتب حكمته على باب الحصن .

قال وسكر مولاه يوماً فخاطر أقواماً على أن يشرب ماء بحيرة فلما أفاق عرف ما وقع فيه فدعا لقمان ثم قال له لمثل هذا اليوم كنت نخبأ نك قال أخرج كرسيتك وأباريقك ثم اجتمعهم فلما اجتمعوا قال لهم على أي شيء خاطرتموني قالوا على ماء هذه البحيرة فقال لهم لقمان إن لها مواد فاحبسوا عنها مواد حتى يشربها قالوا وكيف نستطيع أن نحبس موادها فقال لقمان وكيف يستطيع شربها ولها مواد .
أخبرنا ابن فتحويه بإسناده عن خالد الربيعي قال : كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً فقال له سيده اذبح لنا شاة فذبح له شاة فقال ائذي بأطيب مضعتين منها فأتاه باللسان والقلب ، فقال له أما كان فيها شيء أطيب من هذا قال لا فسكت عنه ثم قال له اذبح لنا شاة فقال ائذي بأطيب مضعتين منها فجاء باللسان والقلب .
فقال له أمرتك أن تأتيني بأطيبها مضعتين فأتيتني باللسان والقلب وأمرتك أن تأتيني بأخبثها مضعتين فأتيتني باللسان والقلب فقال له إنه ليس بأطيب منهما إذا طبأ ولا أخبث منهما إذا خبثا .

وأخبرني عبد الله بن حامد بإسناده عن محمد بن عجلان قال : قال لقمان الحكيم
ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس .

وأخبرنا عبد الله بإسناده عن أبي هريرة قال : مر رجل بلقمان والناس
يحتشمون عليه فقال ألسنت العبد الأسود الذي كنت راعياً بموضع كذا وكذا ؟
قال بلى ، قال فما بلغ بك ما أرى ؟ فقال من صدق الحديث وأداء الأمانة وترك
ما لا يعني .

أخبرني الحسين بن محمد عن أبيه قال : قال لقمان ضرب الوالد لولده كالما للزرع
وعن عبد الله بن دينار أن لقمان قدم من سفره فتلقيه غلامه في الطريق فقال
له ما فعل أبي ؟ قال مات ، قال الحمد لله ملكت أمري ، قال فما فعلت امرأتى ؟
قال ماتت ، قال جددت فراشي ، قال ما فعلت أختي ؟ قال ماتت ، قال سترت
هورتي ، قال ما فعل أختي ؟ قال ماتت ، قال انقطع ظهري .

أخبرنا الحسين بن الحسين بن محمد بإسناده عن شقيق قال قيل للقمان أي الناس
أشهر ؟ قال الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً

وقيل للقمان ما أقبح وجهك ؟ قال تعيب بهذا على النقش أو على النقش
وروى البخاري عن سفيان الثوري قال ، قال لقمان لابنه إن الدنيا بحر عميق
قد غرق فيها ناس كثيرون فلتسكن سفينتك فيها تقوى الله ، وليكن حشوها
إيمانك بالله ، وشراعها التوكل على الله فلعلمك تنجو وما أظنك ناجياً

يا بني كيف لا يخاف الناس ما يوعدون وهم في كل يوم ينقصون ، يا بني خذ
من الدنيا باقة ولا تدخل فيها دخولا فتضر فيها بأخرتك ، ولا ترفضها فتسكون
عيالاً على الناس وصم صياماً يتقطع شهوتك ولا تصم صياماً يمنحك عن الصلاة فإن
الصلاة عند الله أعظم من الصوم ، يا بني لا تتعلم العلم لتباهي به العلماء وتمازي به
السفهاء أو ترائي به في المجالس ولا تترك العلم في زهادة فيه ورغبة في الجهالة

يا بني اختر المجالس على عينك فإن رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس إليهم
فإنك إن تك عالماً ينفعك علمك ويزيدك علماً وإن تكن مستأهلاً يعلموك ولعل

الله أن يطالعهم برحمتك فتممك معهم ؛ وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجالس
إليهم فإنك إن تمكن عالماً لا ينفعهم علمك وإن تمكن جاهلاً يزيدوك جهلاً فاعلم
الله يطالعهم بالهتوبة فمنعتك يا بني لا تضع برك إلا عند راعيه كما ليس بين السكيش
والذئب خلة كذلك ليس بين البار والفاجر خلة ومن يحب المرأة يشتم ومن يدخل
مداخل السوء يتهم ومن يقارن قرين السوء لا يسلم ومن لا يملك لسانه يندم
يا بني كن عبداً للأخيار ولا تكن خليلاً للأشرار يا بني كن أميناً تكن غنياً ؛
ولا ترى الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك
ولا تجادلهم فيمنعوك حديثهم ؛ والطف بهم في السؤال إذا تركوك ولا تعجزهم
فيملوك يا بني لا تطلب من الأمر مديراً ولا ترفض منه مقبلاً فإن ذلك يقل الرأي
ويزري العقل : يا بني إن تأدبت صغيراً انتفعت كبيراً ؛ يا بني إذا سافرت فلا تأمن
على دابتك فإن ذلك سريع في إدبارها وليس ذلك من فعل الحكماء إلا أن تكون
في محل يمكنك فيه التمدد وإذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك وشر ثم ابدأ
بعلقها قبل نفسك وإياك والسفر في أول الليل وعليك باليقظة والإدلاج من نصف
الليل إلى آخره وسافر بسيفك وخفك وعمامتك وكسائك وسقائك وإبرتك
وخيوطك ومخزرك وتزود من الأدوية ما تنتفع به أنت ومن معك وكن لأصحابك
موافقاً موافياً إلا في مصيبة الله يا بني إياك والتقنع فإنه بالنهار شهوة وبالليل رغبة
يا بني لا تأمر الناس بالسير وتنسى نفسك فيكون مثلك مثل السراج يضيء للناس
ويحرق نفسه ؛ يا بني لا تحقرن من الأمور صغاراً إن الصغار غداً تصير كباراً
يا بني إياك والسكذب فإنه يفسد دينك وينقص عند الناس مروءتك فعند ذلك
يذهب حياؤك وبهاؤك وجاهك وتهاون ولا يسمع منك إذا حدثت ولا تصدق
إذا قلت ولا خير في العيش إذا كان هكذا ؛ يا بني إياك وسوء الخلق والضجر
وقلة الصبر فلا يستقم لك على هذه الخصال صاحب ولا يزال لك من الناس عليهم
مجانب والزم نفسك التردد في أمورك والصبر على مرارات الأحوال وحسن منه
جميع الناس خالقك فإن من حسن خلقه أظهره بشره وبسطة حظي عند الأبرار
واخيه الأخيار وجانبه الفجار ؛ يا بني لا تعلق نفسك بالهجوم ولا تشغل قلبك

بالأحزان وإيالك والطمع وارض بالقضاء واقنع بما قسم الله لك يصف
عيشك وتسرى نفسك وتستلذ حياتك وإن أردت أن يجمع لك غنى الدنيا فاقطع
طمعك عما في أيدي الناس فإن ما بلغ الأنبياء الصديقون ما بلغوا إلا بقطع
طمعهم عما في أيدي الناس ، يا بني لأن متاع الدنيا قليل وعمرك فيها قليل من قليل
وقد بقي قليل من قليل القليل ، يا بني اجعل معروفك في أهله ولا تضعه في غير
أهله فتخسر في الدنيا وتحرّم ثوابه في الآخرة وكن مقتصداً ولا تكن مبذراً ،
ولا تمسك المال تفتيراً ولا تعطه تبذيراً ، يا بني الزم الحكمة تكرم بها ، وأعزها
تعزيزها ، وسيد أخلاق الحكمة دين الله عز وجل ، يا بني للحاسد ثلاث علامات
يفتأب صاحبها إن غاب ويتملق إذا شهد ويشتمت فيه بالمصيبة ، ثم خبر لقمان
الحكيم وما وصي لابنه أنعم والله أعلم

(مجلس في قصة بلوقيا)

أخبرنا أبو محمد بن عبد الله الخزرقى بإسناده عن عبد الله بن سلام الإسرائيلي
قال كان في بني إسرائيل رجل يقال له أوشيا وكان من علماءهم وكان كثير المال
وكان إماماً لبني إسرائيل وكان قد عرف نعت النبي عليه السلام وأتمته في التوراة
نخباه وكتب عنهم وكان له ابن يقال له بلوقيا خليفة أبيه في بني إسرائيل وكان ذلك
بعد سليمان فلما مات والده أوشيا وبقي بلوقيا والإمامة والقضاء في يده ففتش
خزائن والده فوجد فيها تابوتاً من حديد مقفلاً بقفل من حديد فسأل الخزان عن
ذلك فقالوا لا ندري فاحتال على القفل حتى فسكه فإذا فيه صندوق من خشب
الساج ففسكه فإذا فيه أوراق نعت النبي ﷺ وأتمته مختومة بالمسك ففسكها وقرأ
ها فيها على بني إسرائيل ثم أنه قال الويل لك يا أبت من الله فما كتبت وكتمت
عن الحق عن بني إسرائيل فردّه إلى أهله فقال بنو إسرائيل يا بلوقيا لولا إنك
إمامنا وكبيرنا لنبشنا قبره وأخرجناه منه وأحرقناه بالنار فقال يا قوم لا ضمير
إنما اتبع حظ نفسه ونحسر دينه ودنياه فالحقوا نعت النبي ﷺ وأتمته بالتوراة
قال وكانت أم بلوقيا من الأحياء فاستاذنها في الخروج إلى بلاد الشام وكانوا

يومئذ يبلاد مصر فقالت له وما تصنع بالشام؟ فقال اسأل عن محمد وأمه فلعل
الله تعالى أن يرزقني الدخول في دينه فاذا كنت له فبرز بلوقيا ليدخل بلاد الشام
فبينما هو يسير إذ انتهى إلى جزيرة من جزائر البحر فإذا هو بحيات كأمثال
الإبل عظماً وفي الطول ما شاء الله وهن يقلن لا إله إلا الله محمد رسول الله فلما
رأينه قلن له أيها الخلق المخلوق من أنت وما إسمك؟ فقال إسمي بلوقيا وأنا من
بنى إسرائيل؛ قال فقال لهم بلوقيا أيتها الحيات من أنتن؟ فقلن نحن من حيات جهنم
ونحن نعذب الكفار فيها يوم القيامة فقال بلوقيا وما تصنعن ههنا؟ وكيف تعرفن
محمدًا؟ فقلن إن جهنم تفور وتزمر في كل سنة مرتين فتلقينا إلى ههنا ثم نودعها
فشدة الحر من حرها في الصيف وشدة البرد من بردها في الشتاء وليس في جهنم
درك من دركها ولا باب من أبوابها ولا سرادق من سرادقتها إلا وقد كتب
عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ من أجل ذلك عرفنا محمد ﷺ

ثم مضى بلوقيا إلى بلاد الشام فأقربت المقدس وكان بها حبر من أحبارهم
يسمى عفان الخير فأنابه فسلم عليه فذكر له بلوقيا ليس هذا زمان محمد ولا زمان
أمته بينك وبينه قرون وسنون ثم ساروا في السهول والجبال حتى وصلوا إلى
جبل ليس بهال ولا متدان ترابه كالمسك عليه غمام أبيض وفيه كهف وفي الكهف
سرير من ذهب وعلى السرير شاب مستلق على قفاه ذو وفرة واضع يده اليمنى
على صدره والشمال على بطنه كالتائم وليس بتائم وهو ميت وعلى رأسه تين وخاتمه
بالشمال؛ وكان هذا سليمان بن داود عليه السلام؛ وكان ملكه في خاتمه. وكان
خاتمه من ذهب وفضة من ياقوت أحمر مربع مكتوب عليه أربعة أسطر في كل
سطر إسم الله الأعظم

وكان عند عفان علم من الكتاب فقال بلوقيا من هذا الميت يا عفان؟ فقال
هذا سليمان بن داود فريد أن نأخذ خاتمه ونملك ملكه ونرجو الحياة إلى أن يبعث
الله محمدًا ﷺ فقال بلوقيا ليس قد سأل ربه فقال ربه هب لي ملكاً لا يتبني لأحد
من بعدى فأعطاه إياه على ما سأل ولا ينال ملك سليمان إلى يوم القيامة لدعائه؛

فقال عفان يا بلوقيا اسكت إن الله معنا ومعنا إسم الله الأعظم ولكن أنت يا بلوقيا
تقرأ التوراة فتقدم عفان لينزع الخاتم من يد سليمان من إصبعة فقالت التين
ما أجرأك على ربك إن غلبتنا بإسماء الله تعالى فنحن نغلبك بقدرته الله تعالى
قال فكلاما فتوح التين ذكر بلوقيا إسم الله تعالى فلم تعمل نفحات التين فيها
شيئاً ودنا عفان من السرير لينزع من أصبغة الخاتم فاشتغل بلوقيا بالنظر إلى نزول
جبريل عليه السلام من السماء فلما نزل صاح بهما صيحة ارتجت الأرض والجبال
وتزلزلت منها فاختلطت مياه البحار وهاجت والتظمت حتى صار كل عذب مالخاً
من شدة صيحته وسقط عفان على وجهه وسقط بلوقيا على وجهه ونفخ التين فخرج
من بطنه شعلة كأنها البرق الخاطف واحترق عفان وعادت نفخته في البحر فامرت
النفخة بشيء إلا أحرقتة ولا بقاء إلا سحنته وأغلته وأن بلوقيا لما رأى العذاب
ذكر إسم الله الأعظم فلم ينله مكروه

ثم تراهي جبريل عليه السلام في صورة رجل فقال له يا ابن آدم ما أجرأك
على الله فقال له بلوقيا من أنت يرحمك الله ؟ فقال أنا جبريل أمين رب العالمين فقال
يا بلوقيا يا جبريل إنما خرجت حباً لمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه ولم أقصد الخطأ ولم أنعمده
فقال فبذلك نجوت

ثم صعد جبريل عليه السلام إلى السماء ومضى بلوقيا فضل الطريق الذي جاء منه
وأخذ في طريق أخرى فسار فإذا هو بجزيرة من ذهب حشيشها الورد والزعفران
وأشجارها الزيتون والنخل والرمان ، فقال بلوقيا ما أشبه ذلك المكان بالجنة على
ما وصفت قال فدنا بلوقيا من بعض الشجر فتناول من ثمرها فقالت الشجرة
يا خاطيء يا ابن الخاطيء لا تأخذ مني شيئاً فبقي متعجباً وإذا بجذء الشجرة
قوم يترأ كضون وبايديهم مبيوف مسالوة وهم يتناوشون بعضهم بعضاً بالضرب
والظمن فلما رأوا بلوقيا أحاطوا به وأحدقوا من ورائه وهموا به سوءاً فذكر
بلوقيا إسم الله فتمعبوا منه وهابوه وأغمدوا مبيوفهم وقالوا باجمعهم لا إله إلا الله
محمد رسول الله ، ثم قالوا له من أنت يا عبد الله ؟ فقال أنا من بني آدم ، فقالوا
ما إسمك ؟ قال إسمي بلوقيا وأنا من بني إسرائيل قالوا نعرف آدم ولا نعرف

إسرائيل فما الذي أوقعك إلينا ؟ فقال إني خرجت في طاب نبي يسمى محمدا عليه السلام
وإني قد ضللت الطريق الذي أردته ورأيت من الأهوال كذا وكذا فقالوا يا بلوقيا
نحن من الجن المؤمنين ونحن مع ملائكة الله في السماء ، ثم نزلنا إلى الأرض وقاتلنا
كفرة الجن ونحن هنا مقيمون نغزوهم ونجاهد إلى يوم القيامة واسننا نموت إلى
يوم القيامة وأنت تصير معنا ؛ فقال بلوقيا لماك الجن وكان اسمه صخر ؛ يا صخر
أخبرني عن خلق الجن كيف كان ؟ قال ؛ لما خاق الله تعالى جهنم خاق لها سبعة
أبواب وسبعة السنة ، وخاق منها خاقين خاقاً في سمائه سماه جباليت وخلقاً في
أرضه سماه تمايت ؛ فاما جباليت فإنه خاق في صورة أسد وتمايت في صورة ذئب
وجعل الأسد ذكراً والذئب أنثى وجعل طول كل واحد منهما مسيرة خمسمائة
عام وجعل ذئب الذئب بمنزلة ذئب العقرب وذئب الأسد بمنزلة ذئب الحية ،
وأمرهما أن ينتفضا في النار انتفاضة فسقط من ذئب الذئب عقرب ومن ذئب
الأسد حية فحيات جهنم وعقاربها من ذلك سم أمرهما أن يتناكحا فحيات الذئب
من الأسد فولدت سبع بنين وسبع بنات فأوجى إليهم أن يزوجوا البنين من
البنات كما أمر آدم فستة من البنين أطاعوا وواحد لم يطع ولم يتزوج فلعننه أبوه
وهو إبليس وكان اسمه الحارث وكنيته أبو مرة فهذا أول خلق الجن يا بلوقيا
وإن دوابنا لا تنبت مع الإنس والكنفى أجل فرسى وأبرقه حتى لا يعرف
من راكبه وأركب عليه على اسم الله تعالى فإذا انتهيت إلى أقصى أعمالى على
ساحل بحر كذا وكذا فإذا أنت بشيخ وشاب ومشايخ معهما فإنك ستلقاهما هناك
فادفع الفرس إليهما وامش في حفظ الله رشداً

فركب بلوقيا على ذلك الفرس حتى انتهى إليهم فسام على الشيخ والشاب
ونزل عن الفرس ودفعا إليهما ، وكان قد فصل من عند مالك الجن عند الغذاء
وباغ إليهما نصف النهار ؛ فقال له بلوقيا منذ كم فارقت مالك ؟ قال فارقته من
غدوة قال ما أسرع ما جئت فقد أتيت فرسنا فقال بلوقيا ما مددت إليه يداً
ولا حركت عليه رجلا ولم أركضه ركضاً ، قال بلى ولكن فرسنا أحسن بك
وبمنزلتك وثقلك فطار ما بين السماء والأرض ليريح نفسه منك فيكم تراه جاب بك ؟

قال خمس فراسخ أو أكثر قال بل جاب بك في هذه المدة مسيرة مائة وعشرين سنة ، وكان يطير بك ما بين السماء والأرض حول الدنيا دون توقف وأنت لا تعلم قال فحلوا عنه السرج واللجام والبراقع فإذا العرق يقطر ويسيل من كل شعرة منه وإله جناحان انفضا وتكسرا من كثرة الطيران والدوران والإعياء والكلال قال بلوقيا ، هذا والله لعجيب ، فقالوا عجائب الله لا تنقضي ، ثم سلم عليهما ومضى فركب اليم ، فبينما هو يسير إذ رأى ملكا إحدى يديه بالمشرق والأخرى بالمغرب وهو يقول ، لا إله إلا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا ، فقال له الملك ، من أنت أيها الخالق المخلوق ؟ قال أنا بلوقيا وأنا من بنى إسرائيل من ولد آدم ، ثم قال له بلوقيا أيها الملك ما اسمك ؟ قال إسمي يوحنايل وأنا ملك موكل بظلمة الليل وضوء النهار ، قال فما يدريك مبسوطتين ؟ قال في يدي اليمنى ضوء النهار وفي اليد اليسرى ظلمة الليل ، ولو سبق النهار الليل أضاءت السموات والأرض ، ولم يكن الليل أبداً ، ولو سبقت الظلمة النور لظلمت السموات والأرض ، ولم يكن ضوءاً أبداً وبين يدي لوح معاق فيه سطران أبيض وسطر أسود ، فإذا رأيت السواد ينقص نقصت الظلمة ، وإذا رأيت السواد يزداد زادت الظلمة ، وإذا رأيت السطر الأبيض يزداد زدت النهار ، وإذا انتقص نقصت ، فلذلك الليل في الشتاء أطول من النهار ، والنهار أقصر ، وفي الصيف النهار أطول والليل أقصر

ثم سلم بلوقيا ومضى ، فإذا هو بملك آخر قائم يده اليمنى في السماء ، واليسرى في الأرض ، وقدماه تحت الثرى وهو يقول ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فسلم عليه بلوقيا ، فقال له الملك من أنت ، وما اسمك ؟ قال إسمي بلوقيا ، وأنا من بنى إسرائيل ، وإسرائيل من ولد آدم

ثم أن بلوقيا قال أيها الملك ما اسمك ؟ قال مخاييل قال فما بالي أرى يمينك في السماء وشمالك في الماء ، قال أحبس الريح بيمينى والماء بشمالي ولورفعت شمالي عن الماء لزنخرت البحار كلها في ساعة واحدة وتلاطمت بإذن الله وأغرقت الدنيا ومن عليها ، ويدي في الهواء أحبس الريح عن ولد آدم لأن في السماء

ريحا تسمى الهاثمة ولو أرسلتها لنسفت من في السماء ومن في الأرض ، قال فسلم بلوقيا ومضى فإذا هو بأربعة من الملائكة أحدهم رأسه كراس الثور ؛ والآخر رأسه كراس النسر ؛ والثالث رأسه كراس الأسد ؛ والرابع رأسه كراس الانسان

فأما الملك الذي رأسه كراس الثور ؛ فإنه يقول ، اللهم ارحم البهائم ولا تعذبها ، وادفع عنها برد الشتاء ، وحر الصيف ؛ واجعل في قلوب بني آدم لها الرأفة والرحمة كيلا يكيدوهن ولا يكفوهن فوق طاقتهن ، واجعلني من أهل شفاعته سيدنا محمد ﷺ يوم القيامة

وأما الذي رأسه كراس النسر فيقول . اللهم ارحم الطيور وارفع عنها برد الشتاء وحر الصيف ، واجعلني من أهل شفاعته محمد ﷺ يوم القيامة

وأما الذي رأسه كراس الانسان فإنه يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ اللهم ارحم المسلمين ولا تعذبهم ، وادفع عنهم النار ؛ واجعلني من أهل شفاعته محمد ﷺ يوم القيامة

فسلم عليهم بلوقيا ومضى حتى انتهى إلى جزيرة فإذا هو بفلام أبيض أمرد بين قبرين فسلم عليه بلوقيا وقال له يا شاب من أنت ؟ وما اسمك ؟

قال إسمي صالح ؛ قال فما هذان القبران ؟ قال ؛ أحدهما قبر أبي والآخر قبر أمي ، وكانا صالحين فماتا ههنا وأنا عند قبرهما حتى أموت ، فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى إلى جزيرة أخرى فإذا هو بشجرة عظيمة عليها طائر واقف رأسه من ذهب وعينه من ياقوت ، ومنقاره من أوثر ، ويداه من زعفران ، وقوائمها من زمرد ؛ وإذا مائدة موضوعة تحت الشجرة وعليها طعام وحوت مشوي ؛ فسلم عليه بلوقيا ؛ فرد الطائر عليه السلام ؛ فقال له بلوقيا ؛ من أنت أيها الطائر ؟

قال أنا من طيور الجنة ، وأن الله تعالى قد بعثني إلى آدم بهذه المائدة لما أهبط
من الجنة ، وإن كنت معه حين لقي حواء ، وأباح الله له الأكل ، وأنا هنا من
لدى ذلك الوقت ، فكل غريب وعابر سبيل من عباد الله الصالحين يمر بها يأكل
منها ، وأنا أمين الله عليها إلى يوم القيامة .

فقال بلوقيا ، ولا تتغير ولا تنقص ، فقال طعام الجنة لا يتغير ولا ينقص .

قال بلوقيا ، أفأكل منها ؟ قال كل فأكل حاجته ، ثم قال له أيها الطائر ، وهل
معك أحد ؟ فقال معي أبو العباس يأتيني أحياناً ، قال ومن أبو العباس ؟ قال ،
الخضر عليه السلام .

فلما ذكر الخضر إذا به أقبل ، وعليه ثياب بيض ، فخطى خطوة إلا نبت
الحشيش تحت قدميه .

قال فسلم على بلوقيا وسأله عن حاله ، فقال بلوقيا ؛ طالت غيبتي ، وأريد
الرجوع إلى أمي ، فقال الخضر بينك وبين أمك مسيرة خمسمائة عام ، وأنا أردك
إليها في مسيرة خمسمائة شهر ؛ فقال الطائر ، إذا كان بينك وبينها مسيرة خمسمائة
سنة ، فأنا أردك إليها في مسيرة خمسمائة يوم .

فقال الخضر عليه السلام ، فأنا أردك إليها في ساعة واحدة ، ثم قال غمض
عينيك ؛ فغمضها ، ثم قال له افتح عينيك ففتحها ؛ فإذا هو جالس عند أمه ،
فسألها من جاءني إليك ؟ قالت طير أبيض يطير بك بين السماء والأرض ،
فوضعت أمامي .

ثم أن بلوقيا حدثت بني إسرائيل بما رأى من العجائب والأخبار ، فأثبتوها
وكتبوها إلى يومنا هذا ، فهذا ما كان من حديث بلوقيا ، وما رأى من العجائب
في البحر والبر سهلاً وجبلاً والله أعلم .

(مجلس في ذكر قصة ذي القرنين عليه السلام)

قال الله تعالى (ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً) .

(باب في نسبه ولقبه)

قال أكثر أهل السير ؛ هو الإسكندر بن فيلبيش بن بطريوش بن هرمس ابن هردوس بن منطون بن رومي بن اظين بن يونان بن يافث ، ويقال نسبه ينتهي إلى العيص بن إسحق بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، وزعم بعض القدماء أن الإسكندر هو أخو دار بن دارا ، وذلك أن دارا الأكبر بن بهن ابن اسفنديار بن يستاسف كان زوج أم اسكندر ؛ وكانت بنت ملك الروم وكان اسمها ملانة ، وإنما حملت إلى زوجها دارا الأكبر فوجد منها رائحة كريهة فأمر أن يحتمل في زوال ذلك منها ؛ فاجتمع رأى أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها سندروس فطبخت لها وغسلت بمائها فأذهب ذلك كثيراً من نتنها ومن عرقها ، ولم يذهب ذلك كله فانتمت نفسه عنها لبقية نتنها ، وعاقها فردها على أهلها ، وقد علقته منه فولدت له في أهلها غلاماً ، فسمته باسمه ، واسم الشجرة التي غسلت بمائها اسكندروس ؛ فهذا أصل اسمه ؛ ثم خففت ، فقبيل اسكندر ، وكسنى بذي القرنين .

واختلفوا في سبب تسميته بذلك ، فقال بعضهم سمي بذلك لأنه ملك الروم وفارس وقيل لأنه في مقدم رأسه شبه القرنين من لحم ؛ وقيل لأنه رأى في المنام كأنه أخذ بقرني الشمس ؛ وكان تأويل رؤياه أنه يطوف المشرق والمغرب ؛ وقيل لأنه دعا قومه إلى التوحيد فضربوه على قرنيه الأيمن ، ثم دعاهم إلى التوحيد فضربوه على قرنيه الأيسر ، وقيل لأنه كان له ذوابان حسندان ؛ والنوابة تسمى قرناً ؛ وقيل لأنه كان كيم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل أبيه وأمه ؛ وقيل لأنه كان انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حي ؛ وقيل لأنه كان إذا حارب قاتل بيديه وركابه جميعاً ، وقيل لأنه أعطى علم الظاهر والباطن ، وقيل لأنه دخل النور والظلمة ، والله أعلم .

(باب في قصة ذكر أمره وسبب استيصال مملكته)

قال الله تعالى (إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً فاتبع سبباً)
وقال قوم كان فيليبس اليوناني أبو الإسكندر ملك اليونانيين فلما مات ملك بعده
الإسكندر ، وقال آخرون ان الإسكندر أخو دارا الأصغر وكان أبوه لانة جد
الإسكندر لأمه ملكاً من ملوك الروم فلما مات صار الملك لابن بنته الإسكندر
وكان ملوك الروم يؤدون الإتاوة جميعاً إلى ملوك الفرس ، وكانت الإتاوة التي
كان أبو الإسكندر يؤديها إلى ملوك الفرس بيضة من ذهب

فلما ملك الإسكندر وكان رجلاً ذا عزيمة وقوة وملك غزا ملوك الروم
فقهرهم واستجمع له ملك الروم ، ثم غزا بعض ملوك العرب فظفر بهم فأنس
بذلك من نفسه القوة فاستعصى على دارا الأصغر ملك فارس فامتنع عن حمل ما كان
أبوه يحمله إليه من الخراج والإتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فكتب إليه دارا
ابن داهرا بقصة الخراج والإتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فأجابته الإسكندر إنى
قد ذبحت تلك الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض وأكلت لحمها

فلما وصل إليه الكتاب بذلك سخط عليه وكتب إليه يؤنبه بسوء صنيعه في
امتناعه عن حمل الخراج إليه وبعث إليه بصولجان وكرة وقفيزي سمسم ، وأعلمه
فيما كتب به إليه أنك صبي ويزبغى لك ان تلعب بالصولجان والكرة التي بعثت
بهما إليك ولا تنقلد الملك ولا تتلبس به ، ولا تستعصى ولا تبعث إليك من يأتي
بك في وثاق ولو كانت جنودك بعدد السمسم الذي بعثت به إليك

فبعث إليه الإسكندر في جواب ذلك ، إنى قد فهمت ما كتبت وقد نظرت
نما ذكرت في كتابك من إرسال الصولجان والكرة وضمت الكرة إلى الصولجان
وشبهت الكرة بأرض وإنى محتو على ملكك وأضيفه إلى ملكي وأضيف بلادك

(م ٢٦ - قصص الأنبياء)

إلى بلادى ولانى نظرت إلى السهم الذى بعثته إلى كينظرى إلى الصولجان
والكرة وبهت إن دارا مع كتابه صرة من خردل وأعلمه فى الجواب وإنما بهت
إليك بذلك لأن جنودى مثل ذلك

فلما وصل إلى دارا بن دارا جواب الاسكندر جمع جنوده وتأهب لمحاربة
الاسكندر ، وان الاسكندر أيضاً تأهب للقاءه ، وناذى فى عسكره بالرحيل
وسار نحو بلاد دارا ، فالتقيا بناحية خراسان مما بلى الخزر ، واقتتلا أشد القتال
وصارت الدائرة على جند دارا ، فعرض له فارسان من قرابته وأهل بيته وثقته
وقيل ان أحدهما كان صديقه ، فطعناه فأردناه من مركبه ، وأراد يطعنهما إياهم
الحظوة عند الاسكندر والوسيلة اليه ، وان الاسكندر نادى أن يؤخذ دار
أسيراً ولا يقتل

فاخبر بشأن دار فاسرع حتى وقف عليه ، فرآه يجود بنفسه ، فنزل اليه
وجلس عند رأسه ، وأخبره انه لم يهجم قط بقتله ، وان الذى أصابه لم يكن قط
برأيه وإنما غدر به ثقاته

ثم قال له سلنى عما بدا لك فاعفك به فقال له دارا أن لى اليك حاجتين
أحدهما ان تنقم لى من الرجلين اللذين فتكبنى ، وسماهما وبلادهما ، والثانية
أن تتزوج ابنتى روشنك فاجابه إلى الحاجتين ، وأمر بصلب الرجلين ، وان ينادى
عليهما ، هذا جزاء من اجترأ على ملكك وغش اهل بلده ، وتزوج ابنته ، وكان
ملك دارا اربع عشرة سنة

فلما قتل اجتمع ملك الروم ، وكان قبل الاسكندر متفرقاً ، وتفرق ملك
فارس ، وكان قبل الاسكندر مجتمعاً

(باب في ذكر الحوادث التي كانت في أيام ذى القرنين بعد قتل دارا)
(ووصف مسيره إلى البلاد والآفاق)

قالت العلماء بأخبار القدماء ، لما قتل الاسكندر دارا ملك البلاد ودانت له
البلاد فهدم ما كان في بلاد الفرس من بيوت النيران وما كان بأرض الهند من
بيوت الأوثان وقتل الموازنة وحرق كتبهم ودعا الناس إلى الإسلام والتوحيد .

قال المرتضى في سبب إحراق كتبهم ، إن المجوس جعلوا حروف كتبهم من
الذهب المضرب بمسامير الذهب على جلود النيران فبلغ عددها اثني عشر ألفاً
فأحرقوها لحصول ذلك الذهب وبني اثني عشرة مدينة منها ثلاث مدائن بنخراسان
هراب ومرور وسمرقند ومدينة بارض أصفهان بنيت على شمال الجنة ومدينة بارض
ناليونان يقال لها هيلاقوس ومدينة بارض بابل لزوجته روشنك بنت دارا ومدينة
الاسكندرية ثم انه رأى في منامه انه أخذ بقرني الشمس ورأى في منامه انه يسير
إلى آفاق الأرض شرقاً وغرباً .

واختلف العلماء في نبوته فروى عن النبي ﷺ انه قال لا أدري أكان
ذو القرنين نبياً أم لا ، فلو صح الحدوث لسكان الخوض في هذه المسئلة تكافؤاً ثم
تختلفوا بعد فيه فقال قوم لم يكن نبياً وإنما كان عبداً صالحاً وملكاً عادلاً فاضلاً
وقال آخرون بل كان نبياً غير مرسل . والصحيح ان شاء الله انه كان نبياً غير
مرسل لما روى وهب وغيره من أهل الكتب قالوا كان ذو القرنين رجلاً من
الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر ويقال كان
باسمه عباساً وكان عبداً صالحاً .

فلما استحكملك واجتمع امره أوحى الله تعالى اليه يا ذا القرنين أني قد بعثتك
إلى جميع الخلائق ما بين الخافقين وجعلتك حجتي عليهم وهذا تاويل رؤياك وأنى
بإهتاك إلى أمم الأرض كلهم وهم سبع أمم مختلفة السنتهم ، منهم أمتان بينهما عرضي

الأرض وأمتان بينهما طول الأرض وثلاث أمم في وسط الأرض وهم الإيسر
والجن وياجوج وماجوج فاما الأمتان اللتان بينهما طول الأرض فامة عند مغرب
الشمس يقال لها ناسك وأمة أخرى بحياها يقال لها منسك عند مطلع الشمس واما
الأمتان التي بينهما عرض الأرض فامة في قطر الأرض الايمن يقال لها هاويل
والأخرى بحياها في قطر الأرض الايسر يقال لها تاويل فلما قال الله تعالى له ذلك
قال ذو القرنين إلهي إنك قد ندبتني إلى أمر عظيم لا يقدر عليه إلا أنت فاخبرني
عن هذه الامم التي قد بعثتني اليها باي قوة أكابره وباي جمع وحيات أكابره
وباي صبر أقاسيمهم وباي لسان أناطقهم وكيف لي بان أفقه لغاتهم وباي سمع اسمع
أقوالهم وباي بصر انقدهم وباي حجة اخاصهم وباي عقل أعقل عنهم وباي قلب
وحكمة أدبر أمرهم وباي قسط اعدل بينهم وباي حلم أصابهم وباي معرفة
أفصل بينهم وباي علم أتقن أمورهم وباي يد أسطو عليهم وباي رجل أطوهم
وباي طاقة احصيتهم وباي جند اقاتلهم وباي رفق اؤلفهم وليس عندي يا إلهي
شئ مما ذكرت يقوم لهم ويقويني عليهم وانت الرءوف الرحيم لا تكلف نفسك
إلا وسهها ولا تحملها فوق طاقتها ولا تشفيها بل انت ترحمها .

قال الله تعالى . ساطورك ما حملتك وشرح لك سمعك وصدرك فتسمع وتبصر
كل شئ وشرح لك فهمك فتفقه كل شئ وابسط لك لسانك فتتق بكل شئ
وافتح لك بصرك فتتقد كل شئ واحصى لك قوتك فلا يفوك شئ واشد لك
عضدك فلا يهوانك شئ واشد لك ركنك فلا يغلبك شئ واشد لك قلبك فلا
يفزعك شئ واشد لك يديك فتسطو على كل شئ واشد لك وطاك فتملك كل
شئ والبسك الهيبة فلا يروعك شئ واسخر لك النور والظلمة واجعلهما
جنداً من جنودك يهديك النور من امامك وتحوط بك الظلمة من ورائك .

فلما قيل له ذلك حدثته نفسه بالمسير والخط عليه قومه بالمقام فلم يفعل وقال
لا بد من طاعة الله تعالى ثم أمرهم ان يبنيوا له مسجداً وان يجعلوا طول المسجد

اربعمائة ذراع وعرضه مائتي ذراع وعرض اساس حائطة اربعة وعشرون ذراعاً وطوله في السماء مائة ذراع وأمرهم ان ينصبوا فيه السواري .

قالوا كيف نصنع ؟ قال إذا فرغتم من شان الحيطان فاكبسوها بالتراب حتى يستوى الكيس مع حائط المسجد فإذا فرغتم فرضتم من الذهب على الموسر قدرة وعلى المقتر قدرة وقطعتموه مثل قلامة الظفر ثم خلطتموه بذلك الكيس وجعلتم خشباً من نحاس ووتداً من نحاس وصفائح من نحاس تذيبون ذلك وأنتم ممنكون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية وجعلتم طول كل خشبة مائة ذراع وأربعة وعشرين ذراع ومائتي ذراع فيما بين الحيطان لكل حائط اثنا عشر ذراعاً ثم تدعون المساكين لنقل التراب فيسارعون اليه لما فيه من الذهب والفضة فنحمل شيئاً فهو له ففعلوا ذلك فاخرج المساكين ذلك التراب واستقر السقف بما عليه واستغنى المساكين

فمكّن جندهم أربعين الفا فجعلهم أربعة أجناد في كل جنده عشرة آلاف ثم عرض جنده فوجدهم فيما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف منهم من جنده ثمانمائة ألف ومن جنده داراً ستمائة ألف ومن المساكين أربعون الفا ، ثم انطلق يوم الامة التي عنده غرب الشمس فذلك قوله تعالى (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) أي ذات حمأ : ومن قرأ حامية بالف من غير همزة فعناه حاره

أخبرنا عبد الله بن حامد الاصفهاني بإسناده عن ابن عباس قال أقرأنيها أبي ابن كعب كما أقرأه رسول الله ﷺ في عين حمئة

وقال ابن عباس كنت جالسا عند معاوية إذ قرأ هذه الآية وجدها تغرب في عين حامية فقلت وما تقرؤها إلا حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرؤها قال أقرؤها كما قرأتها يا امير المؤمنين قال ابن عباس فاطلت الجدال معها فارسل معاوية إلى كعب فجاءه فقال له أين تجد الشمس تغرب في التوراة يا كعب ؟

عمال : أما العربية فانتم اعلم بها مني ، وأما الشمس فإني أجدتها في التوراة تغرب في
أه وطين ، وأنشدك ما تزداد به تبصراً وهو قول تبع :

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً تدين له الملوك وتسجد
ببلغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب أمر من حكيم مرشد
فراى مغيب الشمس عند غروبها في ذى خلب وثأط حرمد

قال معاوية وما الخلب يا كعب ؟ فقلت الطين بكلامهم قال فما الثأط ؟ قلت
الخماة قال وما الحرمد ؟ قلت الأسود فدعا رجلاً فقال اكتب ما يقول .

قلنا بلغ مغرب الشمس وجد عندها جمماً وعدداً لا يحصيه إلا الله تعالى وقوة
رباساً لا يطيقه إلا الله تعالى ورأى السنة مختلفة وأهواء مشتبهة فذلك قوله تعالى
(وجد عندها قوماً) يعني ناساً فلما رأى ذلك كآثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث
عساكر منها فاحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور
ودعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد إلى
الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت في أفواههم وانوفهم وآذانهم وأجوافهم
ودخلت في بيوتهم ودورهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب فلما
خوفوا صاحوا وتحيروا فلما أشفقوا ان يهلكوا ضجوا بصوت واحد فكشفها
عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوة فجاء من أهل العرب أمم عظيمة فجعلهم
جنداً واحداً ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرمهم والنور
أمامه يقوده ويدله وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى وهو يريد الأمة التي في قطر
الأرض اليمنى يقال لها هاويل ؛ وسخر الله له قلبه ويده ورأيه وعقله ونظره فلا
يخطيء إذا عمل عملاً فانطلق يقود تلك الأمم وهي تتبعه حتى إذا انتهى إلى بحر
أو مخاضة هياً سفناً من ألواح صغار مثل النعال فيحملها في ساعة ثم يحمل فيها جميع
مامعه من تلك الجنود وإذا بلغ البحار والأنهار فتقها ثم يدفع إلى
تكل رجل منهم لوحاً فلا يكثر بحمله فلم يزل كذلك دأبه حتى انتهى إلى هاويل

ففعّل فيها كفعله في ناسك فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى حتى انتهى إلى منسك عند طلوع الشمس وجدها تطلع على قوم فعمل فيها وجند فيها جنوداً كفعله في الامتين اللتين قبلها ثم كر مقبلاً حتى أتى ناحية الأرض اليسرى وهو يريد نأويل ربهى الامة التي بحيال هاويل وهما متقابلتان بينهما عرض الأرض كله فلما بلغها عمل فيها وجند جنوداً كفعله فيما قبلها فذلك قوله تعالى حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع قرم لم نجعل لهم من دونها ستراً وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء وكانوا يسكنون في أسراب لهم حتى إذا زالت الشمس خرجوا إلى معايشهم وحرورهم والله أعلم .

(باب في صفة سدنى القرنين وما يتعلق به)

قال الله تعالى (حتى إذا بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً) .

قالت العلماء بأخبار القدماء : لما فرغ ذو القرنين من أمر الامم الذين هم في اطراف الأرض ، وطاف المشرق والمغرب عطف منها على الامم التي في وسط الأرض من الجن والانس وبأجوج وماجوج فلما كان في بعض الطريق بما بلى منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحه من الإنس : يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقاً من خلق الله ليس فيهم مشابهة من الإنس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما تفرسها السباع ويأكلون حشرات الأرض كلها من الحيات والعقارب وكل ذى روح مما خلق الله في الأرض وليس لله خلق ينمون نماءهم ولا يزدادون كزيادتهم ، فإن أنت اطاعت على ما يسمو من نمامهم وزيادتهم فلا تشك أنهم سيملاون الأرض ويخرجون أهلها منها ويظهرون عليها ويفسدون فيها وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقع أن يطلع علينا أولهم من بين هذين الجبلين فهل لك خرجنا أى جملاً وأجرأ على أن تجعل

بيننا وبينهم سداً حاجزاً فلا يصلون إلينا ، فقال لهم ذو القرنين ما مكنى فيه ربي أي
تقوانى عليه خير من خراجكم فاعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً حاجزاً كالحائط .

قالوا وما تلك القوة ؟ قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة ، قالوا
وما تلك الآلة ؟ قال آتوني زبر الحديد أي قطعة واحدة زبرة وآتوني النحاس
فقالوا من أين لنا من الحديد والنحاس ، ليسح هذا العمل ، قال سأدلكم على معادتهما
قالوا فبأي قوة تقطع الحديد والنحاس فاستخرج لهم معدناً يقال له الساهون وهو
أشد ما خلق الله في الأرض بياضاً وهو الذي قطع به سليمان أساطين بيت المقدس
وصخوره وجواهره .

ثم أنه قاس ما بين الجبلين ثم أوقد على ما جمع من الحديد والنحاس والنار وصنع
منها زبراً مثل الصخور العمام ثم أذاب النحاس فجعله كالطين والملاط لتلك
الصخور التي هي من الحديد ثم بنى وكيفية بنائه على ما ذكر أهل السير أنه لما
قاس ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ .

فلما أشأ في عمله حفر له الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخ
ثم وضع الحطب بين الجبلين ثم نسج عليه الحديد ثم نسج الحطب على الحديد ، فلم
يزل يجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى ساوى بين الصدفين وهما
الجبلان ثم أمر بالنار فأرسلت فيه ، قال انفخوا حتى جعل يفرغ القطر فيه وهو
النحاس المذاب فجعلت النار تاكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم
الحديد النحاس فصار كأنه برد حبرة من صفرة النحاس وحرته وسواد الحديد
وغبرته ، فصار سداً طويلاً عظيماً حصيناً قال الله تعالى (فما استطاعوا ان يظهروه)
أي يعلوه ، وما استطاعوا له نقباً .

قال قتادة : ذكر لنا أن رجلاً قال يا نبي الله قد رأيت سد يا جوج وما جوج
قال انعت لي ، قال كالبرد المحرط طريقة سوداء وطريقة حمراء فقال له قد رأيت

ويقال أن موضع السد وراء الخزر د بقرب مشرق الأرض بينه وبين الخزر مسيرة إثنين وسبعين يوماً .

وذكر أن الواثق بالله أمير المؤمنين رأى في المنام أن السد مفتوح فوجه سالماً إلى جمان في خمسين رجلاً وأعطاه خمسة آلاف دينار وأعطى كل رجل من الخمسين خمسين ألف درهم ورزق سنة ، أعطاه مائتي بغلة تحمل الزاد والماء وخرج من سر من رأى بكتاب الواثق بالله إسحق بن إسماعيل صاحب أرمينية وكان بمطيس وكتب له إسحق إلى صاحب السر وكتب له صاحب السر إلى ملك اللان وكتب له ملك اللان إلى الأزالي طابعند في بلاد شاه ملك الخزر .

فأقام عنده حتى أخذ معه خمسين رجلاً أدلاء فصاروا خمسة وعشرين يوماً حتى اتهموا إلى أرض سوداء منتنة الريح ، وكانوا قد حملوا معهم شيئاً يشموناه من الرائحة الزكية ؛ فصاروا تسعة وعشرين يوماً ثم سألوا عن سبب نتن الريح ما هو فقالوا مات ههنا قوم .

ثم ساروا في مدن خراب عشرين يوماً فصاروا عن تلك المدن فقالوا قد ظهر فيها يأجوج ومأجوج فخر بوها .

ثم ساروا إلى حصون بالقرب من الجبل يتكلمون بالعربية والفارسية يقرءون القرآن ولهم مكاتب ومساجد فقالوا لنا من هؤلاء القوم ، قلنا رسل أمير المؤمنين فقالوا وما هو أمير المؤمنين قلنا من أولاد العباس ملك بالعراق فتهجروا منه وقالوا : شيخ أو شاب وزعموا أنهم لم يبالغهم خبره .

ثم فارقوهم وساروا إلى جبل أماس ليس عليه خضرة وإذا جبل مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعاً وعضاداته مبنيتان مقابلتا الجبل وعرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعاً مبنية بلبن من حديد مركبة في نحاس في سمك

خمسین ذراعاً وإذا وتد من حديد طرفاه على عضادتين طوله مائة وعشرون
ذراعاً قد ركب على العضادتين علو كل واحد مقدار عشرة أذرع في عرض
خمس أذرع فوق ذلك اللبن الحديد المغيب في الإنحاس إلى رأس الجبل وارتفاعه
مد البصر؛ وفوق ذلك شرف من حديد في طرف كل شرافة قرنان مبنی ببعضها
إلى بعض منظومة كل واحدة في صاحبيتها فإذا باب له مصراعان منصوبان من
حديد عرض كل باب خمسون ذراعاً في ارتفاع خمسین ذراعاً قائمتاهما في
مدورهما على قدر الدر بند

وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع وارتفاع القفل من الأرض
خمس أذرع وخمسون ذراعاً وفوق القفل مقدار خمسة أذرع غلق وعلى الغلق مفتاح
طوله ذراع ونصف معلق في سلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة أربعة أشبار
والحلقة التي في السلسلة مثل حلقة المنجنيق وعرض عتبة الباب عشرة أذرع في
طوله مائة ذراع سوى ما في العضادتين والظاهر منها خمسة أذرع، وهذا كله
بذراع السواد ورئيس تلك الحصون يركب كل جمعة في عشرة فوارس مع كل
فارس مرزبة من حديد وزن كل واحد خمسون منا فيضرب القفل بالمرزبات
كل يوم ثلاث ضربات ليسمع من وراء الباب الصوت فيعلموا أن هناك حفظة
ويعلم هؤلاء أن أولئك لم يحدثوا في الباب حدثاً فإذا ضربوا أصغوا إليه
آذانهم فيسمعون من داخل دويماً

وبالقرب من هذا الجبل حصن كبير عظيم عشرة فراسخ في مسيرة مائة فرسخ
لأنها عشرة في عشرة ومع الباب حصنان طول كل واحد منها مائتا ذراع في مائتي
ذراع وعلى باب هذين الحصنين عميرتان وبين الحصنين ماء عين عذب في أحد
الحصنين آلة البناء التي بها السد من قدور الحديد ومخاريف من حديد وهناك بعض
اللبن من الحديد قد الترق بعضه ببعض من الصدا واللينة ذراع ونصف في
عرض شهر

وسألنا هل وراء ذلك أحد من أهل يا جوج وما جوج ، فذكروا أنهم رأوا
منهم عدة فوق الشرف فهبت ربح سوداء فالتفتهم إلى جانبهم وكان مقدار الرجل
في رأى العين شبراً ونصفاً

قال فلما انصرفنا أخذ بنا الأدلاء على نواحي خراسان فعدلنا إليها فوقعنا إلى
القرب من سمرقند على سبعة فراسخ وكان أصحاب الحصن ثم زودناهم الطعام

ثم سرنا إلى عبد الله بن طاهر فوصلنا بمائة ألف درهم ووصل كل رجل
كان معي بخمسمائة درهم ، وأجرى على كل فارس خمسة دراهم وعلى كل راجل
ثلاثة دراهم كل يوم حتى صرنا إلى الري ورجعنا إلى سر من رأى بعد ثمانية
وعشرين شهراً والله أعلم .

(باب في دخول ذى القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالى لطلب عين الحياة)

روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال ، كان ذو القرنين قد ملك
ما بين المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة اسمه رفائيل يأتيه ويؤمره و
فيينا هما ذات يوم يتحدثان إذ قال له ذو القرنين يا رفائيل حدثني عن عبادتكم
في السماء فبكى وقال يا ذا القرنين وما عبادتكم عند عبادتنا إن في السماء من الملائكة
من هو قائم لا يجلس أبداً ، ومن هو ساجد لا يرفع رأسه أبداً ، ومن هو راكع
لا يستوي قائماً أبداً يقول سبحان القدوس رب الملائكة والروح ربنا ما عبدناك
حق عبادتك ، فبكى ذو القرنين بكاء شديداً ، ثم قال لاني أحب أن أعيش فاباغ
من عبادة ربي حق عبادته . فقال رفائيل أو تحب ذلك يا ذا القرنين . قال نعم

قال رفائيل فإن لله عيناً في الأرض تسمى عين الحياة فما من الله عز وجل أن
من يشرب منها شربة لا يموت أبداً حتى يكون هو الذي يسأل ربه الموت ، فقال
له ذو القرنين هل تعلمون أنتم موضع تلك العين ، فقال لا غير أنا نتحدث في

السماوات أن الله في الأرض ظلمة لا يظئوها إنس ولا جان فنحن نظن أن تلك العين
في تلك الظلمة فجمع ذو القرنين علماء أهل الأرض وأهل دراسة السكتب وآثار
النبوة فقال لهم أخبروني هل وجدتتم فيما قرأتم من كتب الله تعالى وما جاءكم من
الأحاديث وسألتهم من كان قبلكم من العلماء أن الله وضع في الأرض عيناً سماها
عين الحياة ، فقالت العلماء لا ، فقال عالم من العلماء إنى قرأت وصية آدم عليه
السلام فوجدت فيها أن الله خلق في الأرض ظلمة لم يظأها إنس ولا جان ووضع
فيها عين الخلد .

فقال ذو القرنين أين وجدتتها قال وجدتتها في الأرض التي على قرن الشمس
تغربت الله إليها ذو القرنين وحشد إليها الفقهاء والأشرف من الناس والملوك ،
صار يطلب مغرب الشمس فسار اثنتي عشرة سنة إلى أن بلغ طرف الظلمة فإذا
هي مثل الدخان وليست كظلمة الليل فمسكر هناك ثم جمع علماء عسكره ، فقال
لاني أريد أن أسألكم عن هذه الظلمة فقالت العلماء أيها الملك إن من كان قبلك
من الملوك والأنبياء لم يظئوا هذه الأرض فلا تطأها فإننا نخاف ان ينفخ عليك
أمر تسكره ويكون فيه فساد الأرض ومن عليها ، فقال لا بد من أن أسألكم
فقالوا أيها الملك كيف عن هذه الظلمة ولا تطأها فإننا لو نعلم أنك طلبتها ظفرت
بها تريد ولم يسخط الله علينا لا تبعناك ولسكننا نخاف من الله تعالى فسادا في
الأرض ومن عليها

فقال ذو القرنين لا بد من أن أسألكم فقالت العلماء شأنك بهما فقال ذو القرنين
أي الدواب بالليل أبصر قالوا الخيل قال وأي الخيل بالليل أبصر : قال الإناث
فقال وأي الإناث أبصر قالوا البكارى

قال فارس ذو القرنين فجمع له ستة آلاف فرس أنى أبكارا ثم انتخب من
عسكره أهل القوى والجلد ستة آلاف رجل فدفع لكل رجل منهم فرساً وعقد

رواية الخضر عليه السلام وجعل مقدمته ألفين وبقي ذو القرنين في أربعة آلاف
رجل وقال ذو القرنين لبقية عسكره لا تبرحوا من معسكركم هذا إلى اثنتي عشرة
سنة فإن نحن رجعنا إليكم وإلا فارجعوا إلى دياركم فقال الخضر أيها الملك إذا
تسلك الظلمة ولا تدري كم السير فيها ولا يبصر بعضنا بعضا وكيف نصنع
بالضلال إذا أصابنا : فدفع ذو القرنين إلى الخضر خريزة حراء وقال له حيث
يصيبكم الضلال فاطرح هذه في الأرض فإذا صاحت فليرجع إليها بأهل الضلال
أين صاحت .

قال فسار الخضر بين يدي ذي القرنين يرتحل الخضر ويحيط ذو القرنين .

فبينما الخضر عليه السلام يسير إذا عرض له واد فظن الخضر أن العين في
الوادي وألقى في قلبه ذلك ؛ فقام على شفير الوادي ومكث طويلا ثم أجابته
الخريزة فطلب صوتها فاتمى إليها فإذا هي على جانب العين فنزع الخضر ثيابه ثم
دخل العين فإذا ماؤها أشد بياضا من اللبن وأحلى من الشهد فشرب واغتسل وتوضأ
ولبس ثيابه ثم أنه رمى الخريزة نحو أصحابه فوقعت وصاححت فرجع الخضر إلى
صوتها وإلى أصحابه فركب وقال لأصحابه سيروا على اسم الله .

وإن ذا القرنين مر فأخطأ الوادي فسلكوا تلك الظلمة في أربعين يوما ثم
لأنهم خرجوا إلى ضوء ليس كضوء شمس ولا قمر والأرض حراء ملة خشخاشية
فإذا هم بقصر مبني في تلك الأرض طوله فرسخ في فرسخ عليه باب فنزل
ذو القرنين بعسكره ثم إنه خرج وحده حتى دخل القصر فإذا حديدة قد وضعا
طرفاها على جانب القصر من ههنا وإذا طائر أسود يشبه الخطاف مزموما بأنفه
إلى الحديد معلقا بين السماء والأرض فلما سمع الطائر خشخشة ذي القرنين قال
من هذا ، قال أنا ذو القرنين ، فقال الطائر يا ذا القرنين ما كفاك ماورائي حتى
وصلت إلى .

ثم قال يا ذا القرنين حدثني فقال سل ، فقل هل كثير بناء الجسر والآجر في الأرض ؟ قال نعم فانتفض الطائر انتفاضة ثم انتفخ فبلغ ثلث الحديد ثم قال يا ذا القرنين هل كثرت شهادة الزور في الأرض ؟ قال نعم فانتفض الطائر ثم انتفخ حتى ملاً الحديد وسد ما بين جدران القصر بحيث رأى ذو القرنين ذلك ففرق فرقاً شديداً ، فقال الطائر لا تخف حدثني ، قال سل قال أهل ترك الناس شهادة أن لا إله إلا الله بعد ؟ قال فانضم الطائر إلى ثلثه ، ثم قال يا ذا القرنين هل ترك الناس غسل الجنابة بعد ؟ قال لا . فعاد الطائر كما كان ثم يا ذا القرنين أسلك هذه الدرج درجة إلى أعلى القصر فسلكها ذو القرنين وهو خائف رجل لا يدري على ما يهجم حتى استوى على صدر الدرج فإذا سطح ممدود عليه صورة رجل شاب قائم وعليه ثياب بيض رافعاً وجهه إلى السماء واضعاً يده على فيه ، فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال من هذا ؟ قال أنا ذو القرنين ، قال يا ذا القرنين إن الساعة قد قربت وأنى منتظر أمر ربى يأمرنى أن أنفخ في الصور .

ثم أن صاحب الصور أخذ شيئاً من بين يديه كأنه حجر فقال يا ذا القرنين خذ هذا فإن شبع هذا شبعته وإن جاع هذا جعت فأخذ ذو القرنين الحجر ونزل حتى أتى إلى أصحابه فحدثهم بأمر الطائر وما قاله وما أورد عليه وما قال له صاحب الصور ثم عمل على جمع عسكره ، وقال أخبروني بما هذا الحجر وما أمره ؟ فقالوا أيها الملك أخبرنا ما قال لك صاحب الصور . فقال ذو القرنين أنه قال : إن شبع هذا شبعته ، وإن جاع جعت ، فوضعت العلماء ذلك الحجر في كفة الميزان وأخذوا حجراً مثله ووضعوه في الكفة الأخرى ثم رفعوا الميزان فإذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فإذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فلم يزالوا يضعون حجراً بعد حجر حتى وضعوا ألف حجر ثم رفعوا الميزان فقال بالآلاف جميعاً فقالت العلماء انقطع علمنا دون هذا لا نعرف أسحر هذا أم علم لا نعلمه ، فقال الخضر عليه السلام وكان واقفاً ، أنا أعلم علمه فأخذ الخضر عليه السلام الميزان بيده ثم أخذ الحجر الذي جاء به ذو القرنين فوضعه في إحدى الكفتين وأخذ حجراً من

تلك الحجارة فوضعه في السكفة الأخرى ثم أخذ كفاً من تراب فوضعه على الحجر الذي جاء به ذو القرنين ثم رفع الميزان فاستوى فخرت العلماء سجداً لله تعالى وقالوا سبحان الله هذا علم لم يبلغه علمنا والله قد وضعتنا معه ألف حجر فما استقل به فقال الخضر عليه السلام أيها الملك إن سلطان الله عز وجل قاهر لخلقه وأمره نافذ فيهم وحكمه جار عليهم وأن الله ابتلي خلقه بعضهم ببعض فابتلي العالم بالجاهل والجاهل بالجاهل والجاهل بالجاهل والعالم بالجاهل وأنه ابتلائى بك وابتلاك بي، فقال ذو القرنين صدقت فأخبرني ما هذا الحجر؟ فقال الخضر أيها الملك هذا مثل ضربه لك صاحب الصور إن الله تعالى مكن لك في الأرض فأعطاك منها ما لم يعط أحداً من خلقه وأعطاك منها ما لم يوطئ لأحد من خلقه فلم تشبع وآتيت نفسك شرها حتى بلغت من سلطان الله ما لم يطاه إنس ولا جان فهذا مثل ضربه لك صاحب الصور ابن آدم لا يشبع أبداً حتى يحشى عليه التراب ولا يملأ جوفه إلا التراب. فهيكى ذو القرنين، ثم قال صدقت يا خضر في ضرب هذا المثل لا جرم لا طلبت أمراً في البلاد بعد مسيرى هذا حتى أموت.

ثم إنه انصرف راجعاً حتى إذا كان في وسط الظلمة وطيء الوادي الذي فيه الزبرجد فقال من معه لما سمعوا خشخشة تحت حوافر واديهم ما هذا الذي تحتنا أيها الملك فقال ذو القرنين نخذوا منه فإن من أخذ منه ندم ومن تركه ندم فمنهم من أخذ منه شيئاً ومنهم من تركه فلما خرجوا من الظلمة ونظروا إذا هو زبرجد فندم الآخذ والتارك قال: قال رسول الله ﷺ رحم الله أخى ذا القرنين لو ظفر بوادي الزبرجد في مبدأ أمره ما ترك منه شيئاً حتى كان يخرج به إلى الناس لأنه كان راغباً في الدنيا ولسكنه ظفر وهو زاهد في الدنيا لا حاجة له فيها، ثم أنه رجع إلى العراق ومملك ملوك الطوائف كلها ومات في طريقه قبل وصوله بشهر وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إنه رجع إلى دومة الجندل وكانت منزله فاقام بها حتى مات قالوا وكان عمره ستاً وثلاثين سنة وكان مملكه سبع عشرة سنة وكان قبل داراً في أول السنة الثالثة من ملكه فلما مات حمل إلى أمه بالاسكندرية

ودفن هناك ؛ قالوا فلما مات الإسكندر عرض الملك على لابنه إسكندروس من بعده فأبى واختار النسيك والعبادة فلسكت اليونانية عليهم فيما قبل بطليموس بن لوسوع وكان ملكة ثمانية وثلاثين سنة ؛ وكانت المملكة في حياة الإسكندرو بعد وفاته إلى أن تحول الملك والمضاض واليونانية ولبنى إسرائيل بيت المقدس ونواحيها الديانة والرياسة على غير وجه الملك إلى أن خرب بلادهم الفرس والروم وطردهم عنها بعد قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام .

(مجلس في قصة زكريا ولابنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام)
وهو مجلس يشتمل على أبواب كثيرة قال محمد بن إسحق وغيره من أهل الأخبار عبرت بني إسرائيل بعد مرجعهم من أرض بابل إلى بيت المقدس وبلاد الشام وانتظام أمورهم ولم ينزلوا يحدثون الأحداث ويعود الله عليهم بفضله ورحمته ويبعث فيهم الرسل ؛ فهريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون كما قال الله تعالى (حتى كان من بعث فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى وكانوا من آل بيت داود عليه السلام) .
(نسب زكريا عليه السلام)

هو زكريا بن يحيى بن يوحنا بن آدن بن مسلم بن صدوق بن بحسان بن داود ابن سليمان بن مسلم بن ضديقة بن ناخور بن سلوم بن شفا ساط بن أبيا بن رحيمم ابن سليمان بن داود عليه السلام .

(باب في ذكر مولد مريم عليهما السلام وخبر تحريرها)
قال الله تعالى (إذ قالت امرأة عمران ربى إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً)
الآيات ، وقال المفسرون هى حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وعمران .
قال ابن عباس هو عمران بن ماثان وليس بعمران أبى موسى إذ بينهما ألف وثمانمائة سنة ، وكانت بنو ماثان روس بنى إسرائيل وأخبارهم وملوكهم .
وقال ابن إسحق هو عمران بن ساهم بن أمور بن ميشان بن حزقييل بن أحريف ابن يؤم بن عزازيل بن امصيا بن تاوس بن نوثا بن بارغش بن يهو شافاظ بن أبيا ابن رحيمم بن سليمان بن داود عليه السلام ؛ وكانت القصة فى ذلك أن زكريا

ابن يوحنا وعمران بن ماثان كانا متزوجين بأختين إحداهما عند زكريا يوحنا وهي
إيشاع بنت فاقوذ أم يحيى وكانت الأخرى عند عمران وهي حنة بنت فاقوذ أم مريم
وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وعجزت وكانوا أهل بيت من الله بمون
فبينما هي في ظل شجرة إذا نظرت طائراً يطعم فرخاً فتحركت عند ذلك شهوتها للكالد
ودعت الله تعالى أن يهب لها ولداً وقالت اللهم لك على إن رزقتني أن أتصدق به
على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه نذراً وشكراً فحملت بمريم عليها السلام
فحرت مافي بطنها ولم تعلم ما هو فقالت (رب إني نذرت مافي بطني محرراً) أي
عتيقاً من الدنيا وأشغالها خالصاً لله تعالى وخادماً لبيتك المقدس حسباً عليه منزه
لعبادة الله ولخدمته فتقبل مني السكائن إنك أنت السميع العليم .

قالوا وكان المحرر إذا حرر ونذر جعل المحرر والمنذور في الكنيسة يقوم عليها
ويكنسها ويخدمها ولا يبرح عنها حتى يبلغ الحلم فإذا بلغ خير بين أن يقيم وبين أن
يذهب حيث شاء ؛ وإن أراد أن يخرج بعد التخيير استأذن رفقاءه من السدنة ليكون
خروجه على علم منهم ولم يكن أحد من بني إسرائيل وعلمائهم إلا من في نسله تحرو
لبيت المقدس ولم يكن محرراً إلا الغلمان . وكانت الجارية لا تكف ذلك ولا تصاح
لما يصيبها من الحيض والأذى فحرت أم مريم مافي بطنها فلما فعلت ذلك قال لها
زوجها عمران : ويحك ما صنعت ؟ رأيت إن كان مافي بطنك أنثى والأنثى عورة
لا تصاح لذلك فوقع جميعاً فيهم من ذلك فهلك عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها
إذ هي جارية فقالت حنة وكانت ترجو أن يكون غلاماً اعتذرت إلى الله تعالى ورب
إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى ، أي في خدمة الكنيسة
والعبادة فيها لمورثتها وضعفها وما يعثرها من الحيض والنفاس والأذى وإني سميتها مريم
وهي بلغتهم العابدة والخادمة وكانت مريم عليها السلام أجمل النساء وأمثالهن في وقتها .
أخبرني الحسن بن محمد بإسناده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «حسبك
من نساء العالمين أربع : مريم ابنة عمران وآسيا امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد
 وفاطمة بنت محمد ﷺ وإني أعينها ، أي أجيرها وأمنعها بك وذريتها من الشيطان
(م ٢٧ - قصص الأنبياء)

الرجيم ، أخبرنا عبد الله بن حامد بإسناده وأخبرنا أبو سهيل وأحمد بن محمد بن هرون بإسناده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال ، ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إلا مريم وإبتها ، ثم يقول أبو هريرة اقرءوا إن شئتم ، ولاني أعيدها وذريتها من الشيطان الرجيم .

وأخبرنا شعيب بن محمد بإسناده عن قتادة قال : كل آدمي يطعن الشيطان في جنبه حين يولد إلا عيسى عليهما السلام جعل بينهما حجاب وأصابت الطائفة الحجاب ولم ينفذ إليهما منه شيء قال : وذكر أنهما كانا لا يصيبان من الذنوب كما يصيبه سائر بني آدم قال الله تعالى د فتقبلها ربهما بقبول حسن ، الهاء راجعة إلى النذيرة أي فتقبل الله النذيرة أي مريم من حنة د وأنبتها نباتاً حسناً ، يعني سري خالقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تذب في المدة اليسيرة كما يذب المولود في المدة الطويلة وقال ابن جريج . وأنبتها ربهما في غدائها ورقها نباتاً حسناً حتى نمت امرأة بالغة .

قالوا فلما ولدت مريم أخذتها أمها حنة فلفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هرون وهم يومئذ ثلاثون في بيت المقدس كما يلي الحجة أمر الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها الأحبار لأنها كانت بذت إمامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها منكم لأن عندي خالتها فقالت له الأحبار لا نفعل ذلك فإنها لو تركت لأحق الناس وأقربهم إليها لتركت لأمها التي ولدتها . ولما كنا نقترع عليها فتكون عند من نخرج سهمه فاتفقوا على ذلك ثم انطلقوا وكأوا تسعة عشر رجلاً إلا نهر جار . قال السدي هو نهر الأردن فألقوا أي سهامهم وقيل أقلامهم ورسبت في الماء قال ابن إسحق وجماعة وقال السدي . بل ثبت قلم زكريا فوق الماء وكأنه في طين وجرت أقلامهم مع جريان الماء فذهب الماء بها فسهمهم وقرعهم زكريا عليه السلام . وكان رأس الأحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى (وكفلها زكريا) ضمها إلى نفسه وقام بأمرها وقال ابن إسحق . فلما كملها زكريا ضمها إلى خالتها أم يحيى واسترضع لها حتى نشأت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرماً أي غرفة في المسجد وجعل بابها إلى وسطها لا يرقى إليها إلا بسلم مثل باب الكعبة فلا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها في كل يوم . وكان زكريا عليه السلام إذ

خرج أغلق عليها بابها فإذا دخل عليها غرفتها وجد عندها رزقاً أي فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيقول لها ، أنى لك هذا ، فتقول هو من عند الله من قطف الجنة . قال الحسن يحد عندها قوتها وكان رزقها يأتيها من الجنة فيقول لها زكريا من أين لك هذا ؟ فتقول من عند الله . قال الحسن . وكانت وهي صغيرة يأتيها رزقها .

وقال محمد بن إسحاق ثم أصابت بنى إسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها ثم ضعف زكريا عن حملها فخرج إلى بنى إسرائيل وقال يا بنى إسرائيل تعلمون والله إنى لقد كبرت وضعفت عن حمل ابنة عمران فأياكم يكفلها بعدى ؟ فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من الجلد ما ترى فتدافعوا بينهم ثم لا يجدون من يحملها فتقارعوا عليها بالأقلام فخرج السهم على رجل صالح نجار من بنى إسرائيل يقال له يوسف ابن يعقوب بن مائان وكان ابن عم مريم لحملها . قال فعرفت مريم في وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن الظن بالله فإن الله سيرزقنا ، فحمل يوسف إليها مما رزقه الله فيأتيها الله كل يوم من كسبه بما يصلحها فإذا أدخله عليها وهي في الكنيسة أنماه الله تعالى وكثره فدخل إليها زكريا فبرى عندها فضلا من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف فيقول لها (يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب) .

أخبرنا عبد الله بن حامد بإسناده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ أقام أياماً لم يطعم طعاماً حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يصب في بيت أحد منهن شيئاً فأتى فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنية هل عندك شيء آكل فإني جائع ، فقالت لا والله بأبي أنت وأمي . فلما خرج رسول الله ﷺ من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وبضعة لحم فأخذته منها ووضعته في جفنة وغطت عليه وقالت لا وثرن بها رسول الله ﷺ على نفسي ومن عندي وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبة من طعام فبعثت حسناً وحسيناً إلى جدتهما رسول الله ﷺ فرجع إليها فقالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد أتانا الله بشيء نخبأته لك فهلنى به فأتى به فكشف عن

الجفنة فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً فلما نظرت بهتت وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله تعالى وصلت على نبيه ، فقال عليه الصلاة والسلام من أين لك هذا يا بذيبة (قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) فحمد الله رسول الله ﷺ وقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل فإنها كانت إذا رزقها الله رزقاً حسناً فسمت عنه (قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) فبعث رسول الله ﷺ إلى علي رضي الله عنه فأتى فأكل الرسول وعلي وفاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبي ﷺ ورضي الله عنهم جميعاً حتى شبعوا وبقيت الجفنة كما هي قالت فاطمة رضي الله عنها وأوسعت منها على جميع جيرانه وجعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً ، وكان أصل الجفنة رغيفين وبضعة والباقي بركة من الله تعالى

(باب في مولد يحيى بن زكريا عليه السلام)

قال الله تعالى (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء) قالت العلماء بأخبار الأنبياء لما رأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق مريم الفاكهة في غير حينها قال إن الله الذي قدر علي أن يؤتى مريم بالفاكهة من غير حينها من غير سبب ولا فعل أحد لقادر علي أن يصلح زوجتي ويهب لي ولداً علي السكبر فطمع في الولد وكان أهل بيته قد انقروا وزكريا قد شاخ وآيس من الولد فهنالك أي فعند ذلك دعا زكريا ربه (قال رب هب لي) أي اعطني (من لدنك ذرية طيبة) نسلاً نقيماً صالحاً رضيعاً (إنك سميع الدعاء فنادته الملائكة) يعنى جبريل وذلك أن زكريا كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح باب المذبح فلا يدخل أحد حتى يأذن له بالدخول ، فبينما هو في محرابه عند المذبح قائم يصلي والناس ينتظرون أن يأذن لهم بالدخول إذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ، ففرغ منه فناداه وهو جبريل عليه السلام (يا زكريا إن الله يبشرك بيحيى) واختلفوا لم سمي يحيى .

قال ابن عباس لأن الله تعالى أحيا به عقر أمه ، وقال قتادة وغيره لأن الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان والعبوة ، وقال الحسن بن الفضل لأن الله تعالى أحياها بالطاعة

حق لم يتخير ولم يسم بمصيبة ، دليله ما أخبرني به الحسن بن فتحويه بإسناده عن
عكرمة عن ابن عباس قال ، قال رسول الله ﷺ ، ما من أحد يلقى الله عز وجل
إلا وقد هم بخطيئة أو عملها إلا يحيى بن زكريا فإنه لم يهم ولم يعمل .

قال الأسنادر كان شيخنا أبو الفاسم الجنيد يقول سمي بذلك لأنه استشهد والشهداء
أحياء عند ربهم يرزقون ، قال النبي ﷺ (من هو ان الدنيا على الله أن يحيى بن زكريا
قتلته امرأة) قال وسمعت أبا منصور الخشراوي يقول ، قال عمر بن عبد الله القدسي
أوحى الله إلى إبراهيم الخليل عليه السلام أن قل ليسارة وكان اسمها كذلك أنى
مخرج منك عبداً لا يهم بمصيتي اسمه حتى فهمي له من اسمك حرفاً فوهبت أول حرف
من حروف اسمها الياء فصار يحيى وسار اسمها سارة مصدقاً بكلمة من الله يعنى عيسى
عليه السلام فسمى كلمة لأن الله تعالى قال له من غير أب كن فكان فوقه عليه اسم
الكلمة لأنه بها وجد ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه ، وذلك أن أمة كانت حاملة
به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى ، قالت لها أم يحيى يا مريم أحامل أنت ، فقالت
لماذا تقولين هذا ، قالت إني أرى ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك ذلك تصديقه له
ولا يمانه به ، وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر ثم قتل يحيى قبل أن يرفع عيسى
إلى السماء ومنذ كره ، قال سعيد بن المسيب « وسيداً ، السيد الفقيه العالم . وقال
سعيد بن جبير السيد الذى يطيع ربه عز وجل ، وقال الضحاك السيد الحسن الخلق
وقال عكرمة الذى لا يفضى ، وقال سفيان الذى لا يحسد (وحصوراً) قال ابن
عباس وابن مسعود وغيرهما هو الذى لا يأتى النساء ولا يقربهن فعول بمعنى فاعل
يعنى أنه حصر نفسه عن الشهوات ، وقال ابن المسيب والضحاك هو العزيب الذى
الاباءة له ودليل هذا التأويل ما أخبرني به ابن فتحويه بإسناده عن صالح عن
أن هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد
أذنبه يعدبه عليه إن شاء أو يرحمه إلا يحيى بن زكريا فإنه كان سيداً حصوراً
وقبياً من الصالحين ثم أوما النبي ﷺ إلى قذاة من الأرض فأخذها قال وكان ذكره
مثل هذه القذاة ، وقال المدنى ، الحصور الذى لا يدخل فى اللحم ولا الأباطيل

قالوا . فلما نادى زكريا بالبشارة قال رب أي ياسيدي ، قاله لجبريل هذا قوله
أكثر المفسرين وقاله الحسن بن الفضل إنما قال زكريا يا رب لا لجبريل أنى يكون
لى غلام من أين يكون لى ولد وقد بلغت الكبر وامراتى عاقراً تلك عقيم قال الكلبي
كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنين وتسعين سنة .

وروى الضحاك عن ابن عباس قال كان زكريا ابن عشرين ومائة سنة وكانت
مرأته بنت ثمان وتسعين سنة فأجيب (كذلك يفعل الله ما يشاء) فإن قيل لم أنكر
زكريا ذلك وسأل الآية بعد ما بشرته الملائكة أن كان ذلك شكاً فى وحيه أم إنكاراً
لقدرته وهذا لا يجوز أن يوصف به أهل الإيمان فكيف الأنبياء فالجواب عند ما قاله
عكرمة والسدى أن زكريا لما سمع تداء الملائكة جاءه الشيطان . فقال يا زكريا إن
الصوت الذى سمعت ليس من الله وإنما هو صوت الشيطان يستخربك ولو كان من
الله لأوحاه إليك خفية كما ناديت به خفية وكما وصى إليك فى سائر الامور فقال ذلك
دفعاً للوسوسة وفيه جواب آخر وهو أنه لم يشك فى الولد وإنما شك فى كيفية
والوجه الذى يكون منه الولد فقال أنى يكون لى ولد ، أى كيف يكون لى ودا
تجملنى وامراتى شا بينام نرزقه كذا لى كبرنا أم ترزقنى من امرأة غيرها من النساء
فقال ذلك مستخبراً لا منكراً وهذا قول الحسن (قال رب اجعل لى آية قال آيتك
أن لاتكلم الناس ثلاثة أيام) وتقبل بكائيك على عبادتى وطاعتى لو أنه حبس لسانه
عن الكلام ولسكنه نهى عنه بدل عليه قوله تعالى (واذا كررك كثيرًا وسبح بالعشى
والإبكار) هذا قول قوم من أهل العلم ، وقال آخرون عقل لسانه عن الكلام
عقوبة لسؤاله الآية بعد مناقشته الملائكة إياه ولم يقدر على الكلام ثلاثة أيام إلا
رمزاً أى إشارة وعلى هذا أكثر المفسرين . قال عطاء ، أراد به صوم ثلاثة أيام
لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا رمزاً ، فولد يحيى بن زكريا عليه السلام .

وفى بعض الاخبار أنه لما ولد يحيى رفع إلى السماء فتغذى بأنهار الجنة حتى فطم
ثم أنزل إلى أبيه وكان يضى البيت لنوره وحسن وجهه وجماله .

(باب في صفته وحليته عليه السلام)

قال كعب الأحبار ، كان يحيى بن زكريا نبياً حسن الوجه والصورة ابن الجناح قليل الشعر قصير الأصابع طويل الأنف مقرون الحاجبين وقيق الصوت كثير الشهادة قوياً في طاعة الله تعالى ، وقد ساد الناس في عبادة الله وطاعته .

(فصل في نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده)

قال الله تعالى (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً) قيل إن يحيى قال له أتراه من الصبيان يا يحيى اذهب بنا للعب ، فقال لهم ما للعب خلقت وقال آخرون إنه نبي صغيراً فكان يعظ الناس ويقف لهم في أعيادهم وجمعهم ويدعوهم إلى الله تعالى ثم ساح ودخل الشام يدعو الناس ولما بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل وأمره أن يأمرهم بخمس خصال وضرب لكل خصلة منها مثلاً أمرهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وقال مثل الشرك كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله ثم أسكنهم داراً له ودفع لهم مالا يتجرون فيه ويأكل كل واحد منهم ما يكفيه ثم يؤدون إليه فضل الربح فدفعوه إلى عدو سيدهم وأمرهم بالصلاة فقال إن مثل المصلي كمثل رجل استأذن على ملك فأذن له ودخل عليه فأقبل الملك عليه بوجهه ليسمع مقالته ويقضى حاجته فلما دخل عليه الرجل التفت يميناً وشمالاً ولم يتم حاجته فأعرض الملك عنه ولم يقض حاجته وأمرهم بالصدقة وقال مثلها كمثل رجل أسره العدو فاشترى منه نفسه بثمن معلوم فجعل يعمل في بلادهم ويؤدي إليهم من كسبه القليل والكثير حتى أوفى ثمنه فاعتق ، وأمرهم بذكره عز وجل وقال مثل الذكر مثل قوم لهم حصن ولهم عدو فإذا أقبل عليهم عدوهم دخلوا حصنهم فلم يقدر عليهم كذلك من ذكر الله تعالى لا يقدر عليه الشيطان وأمرهم بالصيام وقال مثله كمثل الجنة لا تدع عدوه يصل إليه ويستره .

وأما سيرته فروى عن رسول الله ﷺ أنه قال كان من زهد يحيى أنه أتى بيت المقدس فنظر إلى المجتهدين من الأحبار والرهبان وعليهم مدرع الشعر والصوف وبرالس الصوف وإذا هم قد حرقوا تراقيهم وسلكوا فيها السلاسل وشدوا بها

إلى سراي المسجد فلما نظر إلى ذلك أنى أمه فقال يا أماه انسجى لى مدرعة من
شعر وبرنسا من صوف حتى آتى إلى بيت المقدس وأعبد الله تعالى مع الأحبار
والرهبان ؛ فقالت له أمه حتى يأتى نبي الله زكريا عليه السلام فأوامره فى ذلك
فلما دخل زكريا أخبرته بما قال ، فقال له زكريا يابنى ما يدعوك إلى هذا وإمامه
أنت صبى صغير فقال له : رأيت من هو صفر منى ذاق الموت قال بنى فقال لأمه
انسجى له مدرعة من الشعر وبرنسا من الصوف ففعلت فتدرع بالمدرعة على بدنه
ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس وأقبل يعبد الله مع الأحبار والرهبان
حتى آكأت مدرعة الشعر لحسه فنظر ذات يوم إلى ما قد نحل من جسمه فبكى
فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أتبعك على ما قد نحل من جسمك وعزتى وجلالى
لو اطلمت على النار اطلاعة لتدرعت مدارع الحديد فضلا عن المسوح .

فبكى يحيى حتى أكل الدمع لحم خديه وبدت للناظرين أضراسه فباغ ذلك أمه
فدخلت عليه وأقبل زكريا واجتمع الأحبار والرهبان فقال زكريا لابنه يحيى
ما يدعوك لها يا بنى إنما سألت ربي أن يهبك لتقربك عيني ؛ فقالت أنت أمرتني
بذلك يا أبت ؛ قال ومتى ، قال ألسعه القائل إن بين الجنة والنار عقبة كسود
لا يقطعها إلا الباكون من خشية الله تعالى قال بلى قال فجهد واجتهد وقام فنفض مدرعته
فأخذته أمه فقالت أتأذن لى يا بنى ان أتخذلك قطعتين من لبد يواريان أضراسك
وينشفان دموعك فقال لها شأنك فاتخذت له قطعتى لبد يواريان أضراسه وينشفانه
دموعه فبكى حتى ابتلتا من دموع عينيه ثم أخذهما فحصرهما فتحدرت الدموع
من بين أصابعه فنظر زكريا إلى ابنه وإلى دموعه فرفع رأسه إلى السماء وقال اللهم
إن هذا لى بنى وهذه دموع عينيه وأنت أرحم الراحمين وكان زكريا إذا أراد أن
يعظ بنى إسرائيل التفت يمينا وشمالا فإذا رأى يحيى لم يذكر جنة ولا ناراً فجلس
يوماً يعظ بنى إسرائيل وأقبل يحيى وقد لف رأسه بعناية وجلس فى غمار القوم
فالتفت زكريا يمينا وشمالا فلم ير يحيى فأنشأ يقول حدثنى حبيبي جبريل عن الله
عز وجل أن فى جهنم جبلا يقال له السكران فى أصل ذلك الجبل واد يقال له الغضبان
خلق لغضب الرحمن تبارك وتعالى فى ذلك الوادى جب قامتة مائة عام فى ذلك الجب

توابدت وصناديق من نار و ثياب من نار وأغلال من نار فرفع يحيى رأسه وقال
واغفلتاه عن السكران وعن غضب الرحمن .

ثم خرج هائماً على وجهه فقام زكريا من مجلسه ودخل على أم يحيى فقال لها
قومي فاطمى يحيى فإني قد تخوفت أن لا أراه إلا وقد ذلق الموت فقامت وخرجت
في طلبه فمرت بفتيان من بنى إسرائيل فقالوا لها يا أم يحيى أين تريدين . قالت
أطلب وادى يحيى ذكرت النار بين يديه فهم على وجهه فمضت أم يحيى والفتيان
معها حتى مرت براعى غنم فقالت ياراعى هل رأيت شاباً من صفتة كذا وكذا
قال لملك تطالبن يحيى بن زكريا قالت نعم دلت وادى ذكرت النار بين يديه فهم
على وجهه فقال تركته الساعة على عقبه ناقماً قدسيه في الماء رافعا بصره إلى السماء
يقول وعزتك يا مولاي لا أذوق بارد الشراب حتى أنظر إلى منزلتي منك فاقبلت
لأمه فلما رأت دنت منه فاختدت برأسه فوضعت بين يديها وناشدته بالله أن ينطلق
معها إلى المنزل فانطلق معها إلى المنزل فقالت له هل لك أن تخلع مدرعتك الشعر
وتلبس مدرعتك الصوف فإنه ألين ففعل ثم إنها طبخت له عدسا فاكل واستوفى
فذهبت به النوم فلم يقم لصلاته فنودي في منامه يا يحيى أردت دار أخيراً من دارى
وجوراً أخيراً من جوارى فاستيقظ وقام وقال رب أقل عثرتى وعزتك لا أستظل
بظل سوى بيت المقدس . ثم قال لأمه ناويلينى مدرعة الشعر فقد علمت أنك
ستوردانى للمها لك . فتقدمت إليه أمه ودفعت إليه المدرعة وتعلقت به فقال لها
زكريا يا أم يحيى دعيه فإن وادى قد كشف له عن قناع غفلته . ان ينتفع بالعيش
فقام يحيى فلبس مدرعة ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس فجعل يعبد
الله مع الأحبار والرهبان حتى كان من أمره ما كان والله أعلم .

(باب فى مقتله عليه السلام)

اختلف العلماء فى سبب قتله فقال كان يحيى عليه السلام فى زمن ملك من ملوك
بنى إسرائيل وكان له امرأة وهى ابنة ملك صيدا وكانت قتالة الأنديا والصالحين
وكانت طاهرة تبرز للناس وكان يحيى يزجرها عن ذلك ويقول لها لا تبرزى كاشفة

وجهمك ، وكان كثيراً ما يقول لها مكتوب في التوراة إن الزناة يوقفون يوم القيامة
وريحهم أتت من الجيف فأمرت يحيى فسجن وكان قد حبس رجل من أبناء الملوك
وكان كثيراً ما يختلف إليها بالليل فعلم بها وبه يحيى فزجره فبلغ ذلك امرأة الملك
فحلت بنتاً لها واستقبلت بها زوجها فقال لها لم فعلت ذلك؟ فقالت وجب لها عليك
حق ، فقال سلى ماشئت . فقالت البنت استوهبت منك أهل الحبس اصنع بهم ماشئت
فظن أبوها أنها ترحمهم وتستروهم فقال أبوها قد فعلت فأمرت أمها بأهل السجن
فمرضوا عليها . فلما مر بها يحيى أمرت به فذبح وأخذت رأسه في طشت ثم حملت
الطشت إلى أبيها بأمر أمها وقالت أيها الملك إنى قد ذبحت لك ذبيحة من أعظم
ما وجدته ولو كان مثله ألف لذبحتهم لك قال وما هو؟ قالت يحيى بن زكريا فقال
هايك وأهلك أبويك ، فقير الله ما بهم من النعم وسلط عليهم عدوا فذبح
البنت وأبوها وسلط عليهم الكلاب حتى أكلتهم .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ، كان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا
في اثني عشر من الحوار بين يعلمون الناس ، قال وكان ما نهم عنه نكاح بنت الأخ
وكان للمسكهم بنت أخ تعجبه يريد أن يتزوجها وكان له في كل يوم حاجة عنده يقضيها
لها فلما بلغ أمها أنه ينهى عن نكاح بنت الأخ قالت لا بنتها إذا دخلت على الملك وسألك
عن حالتك فقولي حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا فلما دخلت عليه سألتها عن حاجتها
فقالت حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا فقال سلى غير هذا فقالت ما سألك إلا
هذا فلما أبت عليه دعا يحيى بن زكريا ودعا بطشت فبجعه فيه فنبذت من دمه قطرة
فلم تزل تغلى حتى بعث الله عز وجل مختصر عليهم . فجاءت عجوز من بني إسرائيل
فدلته على ذلك الدم فألقى الله في قلبه أن يقتل على ذلك الدم سبعين ألفاً منهم فقط
فيهم مختصر ليسكن فقتلهم فسكن .

وقال السندي بإسناده : كان ملك بني إسرائيل يكرم يحيى بن زكريا ويدينه
بجلسه ويستشيره في أمره ولا يقطع أمراً دونه وإنه هوى أن يتزوج ابنة امرأة له
فسأم عن ذلك يحيى فنماه وقال لست أرضاها لك ، فبلغ ذلك أمها فحقدت على

يحيى حين نجاه أن يتزوج لابنتها فهدمت إلى ابنتها حين جلس الملك على شرابه فألبستها
حياً بأرقا حراً وطيبتها وأرسلتها إلى الملك . وأمرتها أن تسقيه وأن تعرض له
فإذا راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما تسأله . فإذا أعطاهما ذلك سأله
أن يأتيها برأس يحيى بن زكريا في طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه وتعرض
له فلما أخذ منه الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما سألك
قال وما تسأليني ؟ قالت أن تبعث إلى براس يحيى بن زكريا في هذا الطشت قال
ويحك سليمان غير هذا . فلما أبت عليه بعث إليه فأتى برأسه والرأس يتكلم حتى
وضع بين يديه وهو يقول لا تحل لك ، فلما أصبح إذا دمه يغلي فأمر بتراب
فألقي عليه فارتفع الدم فوقه فلم يزل يغلي ويلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة
وهو مع ذلك يغلي وذكر الحديث الطويل الذي في قصة سنجاريب وبختنصر كما
قدمنا ذكره في أخبار بختنصر .

قال كعب الأحبار : كان يحيى من أجل الناس وجهاً وأحسنهم في زمانه حياً
شديداً فأرسلت إليه تراوده عن نفسه فأرسل إليها إنه لا علم له بالنساء والملك
أحق أن يطأ فراشه ، فلما انتهى إليها الرسول غضبت غضباً شديداً وقالت كيف
لي أن أقتله ولا يخبر الناس إنى قد راودته فلم تزل بالملك حتى وهب لها يحيى بن زكريا
فأرسلت إليه وهو قائم يصلي في بيت المقدس في محراب داود من يضرب عنقه
ويأخذ رأسه ، فلما أخذوا رأس يحيى خسف الله بها وبأهلها الأرض عقوبة لها
بقتلها يحيى عليه السلام .

(ذكر مقتل زكريا عليه السلام)

قال كعب الأحبار : فلما سمع زكريا أن لابنه يحيى قتل وخسف بالقوم
انطلق هارباً في الأرض حتى دخل بستاناً عند بيت المقدس فيه الأشجار فنادت
شجرة يافى الله إلى ههنا فلما اتاها انفتحت له الشجرة ودخل زكريا في وسطها
فانطلق إبليس لعنه الله حتى أخذ بطرف رداءه فأخرجه من الشجرة ليصدقه
إذا أخبرهم بوجوده ، فلذلك تصنع اليهود الخيوط في أطراف أرديتهم .

وقد أخذ الملك وأهله ياتمسون زكريا فاستقبلهم إبليس لعنة الله تعالى فقال لهم ما تاتمسون؟ قالوا نلتمس زكريا فقال إبليس إنه دخل في هذه الشجرة، قالوا لا تصدقك قال فإني إن أريتكم علامة تصدقوني بها؟ قالوا فأرنا إياها فأراه طرف رداؤه فأخذوا المناشير وضربوا الشجرة فذسروها فصنعين فسلط عليهم أخبت أهل الأرض عاجاً مجوسياً فانتقم الله من بنى إسرائيل بدم يحيى وزكريا فقتل عظامه بنى إسرائيل وسبى متهم مائة وسبعين ألفاً .

وقيل أن السبب في قتل زكريا أن إبليس جاء إلى مجالس بنى إسرائيل فقتلهم بمريم زكريا وقال ما أحببها أحد غير زكريا وهو الذي كان يدخل عليها فطلبوا زكريا فهرب واتبعه سفهاؤهم وأشرارهم فسلك وادياً كثير الأشجار فتشبه له الشيطان في صورة راع فقال يا زكريا قد أدركوك فادع الله أن يفتح لك هذه الشجرة ففعل ذلك فانفتحت له ودخل فيها وأخرج إبليس هدب رداؤه منها فمرت بنو إسرائيل بالشيطان فقالوا يا راعي هل رأيت رجلاً ههنا من صفته كذا وكذا قال نعم سحر هذه الشجرة فانفتحت له فدخل فيها وهذا هدب رداؤه فقطعوا الشجرة مع زكريا وقلعوها فلقين بالمدشار طولاً فبعث الله الملائكة ففسلوا زكريا وصلوا عليه ودفنوه، وفي الخبر أن الشمس بكث على يحيى أربعين صباحاً وكان بكأؤها إن طلعت وغربت حرام ويروى أن يحيى سيد شهداء يوم القيامة وقائدهم إلى الجنة والله أعلم .

(مجلس في مولد عيسى عليه السلام وفي حمل مريم بعيسى عليهما السلام وما يتصل به)
قال الله تعالى (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً)
قالت العلماء بأخبار الأنبياء ، لما مضى من حمل عيسى عليه السلام ثلاثة أيام .
ومريم يومئذ بنت خمسة عشر سنة وقيل بنت ثلاث عشرة سنة وكان مع مريم في المسجد من المحررين ابن عم لها يقال له يوسف البجار وكان رجلاً حليماً نجاراً يتصدق بعمل يديه وكان يوسف ومريم يليان خدمة الكنيسة وكانت مريم إذا نفذ ماؤها وماء يوسف أخذ كل واحد منهما قائمه وانطلق إلى المغارة التي فيها الماء

فبستقيان منهم ثم يرجعان إلى الكنيسة ، فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبريل عليه السلام وكان أطول يوم في السنة وأشد حراً نفذ ماؤها ، فقالت ألا تذهب بنا يا يوسف فذستقي فقال إن عندي لفضلا من ماء اكتفى به يومى هذا إلى غد قالت والكنى والله ما عندي ماء ، فأخذت قلنما ثم انطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت عندها جبريل عليه السلام وقد مثله بشر أسويا فقال لها يا مريم إن الله قد بعثنى إليك لأهب لك غلاما زكيا قالت (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) أى وؤمنا مطيعا وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه علمت ان التقى ذو رحمة وخشية وهى تحسبه رجلا من بنى آدم . قال عكرمة وكان جبريل عرض لها فى صورة رجل شاب أمر د مضى الوجه جمعد الشعر سوى الخلق قالت الحكماء إنما أرسله الله تعالى فى صورة البشر لتثبت مريم عليه وتقدر على استماع كلامه ، فلما استعادت منه مريم (قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا قالت أن يكون لى غلام ولم يستنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين) الآية فلما قال لها ذلك استسلمت لقضاء الله فنفتح فى جيب درعها وكانت قد وضعت عنها ، فلما انصرفت عنها البست مريم درعها فحملت به عيسى عليه السلام ثم ملأت قلنما وانصرفت إلى المسجد .

وقال السدى وعكرمة . أن مريم عليها السلام كانت تكون فى المسجد ما دامت طاهرة فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالنها حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد فبينما هى تغتسل من الحيض وقد اتخذت مكانا شرقيا أى مشرقا لأنه كان فى الشتاء فى أقصر يوم فى السنة .

قال الحسن إنما اتخذت النصارى المشرق قبلة لأن مريم انقبت مكانا شرقيا فاتخذت فضربت من دونهم حجبا أى سترا ، وقال مقاتل جعلت الجبل بينها وبين قومها فبينما هى كذلك فى تلك الحالة إذ عرض لها جبريل وبشرها بعيسى ونفخ فى جيب درعها ؛ قال وهب فلما اشتملت على عيسى كان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجار وكان منطلقين إلى المسجد الذى عند جبل صهيون وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم ، وكانت مريم ويوسف النجار يخدمان ذلك المسجد

وكان لخدمته فضل عظيم وكان يليان معالجته بأنفسهما وتجميره وتطهيره وكان لا يعام
في زمانهما أشد اجتهادا وعبادة منهما وكان أول من أنكر حملها ابن عمها وصاحبها
يوسف النجار ، فلما رأى الذي بها استعظمه واستفظمه ولم يدبر ما إذا يصنع من أمرها
وكما أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وبراءتها وإنها لم تغب عنه ساعة واحدة
وإذا أراد أن يبرئها رأى ما ظهر بها من الحمل فلما اشتد ذلك عليه كلمها فكان أول كلامه
إياها إن قال إنه وقع في نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على أن أكتمه فغلبني
ذلك ورأيت أن الكلام فيه أشقى لصدرى فقالت له قل قولا جميلا قال لها اخبريني
يا مريم هل نبت زرع بغير بذر؟ قالت نعم؛ قال فهل نبتت شجرة بغير غيث؟ قالت نعم
قال فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الزرع يوم
خلقه من غير بذر والبذر إنما يكون من الزرع الذي أنبته من غير بذر ألم تعلم أن
الله تعالى أنبت الشجرة من غير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجرة بعد ما خلق
الله كل واحد منهما على حدة أو تقول ان الله لا يقدر ان ينبت الشجر حتى استعان
بالماء ولولا ذلك لم يقدر على إنبائه قال يوسف لها هذا واسكني أقول ان الله تعالى
يقدر على ما يشاء يقول للشيء كن فيكون فقالت له مريم ألم تعلم ان الله خلق آدم
وامراته من غير ذكر ولا انشى قال بلى ، فلما قالت له ذلك وقع في نفسه ان الذي
بها شيء من امر الله وإنه لا يسهه ان يسألها عنه وذلك لما رأى كتابها لذلك ثم
قولى يوسف خذمه المسجد وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه لما رأى من ورقة جسمها
وأصفرار لونها وكلف وجهها وتو بطنها وضعف قوتها وكان جبل صهيون على
باب بيت المقدس

وسمعت من الثقات : ان قبر داود عليه السلام فيه وثم كنيسة مشرفة على عين
السلوان وسألت بعض الرهبان فقال هذا صهيون والكنيسة التي خدمت فيها مريم
ويوسف هذا وقد أفصح فيها عيسى ودعا الخلق إلى الله تعالى ثم نقل من هذه إلى
القيامة وهي كنيسة عظيمة داخل بيت المقدس ويدعون ان عيسى عليه السلام لما قتل
دفن فيها وبعد ثلاثة أيام عرج به إلى السماء فلا ينقطع أبد الدهر منها وإنه ينزل
فيها والله أعلم .

(باب في ذكر ميلاده عليه السلام)

قالوا فلما اثقلت مريم ودنا نفاسها أوحى الله تعالى اليها أن مسجد بيت المقدس بيت من بيوت الله تعالى الذي طهر ورفع ايندكر فيه اسمه فابرضى إلى موضع تأوين فيه فتحولت مريم إلى بيت خالتها أخت أم يحيى فلما دخلت عليها قامت أم يحيى واستقبلتها فالتزمتها ، فقالت امرأة زكريا يا مريم اشعرت إني حبلي ؟ قالت مريم وأنت أيضاً اشعرت إني حبلي ؟ قالت امرأة زكريا فإني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى (مصدقا بكلمة من الله) فلما وافت بيت خالتها أوحى الله اليها إن ولدت بين اعمر قومك عيروك وقذفوك وقتلوك وولدك فاطلعي من عندهم أي فاخرجي - وقال السكبي قيل لابن عمها يوسف إن مريم حملت من الزنا الآن يقتلها الملك وكانت قد سميت له فهرب بها يوسف فاحتملها على حمار له فانطلق بها يوسف حتى إذا كان قريبا من أرض مصر في منقطع بلاد قومها أدرك مريم النفاس فالجأها إلى أصل نخلة يابسة وذلك في زمان الشتاء.

قال السكبي لما كان يوسف ببعض الطريق أراد قتلها فاتاه جبريل عليه السلام فقال إنه من روح القدس فلا تقتلها - واختاف العلماء في مدة حمل مريم عليها السلام ووقت وضعها عيسى عليه السلام فقال بعضهم كان مقدار حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء وقيل ثمانية أشهر وكان ذلك آية أخرى لأنه لم يعش مولود لثمانية أشهر غير عيسى وقيل سنة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة - قال ابن عباس ; ما هو إلا ان حملت ووضعته ولم يكن بين الحمل والوضع والانتباز إلا ساعة واحدة لأن الله تعالى لم يذكر بينهما فضلا قال الله عز وجل (حملته فانبتت به مكانا قصيا) أي بعيدا من قومها وقال مقاتل حملته أمه في ساعة وصور في ساعة واحدة ووضع في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشرين سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى قالوا فلما اشتد بها الخاض التجأت إلى النخلة وكانت نخلة يابسة ليس لها سعف ولا كرايف ولا عروق فيحتوشتها الملائكة وكانوا صفوا فاحدقين بها أي محيطين بها وكانت تلك النخلة في موضع يقال له بيت لحم فقالت حين اشتد الأمر (ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا)

أى جيفة ملقاة فنوديت أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سرياً وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً - فذلك قوله تعالى (فناداها من تحتها أن لا تحزنى) من قرأ بكسر الميم والتاء فهو جبريل عليه السلام ناداها من سفح الجبل ومن قرأ بفتح الميم والتاء فهو عيسى عليه السلام لما خرج من بطن أمه ناداها وكلمها بإذن الله تعالى قالوا فلما ولدت عيسى أجرى الله لها نهراً من ماء عذب بارد إذا شربت منه وفارا إذا استعملته فذلك قوله تعالى (قد جعل ربك تحتك سرياً) وهو النهر الصغير قال ابن عباس ضرب عيسى وقيل جبريل عليه السلام برجله الأرض فظهر الماء وحييت تلك النخلة بعد يسبها فتدلّت غصونها وأورقت وأثمرت وأطبت وقيل لها هزى إليك بجذع النخلة أى حركيه تساقط عليك رطباً جنياً غضا طرياً) قال الربيع بن خيثم ما للنفساء عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقال عمرو بن ميمون ما أدري للمرأة إذا عسرت عليها ولادتها خيراً من الرطب وقرأ هذه الآية - قالت عائشة رضيت الله عنها كان رسول الله ﷺ يعضخ التمر ويحكك به أولاد الصحابة حين يولدون - وقال بعض البلغاء فى وصف التمر علة الصغير ونهله الكبير قالوا ثم إن يوسف النجار عمداً إلى حطب فجعله كالحظيرة حوالىها بالقرب منها إذ قد أضر بها الرد ثم أشعل لها نارا لتصطلى بها ثم كسر لها سبع جوزات كانت فى خرجه فأطعمها إياها فن أجل ذلك توعد النصارى النار ليلة الميلاد وتلعب بالجوز. قال وهب : فلما ولد عليه السلام أصبحت الأصنام كلها بكل أرض منكوسة على رؤسها ففرغت الشياطين ولم يدروا لم ذلك فساروا مسرعين حتى جاءوا إلى إبليس لعنه الله وغضب عليه وهو على عرش له فى لجة خضراء يتمثل بالعرش يوم كان على الماء فأتوه وقد نخلت سميت ساعات من النهار فلما رأى إبليس اجتماعهم فرح من ذلك ولم يرهم جميعاً منذ فرقهم قبل تلك الساعة وإنما كان يراهم أشتاتاً فسالهم فأخبروه أنه حدث فى الأرض حدث فأصبحت كالأصنام كلها منكوسة على رؤسها ولم يكن شيء أهون على هلاك بنى آدم منها لأنهم كانوا يدخلون فى أجوافهم فتكلمهم وتدبر أمرهم فيظنون أنها هى التى تكلمهم - فلما أصابها هذا الحدث صغرها فى أعين الناس وأذلها وقد خشينا أن لا يعبدوها بعد هذا: واعلم أنا لم نأتك حتى أحصينا

الأرض وقلبنا البحار وكل شيء فلم تزدد بما أردنا إلا جهلا فقال لهم إبليس فما
يكون إلا أمر عظيم فمكونوا مكانكم فطار إبليس عند ذلك ولبث عندهم ثلاث
ساعات فرأى فيمن بالمكان الذي ولد فيه عيسى فلما رأى الملائكة محدقين بذلك المكان
علم أن ذلك الحدث فيه فأراد إبليس لعنه الله أن يأتيه من فوقه ، قال فإذا رءوس
الملائكة ومناكبهم إلى السماء ثم أراد أن يأتيه من تحت الأرض فإذا أقوام
الملائكة راسية فأراد أن يدخل من بينهم فنهوه من ذلك يدل عليه حديث النبي
ﷺ و كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبه بأصبعه حين يولد إلا عيسى بن مريم
عليه السلام حجبته الله تعالى عنه فذهب يطعن فطعن في الحجاب .

قال وهب فذهب إبليس لعنه الله إلى أصحابه فقال لهم : ما جئتمكم حتى أحصيت
الأرض كلها مشرقها ومغربها وبرها وبحرها والخافقين والجو الأعلى وكل هذا بلغته
في ثلاث ساعات ثم أخبرهم بمولد عيسى وقال ما اشتمت قبله رحم أنشى على واد
إلا بعلى ولا وضعتة إلا وأنا حاضرها ، وإني لأرجو أن يضل به أكثر ممن
يهتدى به ، وما كان نبي الله أشد على وعليكم من هذا المولود ؛ ثم أنه خرج قوم
في تلك الليلة يؤمنونه من أجل نجم طلع كانوا من قبل يتحدثون أنه مطلع ذلك
النجم من علامات مولود في كتاب دانيال فخرجوا يريدونه ومعهم الذهب والمر
واللبان فرأوا بملك من ملوك الشام فسألهم أين تريدون ؟ فأخبروه بذلك ، قال
فما بالمر والذهب واللبان أهديتموه بهذه الأشياء ؟ قالوا تلك أمثاله لأن الذهب
سيد المناع كله ؛ وكذلك هذا النبي ﷺ سيد أهل زمانه ولأن المر يجبر به الكسر
والجرح وكذلك هذا النبي ﷺ يشفي به كل سقيم ومريض ولأن اللبان دخانه
يدخل السماء ولا يدخلها دخان غيره ؛ وكذلك هذا النبي ﷺ يرفعه الله إلى السماء
ولا يرفع في زمانه أحد غيره فلما قالوا ذلك أخذ الملك يحدث نفسه بقتله فقال لهم
اذهبوا فإذا علمتم مكانه أعلموني بذلك فإني راغب في مثل ما رغبتم فيه من أمره
فانطلقوا حتى قدموا على مريم ودفنوا ما كان معهم من الهدية إليها عليها السلام
وَأَرَادُوا أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى ذَلِكَ الْمَلِكِ لِيُعْلَمُوهُ بِمَكَانِهِ فَاتَّقِيَهُمْ مَلِكٌ وَقَالَ لَهُمْ
(م ٢٨ - قصص الانبياء)

لا ترجعوا إليه ولا تعلموه بمكانه فإنه إنساناً أراد قتله فانصرفوا في طريق آخر .
وقال مجاهد قالت مريم عليها السلام كنت إذا خلوت مع عيسى عليه السلام
حدثني وحدثته فإذا شغلني عنه إنسان سبح في بطني وأنا أسمع والله أعلم .
(باب في رجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها إياه)

(إلى جماعة قومها من بيت لحم)

قال ثم أن جماعة من قومها لما هيا الله تعالى لامة مريم عليها السلام أمرها
ويسر الله لها أسباب ولادتها ، قال كلى يا مريم من الرطب واشربي من الماء العذب
وقرى عيناً وطبى نفساً فيما ترين من البشر أحداً فألكت عن ولدك أو لامك
عليه فقولي (إن نذرت للرحمن صوماً) أى صمتاً ؛ وكذلك هو في قراءة ابن
مسعود وأنس وذلك أنهم كانوا إذا صاموا أمسكوا عن الطعام والشراب
والكلام فلن أكل اليوم لأنسى فأنت به قومها تحمله ، قال الكلبي احتمل يوسف
النجار مريم وعيسى إلى غار فأدخلهما فيه أربعين يوماً حتى تعالت من نفاسها
ثم جاء بها فأنت مريم تحمله بعد أربعين يوماً فكلمها عيسى في الطريق فقال
يا أماه أبشري فإني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا
وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين فقالوا (يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً) فظيماً
عظيماً (يا أخت هرون) قال قتادة كان هرون رجلاً صالحاً من أغنياء بنى إسرائيل
وليس بهرون أخى موسى وذكر أنه أتبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً من
بنى إسرائيل كلهم يسمون هرون وقال وهب : كان هرون من أفسق بنى إسرائيل
وأظهم فساداً فشبها بها (ما كان أبوك) عمران (امرأ سوء وما كانت أمك
بغياً) أى زانية فن ابن لك هذا الولد ؟ فأشارت لهم مرتين إلى عيسى أن كلموه
فغضبوا وقالوا كيف نكلم من كان في المهدي صبياً ؟ قال وهب : فاتاها زكريا عليه
السلام عند مناظرتها اليهود وقال لعيسى انطق بحجتك إن كنت أمرت بها ؛ فقال
عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوماً (إني عبد الله آتاني الكتاب) الآية
فأقر على نفسه بالعبودية أول ما تكلم تكذيباً للنصارى وإلزاماً للحجة عليهم قال عمرو
ابن ميمونة إن مريم لما أتت قومها بعيسى أخذوا الحجارة وأرادوا أن يرجوها فلما
تكلم عيسى تركوها قالوا لم تتكلم بشيء بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان والله أعلم

(باب في ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام إلى مصر)

قال الله تعالى (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) قالوا كان مولد عيسى بعد مضي ثلاثين وأربعين سنة من مولد أغسطس وإحدى وخمسون سنة مضت من الأشكانيين ملوك الطوائف وكانت المملكة في ذلك الوقت لملوك الطوائف وكانت الرياسة في الشام ونواحيها لقيصر ملك الروم وكان الملك عليها من قبل قيصر هردوس ، فلما عرف هردوس ملك بني إسرائيل خبر المسيح قصد قتله وذلك أنهم نظروا إلى نجم قد طلع فعرفوا ذلك بحساب عندهم في كتاب لهم فبعث الله ملكاً إلى يوسف النجار وأخبره بما أراد هردوس وأمره أن يهرب بالانلام وأمه إلى مصر ، وأوحى الله إلى مريم أن الحقى بمصر فإن هردوس إذا ظفر بابنك قتله فإذا مات هردوس فارجمي إلى بلادك فاحتمل يوسف مريم وإبنتها على حمار له حتى ورد أرض مصر وهي الربوة التي قال الله تعالى (وآويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين) .

وذكر أبو إسحق الثعلبي في التفسير (ذات قرار ومعين) قال عبد الله بن سلام هي دمشق ، وقال أبو هريرة هي الرملة ، وقال قتادة وكعب هي بيت المقدس ، وقال كعب هي أقرب الأرض إلى السماء ، وقال أبو زيد هي مصر ، وقال الضحاك هي عرصة دمشق ، وقال أبو العالية هي إيلياء ، وقال القزاز الأرض المستوية ، والمعين الماء الطاهر فأقامت مريم بمصر اثنتي عشرة سنة تغزل الكتان وتلتقط السنبل في أثر الحصادين ، وكانت تلتقط السنبل والمهد في منكبها والوعاء الذي فيه السنبل في أثر منكبها الآخر حتى تم لعيسى اثنتا عشرة سنة .

وروى عن محمد بن الباقر رضي الله عنه أنه قال : لما ولد عيسى كان ابن يوم كانه ابن شهر فلما كان ابن تسعة أشهر أخذت والدته بيده وجاء إلى الكتاب وأفدته بين يدي المؤدب فقال له المؤدب : قل بسم الله الرحمن الرحيم فقالت عيسى فقال المؤدب قل أجد فرجع عيسى عليه السلام رأسه فقال له هل تدري ما أجد فعلاه بالقضيب ليضربه فقال له يا مؤدب لم تضربني إن كنت لا تدري فاسألني حتى أفسر

لك فقال له المؤدب فسر لي ، فقال الالف لا إله إلا الله والباء بهجته الله والجيم
جلال الله والدال دين الله ، هوز : الهاء هي جهنم وهي الهاوية والواو ويل لأهل
النار ، والزاي زفير أهل جهنم ، حطى : حطت الخطايا عن المستغفرين ، كلن :
كلام الله غير مخلوق ولا مبدل لكلماته ، سعنص : صاع بصاع والجزاء بالجزاء ،
قرشت : أقرشهم حين تحشرهم أي تجمعهم : فقال المؤدب لأمه : أيتها المرأة خذي
إبنك فقد علم ولا حاجة به إلى المؤدب .

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين المفسر بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال :
قال رسول الله ﷺ « إن عيسى أرسلته أمه ليتعلم فقال له المعلم قل بسم الله فقال
عيسى وما باسم الله ، قال المعلم ما أدري ؟ قال عيسى الباء بهاء والسين سناء الله
والميم مملكته جل وعلاء والله أعلم .

(باب في صفة عيسى وحليته عليه السلام)

قال كعب الأحبار : كان عيسى بن مريم رجلاً أحمر مائلاً إلى البياض ما هو
سبط الرأس ولم يدهن رأسه قط ، وكان عيسى يمشى حافياً ولم يتخذ بيتاً ولا حليته
ولا متاعاً ولا ثياباً ولا رزقاً إلا قوت يومه ، وكان حينما غابت الشمس صف
قدميه وصلى حتى يصبح وكان يبرئ الأكمة والابرس ويحي الموتى بإذن الله
ويخبر قومه بما يآكون في بيوتهم ، وما يدخرون لغد ، وكان يمشى على وجه الماء
في البحر ، وكان أشعث الرأس صغير الوجه زاهداً في الدنيا راغباً فيها حريصاً
على عبادة الله ، وكان سياحاً في الأرض حتى طلبته اليهود ، وأرادوا قتله فرفعه
الله إلى السماء والله أعلم

(باب في ذكر الآيات والمعجزات التي ظهرت لعيسى عليه السلام)

(في صباه إلى أن نبى)

قال وهب : كان أول آية رآها الناس من عيسى أن أمه كانت نازلة في دار دهقان من أرض مصر أنزلها يوسف النجار حين ذهب بها إلى مصر وكانت دار ذلك الدهقان تسمى لإيها المساكين فسرق للدهقان مال من خزائمه فلم يتهم المساكين فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان ، فلما رأى عيسى حزن أمه لمصيبة صاحب ضيافتها قال لها يا أماه أتخفين أن أدله على ماله ؟ قالت نعم يا بني قال لها قولي له يجمع لي المساكين في داره فقالت مريم للدهقان ذلك فجمع له المساكين فلما اجتمعوا عمد إلى رجلين منهم أحدهما أعمى والآخر مقعد فحمل المقعد على عاتق الأعمى وقال له قم به فقال الأعمى أنا أضعف عن ذلك ، فقال له عيسى كيف قويت على ذلك البارحة ؟ فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الأعمى حتى قام فلما استقل قائماً هوى المقعد إلى ركوة الخزانة فقال عيسى للدهقان هكذا احتال على مالك البارحة لأن الأعمى استعان بقوته والمقعد بعينيه فقال الأعمى صدق والله فردا على الدهقان ماله كله فأخذ الدهقان ووضع في خزائمه وقال يا مريم خذي نصفه فقالت إنى لم أخلق لذلك ، قال الدهقان فأعطيه لإبنك ، قالت هو أعظم مني شأناً ثم لم يلبث الدهقان أن أعرس لابن له فصنع له عيداً فجمع عليه أهل مصر كلهم فكان يطعمهم شهرين فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام ولم يعلم الدهقان حتى نزلوا به وليس عنده يومئذ شراب فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتاً من بيوت الدهقان فيه صقان من جران فوضع عيسى يده على أفواهها وهو يمشى فكلمها ووضع يده على جرة امتلات شراباً حتى أتى عيسى على آخرها وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة .

آية أخرى : قال السدي كان عيسى عليه السلام إذا كان في السكتاب يحدث الصبيان بما صنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا ورفموا لك كذا وكذا وهم يا كاون كذا وكذا فينطلق الصبي إلى أهله يبكي لهم حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون له من أخبرك بهذا ؟ فيقول عيسى فخبسوا عن صبيانهم وقالوا لا تلمعوا مع هذا الساحر ، فجمعهم وهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا له ليسوا هنا فقال لهم فماني

هذا البيت ؟ قالوا خنازير قال كذلك يكون ففتح عنهم فإذا هم خنازير ففشا ذلك في
الناس فممت بنو إسرائيل فلما خافت عليه أمه حملته على حمار لها وخرجت هاربة إلى مصر
آية أخرى ، قال السدي : لما خرج عيسى وأمه عليهما السلام يسبحان في الأرض
إذ تركا بنو إسرائيل ونزلا في قرية على رجل فأضافهما وأحسن ليهما وكان ملك
بذلك الوقت جباراً عنيداً فجاء ذلك الرجل يوماً مهتماً حزيناً فدخل منزله ومريم
عند امرأته فقالت لها مريم ما شأن زوجك أراه حزيناً ؟ فقالت لها لا تسأليني ،
فقالت أخبريني لعل الله يفرج كربته على يدي ؟ فقالت : أن لنا ملكاً يجعل على كل
منا نوبة يطعمه ويسقيه الخمر هو وجنوده فإن لم يفعل طاقبه واليوم يومنا وليس
عندنا سعة قالت فقولي له لا يتم بشيء فإنه قد أحسن إلينا وإني آمرة بنى أن يدعو له
فبيكني ذلك ثم قالت مريم لعيسى فقال إن فعلت ذلك يقع شر قالت فلا تبالي لأنه
أحسن إلينا وأكرمنا ، قال عيسى فقولي له إذا اقترب ذلك فاملا قدورك وخوابيك
ماء ثم أعلني ففعل ذلك ، فدعا عيسى فتحول ماء القدور لحماً ومرقاً ، وماء الخواني
خمرأ لم ير الناس مثله قط ، فلما جاء الملك أكل فلما شرب سأل من أين هذا الخمر ؟
قال له من أرض كذا وكذا قال الملك فإن خمرى قد أتى بها من تلك الأرض وليست
مثل هذه فقال له من أرض أخرى فلما خلط على الملك وشبهه عليه قال أخبروني عن
الحق ، قال فأنا أخبرك ؟ عندي غلام ما سأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه وإنه دعا الله
تعالى فجعل الماء خمرأ ، وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام ،
وكان أحب الخلق إليه ، فقال الملك رجلاً دعا الله حق جعل الماء خمرأ ليستجاب
له حق يحيى لى فدعا عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى لا تفعل لأنه إن دعا وقع
شر فقال الملك لا أبالي بعد أن أراه فقال له عيسى إن أحييته تتركوني أنا وأمي
نذهب حيث نشاء ؟ قال نعم فدعا الله تعالى فعاش الغلام فلما رآه أهل ملكته قد عاش
تبادروا بالسلاح وقالوا أكلنا هذا حتى إذا دنا موته يريد أن يستخلف ابنه علينا
فأكلنا كما أكلنا أبوه فاقتلوا وذهب أبوه فاقتلوا ، وذهب عيسى وأمه .

آية أخرى ، قال وهب : بينما عيسى يلعب مع الصبيان إذ وثب غلام وصبي
فوكزه برجله فقتله فألقاه بين يدي عيسى وهو ملطخ بالدم فأطلع الناس عليه فاتهموه

به وأخذوه وانطلقوا به إلى قاضي مصر فقالوا له هذا قتل هذا فسأله القاضي فقال
عيسى لا أدري من قتله وما أنا بصاحبه فأرادوا أن يبطشوا بعيسى عليه السلام
فقال لهم ائتوني بالغلام فقالوا له ماذا تريد منه؟ قال أريد أن أسأله من قتله قالوا له
وكيف يكلمك وهو ميت؟ فأخذوه وأتوا به إلى مقتل الغلام فأقبل عيسى على الدعاء
فأحياه الله تعالى فقال عيسى من قتلك؟ قال قتلتني فلان على الذي قتله فقال بنو إسرائيل
من هذا؟ قال عيسى بن مريم، قالوا فمن هذا الذي معه قالوا قاضي بني إسرائيل
ثم مات للغلام من ساعته فرجع عيسى إلى أمه وتبعه خلق كثير من الناس فقالت
له أمه يا بني ألم أنك عن هذا فقال لها إن الله حافظنا وهو أرحم الراحمين.

آية أخرى، قال عطاء: سلبت مريم عيسى بعد ما أخرجته من الكتاب إلى
أعمال شق فكان آخر ما دفعته إلى الصباغين فدفعته إلى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع
عنده ثياب مختلفات فعرض للرجل سفر فقال لعيسى إنك قد تعلمت هذه الحرفة
وأنا خارج في سفر لا أرجع إلى عشرة أيام، وهذه ثياب مختلفات الألوان وقد
علمت كل واحدة منها على اللون الذي يصبغ به فأحب أن تكون فارغاً منها وقت
قدومي ثم خرج فطبخ عيسى عليه السلام جباً واحداً على لون واحد وأدخل فيه
جميع الثياب وقال لها كوني بإذن الله تعالى على ما أريد منك فقدم الصباغ وجدها
كلها في جب واحد فقال يا عيسى ما فعلت؟ قال فرغت منها قال أين هي؟ قال في
الجب فقال نعم قال كيف تكون كلها في جب واحد؟ لقد أفسدت تلك الثياب،
قال قم فانظر فقام فأخرج عيسى ثوباً أصفر وثوباً أخضر وثوباً أحمر إلى أن
أخرجها على الألوان التي أرادها فجعل الصباغ يتعجب وعلم أن ذلك من الله عز
وجل فقال الصباغ انظروا إلى ما فعل عيسى عليه السلام فآمن به هو وأصحابه
وهم الحواريون والله عز وجل أعلم.

(باب في ذكرى رجوع مريم وعيسى عليهما السلام)

(إلى بلادهما بعد موت هر دوس)

قال وهب : لما مات هر دوس الملك بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام أوحى الله تعالى إلى مريم يخبرها بموت هر دوس ويأمرها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار إلى الشام فرجع عيسى وأمه عليهما السلام وسكن في جبل الخليل في قرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى ، وكان عيسى يتعلم في الساعة علم يوم وفي اليوم علم شهر وفي الشهر علم سنة فلما تم له ثلاثون سنة أوحى الله تعالى إليه أن يبرز للناس ويدعوهم إلى الله ويضرب لهم الأمثال ويداوى المرضى والزمنى والعريان والجنان ويقمع الشياطين ويذهرهم ويذهبهم وكانوا يموتون من خوفه ففعل ما أمره به فأحبه الناس ومالوا إليه واستأنسوا به وكثرت أتباعه وعلا ذكره وربما اجتمع عليه من المرضى والزمنى في الساعة الواحدة خمسون ألفاً فمن أطاق منهم أن يمشى إليه مشى إليه ومن لم يطق وصل إليه عيسى عليه السلام وإنما كان يداويهم بالدعاء بشرط الإيمان ، ودعاؤه الذي كان يشفي به المرضى ويحيي به الموتى (اللهم أنت إله من في السماء وإله من في الأرض لا إله فيهما غيرك وأنت جبار من في السموات وجبار من في الأرض لا جبار فيهما غيرك وأنت ملك من في السموات وملك من في الأرض لا ملك فيهما غيرك وأنت حكيم من في السموات وحكيم من في الأرض لا حكيم فيهما غيرك قدرتك في الأرض كقدرتك في السماء وساطاتك في الأرض كساطاتك في السماء أسألك بأسمائك الكرام إنك على كل شيء قدير)

(باب في قصة الحواريون عليهم السلام)

قال الله تعالى (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمننا بالله وأشهد أنا مسلمون) وقال الله عز وجل (وإذا أوحيت إلى الحواريين) أي ألهمتهم ووفقتهم (أن آمنوا بي ورسولي قالوا آمننا وأشهد بأننا مسلمون) أعلم بأن الحواريين كانوا أصفياء عيسى بن مريم وأولياؤه وأرضياؤه وأنصاره ووزرائه وكانوا اثني عشر رجلاً وأسماءهم : شمعون الصمار المسمى بطرس وأندراوس أخوه ويعقوب بن زبدي ويحيى أخوه

وفيلبس وبزتولوماس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلفا وليسا الذي يدهى
تداوس وشيمون القناني ويهوذا الاسخريوطى عليهم السلام .

واختلف العلماء فيهم لما سموا بذلك ، قال ابن عباس ، كانوا صيادين يصطادون
السماك فربهم عيسى فقال لهم ما تصنعون ؟ فقالوا نصطاد السمك قال لهم الا تمشون
معى حتى نصطاد الناس قالوا وكيف ذلك ، قالوا تدعو إلى الله قالوا ومن أنت ؟
قال أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله قالوا فهل يكون أحد من الانبياء قوفاك ؟
قال نعم النبي العربي ، فأتبعه أولئك وآمنوا به وانطلقوا معه .

وقال السدى : كانوا ملاحين ، وقال ابن أرطاة كانوا قصارين وسموا بذلك
لانهم كانوا يحورون الثياب أى يبيضونها .

أخبرنا ابن فتحويه بإسناده عن مصعب قال الحواريون اثنا عشر رجلا اتبعوا
عيسى فكانوا إذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده الأرض سهلا كان
أو جبلا فيخرج لكل إنسان رغيفا فيا كلهما ، وإذا عطشوا قالوا يا روح الله
عطشنا فيضرب الأرض سهلا كان أو جبلا فيخرج الماء فيشربون ، فقالوا يا روح
الله من أفضل منا إذا شئنا أطعمتنا وإذا شئنا أسقمتنا وآمنا بك واتبعناك ؟

قال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه .

قالوا فصاروا يعملون الثياب بالسكرام ، قال ابن عون صنع ملك من الملوك
طعاما فدعا الناس إليه ، وكان عيسى على قصعة فكانت القصعة لا تنقص فقال له
الملك من أنت ؟ فقال أنا عيسى بن مريم ، قال الملك إني أترك ملكى واتبعك
فانطلق بمن اتبعه منهم وهم الحواريون ، وقيل هو الصباغ وأصحابه انتهت القصة
قال الضحاك : سموا حواريين لصفاء قلوبهم ، وقال عبد الله المبارك : سموا
حواريين لانهم كانوا نورانيين عليهم أثر العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها ،
وأصل الحور عند العرب شدة البياض ، ومنه الأحور والحور ، وقال الحسن :
الحواريون الأنصار ، وقال قتادة ، هم الذين تصالح لهم الخلافة ، وقال النضر بن
شميل : الحواري خاصة الرجل ومن يستعين به فيما يتو به .

ومنه قول النبي ﷺ: لكل نبي حوارى وحوارى الزبير، فهؤلاء حوارى
عيسى بن مريم عليه السلام، فأما حوارى هذه الأمة، فأخبرنا الحسين بن محمد
الدينورى بإسناده عن سفیان بن مهران أن قتادة قال: أن الحواريون كلهم من
قريش، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحزرة وجعفر وأبو عبيدة بن الجراح
وعثمان بن مطعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد
الله والزبير بن العوام رضى الله عنهم أجمعين.

(ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمميزات التي ظهرت على يديه)

(وبعد مبعثه إلى أن رفع صلوات الله وسلامه عليه)

منها: تأييد الله إياه بروح القدس، قال عز من قائل (وأيدناه بروح القدس)
ونظيرها سورة المائدة (إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى
والدتك إذ أيدتك بروح القدس) .

واختلفوا فيه فقال الربيع بن أنس هو الروح الذى نسخ فيه الروح أضافه سبحانه
إلى نفسه تكريماً وتخصيصاً نحو بيت الله وناقة الله والقدس هو الله تعالى يدل عليه
قوله تعالى روح منه، فنفسنا فيه من روحنا، قال آخرون، أراد بالقدس
الطهارة أى الروح الطاهرة، وسمى عيسى عليه السلام روحاً لأنه لم تتضمنه
أصلاب الفحول ولم لا تشمل عليه أرحام الطوامث إنما كان أمراً من الله تعالى .

قال السدى وكعب روح القدس جبريل وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام هو
أنه كان قرينه ورفيقه يعينه ويسير معه حيثما سار إلى أن صعد به إلى السماء وقال
سميد بن جبير وعقيد بن عمر هو اسم الله الأعظم وبه كان يحيى الموتى ويرى الناس
تلك العجائب، ومنها تعليم الله إياه الإنجيل والتوراة، وكان يقرأهما من حفظه
كما قال الله تعالى (وإذا علمت الكتاب) أى الخط، قيل الخط عشرة أجزاء
مقسمة منها لعيسى والحكمة والتوراة والإنجيل .

ومنها خلقه الطير من الطين كما قال الله تعالى مخبراً عنه (إنا جئكم بأية من ربكم
أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله) وقال تعالى
﴿ وإذا تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى ﴾ فكان يصور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ

فيه فيكون طيراً ياذن الله ولم يخلق غير الخفاش وإنما خص بالخفاش لأنه أكل الطير خلقاً فيكون أبلغ في القدرة لأن له ثدياً وأسناناً ويبيض ويطيير .

قال وهب ؛ كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عنهم سقط ميتاً ليتميز فعل الخلق عن فعل الله تعالى وليعلم أن السكال لله عز وجل .

ومنها إبراء الأكمة والأبرص قال الله (وتبرئ الأكمة والأبرص يا ذئب) والأبرص الذي به وضح والأكمة الذي ولد أعمى ولم ير ضوءاً قط ولم يكن في الإسلام أكمة غير قتادة وإنما خص هذين لأنهما أعياياً الأطباء وكان الغالب على زمان عيسى الطب فأراهم المعجزة من جنس ذلك .

ويروى أن عيسى عليه السلام مر بدبر فيه عميان فقال ما هؤلاء ؟ فقيل هؤلاء قوم طلبوا للقضاء فطمسوا أعينهم بأيديهم فقال مادعاكم إلى هذا ؟ قالوا خفنا طاعة القضاء فصنعنا بأنفسنا ما ترى فقال أنتم العلماء والحكماء والأخبار والأفاضل امسحوا أعينكم بأيديكم وقولوا باسم الله ففعلوا ذلك فإذا هم جميعاً قيام ينظرون .

ومنها إحياء الموتى ياذن الله تعالى . وإذا تخرج الموتى يا ذئب ، وأحيا منهم أمواتاً منهم العاذر وكان صديقاً له فأرسلت أخته إلى عيسى أن أخاك العاذر يموت فإنه وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقالوا لأخته اطلقي بنا إلى قبره فانطلقت معهم إلى قبره وهو في صخرة مطبقة فقال عيسى ؛ اللهم رب السموات السبع والأرضين السبع إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك وأخبرتهم أني أحي الموتى يا ذئب فأحي العاذر فقام العاذر وخرج من قبره وبقي وولد له .

ومنها ابن العجوز ، وكانت القصة فيه أن عيسى مر في سياحته ومعه الحواريون بمدينة فقال أن في هذه المدينة كمنزق من يذهب يستخرج لنا فقالوا يا روح الله لا يدخل هذه القرية أحد غريب إلا قتله فقال لهم عيسى مكانكم فمضى حتى دخل المدينة فرقف على باب فقال السلام عليكم يا أهل الدار غريب أطمعوه فقالت له امرأة عجوز ؛ أما ترضى أن أدعك لأذهب بك إلى الوالي حتى تقول أطمعوني فبينما عيسى بالباب إذ أقبل الفقى ابن العجوز فقال له عيسى أضفني ليلتك هذه فقال له الفقى مثل مقالته

العجوز فقال له عيسى أما إنك لو فعلت ذلك زوجتك بنت الملك فقال له الفتى ؛
إما أن تكون مجنوناً وإما أن تكون عيسى بن مريم ؟ فقال أنا عيسى فأضافه وبات
عنده فلما أصبح قال له أعد وادخل على الملك وقل له جئت وأخطب إن كنت فإنه
سيأمر بضربك وإخراجك فضى الفتى حتى دخل على الملك فقال له جئت إليك لأخطب
ابنتك فأمر بضربه وأخرج فرجع الفتى إلى عيسى فأخبره بالخبر فقال إن كان غداً
تذهب إليه وأخطب ابنته فإنه ينالك بدون ذلك ففعل الفتى ما أمره عيسى فضربه
دون ذلك الضرب الأول فرجع إلى عيسى فأخبره فقال ارجع إليه فإنه سوف يقول
لك أنا أزوجك إياها على حكى وحكى قصر من ذهب وفضة وما فيه من ذهب
وفضة وزبرجد فقال له افعل ذلك فإذا بعث معك أحد فأخرج به فإنك سوف تجده
فلا تحدث فيه شيئاً ثم إنه دخل على الملك فخطب فقال تصدقها بحكى فقال وما حكك؟
حكى بالذى سماه عيسى فقال نعم رضيت أبعث من يقبض ذلك فبعث معه رجلاً فسلم
إليهم ما سأله الملك فتعجب الفتى من ذلك وقال يا روح الله تقدر على مثل هذا وأنت
على مثل هذه الحالة فقال له عيسى إنى آثرت ما يبقى على ما يقضى فقال الفتى أنا أيضاً
أدعه وأصحبك فتخلى عن الدنيا واتبع عيسى فأخذ عيسى بيده وأتى به إلى أصحابه
وقال لهم هذا الكنز الذى قلت لكم فيمكن معه ابن العجوز إلى أن مات ومر به وهو
صيت على سرير فدعا الله عيسى فجلس على سريرته ونزل من أعلى أعناق الرجال
ولبس الثياب وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله فبقي وولد له .
ومنها ابنة العشار رجل كان يأخذ العشر ؛ قال له أتحييها وقد ماتت بالأمس
فدعا الله عز وجل فماتت وبقيت وولد لها .

ومنها سام بن نوح قال له الحواريون وهو يصف لهم سفينة نوح ؛ لو بعثت
لنا من شهد السفينة فينت لنا ذلك فقام وأتى تلاً فضرب بيده وأخذ قبة من تراب
وقال هذا قبر سام بن نوح إن شئتم أحييته لكم قالوا نعم فدعا الله باسمه الأعظم
وضرب التل بعصاه وقال احيى بإذن الله فخرج سام بن نوح من قبره وقد شاب
نصف رأسه فقال أو قد قامت القيامة ؛ قال لا وليكنى دعوتك باسم الله الأعظم
فقال ولم يكونوا يشيرون في ذلك الزمان ، وكان سام قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب

ثم أخبرهم بخبر السفينة وقال له عيسى مت قال بشرط أن يعينني الله من سكرات الموت فدعا الله عيسى ففعل ذلك ، وقد ذكر هذا الخبر في قصة نوح عليه السلام ومنها عزيز عليه السلام ، قالوا لعيسى عليه السلام أحياه وإلا أحرقتك بالنار ، وجمعوا حطباً كثيراً من حطب الكرم وكانوا في ذلك الوقت يدفنون موتاهم في صناديق من حجاره مطبقة فوجدوا قبر عزيز مكتوباً على ظهره اسمه فمالجوه ليفتحوه فلم يقدرُوا أن يخرجوه من قبره فرجعوا إلى عيسى فأخبره فمالجوه لئلا يفتحوه لهم انضحوا قبره بهذا الماء ففعلوا فانفتح الطبق فأتوا به إلى عيسى وهو في أكفانه والارض لا تأكل أجساد الأنبياء ثم أنه نزع ثيابه عنه ثم جعل ينضح على جسده الماء ولحمه وشعره ينبت ثم قال احى يا عزيز يا ذن الله تعالى فإذا هو جالس وكل ذلك تراه أعينهم فقالوا يا عزيز ما تشهد لهذا الرجل يعنون عيسى فقال أشهد أنه عبد الله ورسوله فقالوا يا عيسى ادع لنا ربك يهتبه لنا ليكون بيننا وبيننا حياً فقال عيسى رددوه إلى قبره فرددوه إلى قبره فعاد ميتاً فآمن به عيسى بن مريم من آمن وعازد من عازد قال السكابي كان عيسى يحيى الموتى بياحى يا قيوم؛ ومنها إخباره عليه السلام عن الغيوب قال الله عز وجل إخباراً عنه (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) . قال السكابي لما أبرأ عيسى الأكمة والأبرص وأحيا الموتى قالوا هذا ساحر وليكن أخبرنا بما نأكل وبما ندخر فمكن يخبر الرجل بما يأكل في غذائه وبما يأكل في عشائه ومنها مشيه عليه السلام على الماء ، ويروى أنه خرج في بعض سياحته ومعه رجل من أصحابه قصير وكثير اللزوم لعيسى فلما انتهى عيسى إلى البحر قال بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء فقال الرجل القصير بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء فداخله العجب فقال هذا عيسى روح الله يمشى على الماء وأنا أمشى على الماء قال فانغمس في الماء فاستغاث بعيسى فمالجوه عيسى من الماء وأخرجه وقال له ما قلت يا قصير فأخبره بما خامر خاطره فقال له عيسى لئلا وضعت نفسك في غير الموضع الذى وضعت الله فيه ففتك الله على ما قلت فتب إلى الله بما قلت فتاب للرجل وعاد إلى مرقبته التى وضعه الله فيها فاتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً .

وحدثني الإمام أبو منصور الخنشاوي بإسناده عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال (لو عرفتم الله حق معرفته لعلمتم العلم الذي ليس بعده جهل وما يبلغ ذلك أحد قط قال ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا قالوا يا رسول الله قد بلغنا أن عيسى بن مريم مشى على الماء ؟ قال نعم ولو ازداد خوفاً و يقيناً لمشى على الهواء قالوا يا رسول الله ما كنا نرى أن الرسل تقصر ، فقال إن الله تعالى أبلغ شأننا من أن يبلغ أحد شأنه (ذكر حديث جامع هذا الباب)

قال وهب ؛ خرج عيسى عليه السلام يسبح في الأرض فصاحبه يهودي وكان مع ذلك اليهودي رغيفان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى تشاركني في طعامك قال اليهودي نعم فلما رأى أنه ليس مع عيسى إلا رغيف واحد ندم فقام عيسى إلا الصلاة فذهب صاحبه وأكل رغيف فلما قضى عيسى صلاته قدما طعامهما فقال لصاحبه أين الرغيف الآخر ؟ فقال ما كان إلا رغيف واحد فأكل عيسى رغيفاً وصاحبه رغيفاً ثم انطلقا فجاءا إلى شجرة فقال عيسى لصاحبه لو أنا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال افعل فباتا ثم أصبحا منطلقين فلقيا أعمى فقال له أرأيت إن أنا عاجلتك حتى يرد الله عليك بصرك فهل تشكره ؛ قال نعم فمس عيسى بصره ودعا الله تعالى فإذا هو صحيح فقال عيسى لليهودي بالذي أراك الأعمى بصيراً كم كان معك من رغيف ؟ فقال والله ما كان إلا رغيف واحد فسكت عيسى عنه ومرا فإذا هو بمقعد فقال له عيسى ؛ أرأيت إن عاجلتك فمافاك الله فهل تشكره ؟ قال نعم فدعا الله تعالى عيسى فإذا هو صحيح قائم على رجلتيه فقال صاحب عيسى ما رأيت مثل هذا قط فقال له عيسى بالذي أراك الأعمى بصيراً والمقعد صحيحاً أين الرغيف الثاني ؟ فحلف له أنه ما كان معه إلا رغيفاً واحداً فسكت عيسى عنه ، فانطلقا حتى انتهيا إلى بحر عجاج فقال له عيسى لا أرى جسراً ولا سفينة فخذ بحجابي من ورائي وضع قدمك موضع قدمي ففعل فشياً على الماء فقال له عيسى بالذي أراك الأعمى والمقعد وسخر لك الماء من صاحب الرغيف الثالث فقال والله ما كان إلا رغيف واحد فسكت عيسى ثم انطلقا فإذا هما بظباء ترعى فدعى عيسى بطبي فذبحه وشوى منه بعضاً وأكله ثم ضرب عيسى بقية الطبي بعصاه وقال قم بإذن الله عز وجل فإذا الطبي يهدو

فقال سبحان الله فقال عيسى بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الآخر ؟
فقال ما كان إلا رغيف واحد فربصاحب بقر فننادى عيسى يا صاحب البقر اجزر
النا من بقرك هذا عجlan فقال ابعت صاحبك اليهودى يأخذه فانطلق اليهودى فجاء
به وذبحه وشواه وصاحب البقر ينظر إليه فقال عيسى كل ولا تكسر عظماً فلما
فرغ قذف بهظامه في جالده ثم ضربه بعصاه وقال له قم بإذن الله فقام العجل وله خوار
فقال له عيسى يا صاحب البقر خذ عجلك قال ويحك من أنت ؟ قال أنا عيسى بن مريم
فقال عيسى السحار ثم فر منه فقال عيسى لصاحبه بالذى أحيا العجل كم كان معك من
رغيف ؟ فقال ما كان معى إلا رغيف واحد فسكت ومشيا حتى دخلا قرية فنزل
عيسى في أسفلها واليهودى في أعلاها فأخذ اليهودى عصا عيسى وقال له أنا الآن
أبرىء المرضى وأحى الموتى قال وكان ملك ملك القرية مريضاً مديناً فانطلق اليهودى
ونادى من يبتغى طبيبياً حتى أتى باب الملك فأخبر بوجهه فقال ادخلونى عليه فأنا
أبرئه وإن رأيتموه قد مات فأنا أحياه فقيل له إن وجع الملك قد أعيا الأطباء قبلك
وليس من طبيب يداويه ولا يشفيه إلا صلبه فقال ادخلونى عليه فأدخل عليه فضرب
الملك بعصاه فمات فجعل يضرب الملك بالعصا وهو ميت ويقول له قم بإذن الله فلم
يقم فأخذ ليصالب فبلغ ذلك عيسى فأقبل عليه وقد رفع على الخشبة فقال لهم عيسى
أرأيت لو أحيت لكم الملك هل تتركون لى صاحبى ؟ قالوا نعم فدعا الله عز وجل
فأحياه وقام فأزل اليهودى من على الخشبة فقال يا عيسى أنت أعظم الناس على منة
والله لا أفارقك أبداً فقال له عيسى أشهدك الله الذى أحيا الطبيى والعجل بعدما أكلناهما
وأحيا هذا بعد ما مات وأنزلك من على الجذع بعدما صلبك كم كان معك من رغيف ؟
قال خلف بهذا كله وقال والله ما كان معى إلا رغيف واحد فقال عيسى لا بأس
فانطلقا حتى أنيا قرية عظيمة خربة فيها كمنز ثلاث لبنات من ذهب قد حفرتها
السباع والدواب فقال الرجل لعيسى هذا المال لك فقال عيسى أجل واحدة لى
وواحدة لك وواحدة للذى أكل الرغيف الثالث ، فقال اليهودى لعيسى أنا صاحب
الرغيف الثالث أكلته وأنت تصلى فقال عيسى هى لك كلها ، فانطلق عيسى وتركه
ينظر وهو لا يستطيع أن يحمل منهن واحدة لثقلها عليه فقال له عيسى دعه فإن له أهلاً

يهاسكون عليه فجعلت نفس اليهودى تتطالع إلى المال ويكره أن يعصى عيسى ويعجزه .
حمل المال فانطلق مع عيسى ، فبينما هو كذلك إذ مر بالمال ثلاثة نفر فأتوا عليه
فقال اثنان منهما لصاحبهما الثالث انطلق إلى بعض القرى فائتنا بطعام وشراب
ودواب نحمل عليها هذا المال فلما ذهب صاحبهما قال أحدهما للآخر هل لك أن
تقتله إذا رجع وتقسم المال بيننا ؟ قال نعم وقال الذى ذهب فى نفسه أنا أجعل فى
الطعام سما فإذا أكلاه ماتا ويصير المال كله لى ففعل ذلك فلما رجع إليهما ووصل
قتلاه ثم أكل الطعام الذى جاء به إليهما فأتا وأن عيسى عليه السلام مر بهم وهم
حواله مقتولين فقال ؛ لا إله إلا الله هكذا تصنع الدنيا بأهلها ثم إن عيسى أحياهم
إذن الله تعالى فاعتبروا وروا ولم يأخذوا من المال شيئا فتطلعت نفس اليهودى
صاحب عيسى إلى المال فقال اعطاني المال فقال عيسى خذه لك فهو حظك فى الدنيا
والآخرة فلما ذهب ليأخذه خسف به الأرض فانطلق عيسى عليه السلام ومنها نزل
المائدة قال الله تعالى (إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن
ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) الآية .

واختلف العلماء فى صفة نزول المائدة وكيفيتها وما كان عليها فروى قتادة عن جابر
عن عمار بن ياسر عن رسول الله ﷺ أنه قال (نزلت المائدة عليها خبز ولحم وذلك
أنهم سألوا عيسى طعاما يأكلون منه ولا ينفذ قال فقال لهم إني فاعل ذلك وإنما
مقيمة لكم ما لم تخبثوا أو تخونوا فإن فعلتم ذلك عندتم ، قال فما مضى يومهم حتى
خاؤا وخبثوا ، وفى بعض الروايات أن بعضهم سرق منها وقال لعلمها لا تنزل أبدا
فوقعت ومسحوا قرده ونخنازير ؛ قال ابن عباس قال عيسى لبنى إسرائيل صوموا
يلائين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطيكوه فصاموا ثلاثين يوما فلما فرغوا قالوا
يا عيسى إنا إن عملنا لأحد أفضينا عمله أطمعنا طعاما وإنا إن صمنا وجعنا فادع
الله أن ينزل علينا مائدة من السماء فلبس عيسى المسوح وافترش الزماد ثم دعا الله
تعالى فقال (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء) الآية فأقبلت الملائكة بمائدة
يحملونها عليها v أرغفة و v أحوات ووضعتم بين أيديهم فأكل منها آخرهم كما أكل أولهم
وروى عطاء بن السائب وغيره أنه كانت بالمائدة إذا وضعت لبنى إسرائيل اختلاف
عليها الأيدي فيها كل الطعام إلا اللحم ؛ وقال عطية العوفى نزلت سمكة من السماء فيها

ظعم كل شيء ؛ وقال قتادة كانت مائدة تنزل من السماء وعليها ثمر من ثمار الجنة
وكانت تنزل عليهم بكرة وعشية حيث كانوا كالمن والسلوى لبني إسرائيل .
وقال وهب أنزل الله أفرصة من شعير وحيثانا فقيل لو هب ما كان ذلك يغني
عنهم من شيء قال بلي واسكن الله ضاعف لهم البركة فكانوا قوم يأكلون ثم يخرجون
ويجيء آخرون فيأكلون حتى أكلوا بأجمعهم وقال كعب الأحبار نزلت مائدة
من السماء منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والأرض عليها كل طعام إلا اللحم
وقال مقاتل والكلبي استجاب الله لعيسى عليه السلام فقال إني منزلها عليكم كما سألتني
فن أكل من ذلك الطعام ثم لم يؤمن جعلته مثلاً ولعنة وعبرة لمن بعدهم قالوا قد
رضينا فدعا شمعون الصفار وكان أفضل الحوارار بين فقال هل معك طعام ؟ فقال معي
سمكتان صغيرتان وستة أرغفة فقال علي بها فقطعها عيسى قطعاً وقال اقعدوا في روضة
وترافقوا رفاقاً كل رفقة عشرة ثم قام عيسى ودعا الله تعالى فاستجاب له وأنزل
فيها البركة فصار خبزاً صحاحاً وسمكا صحاحاً ثم قام عيسى يمشى فجعل يلقي في كل
رفقة ما حملت أصابعه ثم قال كلوا باسم الله فجعل الطعام يكثر حتى بلغ ركبهم
فأكلوا ماشاء الله وفضل الناس خمسة آلاف ونيف وقال الناس جميعاً شهدنا أنك
عادل الله ورسوله ثم سأله مرة أخرى فأنزل الله خمسة أرغفة وسمكتين فصنع ما صنع
في المرة الأولى فلما رجعوا إلى قراهم ونشروا هذا الحديث ضحك منهم من لم يشهد
وقال ويحكم إنما سحر أعينكم فن أراد الله به الخير ثبته على بصيرة ومن أراد فتنته
رجع إلى كفره فسخوا قرده وخنازير وليس منهم صبي ولا امرأة فسكثوا ثلاثة
أيام ثم هلسكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ويشربوا وكذلك كل مسوخ ويروى عن
عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي أنه قال والله ما تبع عيسى من المساوي ولا انتهر
يتيماً ولا قهقه ضحكاً ولا ذباً باعاً ووجهه ولا أخذ على أنفه مرتين شيئاً قط ولا عبث قط
ولما سأله الحواراريون أن ينزل عليهم الموائد صنوفاً قال (اللهم ربنا أنزل علينا
مائدة من السماء) الآية وارزقنا عليها طعاماً نأكل (وأنت خير الرازقين) فنزلت
سفرة حراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها وهي تهوي
منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من المشاكرين اللهم
(م ٢٩ — قصص الأنبياء)

اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة و عقوبة وهم ينظرون إليها فنظروا إلى شيء لم يروا مثله
قط ولم يجدوا ريحا أطيب من رائحة ذلك فقال عيسى لهم أحسنكم عملا يكشف عنها
ويذكر اسم الله ويأكل منها فقال شمعون الصفار رأس الحواريين أنت أولى بذلك
منا فقام عيسى ونوضاً وصلى صلاة طويلة وبكى كثيراً ثم كشف المنديل عنها وقال
باسم الله خير الرازقين فإذا هو بسمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك فيها تسيل
سيلاً من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها نخل وحواليها من أنواع البقول ما خلا
السكرات وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن
وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا
م من طعام الآخرة ؟ فقال عيسى عليه السلام ليس ماترون من طعام الدنيا ولا من
طعام الآخرة ولكن افعله الله بالقدرة الغالية كلوا مما سألتكم يمددكم ويزدكم من فضله
قالوا يا روح الله لورأيتنا من هذه الآية آية أخرى ؟ فقال عيسى باسمكة احيى بإذن
الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها فقال عيسى ما لكم
تسألون أشياء إذا أعطيتموها كرهتموها ، ثم قال فما أخوفني عليكم أن تعذبوا باسمكة
عودى كما كنت بإذن الله فمادت السمكة مشوية كما قالوا يا روح الله كن أول من يأكل
منها ثم نأكل نحن فقال عيسى معاذ الله أن آكل منها ولا يمكن يأكل منها من سألها فخافوا
أن يأكلوا منها فدعا لها عيسى أهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمبتلين
وقال كلوا من رزق الله ولكم الهناء ولاخيركم البلاء فأكلوا منها وصدر عنها ألف
وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير ورمز من ومرضى ومبتلى كلهم شبهان يتجشأ ثم نظر
عيسى إلى السمكة فإذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء ، ثم طارت المائدة صعداً
وهم ينظرون إليها حتى توارت منهم فلم يأكل منها يوماً منذ مريض إلا برى ولا زمن
إلا صح ولا مبتلى إلا عوفي ولا فقير إلا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات وندم
الحواريون ومن لم يأكل وكانت إذا نزلت اجتمعت الأغنياء والفقراء والصغار
والكبار والرجال والنساء يزدحمون عليها فلبثت أربعين صباحاً تنزل ضحى فلا تزال
منصوبة يؤكل منها حتى إذا فاء الفاء طارت صعداً وهم ينظرون حتى تغيب عنهم
وكانت تنزل غيباً تنزل يوماً ولا تنزل يوماً كناية ثمود فأوحى الله إلى عيسى أن اجعل

ما تدعى ورزقي للفقراء دون الأغنياء فعظم ذلك على الأغنياء حتى شكوا وشككوا
الناس فيها فقالوا أترون المائدة تنزل من السماء حقا فقال لهم عيسى هاسكتم فشمروا
لعذاب الله فأوحى الله تعالى إلى عيسى إني شرطت على المكذبين شرطين أن من
كفر بعد نزولها عذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام
(إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فسخ منهم ثلاثمائة
وثلاثون رجلا باتوا من ليلتهم على الفرش مع نسائهم في ديارهم فأصبحوا خنازين
يسعون في الطرقات والكناسات وياكلون القاذورات والحشوش فلما رأى الناس
ذلك فزعوا إلى عيسى بن مريم فبكوا وبكى على المسوخين أهلهم فلما أبصرت
الخنازير عيسى بكى وجمعت تطوف فجعل عيسى يدعهم باسمائهم واحداً واحداً
فبيكون ويشيرون براء وسهم لا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاث أيام وهلكوا
ومنها ما روى أن عيسى عليه السلام مر على رجل جالس عند قبر وكان يكثر
المرور فيجده جالسا فقال يا عبد الله أراك تكثر الجلوس عندهما القبر فقال يا روج
الله هذه امرأة كان لي من جمالها وموافقها كيت وكيت ولي عندها وديعة قال أفتمعجب
أن أدعوا الله فيحبيبها لك؟ قال نعم فتوحنأ عيسى وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل
فإذا أسود قد خرج من القبر كأنه جذع محترق فقال له من أنت؟ فقال يا رسول الله
أنا رجل في عذاب منذ أربعين سنة فلما كنت في هذه الساعة قيل لي اجب فأجبت ثم
قال يا رسول الله مر على من أليم العذاب ما إن ردى الله إلى الدنيا أعطيته عهداً أن
لا أعصيه أبداً فادع الله لي فرق لـ قلب عيسى عليه السلام ودعا الله عز وجل ثم
قال له امضى فمضى فقال له صاحب القبر يا رسول الله لقد غلطت بالقبر إنما قبرها
هذا فدعا الله عيسى عليه السلام فخرجت من ذلك القبر امرأة شابة جميلة فقال له عيسى
أتعرفها؟ قال نعم هذه امرأتى فدعا الله عيسى حتى رذها عليه فأخذ الرجل بيدها
حتى انتهى إلى شجرة فنام تحتها ووضع رأسه في حجرها فمر بها ابن الملك فنظرها
ونظرت إليه وأعجب كل واحد منهما بصاحبه فأشار إليها فوضعت رأس زوجها
عن حجرها واتبعت الفتى فاستيقظ زوجها ففتقدتها فلم يجدها فطلبها فدل عليها فتعلق
بها وقال امرأتى فقال الفتى هي جاريتى فبينما هم كذلك إذ طلع عيسى عليه السلام

فقال الرجل هذا عيسى ثم قص عليه القصص فقال لها عيسى ما تقولين ؟ قالت أنا جارية
هذا ولا أعرف هذا فقال لها عيسى ردى علينا ما أعطيناك قالت فملت فسقطت
مكاتها ميتة فقال عيسى هل رأيتم أعجب من هذا رجل أماته الله كافرا ثم بعته فأمن
وهل رأيتم امرأة أماتها الله مؤمنة ثم أحيهاها فكفرت ، ومنها رفعه إلى السماء إذ
قال الله (يا عيسى إني متوفيك ورافئك إلى ومطهرك من الذين كفروا) الآية ،
وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله (وما قتلوه وما صلبوه وإنما
شبهه لهم) إلى قوله تعالى (بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما) .

وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطا
من اليهود فلما رأوه قالوا ؛ قد جاء الساحر ابن الساحر الفاعل بن الفاعلة فقتلوه
وأمه فلما رأى ذلك عيسى دعا عليهم فقال اللهم أنت ربي وأنا من روحك خرجت
وبكلمتك خلقت ولم آتهم من تلقاء نفسي اللهم العن من سبني وسب أمي فاستجاب
الله دعاهم ومسح الذين سبوه وأمه خنازير فلما رأى ذلك رأس اليهود وأميرهم
فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى فاجتمعوا عليه ذات
يوم وجعلوا يسألونه فقال يا معشر اليهود إن الله يبغضكم فبغضوا من مقالته غضبا
شديدا وثاروا عليه ليقتلوه فبعث الله تعالى إليه جبريل عليه السلام فأدخله خوخة
ووزاه في سقفها ورفع الله تعالى من رزنته فامر رأس اليهود رجلا من أصحابه
يقال له فلطيانوس أن يدخل الخوخة فيقتله فلما دخل فلطيانوس لم ير عيسى فأبطأ
عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها فالتقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا أنه عيسى
فقتلوه وصلبوه وقال وهب إن عيسى لما أعلمه الله تعالى أنه خارج من الدنيا جزع
من الموت وشق عليه فدعا الحوارين وصنع لهم طعاما وقال احضروني الليلة فلي
إليكم حاجة فلما اجتمعوا إليه من الليل غشاهم وقام بخدمتهم فلما فرغوا من الطعام
أخذ يغسل أيديهم ويوصيهم ويمسح أيديهم بثيابه فتعاضموا ذلك وتكارهوه فقال
إلا من رد عليه شيئا مما أصنع فليس مني ولا أنا منه فاقروه حتى إذا فرغ من ذلك
قال لهم ؛ أنا ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام غسلت أيديكم بيدي إلا ليكون
لكم بي أسوة إنكم ترون إني خيركم فلا يتعاضم بعضهم على بعض وليبدل ان بعضهم نفسه

لبعض كما بذلت نفسى لكم ؛ أما الحاجة التى استعنتكم عليها فتدعون اللهلى وتجتهدون
فى الدعاء أن تؤخروا أجلى فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا يجتهدوا أرسل الله
عليهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله ما تصبرون فى
ليلة واحدة وتأمينونى فيها ؟ فقالوا والله ما ندرى ما لنا لقد كنا نسير فنكبر السهر
وما نطبق الليلة سهراً وما نربد دعاء إلا حيل بيننا وبينه فقال يذهب الراحى وتبقى
الغنم وجعل ياتى بكلام مثل هذا يعنى نفسه ثم ليكفرن بهي أحدكم قبل أن يصبح الديك
ثلاث مرات ليديعنى أحدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمنى فخرجوا وتفرقوا وكانت
اليهود تطالبه فاخذ شمعون أحد الحوارين فقالوا أهذا من أصحابه فجحد وقال ما أنا من
أصحابه فتركوه ثم أخذ آخر فجحد كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه ذلك
فلما أصبح دعا أحد الحوارين أو لك اليهود فقال ما تجعلون لى إن دلتكم عليه؟ فجعلوا
له ٣ درهما فاخذها ودلهم عليه وكان شبه لهم قبل ذلك فاخذوه واستوتقوا منه
وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون أنت كنت تحبى الموتى وتبرى الأكمة
والأبرص أفلا نك نفسك من هذا الحبل ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك ثم
لأنهم نصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فلما أتوا به الخشبة ليصلبوه أظلمت الأرض
وأرسل الله الملائكة فجالوا بينهم وبين عيسى وألقى شبه عيسى على الذين دلهم عليه
ولاسمه يهودا فصلبوه مكانه وهم يظنون أنه عيسى وتوفى الله عيسى ثلاث ساعات ثم
رفعه إلى السماء فذلك قوله تعالى (إنى متوفيك ورافك ومطهرك من الذين كفروا)
فلما صلب الذى هو شبه عيسى جاءت مريم أم عيسى وامرأة كان عيسى دعا لها
وأبرأ من الجنون يبيكيان عند المصلوب فاتاهما عيسى وقال على من تبكيان ؟
فقالتا عليك فقال إن الله تعالى رفعتنى فلم يصيدنى إلا خيراً وإن هذا شخص شبه لهم
وقال مقاتل ؛ إن اليهود وكلوا بعيسى رجلاً يكون عليه رقيباً يدور معه حيثما دار
فصعد عيسى الجبل فجاءه الملك فرفعه إلى السماء وألقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب فظن
اليهود أنه عيسى فأخذوه وكان يقول لهم إنى لست عيسى إنى فلان بن فلان فلم يصدقوه
وقتلوه وصلبوه فقال قتادة ذكر لنا أن نبى الله عيسى قال لأصحابه أياكم يقذف عليكم شبهى
فإنه مقتول فقال رجل من القوم أنا نبى الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه إليه وقيل
إن الذى شبه بعيسى وصلب مكانه رجل إسرائيلى يسمى أشيوع بن قديرا والله أعلم .

(ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة أيام)

قال وهب وغيره من أهل الكتاب ؛ لما رفع الله عيسى عليه السلام لبث
السماء سبعة أيام ثم قال الله له إن أعداءك اليهود أعجلوك من العهد إلى أصحابك
فانزل عليهم وأوصهم واهبط على مريم المجدلانية فإنه لم يبك عليك أحد بكاء ملة
ولم يحزن عليك أحد حزنا فانزل عليها وأخبرها أنها أول من تلحق بك وأمرها
أن تجمع الخواريين فثبتهم في الأرض دعاة إلى الله تعالى .
وكانت قصة مريم المجدلانية أنها كانت من بنى إسرائيل في قرية من قرى
أنطاكية يقال لها مجدلان ؛ وكانت امرأة صالحة وكانت تستحاض فلا تطهر فخطبها
أشراف بنى إسرائيل فامتنعت فظنوا أنها رفعت بنفسها عنهم ولم يكن ذلك ترفعا
وإنما أرادت إخفاء علمتها عنهم ؛ فلما سمعت بمجيء عيسى عليه السلام ربما كان
يشفي الله على يديه من المرضى الزمنى أقبلت إليه رجاء الشفاء ؛ فلما رأت عيسى
وما ألبسه الله من الهيبة استحييت وانصرفت إلى ورائه ووضعت يدها على ظهره
فقال عيسى لقد مسني ذو عاهة بذية حسنة ولقد أعطاه الله ما رجاه وطهره بطهارتي
فاذهب الله عنها ما بها وبرأت وطهرت فلما أمر الله عيسى بالنزول عليها سبعة أيام
من رفعه هبط عليها فاشتعل الجبل حين هبط نور فجمعت له الخواريين فثبتهم في
الأرض دعاة إلى الله ثم رفعه الله وكساه الريش وألبسه الثور وقطع منه شهوة
المطعم والمشرب فهو يطير مع الملائكة حول العرش في مكان إنسيا ماسكيا أرضيا
سماويا وتفرق الخواريون حيث أمرهم تلك الليلة التي أهبط فيها هي الليلة التي
تزخر فيها النصراني قالوا فوجه بطرس روميه وأندراوس ومتى إلى الأرض التي
ياكل أهلها الناس وتوما وليسا إلى أرض المشرق وفيلبس ويهوذا إلى القيروان
وإفريقيه ويحيى إلى أفسوس قرية أصحاب الكهف واليعقوبيين إلى أورشليم وهي
إيلياء أرض بيت المقدس وبرتولو ماوس إلى الإعرابيه رخر الحجاز وشهمون إلى
أرض بربر فاصبح كل واحد من الخواريين الذين بعثهم يحدث بلغة من أرسله عيسى إليهم
قال ابن إسحق ؛ ثم عمد اليهود إلى بقية الخواريين أصحاب عيسى يشتمونهم
ويهدبونهم ويطوفون بهم فسمع ذلك ملك الروم وكان صاحب وثن ثقيل له ابن

رجالاً كان في هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بني إسرائيل عدواً عليه فقتلوه ؛
وكان يخبرهم أنه رسول الله وقد أحيا لهم الموتى وأبرأ لهم الأسقام وخلق لهم من
الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طائراً بإذن الله وأخبرهم بالغيب وأراهم العجائب
فقال ملك الروم فما منكم أن تذكروا لي من أمره فوالله لو علمت خلقت بيته
وبينهم ثم إنه بعث إلى الحواريين فانتزعهم من أيديهم فلما أتوه سألهم عن دين
عيسى فاخبروه خبره فبايعهم على دينه واستنزل شبه عيسى والخشبة التي صلب
عليها فأكرمها وصانها لما مسها منه وغزا بني إسرائيل فقتل منهم خلقاً كثيراً
فمن هناك كانت أصل النصرانية في الروم .

وقال أهل التوراة ؛ حملت مريم بعيسى وأبنا ثلاث عشرة سنة وولدت عيسى
ببيت لحم من أرض أورشليم لماضي خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على بابل
ولإحدى وخمسين سنة مضت من ملك الإسكانيين أوحى الله إليه على رأس ثلاثين
سنة ورفع من بيت المقدس إليه ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين
سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين والله أعلم

(ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليهما السلام)

قال وعب ؛ لما أراد الله تعالى أن يرفع عيسى عليه السلام أخى بين الحواريين
فامر رجلين منهم يقال لأحدهما شمعون والآخر يحيى أن يلتزما أمه
ولا يفارقاها فانطلقا ومعهما مريم إلى ماروت ملك الروم يدعوته إلى الله تعالى
وقد بعث الله تعالى إليه قبل ذلك بولس عليه السلام فلما أتوه أمر بشمعون
وأندراوس فقتلا وصلبا منكسين وهربت مريم ويحيى حتى إذا كانا في بعض
الطريق لحقهما الطالب نجافا فانشقت لهما الأرض فجأبا فيها وأقبل ماروت ملك
الروم وأصحابه فحفروا ذلك الموضع فلم يجدوا شيئاً فردوا التراب على حال
وعلموا أنه أمر من الله تعالى فسأل ملك الروم عن حال عيسى فاخبروه فأسلم كما
ذكرنا والله أعلم .

(ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان)

قال الله تعالى (وإذنه لعلم للساعة فلا تمترون بها) الآية وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى عليه السلام في القرآن ؟ قال نعم قوله « وكهلا » وهو لم يكن يكمل في الدنيا وإنما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء .

أخبرنا أبو صالح شعيب بن محمد البيهقي بإسناده عن أبي هريرة قال ؛ قال رسول الله ﷺ (الأبياء إخوة لعلات أمهاتهم شقي ودينهم واحد ، وإني أولي الناس بعيسى بن مريم عليهما السلام لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ويوشك أن ينزل فيكم ابن مريم عدلاً حكماً وإذنه نازل على أمتي وخليفتي عليهم فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الشهر كأن رأسه تقطر ولم يصبه بلل ينزل بين محصرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويتبعض المال ويهمل من الروحاء حاجاً أو معتمراً أو ملبياً بهما جميعاً ويقاتل الناس على الإسلام حتى يهلك في زمانه الممل كغير الإسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال وتقع الأمانة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل والنور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضاً ثم يلبث في الأرض أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفونونه في المدينة بجانب عمر و أقره وإنا شئتم) وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) أي قبل موت عيسى يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات .

وأخبرنا محمد بن القاسم العارسي بإسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (إذا أهبط الله المسيح عيسى يعيشر في هذه الأمة ما يعيشر ثم يموت في مدينتي هذه ويدفن إلى جانب قبر عمر فطوبى لابي بكر وعمر يحشران بين نبيين .

وأخبرني أبي قال حدثني الحسين بن أحمد بن محمد علي بإسناده عن ابن عباس قال ؛ قال رسول الله ﷺ (كيف يهلك الله أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها » والمهدي من أهل بيتي في وسطها) .

(باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليه السلام إلى أنطاكية)
(وذلك في أيام ملوك الطوائف)

قال الله تعالى (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذا جاءها المرسلون) يعنى
رسل عيسى عليه السلام (إذ أرسلنا إليهم اثنين) واختلفوا في إسميهما) فقال ابن
إسحق فاروض وروماض ، وقال وهب ويحي ويونس وقال مقاتل يومان و
وقال كعب صادق وصندوق (فكذبوهما فعززنا بثالث) أى فقويناب
ثالث وهو شمعون القصار رأس الحواريين في قول أكثر المفسرين وقال كعب
إسمه شلوم وقال مقاتل سمعان .

قالت العلماء بأخبار الأنبياء : بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين
إلى مدينة أنطاكية ، فلما قربا من المدينة أتيا شيخاً يرعى غنمات له وهو حبيب
النجار صاحب يس فسلبا عليه فقال من أنتم ؟ قال رسول عيسى عليه السلام ندعوكم
من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن قال أمعكما آية ؟ قال نعم نحن نبرئ المريض
ونشفى الأكمة والابصر بإذن الله ، فقال الشيخ أن لى ابناً مريضاً صاحب
فراش منذ سنين ، فلما نظرا إلى ولد الشيخ قربا إليه ودعوا له ومسحا يديهما
فقام في الوقت بإذن الله ، وشفى الله على يديهما كثيراً من المرضى ، وكان في
مدينة أنطاكية فرعون من الفراعنة يعبد الأصنام يقال له سلاحين .

وقال وهب : إسمه بطيحيس وكان من ملوك الروم قالوا فانتهى الخبر إلى الملك
فدعاهما إليه وقال لهما من أنتم ؟ قال رسول عيسى قال وما آيتكما ؟ قال نبرئ
الأكمة والابصر ونشفى المرضى بإذن الله تعالى ، قال وفيم جئتما ؟ قال جهنناك
ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر قال الملك ؛
أو لنا إله سوى آلهتنا ؟ قال نعم ، قال من ؟ قال من أوجدك بعد عدمك :
قال قوما حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما في السوق .

ذهب : بعث عيسى بهذين الرسولين إلى أنطاكية فأقياها فلم يوصلا إلى
طالت مدة مقامهما ، فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكر الله تعالى
الملك فأمرهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة قالوا فلما كذب
ولان وضربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفار على أثرهما
يصرهما فدخل شمعون البلد متكرراً فجعل يباشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا
خبره إلى الملك فدعاه ورضى عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها
الملك إني قد بلغت أنك حبست رجلين في السجن وضربتكما حين دعوك إلى غير
دينك فهل كلفتمهما وسمعت قولهما ؟ فقال حال الغضب بيدي وبين ذلك ، قال فإن رأى
الملك دعاهما ، فدعاهما الملك فلما حضرا قال شمعون لهما من أرسلكما إلى هنا ؟ قالا
الذي خلق كل شيء فإنه يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد ، قال شمعون وما آيتكما ؟
قالا ما نتمناه نبريء الأكمة والابرص ونشفى المرضى والزمنى بإذن الله ، قال
فأمر الملك فجاءه بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة فما زال يدعو الله
حتى انشق موضع البصر فأخذنا ببندقيتين من الطين فوضعهما في حدقتيه فصارتا
مقلتين يبصر بهما فأنشرح الملك فقال شمعون للملك إن أنت سألت إلهك حتى يصنع
لك صنيعاً مثل هذا فيكون لك الشرف وإلهك فقال الملك ليس لي عنك سر أعلم
أن إلهنا الذي نعبد لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فقال الملك للرسولين
إن الحكم الذي تعبدونه يقدر على إحياء الميت ؟ قالا إلهنا يقدر على كل شيء فقال
الملك إن ههنا ميتاً قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن الدهقان وأنا آخرته فلم أدفنه
حتى يرجع أبوه وكان غائباً فجاءوا بالميت وقد تغير وأروح فجعل يدعوهم
علائية وجعل شمعون يدعو سراً فقام الميت وقال لهم إني قدمت منذ سبعة أيام
مشركاً فأدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله ثم
قال إن أبواب السماء فتحت لي فرأيت شاباً حسن الوجه يتشفع لهؤلاء الثلاثة فقال
الملك ومن الثلاثة ؟ فقال شمعون هذان وأشار إلى صاحبيه فتعجب الملك فلما علم
شمعون أن قوله قد أثر في الملك أخبر بالحال ودعاه فآمن قوم وكان الملك بمن آمن
وكفر آخرون .

وقال كعب ووهب ، بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيب بن مرى صاحب يس ، وقال ابن عباس ومقاتل وإسمه حبيب بن إسرائيل النجار قال وهب ، وكان سقياً قد أقر فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب مدينة أنطاكية وكان مؤمناً ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمضى فيقتسمه نصفين يطعم عياله نصفاً ويتصدق بالنصف الآخر فلما بلغه أن قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم وكان قبل ذلك يكتبكم إيمانه ويعبد ربه في غار ، فلما أتاه خبر الرسل أظهر دينه وذكر قومه ودعاهم إلى طاعة المرسلين كما أخبر الله تعالى في كتابه ، وذلك قوله تعالى (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) إلى قوله مهتدون فقال له قومه أو أنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن باللهم ؟ فقال : (وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون) إلى قوله (إنى آمنتم بربكم فاسمعون) فلما قال لهم ذلك وثبوا إليه وثبة رجل واحد فقتلوه ، ولم يكن أحد يدفع عنه .

وقال الحسن : خرقوا خرقاً في حلقه وعلقوه في سور المدينة ودفنوه في سوق أنطاكية فأوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى (قيل ادخل الجنة) فلما أفضى إلى جنة الله وكرامته (قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) قالوا فلما قتل حبيب غضب الله عليهم وعجل لهم النعمة وأمر جبريل فصاح بهم صيحة فأتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين) على غيرهم من كفار الأمم (إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون) أي ميتون .

أخبرنا أبو بكر الخشراوي بإسناده عن أبي ليلى عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ (سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين : حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار مؤمن آل يس ، وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو أفضلهم)

(قصة يونس بن متى عليه السلام)

شئ أمه ولم ينسب أحد من الأنبياء إلى أمه إلا عيسى بن مريم ويونس
متى عليهما السلام وهو الذي قال رسول الله ﷺ فيه (لا ينبغي لأحد أن
يقول أنا خير من يونس بن متى) قال الله تعالى (وذا النون إذ ذهب مغاضباً) الآيات .
قالت العلماء بأخبار القدماء : كان يونس رجلاً صالحاً يتعبد في جبل وكان في
قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم
يونس بن متى عليه السلام بالنبى عن الكفر والامر بالتوحيد وكان يونس عليه
السلام رجلاً صالحاً لا يصبر على الناس فلحق بالجبل يعبد الله تعالى فيه وكان حسن
القراءة يستمع إلى قراءة الوحش كما كان داود في زمانه وكان يعتره حدة ولذلك
نهى رسول الله ﷺ أن يكون مثله لخفة وعجلة ظهرت منه قال الله تعالى (فاصبر كما
صبر أولوا العزم من الرسل) وقال تعالى (ولا تسكن كصاحب الحوت) لأنه كان
قليل الصبر على قومه والمداراة لهم ، قال رسول الله ﷺ (كان يونس بن متى فيه
عجلة وخفة فلما حمل أعباء النبوة تفسخ نحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل ؛ ولذلك
السبب ذهب مغاضباً) .

واختلف العلماء في صفة مغاضبته وسبب ذلك ووقته ، فقال قوم ذهب مغاضباً
لقومه وهى رواية الضحاك والعمري عن ابن عباس قال : كان يونس بن متى وقومه
يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسمى منهم تسعة أسباط ونصفاً وبقي سبطان ونصف
وكانوا اثني عشر سبطاً فيهم النبوة والملك فأوحى الله تعالى إلى شعيب النبي أن سر
إلى حزقيا الملك وقل له يوجه نبياً قوياً أميناً فأبى الخوف في قلوب أولئك
الأسباط حتى أرسلوا معه بنى إسرائيل فقال الملك فما ترى ؟ وكان في ملكه خمسة من
الأنبياء فقال إن يونس فإنه قوى أمين فدعاه الملك وأمره أن يخرج فقال له يونس هل أمرك
الله بإخراجي ؟ قال لا قال هل سماي لك ؟ قال لا فقال ههنا غيري أنبياء أقوياء أمناء
فألحوا عليه فخرج مغاضباً للنبي وللملك ولقومه فأتى بحر الروم وكان من أمره ما كان
وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال أتى جبريل يونس فقال له انطلق
إلى أهل نينوى فأنذرهم أن العذاب قد حضرهم إن لم يتوبوا ، قال له التمس دابة

قال الأمر أعجل من ذلك فغضب وانطلق إلى البحر فركب سفينة فكان من أمره ما كان فعلى هذه الأقوال كانت رسالة يونس بعد نجاته من بطن الحوت .

قال ابن عباس إنما كانت رسالة يونس بعد أن نبذته الحوت ودليل هذا القول أن الله تعالى ذكر قصة يونس في سورة الصافات ثم عقبها بقوله (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) وقال آخرون : بل كانت قصة الحوت بعد دعاء قومه وتبليغه الرسالة وإنما ذهب عن قومه مغاضباً لربه إذ كشف عنهم العذاب بعد ما أوعدهم به وذلك أنه كره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الكذب والخلف فيما أوعدهم بل ولم يعلم السبب الذي رفع عنهم العذاب والهلاك فخرج مغاضباً قال والله لا أرجع إليهم كذاباً أبداً أو عدتهم العذاب في يوم ولم يأتهم .

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : بعث الله يونس بن متى إلى قومه وهو ابن ٣٠ سنة فأقام فيهم يدعوهم إلى الله تعالى ٣٣ سنة فلم يؤمن به إلا رجلان أحدهما روبييل وكان عالماً حكماً والآخر تنوخا وكان عابداً زاهداً .

قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما : لما أيس من إيمان قومه دعا عليهم فقبل له ما أسرع ما دعوت على قومك أرجع إليهم فادعهم أربعين ليلة أخرى فإن أجابوك وإلا فإني مرسل عليهم العذاب فرجع ودعاهم ٣٧ ليلة فلم يجيبوه فقام خطيباً فيهم وقال إني محذركم العذاب إلى ٣ أيام إن لم تؤمنوا ثم قال لهم إن آية ذلك تغير ألوانكم فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم فقالوا لبعضهم قد نزل بكم ما قال يونس وإنا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فإن بات الليلة فإمأنوا من العذاب وإن لم يبت فيكم فاعلوا أن العذاب مصيبتكم فلما كان ليلة الأربعين ورأى يونس تغير ألوانهم علم أن العذاب نازل بهم فخرج من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب .

قال سعيد بن جبير كما يغشى التراب القبر إذا دخل فيه صاحبه وقال مقاتل كان العذاب فوق رؤوسهم قدر ميل وقال ابن عباس قدر ثلثي ميل وقال وهب اغيمت السماء غما أسود هائلا تدخن دخانا شديداً فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت أسطحهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك والعذاب فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه

فقدف الله في قلوبهم التوبة وألهمهم الرجوع إليه فخرجوا إلى الصيد بأَنْفُسِهِمْ
ونسائهم صديبانهم وظنوا بهم ولبسوا المسوح وأظهروا الإيمان والتوبة لله وأخلصوا
النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب والأنعام فحن بعضها إلى
بعض وعلت أصواتهم واختلط حنينهم وتضرعوا إلى الله وقالوا آمنا بما جاء به
يونس فرحمهم واستجاب دعوتهم وقبل توبتهم وكشف عنهم العذاب بعد ما أظلمهم
وذلك يوم عاشوراء وقيل كان يوم الأربعاء للنصف من شوال .

وروى صالح المروى عن عمران الجوني عن أبي خالد قال لما غشى قوم يونس
العذاب مشوا إلى شيخ من بقرية علماءهم فقالوا له قد نزل بنا العذاب فما ترى ؟ قالوا
يا حي حين لا حي يا حي حين يحيى المرنى لا إله إلا أنت فمالوا وكشف الله عنهم
العذاب ومتموا إلى حين كما قال الله تعالى فلو لا كانت قرية آمنت أى فلم تكن قرية
آمنت وضع التحضيض موضع النفى لأن فيه ضرباً من الجحد (فنفوها لإيمانها) في
وقت اليأس عند معاينة العذاب (إلا قوم يونس لما آمنوا) نفهم لإيمانهم في ذلك
الوقت لما علم الله من صدقهم (كشعنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم
إلى حين) .

قال يونس كيف أرجع إلى قومي وقد كذبتم فانطلق معاتباً ربه مفاضياً فومه
فأتى البحر كما قال الله تعالى (وذا النون إذ ذهب مفاضياً فظن أن لن نقدر عليه)
أى أن ان نقضى عليه العقوبة تقول العرب قدر الله الشيء يقده تقديرأ وقدره
يقدر قدرأ وقد قرىء بهما جميعاً في قوله تعالى (نحن قدرنا بينكم الموت) وقوله
تعالى (والذي قدر فهدى) هذا قول أكثر المفسرين ، وقال عطاء معناه فظن أن
ان تضيق عليه الحديس فن قول الله تعالى (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى
ويضيق ، وقوله تعالى (ومن قدر عليه رزقه) .

قال ابن زيد : هو استفهام معناه فظن أن لن نقدر عليه ، وقال الحسن معناه
فظن أن يعجز ربه فلا يقدر عليه ، قال وبلغنى أن يونس لما أصاب الذنب انطلق
مفاضياً ربه فاستنزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه وكان له سلف وعبادة
فأبى الله أن يدعه الشيطان فلما أتى يونس البحر إذا قوم يركبون سفينة فحملوه بغير

أجرة فلما دخلها احتبست السفينة ووقفت والسفن تسير يمينا وشمالا فقال الملاحون
أفها عبداً آبقاً من سيده وهذا رسم السفينة إن كان فيها آبق لم تبحر فآقرعوا فوقفت
القرعة على يونس فقال أنا الآبق فقالوا تلقى في الماء فآقرعوا ثانياً وثالثاً فخرجت
القرعة على يونس فزج نفسه في الماء فذلك قوله تعالى (فساهم فكان من المدحضين)
فلما وقع في الماء وكل الله به حوتاً فابتلعه وأوحى الله تعالى إلى الحوت إن لم أجعله
لك رزقاً بل جعلناك له حرزاً ومسكناً فخذ به ولا تكسر له عظماً ولا تتخذش له لحماً
فأهوى به إلى مسكنه في البحر وقد نطق من ذلك المسكن حتى مر به على الآبله ثم
مر به على هجلة ثم انطلق به إلى نينوى ، ويقال إن الله تعالى رقق له جلد الحوت
حتى كاد يرى جميع ما في البحر فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس صوتاً فقال
في نفسه ما هذا ؟ فأوحى الله تعالى إليه وهو في بطن الحوت أن هذا تسبيح دواب
البحر فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا إنا نسمع
صوتاً ضعيفاً معروفاً بأرض مجهولة ؟ قال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في
بدن الحوت في البحر قال فشيئوا له عند ذلك وهو قوله (فنادى في الظلمات أن
لا إله إلا أنت) قال ابن عباس ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت
(سبحانك إني كنت من الظالمين).

وروى سعيد بن المسيب عن سعد بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول
إسم الله الذي إذا دعا به أجاب وإذا نسئ به أعطى دعوة يونس بن متى فقلت
يا رسول الله هي ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين ؟ فقال هي ليونس خاصة
ولجماعة المسلمين عامة إذا دعوا بها ألم تسمع قوله تعالى (فنادى في الظلمات) إلى
قوله (وكذلك تنجي المؤمنين) فلما دعا به يونس وشفعت له الملائكة أمر الله
الحوت فلقه إلى ساحل نينوى كما قال الله تعالى (فنبذناه بالبراء) أي بوجه
الأرض (سقيم) أي عليل ضعيف كالقرخ المميط .

واختلفوا في مدة مكث يونس في بطن الحوت فقال مقاتل ٣ أيام وقال عطاء
٧ أيام ، وقال الضحاك ٣ يوماً وقال السدي والكلبي ٤ يوماً فلما أخرجه الله
من بطن الحوت أنبت له شجرة من يقطين وهو القرع فجعل يستظل بها فذلك

قوله تعالى (وأنبتنا عليه) أى عنده (شجرة من يقطين) قالوا فيبست الشجرة فبكى عليها فأوحى الله إليه : أتبكي على شجرة يبست ولا تبكى على مائة ألف أو يزيدون أردت أن أهلكهم .

ثم ذهب يونس فإذا هو بغلام يرعى غنما فقال من أين أنت يا غلام ؟ قال أنا من قوم يونس ، فقال له إذا رجعت فقل لهم إنك لقيت يونس فقال الغلام ؛ إن كنت يونس فأنت تعلم أنه إن لم يكن لي بيذة قتلت فمن يشهد لي ؟ فقال يونس تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة وهذه الشاة ، وأشار إلى شاة من غنمه فقال له الغلام فرهم ؟ قال لهم يونس إذا جاءكم هذا الغلام فاشهدوا له ؟ قالوا نعم .

فرجع الغلام إلى قومه ثم قال للملك إنى قد لقيت يونس وإنه يقرأ عليكم السلام فأمر الملك بقتله وقال كذبت فقال إن لي بيذة فأرسلوا معى أحدا يشهد فأرسلوا معه رجلا فأتى البقعة والشجرة والشاة وقال أنشدكم بالله هل أشهدكم يونس ؟ قالوا نعم فرجع القوم مذعورين فأخذ الملك بيد الغلام واجلسه في مجلسه وقال ؛ أنت أحق بهذا المكان منى ، قال فأقام لهم أمرهم ذلك الغلام أربعين سنة ثم خرجوا يلتمسون يونس فوجدوه ففرحوا به وآمنوا به فأقام لهم أمرهم .

يروى أن يونس عليه السلام مضى من عندهم فنزل قرية ليلا فأضافه رجل وكان ذلك الرجل قد عمل كثير من الفخار . فأوحى الله إليه يا يونس مر صاحب هذا الفخار أن يكسر تلك الفخارات فقال له يونس ذلك فلما سمع ذلك منه شتمه وقال شئ عملته بيدي أعيش منه وأتمتع بشمنه أنا و عيالى تأمرنى بكسره فبكى يونس فأوحى الله إليه ؛ هذا عمل فخاراً من طين لم تطب نفسه بكسره وأنت طبت نفساً ووطنها على هلاك مائة ألف أو يزيدون من عبادى فمضى يونس وهبط واديا .

قال فلما شهدت الشجرة والأرض والشاة والغلام وكانت الشاة التى كانت مع الغلام قالت لهم إن أردتم يونس فاهبطوا الوادى فهبطوا فإذا هم بيونس فسألوه أن يدخل معهم المدينة ، فقال لا حاجة لي في مدينتكم وألحوا عليه فأجابهم فكث مع أهله وولده أربعين ليلة ثم خرج سائحا وخرج الملك معه وصبر الغلام الراعى ملكا لتلك المدينة كما ذكرنا فلم يزالا سائحين يعبدان الله تعالى حتى ماقا عليهما السلام ، وكانت نبوة يونس في زمان ملوك الطوائف والله أعلم .

(باب في قصة أصحاب الكهف)

قال الله تعالى (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا)
اختلف العلماء في الرقيم . قال النعمان بن بشير الأنصاري : سمعت رسول الله ﷺ
يذكر الرقيم قال « إن ثلاثة نفر خرجوا يرتادون لأهلهم فبينما هم يشون إذا
أصابتهم السماء فآووا إلى الكهف فانحطت صخرة من الجبل عليهم فانطبقت على
باب الكهف فأرصدته عليهم فقال قائل منهم كل منكم يذكر أحسن عمل عمله فعمل
الله يرحمنا فقال رجل منهم قد عملت مرة حسنة : كان لي أجراء يعملون عملا لي
فاستأجرت كل رجل منهم بأجرة معلومة فجاء رجل منهم ذات يوم وسط النهار
فاستأجرته بشطر أصحابه فعمل في بقية نهاره كعمل رجل منهم نهاره كله فرأيت
علي من الإكرام أن لا أنقصه شيئا مما استأجرت به أصحابه لما اجتمع في عمله فقال
رجل منهم ، أعطى هذا مثل ما أعطيتني ولم يعمل إلا نصف النهار ؟ فقلت له يا عبد الله
ألم أبخسك شيئا من شرطك إنما هو مالي أحكم فيه بما شئت . قال فغضب وذهب
وترك أجرته فوضعت حقه في جانب من البيت ماشاء الله ثم مر بي بعد ذلك بقر
فأشريت به فتممته فبلغت ماشاء الله ، فر بي بعد ذلك شيخ ضعيف لا أعرفه فقال لي
ن لي عندك حقا فقلت له اذكره لي حتى أعرفه قال فذكره فقلت له إياك أبغى
وهذا حقتك وعرضتها عليه فقال يا عبد الله لا تسخر بي إن لم تتصدق علي فأعطني
حقي فقلت له ما أسخر إن هذا لحقتك ومالي فيه شيء فدفعتما إليه ، اللهم إن كنت
فعلت هذا لوجهك الكريم فأفرج عنا فانصدع الجبل حتى أبصروا الضوء .
وقال الآخر : قد عملت حسنة مرة كان لي فضل مال وأصاب الناس شدة فجاءني
امرأة تطلب مني معروفا ، فقلت والله ما هو دون نفسك فأبت علي وذهبت ثم لأنها
رجعت فذكرتني بالله فأبيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فأبت علي وذهبت
ثم إهارجعت إلى تشدني بالله فأبيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فلما رأت
ذلك أسلمت إلى نفسها فلما كشفتها ارتعدت فقلت لها ماشأذك ؟ فقالت ، إني أخاف
الله رب العالمين ، فقلت لها خفتيه في الشدة ولم أخفه في الرخا . فركبته وأعطيتها ما تحب
اللهم إن كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فأفرج عنا تصدع الجبل حتى تعارفنا .
(م ٣٠ - - قصص الانبياء)

وقال الآخر ، لقد عملت حسنة مرة كان لي أبوان كبيران ، وكان لي غنم
فكنت أطعم أبوي وأسقيهما ثم أرجع إلي غنمي ، قال فأصابني يومًا غيث فخبسني
حتى أمسيت فأتيت إلى أهلي وأخذت محلي فخلبت غنمي وتركتها قائمة ومضيت إلى
أبوي فوجدتهما قد فاما فشق علي أن أوقفهما وشق علي أن أترك غنمي فما برحت
جاءسا ومحلي في يدي حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك
الكريم فافرج عنا ما نحن فيه ، وقال النعمان لسكاني أسمع من رسول الله ﷺ
قال (كأن الجبل طبق ففرج الله عنهم فخرجوا) .

وقال ابن عباس ، الرقيم واد بين غطفان وأيلة دون فلسطين وهو الوادي الذي
فيه أصحاب الكهف قال كعب هي قريتهم .

وقال سعيد بن جبير وغيره من أئمة الأخيار والرقيم لوح من حجارة ، وقيل
من رصاص وكتبوا فيه أسماء أهل الكهف وقصتهم ثم جعلوه في صندوق ووضعوه
على باب الكهف ثم ذكر الله خبر أصحاب الكهف فقال (إذ أوى الفتية إلى الكهف
فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) قال أهل التفسير وأصحاب التواريخ (كان أمر
أصحاب الكهف في أيام ملوك الطوائف بين عيسى ومحمد عليهما السلام .

وأما قصتهم . فيقال لما ولي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة
أتاه قوم من احبار اليهود فقالوا يا عمر أنت ولي الأمر بعد محمد ﷺ وصاحبه وإنا
نريد أن نسألك عن خصال إن أخبرتنا بها علمنا أن الإسلام حق وإن محمداً كان نبياً
وإن لم نخبرنا علمنا أن الإسلام باطل وأن محمداً لم يكن نبياً فقال عمر ، سلوا عما
بدا لكم ؟ قالوا أخبرنا عن أفقال السموات ما هي ؟ وعن مفاتيح السموات ما هي ؟
وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ما هو ؟ وأخبرنا عن خمسة أنبياء مشوا على وجه
الأرض ولم يخلقوا في الأرحام ؟ وأخبرنا عما يقول الدارج في صياحة ؟ وما يقول
الديك في صراخه ؟ وما يقول الفرس في صهيله ؟ وما يقول الضفدع في نقيقه ؟
وما يقول الحمار في نهيقه ؟ وما يقول القنبر في صفيره ؟

قال فنكس عمر رأسه في الأرض ثم قال لا عيب بعمرك إذا سئل عما لا يعلم
إن يقول لا أعلم وإن يسأل عما يعلم فوثب اليهود وقالوا . نشهد أن محمداً لم يكن

غيبيا وأن الإسلام باطل فوثب سلمان الفارسي وقال لليهود قفوا قليلا ثم توجه نحو
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه فقال يا أبا الحسن أغث الإسلام
فقال وما ذلك؟ فاخبره الخبر فاقبل يرفل في بردة رسول الله ﷺ فلما نظر إليه
عمر وثب قائما فاعتنقه وقال يا أبا الحسن أنت لكل مهضلة وشدة تدعى فدعا علي
كرم الله وجهه اليهود فقال سلوا عما بدا لكم فإن النبي ﷺ علمني ألف باب من
العلم فتشعب لي من كل باب ألف باب فسألوه عنها فقال علي كرم الله وجهه . إن
لي عليكم شريطة إذ أخبرتكم كما في توراتكم دخاتم في ديننا وآمنتم قالوا نعم ؛ فقال
سلوا عن خصلة نخصلة قالوا أخبرنا عن أقفال السموات ماهي ؟ قال أقفال السموات
الشرك لأن العبد والأمة إذا كانا مشركين لم يرتفع لهما عمل .

قالوا أخبرنا عن مقاتيح السموات ماهي ؟ قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن
محمداً عبده ورسوله . قال فجعل بعضهم ينظر إلى بعض ويقولون صدق الفتى :

قال أخبرنا عن قبر سار بصاحبه ؟ قال الحوت الذي التقم بونس بن متى فسار به
في البحار السبعة ، فقالوا ، أخبرنا عن أنذر قومه لاهو من الجن ولا من الإنس؟
قال هي نمة سليمان بن داود قالت يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان
وجنوده وهم لا يشعرون ، قالوا أخبرنا عن خمسة مشوا في الأرض ولم يخلقوا في
الأرحام ؟ قال ذلكم آدم وحواء وناقة صالح وكبش إبراهيم وعصا موسى ، قالوا
أخبرنا ما يقول الدارج في صياحه ؟ قال يقول الرحمن على العرش استوى ، قالوا
أخبرنا ما يقول الديك في صراخه ؟ قال يقول اذكروا الله يا غافلون . قالوا أخبرنا
ما يقول الفرس في صهيله ؟ قال يقول إذا مشى المؤمنون إلى الكافرين للجهاد اللهم
انصر عبادك المؤمنين على الكافرين ، قالوا فأخبرنا ما يقول الحمار في نهيقه ؟ قال
يقول لعن الله العشار وينهق في أعين الشياطين ، قالوا فأخبرنا ما يقول الضفدع في
غقيقه ، قال يقول سبحان ربى المعبود المسبح في لجج البحار ، قالوا فأخبرنا ما يقول
القنبر في صفيره ؟ قال يقول اللهم العن مبغضى محمد وآل محمد ، وكان اليهود ثلاثة نفر
قال اثنان منهم نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ووثب الخبر الثالث
فقال يا على لقد وقع في قلوب أصحابي ما وقع من الإيمان والصدق وقد بقي خصلة

واجدة اسالك عنها فقال سل ما بدا لك ؛ فقال اخبرني عن قرم في اول الزمان ماتوا
 ثلثمائة وتسع سنين ثم احياهم الله فما كان من قصتهم ؟ قال على رضى الله عنه يا يهودى
 هؤلاء اصحاب الكهف وقد انزل الله على نبينا قرآناً فيه قصتهم وإن شئت قرأت
 عليك قصتهم فقال ما أكثر ما قد سمعنا قراءتكم إن كنت عالماً فأخبرني بأسمائهم
 وأسماء آياتهم وأسماء مدينتهم وإسم ملكهم وإسم جبلهم وإسم كهفهم
 وقصتهم من أولها إلى آخرها فاجتبي على كرم الله وجهه بريدة رسول الله ﷺ ثم
 قال : يا أخا العرب حدثني حبيبي ﷺ أنه كان بأرض رومية مدينة يقال لها
 أفسوس ويقال هي طرسوس وكان لإسمها في الجاهلية أفسوس فلما جاء الإسلام
 سموها طرسوس قال وكان لهم ملك صالح فمات ملكهم وانتشر أمرهم فسمع ملك
 من ملوك فارس يقال له دقيانوس وكان جباراً كافراً فأقبل في عساكره حتى دخل
 أفسوس فأتخذها دار ملكه وبنى فيها قصراً فوثب اليهودى وقال : إن كنت عالماً
 فصف لي ذلك القصر ومجالسه فقال يا أخا اليهود ابنى فيها قصر من الرخام طوله
 فرسخ في عرض فرسخ واتخذ فيها أربعة آلاف اسطوانة من الذهب وألف قنديل
 من الذهب لها سلاسل من اللجين تخرج في كل ليلة بالادهان الطيبة واتخذ لشرق
 المجلس مائة وثمانين كوة واغريبه كذلك وكانت الشمس من حين تطلع إلى حين
 تغيب تدور في المجلس كيفما دارت واتخذ فيه سريراً من الذهب طوله ثمانون ذراعاً
 في عرض أربعين ذراعاً مرصها بالجواهر ، ونصب على يمين السرير ثمانين كرسيّاً
 من الذهب فأجلس عليها بطارقه واتخذ أيضاً ثمانين كرسيّاً من الذهب عن يساره
 فأجلس عليه هراقلة ثم جلس هو على السرير ووضع التاج على رأسه فوثب اليهودى
 وقال : يا على إن كنت عالماً فأخبرني بما كان تاجه ؟ فقال يا أخا اليهود كان تاجه من
 الذهب السبيك له تسعة أركان على كل ركن لؤلؤة تضيء كما يضيء المصباح في الليلة
 الظلماء واتخذ خمسين غلاماً من أبناء البطارقة فنطقهم بمناطق من الديباج الأحمر
 وسروهم بسر اويل من القز الأخضر وزينهم وتوجهم ودملجهم وأعطاهم عمد
 الذهب واقامهم على رأسه واصطنع ستة غلمة من أولاد العلماء وجعلهم وراءه فله
 يقطع أمرا دونهم وأقام منهم ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره فوثب اليهودى وقال

يا علي إن كنت صادقاً فأخبرني ما كانت أسماء الستة ؟ فقال علي كرم الله وجهه .
حدثني حبيبي محمد عليه السلام إن الذين كانوا عن يمينه أسماؤهم تملينها وهساكيننا ومحسلينا
وأما الذين كانوا عن يساره فرطليوس وكشطوس وسادقيوس وكان يستشيرهم
في جميع أموره وكان إذا جلس كل يوم في صحن داره واجتمع الناس عنده دخل
من باب الدار ثلاثة غلقة في يد أحدهم جام من الذهب مملوء من المسك وفي يد الثاني
جام من فضة مملوء من ماء الورد وعلي يد الثالث طائر فيصيح فيطير الطائر حتى يقع
في جام ماء الورد فيتمرخ فيه فينشف ما فيه بريشه وجناحيه ثم يصيح به الثالث
فيطير فيقع على تاج الملك فينفض ريشه وجناحيه على رأس الملك بما فيه من المسك
وماء الورد فمكث الملك في ملكه ثلاثين سنة من غير أن يصيبه صداع ولا وجع
ولا حمى ولا لعاب ولا بصاق ولا مخاط فلما رأى ذلك من نفسه عتا وطغا وتجر
واستهصى وادعى الربوبية من دون الله تعالى ودعا إليه وجوه قومه فكل من أجابه
أعطاه وحياه وكساه وخلع عليه ومن لم يجبه ويتابعه قتله فأجابوه بأجمعهم فأقاموا
في ملكه زماناً يعبدونه من دون الله تعالى فبينما هو ذات يوم جالس في عيد له على
سريره والتاج على رأسه إذا أتى بعض بطارفته فأخبره ان عصا كرافرس قد غشيتها
يريدون قتاله فاغتم لذلك غمماً شديداً حتى سقط التاج عن رأسه وسقط هو عن سرير
فنظروا أحد فتيته الثلاثة الذين كانوا عن يمينه إلى ذلك وكان عاقلاً يقال له تملينها فتفكر
وتذكر في نفسه وقال لو كان دقيانوس هذا إلهاً كما يزعم لما حزن ولما كان ينام ولما كان
يبول ويتغوط وليست هذه الأفعال من صفات الإله وكانت الفتية الستة يكونون
كل يوم عند واحد منهم ، وكان ذلك اليوم نوبة تملينها فاجتمعوا عنده فأكوا
وشربوا ولم يأكل تملينها ولم يشرب ، فقالوا يا تملينها مالك لا تأكل ولا تشرب ؟ فقال
يا إخواني وقع في قلبي شيء منهي عن الطعام والشراب والمقام فقالوا وما هو يا تملينها
فقال أعطت فكري في هذه السماء فقلت من رفعها سقفاً محفوظاً بلا علاقة من فوقها
ولادعامة من تحتها ومن أجرى فيها شمسها وقمرها ومن زينها بالنجوم ثم أطلت
فكري في هذه الأرض ومن سطحها على ظهر اليم الزاخر ومن حبسها وربطها بالجبال
لرواسي لئلا تميد ثم أطلت فكري في نفسي فقلت من أخرجني جنيناً من بطن أمي

ومن خذاني ورباني إن لهذا صانها ومدبراً سوى دقيانوس الملك فانكبت الفية على
رجليه يقبلونها وقالوا يا تلميذا لقد وقع في قلوبنا ما وقع في قلبك فأشر علينا فقال إنني
يا إخواني ما أجد لي ولا لكم حيلة إلا الهرب من هذا الجبار إلى ملك السموات والأرض
فقالوا الرأي ما رأيت فوثب تلميذا فابتاع تمرًا بثلاثة دراهم وصرها في رداءه وركبوا
خيولهم وخرجوا فلما ساروا قدر ثلاثة أميال من المدينة قال لهم تلميذا يا إخوتاه قد
ذهب عنا ملك الدنيا وزال عنا أمره فانزلوا عن خيولهم وامشوا على أرجلكم لعل
يجعل لكم من أمركم فرجاً ومخرجاً فنزلوا عن خيولهم ومشوا على أرجلهم سبعة
فراسخ حتى صارت أرجلهم تقطر دماً لأنهم لم يعتادوا المشي على أقدامهم فاستقبلهم
رجل راع فقالوا ايها الراعي أعندك شربة ماء أولن؟ فقال عندي ما تحبون ولا كني
أرى وجوهكم وجوه الملوك وما أظنكم إلا هرايا؟ فاخبروني بقصتكم فقالوا يا هذا إنا
دخلنا في دين لا يحل لنا الكذب أفينجينا الصديق؟ قال نعم فاخبره بقصتهم فانكبت
الراعي على أرجلهم يقبلها ويقول قد وقع في قلب ما وقع في قلوبكم فقفوا لي عنها حتى
أرد الأغنام إلى أربابها وأعود إليكم فوقفوا له فردها وأقبل يسمى فتبعه كلب له فوثب
اليهودي قائماً وقال يا علي إن كنت عالماً فاخبرني ما كان لون الكلب وإسمه فقال
يا أخا اليهود حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أن الكلب كان أبلق بسواد وكان إسمه قطمير .
قال الأستاذ: اختلف العلماء في لون كلب أصحاب الكهف فقال ابن عباس كان أضر
وقال مقاتل كان أصفر وقال محمد بن كعب كان من شدة حمرة أنه وصفرته يضرب إلى الحمرة
وقال الكلبي لأنه كالثلج وقيل لون الهرة وقيل لون السماء . واختلفوا في إسمه أيضاً
فروى عن علي كرم الله وجهه أن إسمه ريان وقال ابن عباس كان إسمه قطمير وهي
أحدى الروايات عن علي وقال شعيب الجبالي كان إسمه حمرا وقال الأوزاعي نتوى
وقال مجاهد قنطوريا وقال عبد الله بن سلام بسيط وقال كعب أصهب وإسمه تفي
وأخبرنا ابن فتحويه بإسناده عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه أن إسم كلبهم
كان قنطور وقيل قطمير .

أخبرني أبو علي الزهري بإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (ما يعلمهم إلا قليل)
قال أنا من أولئك القليل وهم مكسلينا وتلميذا ومرطايوس وبيدوس وساونوس

ودانوس وكشطرس وهو الراعي والكلاب اسمه قطير كلب أنهر فوق القلطي
ودون المكركي . وقال محمد بن إسحق القلطي الصغير وكتبه أبو عمرو الجبيري .

رجعنا إلى الحديث قال : فلما نظرت الفتية إلى الكلب قال بعضهم لبعض إننا
نخاف أن يفضحنا هذا الكلب بنبيجه فألحوا عليه طرداً بالحجارة فلما نظر إليهم
الكلب وتمطى وقال بإسنان طلق ذلق يا قوم لم تطردوني وأنا أشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له دعوني أحرسكم من عدوكم وأتقرب بذلك إلى الله
سبحانه وتعالى فتركوه ومضوا فصعد بهم الراعي جبلاً واحط بهم على كهف
فوثب اليهودي وقال : يا علي ما اسم ذلك الجبل وما اسم الكهف قال أمير المؤمنين :
يا أخا اليهود اسم الجبل تاجلوس واسم الكهف الوصيد وقيل خيرم .

قال ابن عباس : كانوا يقلبون في السنة مرة لئلا تأكل الأرض لحومهم ويقال
إن يوم عاشوراء كان يوم تقلبهم قال أبو هريرة ، كان لهم في كل سنة تقليبتان .

رجعنا إلى الحديث قال : وأوحى الله تعالى إلى الشمس فكانت تزاور عن
كهفهم ذات اليمين إذا طلعت وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ، فلما رجع الملك
دقيانوس من عيده سأل عن الفتية فقيل له إنهم اتخذوا لها غيرك وخرجوا هاربين
منك فركب في ثمانين ألف فارس وجعل يفتقروا آثارهم حتى صعدوا الجبل وشارف الكهف
فنظر إليهم مضطجعين فظن أنهم نيام فقال لأصحابه لو أردت أن أعاقبهم بشيء
ما أعاقبتهم بأكثر مما أعاقبوا به أنفسهم فأتوني بالبنائين فأتى بهم فرموا عليهم باب
الكهف بالجبس والحجارة ثم قال لأصحابه قولوا لهم يقولون لإلههم الذي في السماء
إن كانوا صادقين يخرجهم من هذا الموضع فكشوا ثلثمائة وتسع سنين فنفتح الله
فيهم الروح وهموا من رقبتهم لما برغت الشمس فقال بعضهم لبعض لقد غفلنا هذه
الليلة عن عبادة الله تعالى فقوموا بنا إلى العين فإذا بالعين قد غارت والأشجار قد
جفت فقال بعضهم لبعض إن أمرنا هذا لفي عجب مثل هذه العين قد غارت في ليلة
واحدة ، ومثل هذه الأشجار قد جفت في ليلة واحدة .

فألقى عليهم الجوع فقالوا أيكم يذهب بورقكم هذه إلى المدينة فليأتنا بطعام
ههنا ولينظر أن لا يكون من الطعام الذي يعجن بشحم الخنازير وذلك قوله
تعالى (فابعثوا أحداكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أذكى طعاماً) أي أحل
وأجود وأطيب فقال لهم تلميذا يا إخوتي لا ياتيك أحد بالطعام غيري وليكن أيها
الراعي ادفع إلى ثيابك وخذ ثيابي فلبس ثياب الراعي ومر وكان يمر بموضع
لا يعرفها وطرق ينكرها حتى أتى على باب المدينة فإذا عليه علم أخضر مكتوب
عليه لا إله إلا الله عيسى روح الله صلى الله على نبينا وعليه وسلم فطفق الفتى ينظر
إليه ويمسح عينيه ويقول أرني نائماً .

فلما طال عليه ذلك دخل المدينة فر باقوام يقرءون الإنجيل واستقبله أقوام
لا يعرفهم حتى انتهى إلى السوق فإذا هو بخباز فقال له يا خباز ما اسم مدينتكم هذه
قال أفسوس قال وما اسم ملككم ؟ قال عبد الرحمن قال تلميذا إن كنت صادقاً
فإن امرئ عجيب ادفع إلي بهذه الدراهم طعاماً وكانت دراهم ذلك الزمان الأول
ثقالاً كبيراً فعجب الخباز من تلك الدراهم فوثب اليهودي وقال : يا على إن كنت
عالماً فاخبرني كم كان وزن الدرهم منها ؟ فقال يا أخا اليهود أخبرني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم
أن وزن كل درهم منها عشرة دراهم وثلاثا درهم ، فقال له الخباز يا هذا إنك قد
أصببت كنزاً فأعطني بعضه وإلا ذهبت بك إلى الملك فقال تلميذا ما أصبت كنزاً
ولمّا هذا من ثمن تمر بعته بثلاثة دراهم منذ ثلاثة أيام وقال ألا ترضى إن أصبت
كنزاً إن أعطيني بعضه حتى تذكر رجلاً جباراً كان يدعى الربوبية قد مات منذ
ثلثمائة سنة وتسخر بي ثم أمسكه واجتمع الناس ثم إنهم أتوا به إلى الملك وكان
عاقلاً عادلاً فقال لهم ما قصة هذا الفتى ؟ قالوا أصاب كنزاً فقال له الملك
لا تخف فإن نبينا عيسى عليه السلام أمرنا أن لا نأخذ من الكسوز إلا خمسها فادفع
إلى خمس هذا الكسوز وامض سالماً فقال أيها الملك تثبت في امرئ ما أصبت كنزاً
ولمّا أنا من أهل هذه المدينة فقال له أنت من أهلها ؟ قال نعم قال اتعرف أحداً ،
قال نعم قال فسمى لنا فسمى له نحواً من مائة رجل فلم يعرفوا منهم رجلاً واحداً .

قالوا يا هذا ما نعرف من هذه الأسماء وليست هي من أسماء أهل زماننا ولكن هل لك في هذه المدينة داراً؟ فقال نعم هذه داري .

ثم قرع الباب فخرج لهم شيخ كبير قد استرخى حاجباه من الكبر على عينيه فقال أيها الناس ما بالكم؟ فقال له رسول الملك إن هذا الغلام يزعم أن هذه الدار داره فغضب الشيخ والتفت إلى تلميذها وتبينه وقال ما اسمك؟ قال تلميذها بن فلسطين فقال الشيخ أعد على فأعاد عليه فانكب الشيخ على يديه ورجليه يقباهما وقال هذا جدي ورب الكعبة وهو أحد الفتيحة الذين هربوا من دقيانوس الملك الجبار إلى جبار السموات والأرض ولقد كان عيسى عليه السلام أخبرنا بقصتهم وأنهم سيحيون . فأنهى ذلك إلى الملك وأتى إليهم وحضرهم .

فلما رأى الملك تلميذها نزل عن فرسه وحمل تلميذها على عاتقه فجعل الناس يقبلون يديه ورجليه ويقولون يا تلميذها ما فعل بأصحابك فأخبرهم أنهم في الكهف وكانت المدينة قد وليها رجلان رجل مسلم وملك نصراني فركبا في أصحابهما وأخذوا تلميذها فلما صاروا قريباً من الكهف قال تلميذها يا قوم إني أخاف أن إخوتي يحسبون بوقع حوافر الخيل والدواب وصلصلة اللجم قفوا قليلاً حتى أدخل إليهم . فأخبرهم فوقف الناس ودخل عليهم تلميذها فوثب إليه الفتية واعتنقوه وقالوا الحمد لله الذي نجاك من دقيانوس . فقال دعوني منكم ومن دقيانوس (كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم) قال بل لبثتم ثلاثمائة وتسع سنين وقد مات دقيانوس وانقرض قرن بعد قرن وآمن أهل المدينة بالله العظيم وقد جاءكم فقالوا له يا تلميذنا تريد أن تصيرنا فتنة للعالمين قال فماذا تريدون . قالوا ارفع يديك وازرع أيدينا فرفعوا أيديهم وقالوا اللهم بحق ما أرى بيننا من العجايب في أنفسنا إلا قبضت أرواحنا ولم يطلع علينا حرام لا نأوت فقبض أرواحهم وطمس الله باب الكهف وأقبل يطوفان حول الكهف سبعة أيام فلا يجدان له باباً ولا منفذاً ولا مسلكاً فأيقنا حينئذ بالظيف صنع الله الكريم وإن أحوالهم كانت عبرة أراهم الله إياها فقالوا

المسلم على ديني ما نوا أنا أبي على باب الكهف مسجدا وقال النصراني قل
على ديني فأنا أبني على باب الكهف ديرا فاقتتل الملاك فغلب المسلم النصراني
على باب الكهف مسجدا فذلك قوله تعالى (قال الذين غلبوا على أمرهم لربنا
عليهم مسجدا) وذلك يا يهودي ما كان من قصتهم .

ثم قال على كرم الله وجهه لليهودي سألتك بالله يا يهودي أوافق هذا
قورأتكم فقال اليهودي ما زدت حرفاً ولا نقصت حرفاً يا أبا الحسن لا تسمنى يهودي
فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإذك أعلم هذه الأمة .

وقال عبيد بن عمير : كان أصحاب الكهف فتية ثمانية مطوقين مسورين ذرى ذوا
وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم عظيم في نوى موكب وأخرجوا
آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ففقد الله في قلوبهم الإيمان وكان
وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد منهم الإيمان عن صاحبه فقالوا في أنفسهم
غير أن يظن بعضهم لبعض نخرج من بن أظهر هؤلاء القوم لئلا يصيدنا عقاب بجره .

فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم عن صاحبه إيمانه مخافة على
م قالوا لبعضهم لبعض ليخرج كل فتية منكم فيخلوا ثم ليفش كل واحد منكم أمره
صاحبه ، فخرج فتية منهم فتوافقوا ثم تكلموا فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه
فأقبلوا وهما مستبشران إلى أصحابهما فقالا : قد اتفقنا على أمر واحد وإذا
جئنا على الإيمان وإذا كهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض (فأور
إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) فدخلوا
الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلاثمائة سنة وتسع سنين قال وفقدهم قومهم
فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم
وأسماءهم وكتبوا في لوح فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم في يوم كذا في شهر كذا
من سنة كذا في ملك فلان بن فلان ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا
ليكون لهذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن .

وقال وهب بن منبه ، جاء حواري من اصحاب عيسى عليه السلام إلى مدينته
اصحاب الكهف فأراد ان يدخلها فقبل له ان على بابها صنبا لا يدخلها أحد إلا سجد
له فكره ان يدخلها فأتى إلى حمام قريب من تلك المدينة وأجر نفسه من الحمامي
وكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام في حماه البركة ودر عليه الرزق فجعل يقوم
عليه وتعلق به فتية من أهل المدينة ، فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر
الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه ، وكان يقول ان الليل لي لا يحول بيني وبينه أحد
فيصلي فيكون على ذلك الحال حتى أتى ابن الملك الحمام بامرأة فدخل بها الحمام فغيره
بها الجوارى وقالوا له انت ابن الملك وتدخل مع هذه فاستحيا ابن الملك بعد أن
سبه وانتهره ولم يلتفت إليهم ثم إنهما دخلا معاً فأتا جميعاً في الحمام فأتى الملك
وقيل له قتل صاحب الحمام لا ينك قالتس فلم يقدر عليه فقال من كان بصحبته فسموا
الفتية فالتسوا فخرجوا من المدينة فرؤا بصاحب لهم في زرع وهو على مثل إيمانهم
فذكروا أنهم التسوا فالتسوا فالتسوا فالتسوا فالتسوا فالتسوا فالتسوا فالتسوا فالتسوا
وقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح إن شاء الله تعالى فترون رأيكم فضرب الله على
آذانهم فخرج الملك في أصحابه يطلبونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف وكان كلما
أراد الرجل منهم أن يدخل الكهف أربع فلم يظن ان أحد يدخله فقال قائل أليس
لو كنت قدرت عليهم قتلتهم ، قال بلى قال فأين عليهم باب الكهف واركبهم فيه
يموتوا عطشاً وجوعاً ففعل ذلك ومضى زمان بعد زمان ثم ان راعياً أدركه المطر
عند باب الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف فادخلت فيه غنمي من المطر فلم
يزل يعالجه حتى فتح الباب ورد الله إليهم أرواحهم من القدر حين أصبحوا .

وقال محمد بن إسحق . مرج أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطففت فيهم
الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبخوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون
بعبادة الله تعالى وتوحيده فيكون من فعل ذلك من ملوكهم ملك الروم يقال له
دقيانوس كان عبد الأصنام وذبج للطواغيت وقتل من خالفه في ذلك من أقام على
دين المسيح وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها أحداً بدين المسيح إلا

مقتله حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهي أفسوس فلما نزلها كبر ذنوبه على أهل
الإيمان فاستخلفوا وهربوا في كل ناحية ودقيانوس قد أمر حين دخلها ان يتبع
أهل الإيمان فيجمعوا إليه واتخذوا شرطاً من كمار أهلها وجعلوا يتبعون أهل
الإيمان في أما كتبهم فيخرجونهم إلى دقيانوس فيقدمهم إلى الجامع الذي يذبح
فيه للطواغيت فيخبرهم بن القتل وعبادة الاوثان والذبح للطواغيت فن القوم
من يرغب في الحياة ومنهم من يأبى ان يعبد الله سبحانه وتعالى فيقتل فلما رأى
ذلك أهل الشدة في الإيمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون.

فلما رأى ذلك الفتية حزتوا حزناً شديداً فقاموا وصلوا واشتغلوا بالتسبيح
والتقديس والدعاء وكانوا من أشرف الروم وكانوا ثمانية نفر فبكوا وتضرعوا
وجعلوا يقولون (ربنا رب السموات والأرض ان ندعوا من دونه إلهاً لقد
قلنا إذا شططا) ربنا اكشف عن عبادك المؤمنين الفتنة وارفع عنهم هذا البلاء
وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك .

فبينما هم على ذلك إذ أدركهم الشرط وكانوا قد دخلوا في مصلى لهم فوجدوهم
سجوداً على وجوههم يبكون ويتضرعون إلى الله تعالى ويسألونه ان ينجيهم من
دقيانوس وقتلته فلما رأهم أولئك الكفرة قالوا لهم : ما خلفكم عن أمر الملك
انطلقوا إليه ثم خرجوا من عندهم ورفعوا أمرهم إلى دقيانوس فقالوا نجمع
الجميع وهؤلاء الفتية أهل بيتك يسخرون منك ويصونك فلما سمع ذلك خبرهم
إما ان يذبحوا آلهم كما ذبح غيرهم من الناس وإما ان يقتلهم الملك مكسلينا وكان
أكبرهم إن لنا إلهاً ملاً السموات والأرض عظمة لن ندعو من دونه إلهاً أبداً
ولن نقر بهذا الذي تدعو إليه أبداً وليكننا نعبد ربنا الذي له التمجيد والتكبير
والتسبيح والتقديس من أنفسنا خالصاً أبداً وإياه نعبد وإياه نسأل النجاة والخير
وأما الطواغيت فلن نعبدها أبداً فاصنع بنا ما بدا لك . ثم قال أصحاب مكسلينا
لدقيانوس مثل ما قال له قالوا فلما قالوا له ذلك أمر بهم فنزع ملبوساً كان عليهم

من ملبوس عظامهم ثم قال لهم إنكم إذا فعلتم ما فعلتم سأؤخركم وأفرغ لكم ما وعدتكم من العقوبة ما ينبغي أن أعجل لكم ذلك لأنى أراكم شباباً حديثه أسنانكم فلا أحب أن أهلكم حتى أعجل لكم ذلك أجلاً فتراجعوا فيه عقولكم ثم أمر بحلية كانت معهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم ثم أمر بهم فأخرجوهم من عنده وانطلق دقيانوس إلى مدينته سوى مدينتهم التي هم بها قريبة منهم لبعض أموره فلما رأى الفتية أن دقيانوس قد خرج من مدينتهم بادروا قدومه وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكرهم فأتمروا أن يأخذ رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقى ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة يقال له بابا جلوس فيسكنون فيه ويعبدون الله تعالى حتى إذا قدم دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما يشاء .

فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم إلى بيت أبيه وأخذ نفقة فتصدقوا منها وانطلقوا بما بقى معهم من نفقتهم واتبعهم كلب كان لأحدهم حتى أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه .

رجعنا إلى حديث ابن إسحق . فلبثوا في ذلك الكهف ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يقال له تلميذا فكان يبتاع لهم من المدينة طعامهم سرأ وكان من أجدهم وأجملهم فكان تلميذا يصنع ذلك فإذا دخل المدينة يصنع ثياباً كانت عليه حسناً ويأخذ ثياباً كثياب المساكين الذين يستطعمون فيه ثم يأخذ درهما فينطلق إلى المدينة فيشتري طعاماً وشراباً ويتسمع ويتجسس لهم الخبر هل يذكر ونهم بشيء ثم يرجع إلى أصحابه فلبثوا كذلك ما لبثوا . ثم قدم دقيانوس المدينة فأمر العظماء فذبحوا للطواغيت فنزع من ذلك أهل الإيمان . وكان تلميذا بالمدينة يشتري طعاماً فرجع إلى أصحابه وهو يبكى ومعه طعام فأخبرهم أن دقيانوس دخل المدينة وإنهم قد ذكروا والتسوا مع عظماء المدينة ليدبحوا للطواغيت فلما أخبرهم بذلك فزعوا ووقعوا سجداً يدعون الله تعالى ويتضرعون إليه ويتعوذون به من الفتنة .

ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضاً فبينما هم كذلك إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف فأصابه ما أصابهم فلما كان من الغد تفقدتهم دقيانوس والتسهم فلم يجدهم فقال لبعض قومه لقد سامني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد كانوا يحسبون إني غضبان عليهم بحملهم ما جعلوا من أمري فإني لا أغضب عليهم إذا تابوا وعبدوا آلهي فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما مردة عصاة مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم قد كنت أجأت لهم أجلا ولو شاءوا لرجعوا في ذلك الأجل وانكبتهم لم يتوبوا .

فلما قالوا له ذلك غضب غضباً شديداً ثم أرسل إلى آبائهم فسألهم عنهم وقال أخبروني عن ابنائكم المردة الذين عصوني فقالوا له أما نحن فلم نملك ولم تقتلنا بقوم مردة لأنهم خالفونا وانطلقوا إلى جبل يسمى ناجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل لا يدري ما يصنع بالفتية فألقى الله في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم وأراد الله تعالى أن يكرمهم ويجعلهم آية لامة تستخلف بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، فأمر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم وقال دعوهم كما هم في الكهف يموتون جوعاً وعطشاً ولا يسمعون أصواتهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفي الله ارواحهم وفاء النوم وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف وقد غشيه ما غشيهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال ، قال ثم إن رجلين مؤمنين كانا في بيت الملك دقيانوس يكتبان إيمانهما إسم أحدهما تندر وس والآخر روبا س اثمرا ان يكتبان شأن الفتية وأنسائهم واسمائهم وخبرهم في لوح من رصاص ويجعله في تابوت من نحاس ويجعله النابوت في البنيان وقال لعل الله ان يطالع على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليه خبرهم حين يقرأ هذا اللوح ففعل ذلك وبني عليه فبقى دقيانوس ما بقي ومات قومه ومات قرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك .

ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تندوسيس فلما ملك بقى في ملكه
ثمانية وثمانين سنة فتحزب الناس في ملكه أحزاباً منهم من أومن بالله العظيم ويعلم
أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فشكا إلى الله
وتضرع إليه وحزن حزناً شديداً لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل
الحق وإنهم يقولون لا حياة إلا الحياة الدنيا وإنما تبع الأرواح ولا تبع
الأجساد وأما الجسد فيأكله التراب ونسوا ما في الكتاب .

فلما رأى الملك الصالح ذلك دخل بيته فأغلقه عليه ولبس مسجاً وجعل تحته
رماداً فدأب ليله ونهاره يتضرع إلى الله ويبكي بما يرى فيه الناس ويقول أى ربى
قد ترى اختلاف هؤلاء؟ فابعث لهم آية ثم إن الرحمن الرحيم جل وعز الذى يكره
اختلاف العباد أراد أن يظهر الفتية اصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم فيجعلهم
آية وحجة عليهم ليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها وأنه يستحب لعبده الصالح
تندوسيس ان يتم نعمته عليه ولا ينزع منه ملكه ولا الايمان الذى أعطاه وان
لا يعبد إلا الله ولا يشرك به شيئاً وان يجمع من كان تبعد من المؤمنين فألقى الله
فى نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى به الكهف وكان اسم ذلك الرجل أولياس
ان يهدم ذلك البنيان الذى على فم الكهف فيبين به حظيرة لغنمه فاستأجر عاملين
فجعلوا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزل ما على فم الكهف
وفتحها عليهم باب الكهف وحججهم الله عن الناس فيزعمون ان اشجع من يريد
ان ينظر إليهم يدخل من باب الكهف ثم يتقدم حتى يرى كلهم نائماً .

فلما نزلت الحجارة وفتح باب الكهف أذن الله تعالى ذو القدرة والعظمة
والسلطان محي الموتى للفتية ان يجلسوا بين ظهرانى الكهف فجلسوا فرحين مسفرة
وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم
التي كانوا يستيقظون منها إذا أصبحوا من ليلتهم التي يبيتون بها .

ثم إنهم قاموا إلى الصلاة فصلوا كالذى كانوا يفعلون لا يرون فى وجوههم
ولا أبصارهم ولا ألوانهم شيئاً ينكرونه إنما هم كهيئتهم حين رقدوا برون أن ملكهم

دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقاتهم ، بين لنا
ما الذي قال الناس في شأننا عشية أمس عند هذا الجبار وهم يظنون أنهم رقدوا
كبعض ما كانوا يرقدون وقد نخيل لهم أنهم قد ناموا كأطول ما كانوا ينامون
في الليلة التي أصبحوا بها حتى تساءلوا بينهم قالوا بعضهم لبعض « وكم لبثتم . قالوا
لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ، وكل ذلك في أنفسهم يسير
فقال لهم تمليخا التمستم في المدينة لتذبحوا للظواغيت أو تقتلوا قالوا فما شاء الله
بعد ذلك قتل . فقال مكسليمينا . يا إخوتاه اعلموا أنكم ملاقوا الله تكفروا به
بعد إيمانكم إذا دعاكم غداً .

ثم قالوا يا تمليخا انطلق إلى المدينة فنسمع ما يقال عابها اليوم وتلطف ولا تشمرن
بك أحداً وابتع لنا طعاماً وائتتنا به وزدنا على الطعام الذي جئتنا به أمس فإنه كان
قليلاً وقد أصبحنا جوعاً ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي
كان يتنكر فيها ثم أخذ ورقاً من نفقاتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس
وكانت كخفاف الربيع فانطلق تمليخا خارجاً فلما مر باب الكهف رأى حجارة
منزوعة عن باب الكهف فتعجب منها ثم مر حتى أتى باب المدينة مستخفياً بعيداً
عن الطريق تخوفاً ان يراه أحد من أهلها فيعرفه فيذهب به إلى دقيانوس الجبار
ولا يشعر العبد الصالح ان دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك ثلاثمائة سنة ،
ولما رأى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق الباب علامة لأهل الإيمان
لما رآها عجب وجعل ينظر إليها مستخفياً فنظر يميناً وشمالاً إنه ترك ذلك الباب
وتحول إلى باب آخر من أبوابها فنظر فرأى مثل فجعل ينخيل له ان المدينة ليست
بالتى كان يعرف ورأى ناساً كثيرين محدثين لم يكونوا قبل ذلك فجعل يمشو بين
بين أظهر أهل سوقها وهو يسمع ناساً يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا
ورأى انه حيران فقام مسنداً ظهره إلى جدران المدينة وهو يقول في نفسه
هذه ليست بالمدينة التي أعرفها فإني اسمع كلام أهلها ولا أعرف واحداً منهم والله
ما أعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالخيران ولا يتوجها وجهها ، ثم إنه لقي

أهل المدينة فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى ؟ فقال أفسوس في نفسه لعل بي مسأ
او أمرا اذهب عقلي والله يحق على أن أبادر الخروج منها قبل أن يصيبني شرف أهلك
هذا ما يحدث به تملينا أصحابه حتى يبين لهم ما فيه ، ثم افاق وقال والله لو عجبت
الخروج من المدينة قبل أن يفتن بي فسكان أكيس لي فدنا من الذين يبيعون الطعام .

ثم أخرج الورقة التي كانت معه فأعطاها رجلا منهم وقال يا عبد الله بعني بهذه
طعاما فأخذها الرجل ونظر إلى ضرب الورق ونقشها فتعجب منها ثم طرجهما إلى
رجل من أصحابه فنظر إليها ، ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل فيتعجبون
منها ثم جعلوا يتشاورون ويقول بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد أصاب كنزا
في الأرض من زمان طويل فلما رأهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا فجعل
يزعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه ولأنهم يريدون ان يذهبوا به إلى ملائكتهم
دقيانوس قال وجعل أناس آخرون يأتونه ويتعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق
اتفصلوا قد أخذتم ورقى فأمسكتموها فلا حاجة لي في طعامكم فقالوا يا فتى فن انت
وما شأنك ؟ فلما سمع قولهم عجب في نفسه ثم قال قد وقعت في كل شيء أحذر
منه ثم قالوا والله يا فتى إنك لا تستطيع ان تكتم ما وجدت ولا تظن في نفسك ان
تستخفي عليك فتحير في نفسه وليس يدري ما يقول لهم وما يرجع إليهم و فرق
حق ما يخبرهم بشيء فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه وطوقوه في عنقه ثم جعلوا
يقودونه في سكك المدينة مكبلا حتى سلح به من فيها وقيل أخذ رجل عنده كنزا
فاجتمع عليه أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجعلوا ينظرون إليه ويقولون والله
ما هذا الفتى من أهل المدينة وما رأينا فيها قط وما نعرفه فجعل تملينا وما يدري
ما يقول لهم مع ما يسمع منهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق ولم يتكلم ولو قال
لأنه من أهل المدينة لم يصدق وكان مستيقنا أن أباه وإخوته في المدينة وان حسبه
في أهل المدينة من عظام أهلها وأنه لا يعرف اليوم من أهلها أحدا فيبيناهم قائم
كالخيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله فيخاطبه من أيديهم ، فبينما هو كذلك إذ
(م ٣١ - قصص الانبياء)

قد اختطفوه وانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومديريها وهما رجلان صالحان اسم
أحدهما أرموس والآخر أسطيوس .

فلما انطلقوا به ظن تلميذا أنهم انطلقوا به إلى دقيانوس الملك فجعل يلتفت
يميناً وشمالاً وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون والهيران فجعل
تلميذا يبكي ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إله السموات والأرض أفرغ
على اليوم صبراً وأوج معي روحاً منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يبكي
ويقول في نفسه فرق بيني وبين إخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت فيأتون فتقوم
جميعاً بين يدي هذا الجبار فإننا كنا قد توافقنا لنكونن معاً لأنكفر بالله ولا نتفرق
في موت ولا في حياة أبداً حتى انتهى إلى الرجلين الصالحين أرموس واسطيوس .

فلما علم تلميذا أنه لم يذهب إلى دقيانوس أفاق وسكن ما به فأخذ أرموس
واسطيوس الورق ونظرا إليهما وعجبا منها ثم قال أحدهما أين الكنز الذي
وجدت يافتي ؟ فقال ما وجدت كنز وإنما هذه الورق ورق آبائي ونقش هذه
المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ما شأنى وما أدري ما أقول لكم فقال
أحدهما من أنت ؟ فقال له تلميذا قال فمن أبوك ومن يعرفك بها ؟ فأنبأهم باسم
أبيه فلم يجدوا أحداً يعرفه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تذببنا بالحق فلم
يدر تلميذا ما يقول غيره ثم انه نكس بصره إلى الأرض ، فقال بعض من حضر :
هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون وإنما كنهه يحقق نفسه عمداً لكي ينفلت
منكم فقام أحدهما ونظر إليه نظراً شديداً وقال له اتظن أنا رسلك ونصدقك بأن
هذا مال أبيك ولضرب هذه الورق ونقشها أكثر من ثلاثمائة سنة أنت غلام شاب
تظن ان تأفكنا وتسخر بنا ونحن سمط كما ترى وحولك سراة هذه المدينة
وولاية أمرها وخزائن هذه البلاد بايدنا وليس عندنا من هذا الضراب درهم ولا دينار
لأعذبك عذاباً شديداً ثم أوثقك حتى تعرفنى هذا الكنز الذي وجدت ، فلما قال
له ذلك قال تلميذا انبؤوني عن أسألكم عنه فإن فعلتم صدقتكم عما عندي فقالوا

سل لانكتمك شيئاً قال ما فعل بالملك دقيانوس ؟ فقال له تملينها فوالله ما أجد من الناس أحدا يصدقني على ما أقول لقد كنا فتية وإن الملك دقيانوس أكرهنا على عبادة الأصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فبتنا فلما انتهينا نخرجت لأشترى لأصحابي طعاماً وأنجس الأخبار فإذا كما ترون فانطلقوا معي إلى الكهف الذي في جبل ناجلوس أريكم أصحابي .

فلما سمع أرموس ما يقول تملينها قال : يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم عبرة على يد الفتى فانطلقوا معه يرينا أصحابه فانطلق معه أرموس وأسطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم وكان الفتية أصحاب الكهف ظنوا ان تملينها قد احتبس عنهم لأنه لم يأتهم بطعامهم وشرابهم في القدر الذي كان يأتي فيه فظنوا انه قد أخذ وذهب به إلى دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفون إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل مصعدة عندهم فظنوا انهم رسل الجبار وأنه بعث إليهم ليؤتي بهم فقاموا حين سمعوا ذلك إلى الفلاة وسلم بعضهم على بعض ثم قالوا انطلقوا بنا نأت أخانا تملينها فإنه الآن بين يدي دقيانوس ينتظر متى نأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهراني الكهف ولم يشعروا إلا وأرموس وأصحابه وقوف على باب الكهف وقد سبقهم تملينها قد دخل عليهم وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم إنهم سألوه عن شأنه فأخبرهم بخبره وقص عليهم الحديث كله فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياماً بأمر الله ذلك الزمان كله وإنما أوقفوا ليكونوا آية للناس وتصديقاً للبعث وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على أثر تملينها أرموس فرأى تابوتاً من نحاس محتوماً بنحاتهم من فضة فقام بباب الكهف ، ثم دعار جالا من عظام أهل المدينة ففتحوه التابوت فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوباً فيهما إن مكسلينا و تملينها ومرطونس وكشيطونس وداسيوس وتكريوس وبطيونس كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة ان يفتنهم فدخلوا هذا الكهف فلما علم مكانهم ملكهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة ولما كنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلم من بعدهم إن عشر عليهم

فلما قرأوه عجزوا وحمدوا الله تعالى الذي أراهم آية البعث فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوساً مشرقة وجوههم لم تبلى ثيابهم فنحى أرموس وأصحابه سجوداً وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضاً وأنبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم أن أرموس وأصحابه بعثوا إلى ملكهم الصالح تندوسيس فاعجل لملك تنظر آية من آيات الله تعالى قد أظهرها الله في ملكك فاعجل إلى فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلاثمائة سنة فلما أتى الخبر قام من السدة التي كان عليها وقال: أحمدك اللهم رب السموات والأرض تطولت على ورحمتي برحمتك فلم تطفىء النور الذي جعلته لآبائي وللعباد الصالح فسطيطوس الملك فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا إليه وساروا معه حتى أنوا الكهف .

فلما رأى الفتية تندوسيس الملك ومن معه فرحوا به وخرروا ساجداً لله على وجوههم وقام تندوسيس قدامهم ثم أعانقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه ثم إن الفتية قالت لتندوسيس نستودعك الله ونقرأ عليك السلام وحفظك الله وحفظ ملكك وأعاذك من شر الجن والإنس فبينما الملك قائم إذ رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفي الله أرواحهم قام الملك إليهم فجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل لكل رجل منهم تابوت من ذهب فلما أمسوا أتوه في المنام فقالوا إنا لم نخلق من ذهب ولا من فضة ولا كنا خلقنا من تراب وإلى التراب نصير فتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فأمر الملك حينئذ بتوابيت من ساج فجعلوا فيها وجعهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد أن يدخل عليهم وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجداً يصلى فيه وجعل لهم عيداً عظيماً وأمر أن يوتي كل سنة ، وقيل إنهم لما أتوا باب الكهف قال تمليننا دعوتني أدخل على أصحابي فأبشروهم فدخل وقبض الله روحه وأرواحهم وعسى عليهم مكانهم فلم يهتدوا إليه كما ذكر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فهذا خبر أصحاب الكهف .

(مجلس في ذكر جرجيس عليه السلام)

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبي بإسناده عن وهب بن منبه البجلي قال كان في الموصل ملك يقال له زنانة، وكان ملك الشام كلها ودان له أهلها، وكان جببارا غابيا وكان يعبد صنما يقال له أفلون؛ وكان جرجيس عبدا صالحا من أهل فلسطين قد أدرك بقايا من حوارى عيسى بن مريم عليه السلام وكان تاجرا كثير المال عظيم الصدقة؛ وكان لا يأمَن ولا ية المشركين عليه مخافة أن يفتنوه عن دينه فخرج يوماً يريد ملك الموصل ومعه مال يريد أن يهديه إليه لئلا يجعل لأحد من تلك الملوك سلطانا عليه دونه فجاء وقد برز في مجلس له وأمر بصنمه أفلون فنصب والناس يعرضون عليه وهو يعذب من خالفه بأبواب العذاب وقد أوقد نارا عظيمة .

فلما رأى جرجيس عليه السلام فزع منه وهاله فعمد إلى المال الذي أراد أن يهديه له فقسمه على أهل ملته حتى لم يبق منه شيء وكره أن يجاهده بالمال فأقبل عليه، وقال له اعلم أنك عبد ملوك لا تملك لنفسك شيئا ولا لغيرك وأن لك رباً هو الذي يملكك وغيرك وهو الذي خلقك ورزقك ويحييك ويميتك ويضرك وينفعك؛ وإذا قال شيء كن فيكون وإنك إنما عمدت إلى خلق من خلقه أصم لا يسمع ولا يبصر ولا يفنى عنك شيئا من الله فزيته بالذهب والفضة وجعلته قننة أناس ثم عبده من دون الله، فقال الملك له إن سأله عن حاله وأمره ومن هو ومن أين هو، فقال جرجيس أنا عبد الله وابن عبده وابن أذل عباده من التراب خلقت وإليه أصير، فقال له الملك لو كان ربك الذي تزعم كما تقول لرؤى أثره عليك كما رؤى أثرى على من حولي ومن هو في طاعتي فأجابه جرجيس بتحميد الله وتعظيم أمره؛ ثم قال أتعدل أفلون الأصم الأبكم الذي لا يفنى عنك شيئا برب العالمين الذين قامت السموات والأرض بأمره أم تعدل طوفانيا ومانال بولايتك فإنه عظيم قومك بما نال إلياس من ولاية الله تعالى فإن إلياس كان في بدء أمره آدميا يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق فأكرمه الله تعالى حتى أنبت له الريش وكساه النور فصار

إنسيا سماويا أرضيا يطير مع الملائكة أم تعدل مخاطيس وما قال بولايتك فإنه عظيم
قومك بالمسيح بن مريم وما قال بولاية الله تعالى فإن الله تعالى فضله على رجال العالمين
وجعله وأمه آية للمعتبرين ، أم تعدل هذه الروح الطيبة التي اختارها بكلمته وفضلها
على إمامه وما نالت بولاية الله بأربيل وما نالت بولايتك حتى اقتحمت الكلاب
بيتها فانتهمشت لحمها وولفت في دمها وقطعت الضباج أوصالها فقال له الملك
إنك لتحدثنا بشيء ليس لنا به علم فأتتنا بالرجلين اللذين ذكرتهما قال إن تراهما
ولن يزيالك إلا أن تعمل بعملهما فتتزل منازلهما فقال له الملك أما نحن فقد أعذرتنا
إليك وتبين لنا كذبك لأنك فخرت بأمر عجزت عنها ولم تأت بتصديقها ، ثم
إن الملك خير جرجيس بين العذاب وبين السجود لأفلون فقال له جرجيس إن
كان أفلون هو الذي رفع السماء ووضع الأرض فقد أمسيت ونصحت لي وإلا
فاخسأ أيها اللعوس الملعون فلما سمعها الملك غضب وشتمه وسب إلهه وأمر بنخشة
فنصبت له وجعل عليها أمشاط الحديد فخدش بها جسده حتى تقطع لحمه وجلده
وعروقه ونضح عليه خلال ذلك بالخل والخردل فحفظه الله من ذلك الألم والهلاك .

فلما رأى الملك أن ذلك لم يقتله أمر بستة مسامير من حديد فأحيت حتى جعلت
نارا فسمر بها رأسه حتى سال دماغه فحفظ من الألم والهلاك فلما رأى ذلك أنه لم
يقتله أمر بحوض من نحاس فاوقد عليه حتى إذا جعله نارا أمرته فادخل في جوفه
واطبق عليه فلم يدل فيه حتى برد حره فلما رأى ذلك لم يقتله دعا به فقال له جرجيس
ألم تجد ألم هذا العذاب الذي تعذب به ، فقال إن ربي الذي أخبرتك به حمل العذاب
عني وصبرني لأحتج عليك فلما قال له ذلك أيقن بالشر وخاف على نفسه ومملكته
وأجمع رأيه على أن يخلده في السجن فقال له الملائمة من قومه إنك إن تركته طليقا في
السجن يكلم الناس أو شك أن يميل بهم عليك ولا يمكن مر له بمذاب في السجن
فيشغله عن كلام الناس فأمر به فبطح على وجهه ثم أوتده في يديه ورجليه أربعة
أوتاد من حديد وأمر باسطواذه من رخام فوضعت على ظهره ثم إنه حمل تلك
الأسطوانة ثمانية عشر رجلا فضل يومه موتا تحت الحجر فلما أدرك الليل أرسل

الله تعالى إليه ملكا وذلك اول ما ايده الله تعالى بالملائكة واول ما جاء الوحي فقلع عنه الحجر ونزع عنه الأوتاد من يديه ورجليه وأطعمه وسقاه وبشره بالنصر .

فلما أصبح أخرجهم من السجن ثم قال له الحق بعدوك فجاهده في الله حق جهاده ؛ فإن الله يقول لك اصبر وابشر فإنى قد ابتليتك بعدوى هذا سبع سنين يعذبك ويقتلك فيهن اربع مرات وفي كل ذلك أرد إليك روحك فإذا كان في القتلة الرابعة نقلت روحك وأوفيتك اجر ك فلم يشعروا إلا وقد وقف جرجيس على رؤوسهم يدعوهم إلى الله تعالى فقال له الملك يا جرجيس من أخرجك من السجن فقال أخرجني الذي سلطانه فوق سلطانتك فلما قال له ذلك مله غيظا ودعا بأصناف العذاب وقال لهم الملك مدوه بين خشبتين فمدوه ثم انهم وضعوا سيفا على مفرق رأسه فشره حتى سقط من بين رجليه وصار جز من ثم عمدوا إلى أجزائه فقطعوها قطعا ودعوا له سبعة أسود ضارية كانت له في جيب وكانت صنفا من اصناف عذابه فرموا بجسده إليها فلما هوى نحوها امر الله عز وجل نخصعت برؤوسها وأعناقها وقامت على برائتها تقيسه الألم فظل يومه ذلك ميتا وكانت أول موته ماتها ، فلما ادركه الليل جمع الله جسده الذي قطعوه وضم بعضه إلى بعض حتى سواه ثم رد الله إليه روحه وأرسل إليه ملكا فاخرجه من الجب فأطعمه وسقاه وبشره بالنصر ، فلما أصبحوا قال له الملك يا جرجيس قال اميك قال له : اعلم ان القدرة التي خلق الله بها آدم هي التي اخرجتك من الجب اخرج فالحق بعدوك وجاهده في الله حق جهاده وموت الصابرين ، فلم يشعر الملك واصحابه الآخرون إلا وقد أقبل جرجيس وهم عجوف على عيد لهم قد صنعوه فرحاً بموت جرجيس ، فلما نظروا إلى جرجيس مقبلا قال الملك ما اشبه هذا الرجل بجرجيس فقالوا كأنه هو ، فقال الملك ليس هو حقا ألا ترون إلى سكون ريحه وقلة هيئته فقال جرجيس بلى هو فبتس القوم انتم قتلتم ومثلتم فاحيانا الله تعالى بقدرته فملموا إلى الرب العظيم الذي اراكم ما اراكم فلما قال لهم ذلك أقبل بعضهم إلى بعض وقالوا ساحر سحر اعينكم فجمعوا له من كان ببلاد الملك من

السحرة فلما جاء السحرة قال الملك لكبيرهم اعرض علي من كبير سحر ك مايسر
عيني فقال ادع لي بشور من البقر فلما اتى به نفث في إحدى اذنيه فانشتت اذنينه
ثم نفخ في الاذن الاخرى فاذا هو ثوران ، ثم دعا ببنر فخرث وبنر ونبت
الزرع وحصد ثم درس وذرى وطحن وعجن وخبز كل ذلك في ساعة واحدة
وهم يرون : فقال له الملك هل تقدر ان تمسخ لي جرجيس دابة ، فقال الساحر
ادع لي بقدر من ماء ، فلما أتى بالقدح نفث فيه الساحر ثم قال للملك اعزم
عليه ان يشربه فشر به جرجيس حتى اتى على آخره ، فلما فرغ منه قال له الساحر
ماذا تجد ، قال ما اجد الا خيرا كنت قد عطشت فعطف الله لي بهذا الشراب
وقواني به عليكم فلما قال ذلك اقبل الساحر على الملك وقال له ، اعلم ايها الملك
انك كنت تقايس رجلا مثلك . إذا لمكنت غلبته ، ولمكنت تقايس جبار السموات
والارض وهو الملك الذي لا يرام .

وقد كانت امرأة مسكينة من أهل الشام قد سمعت بجر جيس وما يصنع من
الاعاجيب فأتته فقالت له يا جرجيس أنا امرأة مسكينة ولم يكن لي مال الا ثوران
كنت أحرث عليهما فماتا فجهتكت لترحمي وتدعو الله أن يحي لي ثوري فلما سمع
كلامها ذرفت عيناه ثم دعا الله أن يحي لها ثوريا ثم إنه أعطاهما عصا وقال لها
اذهي إلى ثوريك فاقر عيما بهذه العصا وقولي لهما احببيا بإذن الله تعالى فقالت
يا جرجيس إن ثوري قد ماتا منذ سبعة أيام ومزقتهما السباع وبينى وبينهما أيام
فقال لها لو لم تجدي منهما الا شيئا يسيرا وقر عتيه بالعصا فانهما يقومان بإذن الله
تعالى فانطلقت المرأة حتى اتت مصرعهما وكان أول شيء بدا لها من ثوريا ذقن
احدهما وشعر أمني الآخر فجمعت احدهما إلى الآخر وقر عتهما بالعصا وقالت
كما امرها فقام الثوران بإذن الله تعالى ، قال رجل من اصحاب الملك وكان
أعظمهم عند الملك إنكم قد وضعت أمر هذا الرجل على السحر وإنكم قد عذبتوه
فلم يصل إليه عذابكم وقتلتموه فلم يمت فهل رأيت ساجرا يذرا عن نفسه الموت
أو أحيا ميتا قط فقالوا إن كلامك بكلام رجل صبا إليه فلعله استهواك إليه

قال آمنت بالله واشهد أني بريء مما تعبدون فقام إليه الملك واصحابه
فالتناجر فقتلوه .

فلما رأى القوم ذلك اتبع جرجيس أربعة آلاف آمنوا فعمد إليهم الملك فلم
يزل يعذبهم بألوان العذاب حتى افناهم فلما فرغ منهم قال لجرجيس هلا دعوت ربك
فاحيا لك اصحابك هؤلاء الذين قتلوا بجزيرتك فقال جرجيس ما خلى بيني وبينهم
حتى حانت آجالهم فقال لهم رجل من عظمائهم يقال له مخلص إنك زعمت يا جرجيس
إن إلهك هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، وإنى سألتك أمرا إن فعلته آمنت بك
وصدقتك وكفيتك ؛ نحن قوم حولنا أربعة عشر كرسيًا وهذه مائدة بيننا عليها
أقداح وصحاف من اشجار شتى فادع ربك بنشء هذه الكراسى والأواني كما
بدأها أول مرة تعود خضراء فيعرف كل عود منها انبوتته ورقه وزهره فقال له
جرجيس : إنه على الله لمن فدعا الله عز وجل فما برحوا من مكانهم حتى اخضرت
تلك الكراسى والأواني كلها وأورقت وازهرت واثمرت فلما نظروا إلى ذلك
انتدب لهم مخلص الذي تمنى عليه ما تمنى فقال انا اعذب لكم هذا الساحر عذابا
يبطل به كيده ثم إنه عمده إلى نحاس فصنع منه صورة ثور له جوف واسع ثم
حشاها فقطا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا ثم ادخل جرجيس مع الحشو في جوفه
ثم اوكد على الصورة حتى التهب وذاب كل شيء فيها وجرجيس في جوفها ،
فلما مات جرجيس أرسل الله ريحا عاصفا فمات السماء سخابا أسود فيه رعد
وبرق وصواعق وأرسل الله أعصارا ملامت بلادهم عجاجا وقتاما ، وأرسل الله
ميكائيل فاحتمل الصورة التي فيها جرجيس حتى إذا أقلبها ضرب بها الأرض
ففرغ من روعها أهل الشام فخرجوا لوجوههم صاعقين وانكسرت الصورة
مخرج منها جرجيس حيا . فلما وقف يكلمهم انكشفت الظلمة واسفر ما بين
السماء والأرض ورجعت إليهم أنفسهم فقال له رجل يقال له طوفليا لا تدري
يا جرجيس إن كنت تصنع هذه الاعاجيب أم ربك . فإن كان ربك هو الذي
يصنع فادعه يحيى لنا موتانا التي في القبور فإن فيها امواتا منهم من نعرفه

ومنهم من لا يعرفه فقال له جرجيس لقد علمت أن ما يصفح الله عنكم هذا الصفيح ويريك هذه الاعاجيب ثم إنه أمر بالقبور فنبشت وهي عظام رفات وأقبل جرجيس على الدعاء فما برحوا من مكانهم حتى نظروا إلى سبعة عشر إنساناً تسعة رجال وخمس نسوة وثلاثة صبية وإذا فيهم شيخ كبير فقال له جرجيس يا شيخ ما اسمك ، فقال يا جرجيس إسمي توبيل قال متى مت ، قال في زمان كذا وكذا فحبسوه فاذا هو مات منذ أربع مائة عام ، فلما نظر الملك وأصحابه إلى ما فعل قالوا ما بقي من أصناف العذاب شيء إلا وقد عذبتموه إلا الجوع والعطش فعذبوه بهما فعمد إلى بيت عجوز كبيرة فقيرة كان لها ابن أعمى أصم أبكم مقعد فحضره في بيتها وكانوا لا يوصلون له من عند أحد طعاماً ولا شرباً فلما بلغ به الجوع قال للعجوز هل عندك من طعام أو شراب فقالت لا ما عهدنا الطعام منذ كذا وكذا وسأخرج أتس لك شيئاً فقال لها جرجيس هل تعرفين الله تعالى ، قالت نعم . قال إياه تعبدين ، قالت لا ، فدعاها إلى الله فصدقتها ، ثم إنها انطلقت تطالب لها شيئاً وكان في بيتها دعامة من خشب يابسة تحمل خشب البيت فأقبل على الدعاء فأحضرت تلك الدعامة وأنبتت له كل فاكهة تؤكل أو تعرف حتى كان مما أنبتت اللوبيا واللياز وهو مثل البردي ، فأقبلت العجوز وهو فيما شاء يأكل رغداً فلما رأته الذي حدث في بيتها من بعدها قالت آمنت بالذي أطعمك في بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم أن يشفي ابني فقال لها أدنيه مني فأدنته فبصق في عينيه فأبصر ونفت في أذنيه فسمع فقالت له أطلق لسانه ورجليه رحمك الله قال لها أخريه فان له يوماً عظيماً .

وكان الملك قد خرج يوماً في مدينته إذ وقع بصره على شجرة فقالوا له إن تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذي أردت أن تعذبه بالجوع فهو فيما يشاء يأكل وقد شبع منها وأشبع العجوز الكبيرة الفقيرة وردها كما كانت أول مرة فتركوها وأمر بجر جيس فبطح على وجهه وأوتدله أربعة أوتاد وأمر بعجل فأوقد أسطوانته وجعل في أسهل العجل خناجر وشفار ثم أمر بأربعين ثوراً فنهضت بالعجل

مهمضة واحدة وجر جيس تحتها فانقطع ثلاث قطع فأمر بقطعة أن تحرق فالتقيت في النار حتى عادت زماداً فبعث بذلك الرماد وبعث معه رجلاً فدروه في البحر فما برحوا عن مكانهم حتى سمعوا صوتاً من السماء : يا بحر إن الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من الجسد الطيب فإني أريد أن أعيده كما كان ، ثم أرسل الله الرياح فأخرجته من البحر ثم جمعته حتى صار الرماد صرة واحدة كهيئته قبل أن يذرى فخرج معه جرجيس مغبراً ينفذ رأسه فرجعوا ورجع جرجيس وأخبروا الملك فقال له الملك يا جرجيس هل لك فيما هو خير لي ولك وما نحن فيه ولولا أن يقول الناس إنك غلبتني وقهرتني لاتبعتك وآمنت بك ولما سجد لأفلون سجدة واحدة وأذبح له شاة واحدة ثم إنني أفعل لك ما يسرك فقال له نعم مهما شئت فعلت فأدخلني في صنمك ففرح الملك بقوله أن تظل هذا اليوم ولا تبیت هذه الليلة إلا في بيتي وعلى فراشي وكرامتي حتى تستريح فأخلى له بيته فظل فيه جرجيس حتى إذا أدركه الليل قام يصلي ويقرأ الزبور وكان أحسن الناس صوتاً فلما سمعته امرأة الملك استجابت له فلم يشعر إلا وهي خلفه تبكي فدعاها جرجيس إلى الإيمان فآمنت به وأمرها فكتمت إيمانها فلما أن أصبح الصبح غدا به إلى بيت الأصنام ليسجد لها فلما سمعت المعجوز بذلك خرجت تحمل ابنتها على عاتقها وتوبخ جرجيس والناس مشتغلون عنها .

فلما دخل جرجيس بيت الأصنام ودخل الناس معه نظروا وإذا بالمعجوز وإبنتها على عاتقها أقرب الناس إليه مقاما فلما رآها جرجيس دعا ابن المعجوز بإسمه فنطق وأجابه ولم يتكلم قبل ذلك قط ثم اقتحم عن عاتق أمه ومشى على رجليه ولم يكن يبطأ الأرض قبل ذلك بقدميه قط ، فلما وقف بين يدي جرجيس قال له اذهب فادع لي هذه الأصنام وهي يومئذ سبعون صنماً على منابر من ذهب وهم يعبدونها ويعبدون معها الشمس والقمر فقال له الغلام كيف أدعوا الأصنام فقال له قل لها إن جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذي خلقك إلا ما أجبته فلما قال لها الغلام ذلك أقبلت تندرج إلى جرجيس فما انقهرت إليه ركضت الأرض

برجله فنخسف بها ، وبمنابرها وخرج إبليس لعنه الله من جوف صنم منها هاربا
من الخسف فلما مر بجر جيس أخذ بناصيته فنخضع له وكله جر جيس فقال أخبرني
أيها الروح النجسة والخلق الملعون ما الذي يحملك على أن تهلك الناس معك
وأنت تعلم أنك وجنك تصيرون إلى جهنم ، فقال له إبليس لعنه الله لو خيرت
بين ما أشرقت عليه الشمس وبين ما أظلم عليه الليل وبين هلكة واحد من بني آدم
وضلالته لا خيرت هلكته على ذلك كله وإنه ليقع في من الشهوة واللذة في ذلك
جميع ما يتلذذ به جميع الخلق ألم تعلم يا جر جيس أن الله تعالى أسجد لأبيك آدم
جميع الملائكة فسجدوا كلهم وامتنعت من السجود وقلت أنا خير منه ؛ قال فلما
قال هذا خلى سبيله جر جيس .

قال الملك يا جر جيس غررتني ونخدعتني وأهلكت آلتي فقال جر جيس لعله
فعلت ذلك لتعتبر ولتعلم أنها لو كانت آفة لدافعت عن نفسها وإنما أنا مخلوق
ضعيف لا أملك إلا ما ملكت يدي .

فلما قال هذا جر جيس أقبلت امرأة الملك وكلمتهم وكشفت لهم عن إيمانها
وقالت لهم ما تنتظرون من هذا الرجل لإدعوة فينخسف بكم الأرض كما نخسف
بأصنامكم اتقوا الله أيها القوم في أنفسكم ، فقال الملك ويحك يا اسكندرة ما أمرع
ما أضلك هذا الساحر في ليلة واحدة نقالت أمارأيت الله كيف يظفره بك ويسلطه
عليك فيكون له الفلاح والحجة في كل موطن .

فلما سمع كلامها أمر بها الملك عند ذلك فحملت على خشبة جر جيس التي كان
علق عليها وجعلت عليه الأمشاط التي جعلت على جر جيس ؛ فلما آلمها قالت :
ادع ربك يا جر جيس فينخسف عني فاني قد آلمني العذاب فقال لها انظري فوقك
فلما نظرت ضحككت فقال لها الملك ما يضحكك ، قالت أرى ملكين فوقي ومعهما
تاج من حلي الجنة ينتظرون خروج روحى ؛ فلما خرجت روحها زينها بذلك
التاج ثم صعدا بها إلى الجنة ؛ فلما قبض الله روحها أقبل جر جيس على لدعاء وقال
اللهم انت أكرم مني بهذا البلا . لتعطيني منازل الشهداء فهذا آخر أيامي الذي كنت

وعدتني فيه الراحة من بلاء الدنيا . اللهم انى اسالك أن لا تقبض روحي ولا أزول
من مكاني هذا حتى تنزل بهؤلاء المتكبرين من سطواتك ونعمتك . الا قبل لهم به
حتى تشفى به صدري وتقربه عني فانهم ظلموني وعذبوني فيك . اللهم انى اسالك
أن لا يدعوا بهدى داع في بلاء وكرب فيك كرنى ويشدك باسمى الا فرجت عنه
ورحمته وأجبتة وشفعتني فيه فلما فرغ من هذا الدعاء أمطر الله عليهم نارا فلما
رأوا ذلك عمدوا إليه فضربوه بالسيوف غيظا من شدة الحريق ليعطيهم الله بالقتله
الرابعة ما وعدته ثم احترقت المدينة بجميع ما فيها وصارت رمادا فحملها الله من
وجه الأرض وجعل عاليها سافلها ، وكان جميع من آمن بجرجيس قد قتل وقتل
معه أربعة وثلاثين ألفا وامرأة الملك ، وقال الأستاذ وكانت قصة جرجيس في
أيام ملوك الطوائف والله أعلم .

(باب في قصة شمسون النبي عليه السلام)

أخبرنا عبد الله الضبي بإسناده عن وهب بن منبه ، أن رجلا من أهل قرية من
قرى الروم يقال له شمسون بن مسوح كان فيهم مسلما من أهل الإنجيل وكانت
أمه قد جعلته نذيرا وكان قومه أهل أوثنان يعبدونها من دون الله وكان منزله منها
على خمسة أميال وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم في الله فيقتل منهم ويسبي ويصيب
الأموال فتعب وعطش انفجر له من الحجر ماء عذب فيشرب منه حتى يروى
وكان قد أعطى قوة في البطش وكان لا يوثقه حديد ولا غيره لجاهدهم في الله
ألف شهر يصيب منهم حاجته فاحتالوا عليه وقالوا لآناتيه إلا من قبل امرأته
فجعلوا لها جعلاً على ذلك فأجابتهم وقالت أنا أو ثقتكم فأعطوها حبلاً وثيقاً .
وقالوا لها إذا نام فأوثقي يديه إلى عنقه حتى تأتيه فتأخذه فلما نام أوثقت يديه
إلى عنقه بذلك الحبل ، فلما انقضى من نومه جذبته بيديه فوقع من عنقه فقال لها لم
فعلت ذلك فقالت له أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فارتدت إليهم وقالت
لهم انى قد ربطته بالحبل فلم يغن عنه شيئاً فإرسلوا إليها بجماعة من حديد وقالوا
لها إذا نام فاجعليها في عنقه فلما نام جعلتها في عنقه ثم أحكتها . فلما هب جذبها

فوقعت من عنقه ويده فقال لها لم فعلت هذا قالت أجرب به قوتك ما رأيت مثلك
قط فمل في الأرض شيء يغلبك قال لا إلا شيء واحد قالت وما هو . قال ما أنا
بمخبرك به فلم تزل تسأله حتى قال لها ويحك إن أمي كانت أخبرتني أن لا يغلبني
شيء أبدا ولا يغيبني إلا شعري فلما نام أوثقت يده إلى عنقه بشعر رأسه فاوقفه
ذلك فبعثت إليهم فجاءوا وأخذوه فجدعوا أنفه وأذنيه وفقتوا عينيه وأوقفوه
بين ظهرا في المدينة وكان ملكهم قد أشرف عليها هو والناس لينظروا إلى شمسون
وما يصنع به فدعا الله شمسون حين مثلوا به وأوقفوه على الناس أن يسلطه عليهم
فامر أن يأخذ بعمودين من عمد المدينة التي عليها الملك والناس معه فيجذبهما جميعاً
فجذبهما فانهارت المدينة بمن فيها فملكوا فيها هدماً وهلكت أيضاً امرأته معهم
ورد الله تعالى عليه بصره وما أصابوا من جسده تاماً وعاد كما كان وكانت قصة
شمسون في أيام ملوك الطوائف والله أعلم .

(باب في قصة أصحاب الآخدود)

قال الله تعالى (قتل أصحاب الآخدود النار ذات الوقود) الآيات وروى عن
عطاء عن ابن عباس أنه كان بنجران ملك من ملوك حبر يقال له يوسف ذونواس
ابن سرحيل في الفترة قبل مولد النبي ﷺ بسبعين سنة وكان له ساحر حاذق فلما
كبر قال للملك إنى قد كبرت . فأبعث لي غلاماً اعلمه السحر فبعث إليه غلاماً يقال
له عبد الله بن السامر يعلمه السحر فمكره الغلام ذلك فجعل يتخلف عن الساحر
وكان في طريقه راهب حسن القراءة وحسن الصوت فقعد الغلام عنده وسمع
كلامه فأعجبه وكان يبطله عند الراهب ويأني المعلم فيضربه ويقول له ما أبطاك .
فشكا الغلام ذلك إلى الراهب فقال له الراهب إذا أنيت المعلم فقل حبسنى أى
وكان في تلك البلاد حية عظيمة قد قطعت الطريق على الناس فرجها الغلام ورماها
بحجر وقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتلها فلما
رماها قتلها فأتى الراهب وأخبره فقال الراهب أنت قتلتها ؟ قال نعم قال إنك لشارأ

وقد بلغ من أمرك ما أرى وإني سقتبلى فإذا ابتليت فلا تدل على فيمكن الغلام يبرىء
الأكمة والأبرص ويشفى المرضى .

وكان للملك ابن عم مكفوف البصر فسمع بالغلام وقيله الحية ، فجاءه مع
قائد وقال له . أنت قتلت الحية ؟ قال لا . قال فمن قتلها ؟ قال الله تعالى ، قال
فمن الله قال رب السموات والأرض وما بينهما ورب الشمس والقمر والليل
والنهار والدينا والآخرة ، قال إن كنت صادقاً فادع الله أن يرد على بصري فقال
له الغلام أرأيت إن رد الله عليك بصرك تؤمن بالله . قال اللهم إن كان صادقاً
فأردد عليه بصره فرجع إلى منزله بلا قائد ثم دخل على الملك فلما رآه تعجب منه
وقال له من فعل هذا بك فقال الله قال ومن الله ؟ قال رب السموات والأرض
فقال له الملك أخبرنى من علمك هذا ؟ فأبى فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام
فجىء بالغلام فقال له الملك يا بنى قد باع من سحر هذا . فقال له الغلام إني
لا أشفى أبداً وإنما يشفى الله فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجىء بالراهب
فقبل له ارجع عن دينك فأبى ثم جىء بابن عم الملك فقبل له ارجع عن دينك
فأبى فوضع المذشار في مفرق رأسهم فشققهم ثم التفت إلى الغلام وقال له ارجع
عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه وقال اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا
فذهبوا به إلى الجبل فقال اللهم اكنفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وهلكوا
ثم جاء الغلام يمشى إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك بك فقال كفانيهم الله
فغاض الملك ذلك فدفعه إلى نفر من أصحابه وقال لهم اذهبوا به في قرقور وهي
السفينة واطرحوه في البحر ولججوا به فيه فإن رجع عن دينه وإلا فاخذفوه في
البحر وأغرقوه فذهبوا به إلى البحر ، فقال الغلام اللهم اكنفنيهم بما شئت
فانكذمت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك ،
قال كفانيهم الله ، فقال له الملك اقتلاه بالسيف فنبأ السيف عنه ، وفشا خبره في
الأرض وعرفه الناس وعظموه وعلموه أنه وأصحابه على الحق ثم إن الغلام قال
للملك إنك لا تقدر على قتلى إلا ان تفعل ما أمرك به فقال وما هو ، قال تجمع

أهل ملكتك وأنت على سريرك فتصلبني على مجذع وترميني بسهم وتقول باسم الله رب الغلام ، ففعل الملك ذلك ثم رماه وقال باسم الله فأصابه في صدغه فوضع يده عليه ومات ، فقال الناس لا إله إلا الله آمنا بدين عبد الله بن السامري ولادين إلا دينه ، فلما آمن الناس برب العالمين رب الغلام قيل للملك قد والله نزل بك ما كنت تحذر فغضب الملك وأغلق أبواب المدينة وأخذ أفواه السكك ونخذ أخذودا وملاه ناراً ثم عرض الناس عليه رجلا رجلا فمن رجع عن الإسلام تزكته ومن لم يرجع ألقاه في الأخدود فاحترق وكانت امرأة قد أسلمت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاثة أولاد أحدهم رضيع فقال لها الملك أترجمين عن دينك وإلا ألقىتك أنت وأولادك في النار فأبى فأخذ ابنها الأكبر والأوسط فألقى في النار ثم أخذ الرضيع وقال لها ارجعي فأبى فأمر بإلقائه في النار فهتت المرأة بالرجوع فقال لها الصبي الصغير يا أماه لا ترجمي عن الإسلام فإنك على الحق ولا بأس عليك فألقى الصبي في النار وأمه على أثره وقد روى هذا بنحو ما ذكرناه مرفوعاً عن رسول الله ﷺ .

أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين بن جعفر المذكور بإسناده عن صهيب عن رسول الله ﷺ بمثل معناه « وقد تكلم ستة في المهدي شاهد يوسف الصديق عليه السلام وابن ماشطة بنت فرعون ويحيى بن زكريا وعيسى بن مريم وصاحب جريج الراهب وصاحب الأخدود »

وقال سعيد بن المسيب : كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ ورد عليه كتاب أنهم وجدوا ذلك الغلام بنجران وهو واضع يده على صدغه فكلماهم يده عادت إلى الصدغ فكتب إليهم عمر واروه حيث وجدتموه وقال مقاتل كان أصحاب الأخاديد ثلاثة : واحد بنجران اليمن وآخر بالشام وآخر بفارس حرقوا بالنار أما الذي بالشام فانطياخوش الرومي أحرق قوماً من المؤمنين وأما بفارس فهو بختنصر ، وكانت قصته ما أخبرنا عبد الله بن حامد بإسناده عن ابن أروى قال لما هزم المسلمون أهل الاسفندهار وانصرفوا جاءهم نعي عمر . فاجتمعوا وقالوا أي شيء تجرى على الجوس من الأحكام فإنهم ليسوا بأهل كتاب وليسوا من مشركي

العرب ، فقال على كرم الله وجهه ؛ بل هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابتهم ،
وكانت الخثرة قد أجلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فتناول أخته
فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي أتيت به وما المخرج
منه ؟ فقالت المخرج منه أنك تخطب الناس فتقول ؛ أيها الناس إن الله قد أحل لكم
نكاح الأخوات إذا ذهب هذا في الناس تناسوا ما حرمته عليهم ، فقام فيهم خطيبا
فقال ؛ أيها الناس إن الله قد أحل لكم نكاح الأخوات ، فقال الناس بأجمعهم ؛ معاذ
الله أن نؤمن بهذا ما جاءنا بهذا نبي ولا أنزل علينا في كتاب فرجع إلى أخته وقال
ويحك إن الناس قد أبوا علي فقالت ابسط فيهم السوط فأبوا أن يقربوا له فقال
لها إن الناس قد أبوا فقالت جرد فيهم السيف فأبوا أن يقرأوا فقالت خذ لهم
الآخدود ثم عرضهم عليه فمن تابعتك حل عنه ومن أبى فاقذفه في النار فأخذ الآخدود
وأوقد فيه النيران وعرض أهل مملكته على ذلك فمن أبى قذفه في النار ومن أجاب
خلى سبيله فأنزل الله تعالى فيهم (قتل أصحاب الآخدود) إلى قوله تعالى (عذاب
الحريق) وأما الذي في اليمن فهو يوسف ذو نواس بن شراحبيل بن تبع بن يشرخ
الحميري ، وقال مقاتل إنما قذف في النار يومئذ سبعة وسبعين إنسانا ، وقال السكلي
كان أصحاب الآخدود سبعمائة ألفا فلما قذفوا المؤمنون في النار خرجت النار إلى
أعلى شفير الآخدود فأحرقتهم وارتفعت النار فوقهم اثنتا عشر ذراعا ونجا ذو نواس
فسلط الله عليهم أرباطا الحديد حتى غلب على اليمن فخرج هاربا فاقتحم البحر
فأغرقه الله فيه ، وفيه يقول عمرو بن معديكرب ؛

أتوعدني كأنك نور عيني	بأنهم عيشة أو ذو نواس
وما قد كان قبلك في نعيم	وملك ثابت في الناس رواسي
فقدتم عهد من عهد عاد	عظيم قاهر الجبروت قاسي
فأمسى أهله بادرا وأمسى	ينقل في أناس من أناس

(م ٣٢ - قصص الانبياء)

(باب في قصة أصحاب الفيل وبيان ما فيها من الفضل)
(والشرف لنا نبينا محمد ﷺ)

قال الله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) قال محمد بن إسحق بن
بشار كان من حديث أصحاب الفيل ما ذكر به بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير
وعكرمة عن ابن عباس وعمن بقي من علماء اليمن وغيرهم أن ملكا من ملوك حمير
يقال له زرعة ذو نواس كان قد تهود واجتمعت معه حمير على ذلك إلا ما كان
من أهل نجران فإنهم كانوا على دين النصرانية على حكم الإنجيل ولهم رأس يقال
له عبد الله بن السامر فدعاهم إلى اليهودية فأبوا فنحروهم فاختاروا القتل فمنهم من
قتل صبورا ، ومنهم من ألقى في النار إلا رجلا من أهل سبأ يقال له دوس بن ثعلبان
فذهب على فرس له يركض حتى أعجزهم في الرمل فأتى قيصر فذكر له ما بلغ منهم
واسأصره فقال له بعدت بلادك عنا وليكني أكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على
ديننا قيصر فكاتب له وبعث معه رجلا من الحبشة يقال له إرياط فلما بعثه قال
له إن دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها وانحرب ثلث بلادها وابعث إلى بثلاث سببا ياها
لما دخلها ناوشهم القتال فتعوقوا عن ذي نواس واقتحم به فرسه فاستعرض به
البحر فهلكا جميعا فكان آخر العهد به ، ودخلها إرياط فعمل بما أمره النجاشي
فقال ذو جدن الحميري فيما أصاب أهل اليمن :

لحاك الله قد أنزفت ريقى
إذا تسقى من الخمر الرحيق
إذا لم يشكيني فيها رفيقي
ولو شرب الشفاء من النشوق
يناطح جلده بيض الأنوق
ينوء ممسكا في رأس نيق
وجر الموجل اللشق الزليق
إذا يمسى كومضان البروق

دعيني لا أنالك لم تطبقى
بذا عزف القيان إذا انتشا
وشرب الخمر ليس على عار
وإن الموت لا ينهاه ناه
ولا مترهب في اسطوان
وغمدان الذى نبشت عنه
لنته وأسفله حروث
مصاييح السليط يلحن فيه

فأصبح بعد جدته رماداً وغير حسنه لهب الحريق
ونخلته التي غرست إليه يكاد اليسر يهصر بالعدوق
وأسلم ذو نواس مستبيناً وحذر قومك صنك المضيق
قال ؛ فأقام إرباط باليمن وكتب إليه النجاشي أن اثبت بجنك ومن معك حيناً
ثم أن أبرهة بن الصباح ساخطه في أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت معه
طائفة ومع أبرهة طائفة ثم تراخفا فلما دنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة إلى
إرباط وكان إرباط جسيماً عظيماً وسيماً في يده حربة ، وكان أبرهة رجلاً قصيراً
حاذراً لحما وكان ذا دين في النصرانية وكان خلف أبرهة وزيراً يقال له عنودة
فلما دنوا رفع إرباط الحربة فضرب بها رأس أبرهة فوقعت على جنبه فشرمت
عينيه وجبينه وأنفه وشفته فلذلك سمي أبرهة الأشرم ، فلما رأى عنودة ذلك حمل
على إرباط فقتله فاجتمع الجيش على أبرهة فبأخ النجاشي ما صنع أبرهة فغضب
عليه وحلف لا يدع أبرهة حتى يعجز ناصيته ويأبى بلاده ، ثم إنه كتب إلى أبرهة
إنك عدوت على أميرى فقتلته بغير أمرى ، وكان أبرهة رجلاً مارداً ، فلما بلغه
قول النجاشي حلق رأسه وملا جراباً من تراب أرضه وكتب إلى النجاشي ؛ أيها
الملك إنما كان إرباط عبدك وأنا عبدك اختلفنا في أمرك وكنت أعلم بأرض الحبشة
وأسوس لها وكنت أردته أن يعتزلني فقلته ، وقد بلغني الذي خلف عليه الملك
وقد حلفت رأسي وبعثت به إليك ومألت جراباً من تراب أرضي وبعثته إليك
ليطأه الملك ليعر قسمه فلما انتهى إليه ذلك رضى عنه وأقره على عمله وكتب إليه
بأن اثبت بمن معك من الجنود ، ثم أن أبرهة بنى كنيسة بصنعاء يقال لها القليس ،
ثم كتب إلى النجاشي إنى قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم بين الملك مثلها قط لست
منتها حتى أصرف إليها حج العرب فسمع بذلك رجل من بني مالك بن كيسان
فخرج إلى القليس ، فدخلها ليلاً فقدر فيها تموناً بها وتغضبها للكنيسة فبلغ ذلك
أبرهة ، ويقال إنه أتاه ناظراً إليها فدخلها فوجد القذرة فيها ، فقال من اجترأ
على هذا ؟ فقيل فعل هذا رجل من العرب من أهل ذلك البيت الذي يحجونه سمع
بالذي قلت فصنع هذا فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن إلى الكنيسة حتى يهدمها ،

فخرج سائراً من الحبشة إلى مكة وأخرج معه الفيل ، فبلغ ذلك العرب فأعظموه
ورأوا جهاده حقاً عليهم فخرج ملك من ملوك حمير يقال له ذو نفر بن أطاعه
من قومه فهزمه وأخذ ذو نفر فأبى به إلى أبرهة فقال له أيها الملك لا تقتلني فإن
استبقاه لك لي خير لك من قتلي ، فاستحياه وأوثقه وكان أبرهة رجلاً حليماً ثم خرج
سائراً حتى إذا من ديار خثعم خرج إليه نضيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي
خثعم وهما شهران وناهش ومن اجتمع إليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ
نضيل أسيراً فقال أيها الملك إن دليلك بأرض العرب فلا تقتلني فاستبقاه وخرج
معه يده حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن مغيث الثقفي في رجال من
ثقيف وقال له ؛ أيها الملك إنما نحن عبيدك فإن كنت تريد البيت الذي بمكة فنحن
نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا أبا رغال مولاهم فخرجوا حتى إذا كانوا
بالمخمس مات أبو رغال فهو الذي ترجم قبره العرب وبعث أبرهة من المخمس
رجلاً من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود على مقدمة خيله فجمع إليه أموالاً
وأصاب لعبد المطلب جد رسول الله ﷺ مائة بعير ثم أن أبرهة بعث حناطه
الحميري إلى أهل مكة سفيراً فقال له سل من شريفها ثم أبلغه إنني لم آت لقتال إنما
جئت لأهدم هذا البيت فانطلق حناطه حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب بن هاشم
فقال له ؛ إن الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأت للقتال إلا أن تقاتلوه إنما أتى
لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب سنخلى بينه وبين ما جاء له
فإن هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام فإن يمنعه فهو بيته
وحرمه وإن يخل بينه وبين ذلك فهو كذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق معي
إلى الملك .

زعم بعض العلماء أنه أُرِدْفَه على بغلة وكان راكباً عليها وركب معه بعض
بنيه حتى قام المعسكر وكان ذو نفر صديقاً لعبد المطلب فأناه فقال له يا ذو نفر هل
عندك من عناء فما نزل فقال له ما عناء رجل أسير لا يأمن من أن يقتل بكرة أو
عشية لكن سأبعث لك أنيس سائس الفيل فإنه صديق لي فاسأله أن يصنع لك عند
عند الملك ما استطاع إليه من الخير ويعظم منزلتك وحظك عنده فأرسل إلى أنيس

فأتاه ، فقال له إن هذا سيد قریش صاحب غير مكة يعطى ويطعم الناس من السهل والجبل والوحوش والطيير في رموس الجبال ، وقد أصاب الملك مائتي بعير ، فإنه استطعت أن تنفعه عنده فهو صديق لي ولإني أحب ما يصلح لإيئه من الخير ، ثم أن أنيسا دخل على أبرهة هو وعبد المطلب وقال له : أيها الملك هذا سيد قریش وصاحب غير مكة الذي يطعم الناس في السهل والجبل والطيير والوحش في رموس الجبال ، وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك فأذن له ، فلما دخل عليه وجلس بين يديه فأناه وأجلسه معه على السرير ، ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك ؟ فقال له الترجمان ذلك فقال له عبد المطلب حاجتي أن برد على مائتي بعير أصابها لي فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبمتني حين رأيتك ولقد زهدت فيك الآن فقال له ولم ؟ قال حيث جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك لأهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائة بعير أصبتها فقال له عبد المطلب قل له أنا رب هذه الإبل ولهذا البيت ربه سيمتعه منك قال ما كان لينعه مني فقال له أنت وذاك ثم أمر له بإبله فردت عليه

قال محمد بن إسحق وكان فيما يزعم بعض أهل العلم أن عبد المطلب قد ذهب إلى أبرهة بعمر و بن معدى كرب بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وهو يومئذ سيد بني كنانة ونحويلد بن وائلة الهذلي وهو يومئذ سيد هذيل فعرضوا على أبرهة تلك أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى أن يرجع قال فلما ردت الإبل على عبد المطلب رجع فأخبر قریشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب ويتحرقوا في رموس الجبال تخوفا عليهم من ميرة الجيش إذا دخل ففعلوا ذلك ثم أتى عبد المطلب إلى الكعبة فأخذ حلقة الباب وجعل يقول :

يا رب لا أرجو لهم سواك	يا رب فامنع منهم حماك
إن هدو البيت من عاداك	فامنعهم أن يخربوا قراك
وقال أيضا : لا هم أن المزمع يمن	مع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب	سب وعابديه اليوم آلک
لا يظلمن صلبيهم	ورحالتهم أبدأ محالك

عمدوا حماك بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك
إن كنت تاركهم وكهـ بيتنا فأمر ما بدالك
ثم أن عبد المطلب توجه في بعض الوجوه مع قومه ، وأصبح أبرهة بالمغمش
وقد تهيأ لدخول مكة وعبيد جيشه وهيا فيله ، وكان اسم الفيل محموداً وكان من
قبيل النجاشي بعثه إلى أبرهة وكان فيلا لم ير مثله في الأرض عظما وقوة وجسما
وقال الكلبي لم يكن عندهم إلا ذلك الفيل الواحد فلذلك قال الله تعالى (ألم تر كيف
فعل ربك بأصحاب الفيل) قال الضحاك : كانت الفيلة كثيرة ، ويقال فإن معه
إثنا عشر فيلا ، وإنما وحده (١) على هذا التأويل لوفاق رموس الآي ، ويقال
نسبهم إلى الفيل الأعظم ، قال فاقبل الفيل الأعظم فاخذ بأذنه وقال ؛ ابرك وقال
ابرك محموداً أو ارجع راشداً من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام فبرك الفيل
فبعثوه فإني أن يقوم فضر به بالمهول في رأسه فادخلوا محاجنهم تحت مراقه
مراقه ورفعوه ليقوم فإني ، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقم يهروا ثم وجهوه
لى الشام ففعل مثل ذلك ثم وجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه إلى الحرم
فبرك وأنى أن يقوم ثم أن نفيلاً خرج من عندهم وصعد إلى الجبل وأرسل الله
تعالى طيراً من البحر كأمثال الخطاطيف مع كل طير منهم ثلاثة أحجار حجران
فى رجلية وحجر فى منقاره أمثال الحمص والعدس فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم
فلم تصب تلك الحجارة أحداً إلا هلك وليس كل القوم أصابت فذلك قوله تعالى
(طيراً ابابيل) أى متفرقة من ههنا وههنا ، قال ابن عباس كان لها خراطيم
كخراطيم الطيور ، واكيف كما كيف الكلاب ورءوس كرهوس السباع ولم تر
قبل ذلك ولا بعده ، وقال أبو الجوزاء ؛ أفنساها الله فى الهواء فى ذلك الوقت
(قرهيهم بحجارة من سجيل) أى سنك كل (٢) قال ابن مسعود صاحت الطيور ورمتهم

(١) قوله ؛ وإنما وحده الخ ؛ المراد ان الإفراد فى الآية على هذا القول
لوفاق رموس الآي .

(٢) قوله ؛ أى سنك كل ؛ لفظ معربه سجيل .

بالحجارة ، وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها قوة فما وقع منها حجر على جنب رجل إلا خرج من الجنب الآخر ، وإذا وقع على رأس رجل خرج من دبره (فجمالهم كعصف ما كول) أي كزرع قد أكل حبه وبقي تبنه ، فلما رأت الحبيشة ذلك خرجوا هاربين يتدرون الطريق الذي جاءوا منه ويسألون عن نفيل ابن حبيب ليبدلهم على الطريق فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمة .

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب غير الغالب
وقال أيضا في ذلك

الا حبيت عنا يا رديئا نعمنا كم من الأصباح عيوننا
رديشة لو رأيت ولم تريبه لدى جنب الخضب ما رأينا
إذ لعذرتي وحمدت امرئ ولم تأس على ما فات بيننا
حمدت الله إذ عاينت طيرا وخفت حجارة ترمى علينا
وكل القوم يسألون عن نفيل كان على للجيشان دينا

وذكر زياد عن عبد الله بن عمر أن طيرا الأبا بيل كانوا ايلوا من قبل البحر لرجال الهند ترميهم بحجارة اصفرها مثل رموس الرجاك واكبرها كالابل النزل ما رمت اصابت وما اصابت قتلت ، وبعث الله تعالى على ابرهة داء في جسده فجعل تفسا قط انامله كلما سقطت انملة اتبعتها انملة وقبيح ودم فانتهى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فيما بقي من اصحابه فامات حتى تصدع صدره عن قلبه ، ثم هلك وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذي جر حديث اصحاب القيل هو أن فئة من قريش خرجوا تجارا إلى ارض النجاشي فساروا حتى دنوا من ساحل البحر وفي سندها حقف من احقافها بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل ويسميها النجاشي وأهل أرضه الماسر نخشان فنزل القوم في سندها فجمعوا حطبها واججوا نارا واشتتوا لحناء ، فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم صائف فهدجت الرياح فاضطرم الهيكل نارا وانطلق الصريح إلى النجاشي فاخبروه فأسف عند ذلك غضبه للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وكان يمكنه يومئذ ابو مسعود الثقفي ، وكان

مكفوف البصر يصيف بالظائف ويشتهي بمكة ، وكان رجلا نبيها عليلا ، وكان لعبد المطلب خليلا فقال عبد المطلب يا أبا مسعود ؛ هذا يوم لا نستغنى فيه عن رأيك فما رأيك ؟ فقال ابو مسعود لعبد المطلب اعمد إلى مائة من الإبل فاجعلها هدية لله تعالى وقلدها زملا واثبتها في الحرم لعل بعض هؤلاء السودان يعقر منها فيفضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم إلى تلك الإبل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال ابو مسعود ؛ إن لهذا البيت ربا سيمنعه ، فقد نزل تبع ملك اليمن بصحراء هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاء واطلم عليه ثلاثة ايام فلما رأى ذلك تبع كساه القباطى البيض وعظمه ونحره جزورا .

ثم قال ابو مسعود لعبد المطلب انظر إلى بحر اليمن هل ترى شيئا ؟ فقال أرى طيرا بيضا نشأت من جانب البحر وحلقت على رؤوسنا فقال له هل تعرفها ؟ فقال عبد المطلب والله ما اعرفها ما هي بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية ، وإنما تطير بارضنا غير مؤنسة قال ما قدرها ؟ قال امثال اليعاسيب في مناقيرها حصى كما حصى الحذف قد أقبلت كالليل المظلم ، فجاءت حتى إذا حاذت عسكر القوم ركبت فوق رؤوسهم فلما توافقت الرجال كلها بنخيلهم اهلت الطير في مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم لأنها رجعت من حيث جاءت فلما اصبح عبد المطلب وابو مسعود انحطا من ذروة الجبل فمشيا فلم يسمعا حسا فقال لبعضهما بات القوم سامدين فاصبحوا نياما فلما دنوا من عسكر الفيل فإذا هم خامدون وكان الحجر ينزل على بيضة احدهم فينجرها ويقطع في دماغه ويحرق الفيل والدابة ويفيب الحجر في الارض من شدة وقعه .

ثم إن عبد المطلب أخذ قاسا وحفر حتى اعرق في الارض فملاها من الذهب الأحمر والجوهر الجيد ثم حفر لصاحبه حفرة فملاها ثم قال لا بى مسعود هات خاتمك فاختر فإن شئت اخذت حفرتى وإن شئت اخذت حفرتك وإن شئت فهما لك معا فقال له ابو مسعود اختر لى على نفسك فقال لعبد المطلب لاني جمعت اجود المتاع في حفرتى فهو لك .

ثم جلس كل واحد منهما على حفرة ونادى عبد المطلب بذلك على قرينيه
وأعطته الرياسة فلم يزل أبو مسعود وعبد المطلب غنيين من ذلك المال إلى أن ماتا
وقال الواقدي بإسناده : غزا النجاشي إرياط قى أربعة آلاف إلى اليمن فغلب عليها
فأكره الملوك واستذل الفقراء فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الأشرم
أبو يكسوم فدعا إلى طاعته فأجابوه فقتل إرياط وغلب على اليمن فرأى الناس
يتجهزون أيام الموسم للحج ، فسأل أين تذهب الناس ؟ فقيل يحجون بيت الله بمكة
قال فما هو ؟ قالوا من حبر ، قال فما كسوته ؟ قالوا ما يأتي من ههنا من الوسائل
فقال والمسيح لابنين خيراً منه فبنى لهم بيتاً من الرخام الأبيض والأسود والأحمر
والأصفر وحلاه بالذهب والفضة وحنقه بالجواهر وجعل له أبواباً عليها صفائح
الذهب ، وكان يرقده بالمنديل ويلطخ جدرانه بالمسك حتى تغيب الجواهر ، وأمر
الناس بحججه فحججه كثير من قبائل العرب سنين ، ومكث فيه رجال يعبدون
ويتنكبسون فامهل نفيل الخشمي حتى كان ليلة من الليالي لم ير أحداً يتحرك فجاءه
بعذر فلطخ بها قبلته وألقى فيه الجيف فأخبر أبرهة بذلك فغضب غضباً شديداً ،
وقال إنما فعلت العرب ذلك غيظاً لأجل بيتهم ثم إنه قال لأنه لا نفعه حجراً حجراً ،
ثم إنه كتب إلى النجاشي يخبره بذلك ويسأله أن يبعث إليه بفيلة محمود وكان فيله
لم ير مثله في الأرض عظماً وجسماً وقوه فبعثه إليه فغزا البيت كما ذكرنا إلى أن
قال أقبلت الطير من البحر أباييل مع كل طير ثلاثة أحجار حجران في رجليه
وحجر في منقاره فتذفت الحجارة عليهم لا تصيب شيئاً إلا هشمته وبعث الله
سيلاً أتى عليهم فذهب بهم إلى البحر فألقاهم فيه وولى أبرهة ومن معه هرباً فجعل
أبرهة يسقط عضواً عضواً حتى مات وأما محمود النجاشي فربض ولم يشجع على
الحرم فنجا ، وأما الفيلة الآخر فتشجعت فخصبت وهلكت ، وهو أول وقت
رؤى عليه الجدرى والحصبة ، وقال أمية بن أبي الصلت في ذلك :

إن آيات ربنا بيِّنات ما يمارى بهن إلا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى يحبوا كأنه معقور ظل

حواله من رجال كندة فتيان مصاليت في الحروب صقور
غادروه وقد تولوا سراهاً كلهم عظيم ساقه مكسور

وقال السكبي : لما أهلكهم الله بالحجارة لم يفلت منهم إلا أبرهة الأشرم بن
يكسوم فسار طائر يطير فوقه ولم يشعر به حتى دخل على النجاشي فأخبره بما أصابهم
فما استنم كلامه حتى رماه طائر فسقط ميتاً فأرى الله النجاشي كيف كان هلاك أصحابه

وقال الواقدي : كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي ﷺ وآمن به
واختلفوا في تاريخ عام الفيل ، فقال مقاتل ، كان أمر الفيل قبل مولد النبي ﷺ
بأربعين سنة ، وقال عبيد بن عمير السكبي كان قبل مولده بثلاث وعشرين سنة ،
وقال آخرون كانت قصة الفيل قبل العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ ، وعلى هذا
أكثر العلماء وهو الصحيح يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الجوزقي قال : سمعت
عبد العزيز بن أبي ثابت الزبير ، حدثنا ابن موسى عن أبي الجوزاء قال : سمعت
الملك بن مروان يقول لفيث بن أسيم الكندي يا غياث أنت أكبر أم رسول الله
ﷺ فقال إن رسول الله ﷺ أكبر مني وأنا أسن منه .

ولد رسول الله ﷺ عام الفيل . ووقعت بن أمي على روث الفيل .

ويدل عليه أيضاً ما روى أن عائشة رضي الله عنها قالت : رأيت الفيل
بوسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان .

فلما كفى الله أمر أصحاب الفيل عظمت العرب قريشاً وقالوا : هم أهل الله ،
وإن الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم ، والله عز وجل أعلم وأحكم ، وحسبنا
الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه آمين

(تم الكتاب)

فهرس قصص الأنبياء (المسمى عرائس المجالس)

صحيفة

- ٢ خطبة الكتاب ، باب في ذكر بعض وجوه الحكمة ، وتقصيله تعالى
أخبار الماضين على سيد المرسلين
- ٤ الباب الأول في بدء خلق الأرض وكيفيتها
- ٥ » الثاني في حدود الأرض ومسافتها وأطباقها وسكانها
- ٦ » الثالث في ذكر الأيام التي خلق الله فيها الأرض
- ٧ » الرابع في ذكر أسمائها وألقابها
- ٨ » الخامس في ذكر ما زين الله به الأرض
- ٩ » السادس في عاقبتها وما لها وآخر حالها
- ١٠ » السابع في وجوه الأرض المذكورة في القرآن
- ١١ مجلس في ذكر خلق السموات والأرض وما يتصل به ، وفيه سبعة أبواب
الباب الأول في بدء خلق السموات ، الثاني في جواهرها وأجناسها
- ١٢ » الثالث في هيئتها وحدودها ، الرابع في أسمائها وألقابها
- ١٥ » الخامس في ذكر الأيام التي خلق الله الأشياء فيها
- » السادس في ذكر ما زين الله به السموات
- ١٨ » السابع في ذكر ما لها وآخر حالها
- ٢٣ مجلس في قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة
الباب الأول في ذكر وجوه من الحكمة وخلق آدم عليه الصلاة والسلام
- ٢٤ » الثاني في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته
- ٢٦ » الثالث في صفة نفخ الروح فيه
- ٢٨ » الرابع في صفة خلق حواء عليها السلام
- ٢٩ » الخامس في ذكر امتحان الله تعالى آدم عليه السلام وما كان منه في ذلك
- ٣٤ » السادس في حال آدم بعد هبوطه إلى الأرض وما كان منه

- ٤١ الباب السابع في ذكر هبوط إبليس لعنه الله في الأرض وحاله فيها بعد اللعنة
٤٢ » الثامن في ذكر ما روى من الأخبار فيمن تراءى له إبليس فرآه عياناً
وكله شفاهاً ٤٣ الباب التاسع في قصة قاييل وها بيل
٤٩ » العاشر في وفاة آدم عليه السلام
٥١ » في الخصائص التي خص الله بها آدم عليه السلام
مجلس في ذكر النبي إدريس عليه السلام ٥٣ قصة هاروت وماروت
٥٨ » » قصة نوح عليه السلام ٦٤ ذكر خصائص نوح عليه السلام
٦٦ » » هود » » ٧٢ مجلس في قصة صالح » »
٧٩ » » إبراهيم عليه السلام والنمرود وهو يشتمل على أبواب
الباب الأول في مولد إبراهيم عليه السلام
٨٦ » الثاني في خروج إبراهيم من السرب ورجوعه إلى قومه الخ
٨٧ » الثالث في ذكر مولد إسماعيل وإسحق ونزول إسماعيل وأمه هاجر
إلى الحرم وقصة بئر زمزم ٩٣ الرابع القول في بقية قصة بئر زمزم
٩٥ » الخامس في صفة بناء الكعبة وبدء أمرها إلى وقتنا هذا
١٠١ » السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله إبراهيم بذبح ولده
١٠٢ قصة الذبح وصفته وفعل سيدنا إبراهيم بإبنته
١٠٥ » السابع في هلاك النمرود بن كنعان وقصة بناء الصرح
١٠٧ » الثامن في وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة أزواج إبراهيم وولده
١٠٨ » التاسع في خصائص إبراهيم
١١١ مجلس في ذكر بعض أخبار إسماعيل وإسحق ابني إبراهيم عليهم السلام
١١٤ » في قصة لوط عليه السلام
١٢٠ » في قصة يوسف بن يعقوب وإخوته عليهم الصلاة والسلام
١٢٢ القول في القصة ١٥٩ مجلس في قصة موسى بن ميشا بن يوسف عليه السلام
١٦٣ مجلس في ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة إرم ذات العماد
١٦٤ » » قصة أصحاب الرس ١٦٨ مجلس في قصة نبي الله أيوب

- ١٧٦ مجلس في قصة ذى الكفل ١٧٧ مجلس في قصة شعيب النبي
١٨٠ » » ذكر صفى الله ونجيه موسى بن عمران وهو يشتمل على أبواب
الباب الاول في ذكر نبيه عليه السلام ، الباب الثانى في ذكر مولده
١٨٤ » الثالث في ذكر حليمة موسى وهرون عليهما السلام
» الرابع في قصة قتل القبطى وخروجه من مصر ووروده مدين
١٨٦ » الخامس في دخول موسى مدين وتزويج شعيب لابنته إياه
١٨٨ » السادس في ذكر نعمت عصا موسى وبدء أمرها
١٨٩ » السابع في صفة المآرب التى كانت له فيها
١٩١ » الثامن في ذكر خروج موسى من مدين وتكليم الله إياه فى الطريق
وإرساله إلى فرعون واستماعته بأخيه هرون وكيفية ذهابهما إلى فرعون
١٩٥ » التاسع في ذكر دخول موسى وهرون على فرعون
١٩٦ » العاشر في قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة وخر وجهم يوم الزينة
١٩٩ » الحادى عشر في قصة حنقيل مؤمن آل فرعون وامرأته ومقتله وأولاده
» الثانى عشر في ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومقتلها
» الثالث عشر في بناء الصرح ٢٠٠
» الرابع عشر في ذكر الآيات التى ابتلى الله بها فرعون وقومه الخ ٢٠٢
باب فى صفة تنزيل هذه الآيات وتفصيلها وكيفيةها ٢٠٣
فصل فى بعض ما ورد من الاخبار الغريبة فى الجراد ٢٠٣
٢٠٩ الباب الخامس عشر فى قصة إسراء موسى ببني إسرائيل وخلق البحر لهم
» السادس عشر ذهاب موسى إلى الجبل لميقات ربه وإيتاء الله له الألواح ٢١٣
٢١٥ فصل فى نسخة المشر السكيات التى كتبها الله تعالى لموسى نبيه الخ
٢١٩ باب فى قصة بنى إسرائيل وهرون مع السامرى حين اتخذ لهم العجل
» » » قارون حين عصى ربه الخ ٢٢٣
» » » موسى حين لقي الخضر وما جرى بينهما من المعجائب ٢٢٨

- ٢٣١ فصل في ذكر جمل من أخبار الخضر عليه السلام وأحواله
- ٢٣٢ » » بدء أمر الخضر عليه السلام
- ٢٤٣ باب في ذكر قصة عاميل قتيل بني إسرائيل وقصة البقره
- ٢٤٧ » » » بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة وصفة النار التي كانت تأكل القربان الخ
- ٢٤٩ » » » مسيرة بني إسرائيل إلى الشام حين جاوزوا البحر وصفة حرب الجبارين الخ .. فصل في فضل الشام وأهله
- ٢٥٠ » » » قصة بلعام بن باعوراء
- ٢٥٤ » » » النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومه الخ
- ٢٥٥ فصل في ذكر جمل من أخبار عوج بن عنق وأحواله
- ٢٥٨ باب في ذكر النعمة التي انعم الله بها على بني إسرائيل في التيه الخ
- ٢٦١ » » فتح أريحاء ونزول بني إسرائيل الشام . قصة وفاته هرون عليه السلام
- ٢٦٢ ذكر وفاة موسى عليه السلام ٢٦٦ مجلس في ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بأمر بني إسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام
- ٢٦٦ ذكر حزقيل عليه السلام ٢٦٨ باب في قصة إلياس عليه السلام
- ٢٦٨ قصة الينسع عليه السلام ٢٧١ مجلس في قصة ذى الكفل عليه السلام
- ٢٨٣ مجلس في قصة عيلى وشمويل وهي تشتمل على أبواب كثيرة الخ
- فصل في سياق الآية ومقدمة القصة ٢٨٤ القول في بدء أمر شمويل وصفة نبوته
- ٢٨٥ ذكر قصة طالوت وإتيان التابوت وحرب جالوت وما يتعلق به
- ٢٧٨ قصة التابوت وصفته وابتداء أمره إلى انتهائه
- ٢٩١ باب في قصة شمويل حين أوحى الله إليه أن يأمر طالوت بالسير إلى قتال جالوت مع بني إسرائيل وصفة نهر الایتلاء ٢٩٢ باب في ذكر أمر داود ونخبر طالوت وقتله
- ٢٩٥ ذكر بقية قصة طالوت وما كان منه إلى داود عليه السلام بعد قتل جالوت
- ٢٩٩ مجلس في خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها
- باب في ذكر نسبه - ياب في ذكر صفته وحليته
- » » » ما خص الله تعالى به نبيه داود عليه السلام من الفضل الخ

- ٣٠٤ باب في قصة داود حين ابتلي بالخطيئة وما يتصل بذلك
٣١٢ » » ذكر خروج ابن داود على أبيه وما كان من أمرهما
٣١٣ » » قصة أصحاب السبت ٣١٥ باب في قصة داود وسليمان في الحرب
٣١٦ » » استخلاف داود لابنه سليمان وذكر بدء الخاتم
٣١٨ » » ذكر وفاة داود عليه السلام ٣١٩ مجلس في قصة سليمان وما يتعلق به
٣٢٠ » » صفة حالته باب فيما خص الله به نبيه عليه السلام حين ملكه من
أنواع المناقب والمواهب وغير ذلك ٣٣٣ حديث القبة
٣٢٥ قصة مدينة سليمان التي كان يسافر بها في الهواء ، صفة كرسى سليمان
٣٣٦ صفة بنيانه وبتدئه أمره ٣٤٣ قصة بلقيس ملكة سبأ والهدهد وما يتصل به
٣٤٤ صفة القصر الذي بنته بلقيس ٣٤٥ صفة عرشها
٣٥٤ باب في ذكر غزوة سليمان أبا زوجته والجرادة وخبر الشيطان الذي أخذ
خاتمه من يده وسبب زوال ملكه
٣٥٩ » » وفاة سليمان ٣٦٢ مجلس في قصة بختنصر وما يتصل به
٣٦٣ قصة شعيب ٣٦٩ قصة أرميا
٣٧٦ قصة دانيال ٣٧٩ خبر وفاة دانيال
٣٨٢ باب في ذكر الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها
٣٨٥ » » تمام قصة عزيز وحاله بعد ما رجع إلى قومه
٣٨٦ مجلس في ذكر غزوة بختنصر للعرب وقصة يوحنا وخراب حضور
٣٧٨ » » لقمان الحكيم وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه
٣٨٩ » » ما روى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة في القرآن
٣٩٣ » » قصة بلوقيا ٤٠٠ مجلس في ذكر قصة ذي القرنين
باب في نسبه ولقبه ٤٠١ باب في قصة بدء أمره وسبب استكمال ملكه
٤٠٦ » » ذكر الحوادث التي كانت في أيام ذي القرنين بعد قتل دارا
ووصف مسيره إلى البلاد والآفاق
٤٠٩ » » صفة سد ذي القرنين وما يتعلق به

صحيفة

- ٤١١ باب في دخول ذى القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالى لطلب عين الحياة
- ٤١٦ مجلس في قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى ونسب زكريا
- ٤١٨ باب في مولد مريم ونخب تحريرها ٤٢٠ مولد يحيى بن زكريا
- ٤٢٢ » » صفته وحليته وفصل في نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده
- ٤٢٥ » » مقتله عليه السلام ٤٢٧ ذكر مقتل زكريا
- ٤٢٨ مجلس في مولد عيسى وفي حمل مريم وما يتصل به
- ٤٣١ باب في ذكر ميلاده
- ٤٣٣ رجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها إياه إلى قومها من بيت لحم
- ٤٣٥ باب في ذكر خروج مريم وعيسى إلى مصر
- ٤٣٦ » » صفة عيسى وحليته
- » » ذكر الآيات والمعجزات التي ظهرت لعيسى في صباه إلى أن نبي»
- ٤٣٩ » » رجوع مريم وعيسى إلى بلادهما بعد موت هردوس
- ٤٤٠ » » قصة الحوارين
- ٤٤١ ذكر خصائص عيسى والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد مجيئه إلى أن رفع صلوات الله وسلامه عليه وذكر حديث جامع في هذا الباب
- ٤٥٣ ذكر نزول عيسى من السماء ٤٥٥ ذكر وفاة مريم ابنة عمران
- ٤٥٦ » » » » في المرة الثانية في آخر الزمان
- باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى إلى أنطاكية ، وذلك في أيام ملوك الطوائف
- ٤٥٩ قصة يونس بن متى ٤٦٤ باب في قصة أصحاب الكهف
- ٤٨٥ مجلس في ذكر جرجيس ٤٩٣ باب في قصة شمسون النبي
- ٤٩٤ باب قصة أصحاب الانحدود
- ٤٩٨ باب في قصة أصحاب الفيل وبيان ما فيها من الفضل والشرف لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

BI-10116
ALPHABETICALLY
BY NAME

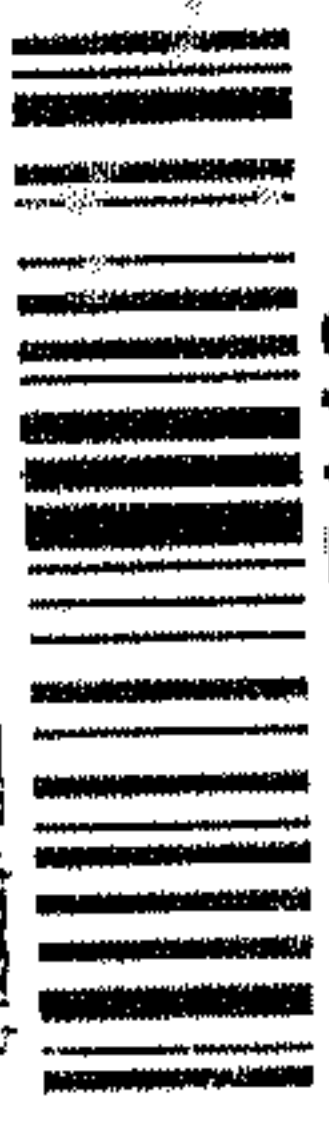
BI
BASE T. MER

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

ISLAM AND CHRISTIANITY



بمكتبة الإسكندرية
Bibliotheca Alexandrina



0207119